تفسير القرآن بكلام الرحمن

دار السلام للنشر والتوزيع

شارع الأمير عبدالعزيز بن جلوي
(الضباب سابقاً)
مقابل الغرفة التجارية
ص.ب ٢٢٧٤٣ الرياض ١١٤١٦
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٠٣٣٩٦٢-٤٠٤٣٤٣٢/٠٠٩٦٦١
فاكس: ٤٠٢١٦٥٩/٠٠٩٦٦١

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م

تفسير القرآن بكلام الرحمن

تأليف

الشَّيخ الجَليل والمُفسِّر النَّبيل أبي الوَفاء ثناء الله الهِنْدِيّ الأمرتسريّ

(ت ١٢٦٧هـ)

خرّج أحاديثه

فضيلة الشَّيخ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله

تقديم ومراجعة

فضيلة الشَّيخ صفيّ الرَّحمٰن المُبارَكفُوري حفظه الله

دار السلام للنشر والتوزيع

الرياض

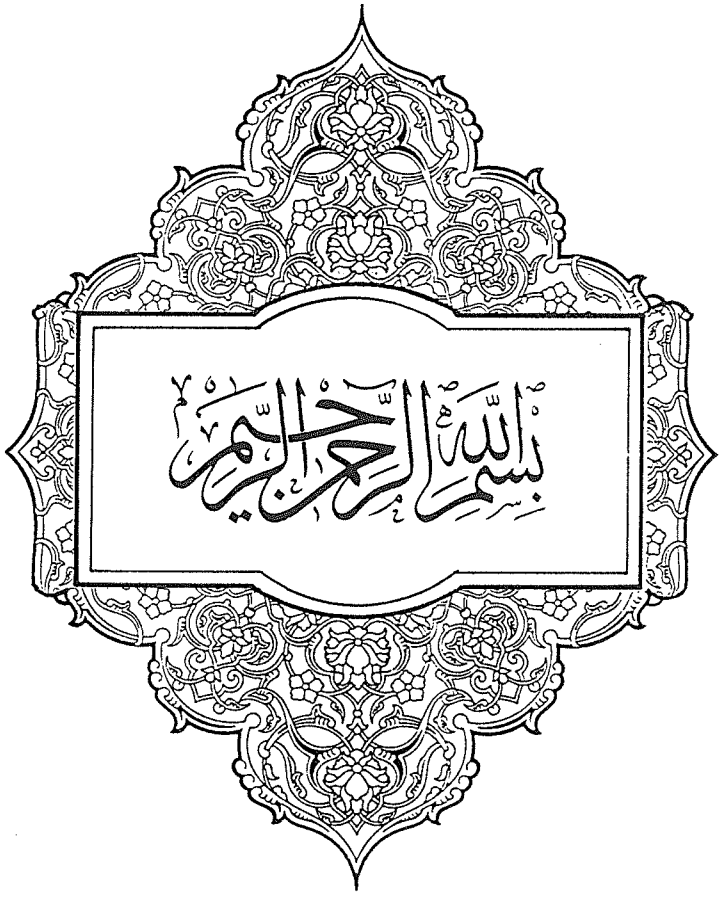
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد أفضل الرسل وخاتم النبيين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد: فيسعد مكتبة دار السلام بالرياض أن تقدم إلى قرائها الأفاضل كتابًا فريدًا وسِفرًا مجيدًا في موضوع تفسير القرآن الكريم، وهو كتاب «تفسير القرآن بكلام الرحمن» لصاحبه فضيلة الشيخ الجليل والعالم الكريم النبيل الحجة الغالب المناظر، الداحض لكل من تعرض للإسلام من متهور وجاسر مكابر، الشيخ/ ثناء الله الأمرتسري ـ رحمه الله ـ فقد فسر آيات القرآن بآيات أخرى مثلها حتى اتضح المقصود وتبين المراد بكل وضوح. وهذا مطلب مقصود عند جميع المفسرين، ويرونه من أحسن أنواع التفسير وأبلغه، إلا أن ذلك لم يكن يوجد عندهم إلا في آيات قلائل، حتى قام الشيخ وشمر عن ساق الجد فكتب التفسير كله على هذا النمط الفريد، وخرج هذا المطلب العزيز من دائرة التفكير إلى حيز الوجود، فلله الحمد.

ونحن إذ نسعد بنشر هذا التفسير نرى أن نقدم بعض الإيضاحات حول عملنا في هذا التفسير حتى يكون القارىء والدارس على بصيرة من الأمر، وهي ما يلي:

١ـ وضعنا آيات القرآن المسلسلة، المطلوب تفسيرها بلون يمتاز عن غيرها من الآيات وكلام المفسر.

٢ـ الآيات التي وردت أثناء التفسير كانت قد أحيلت في الأصل إلى الجزء والركوع حسب ما كان معروفًا في عامة طبعات القرآن الكريم في العالم الإسلامي، وقد عدَّلنا هذا النمط من الإحالات كلها بأسرها فأحلنا كل آية إلى السورة ورقم الآية.

٣ـ الأحاديث التي وردت أثناء التخريج أو جاءت في الحواشي إما لم تكن مخرجة إطلاقًا، أو كانت مخرجة ناقصة التخريج. فقد كان المصنف اكتفى في آخر الحديث

بقوله: البخاري، أو الترمذي أو نحو ذلك، فخرجنا هذه الأحاديث تخريجًا كاملاً مع بيان الجزء والصفحة أو الكتاب والباب أو رقم الحديث أو كل ذلك، وكذلك الإحالات إلى الكتب كانت إلى مجرد أسمائها فزدنا معها أرقام الجزء والصفحة أو ما يلزم من ذلك.

٤ـ ربما جاء المصنف ـ رحمه الله ـ ببيت فارسي أو مثل فارسي أو عجمي، وتركه دون ترجمة أو بيان فألحقنا به الترجمة العربية، وجعلنا هذه الترجمة بين المعقوفتين، كذلك كل ما وقع بين المعقوفتين مثل الإيضاحات وغير ذلك فهو منا وليس من المصنف.

٥ـ ربما اضطررنا إلى تغيير بعض الكلمات فقمنا بذلك في حالة نادرة جدًّا. وقد تركنا عامة الأصول على ما هي عليه، ولم نتدخل فيها بالتغيير والتبديل أو الإصلاح والتعديل مع شعورنا بشيء من مسيس الحاجة إلى ذلك.

٦ـ وقد تركنا كلمات موجزة على إيجازها، وهي مثل الرموز فنرى من الأفضل إيضاحها حتى يتبين للجميع، وهي مثلاً:

كبير	التفسير الكبير للإمام الرازي
معالم	معالم التنزيل للبغوي
ابن جرير	تفسير جامع البيان للطبري
خازن	لباب التأويل في معاني التنزيل لعلي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن
جلالين	تفسير الجلالين المحلي والسيوطي
منه	في آخر الحاشية، أي هذه الحاشية من المؤلف.

وسيأتي بيان المصادر والمراجع في آخر الكتاب مفصلاً.

وليكن على ذكر من القارىء الكريم أن الشيخ كان له باع طويل في علم المنطق والفلسفة حتى كان يقال له ابن تيمية زمانه، فاستخدم الشيخ مصطلحات المنطق بإيجاز

بحيث يحتار فيه من لا يعرف. فمثلاً قال الشيخ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤] القضية مهملة في حكم الجزئية، وقال في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧] القضية مهملة لا كلية، ثم قال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ مهملة ﴿أَعْرَضَ﴾ [الإسراء: ٨٣] وهكذا اكتفى بقوله: «مهملة» بعد ذكر الإنسان في أماكن أخرى عديدة، والمراد أن الإنسان في مثل هذه الجمل والأماكن ذكر بغير بيان أن المراد به البعض أو الكل، بل هو من هذه الناحية متروك على إهماله، والجملة أو القضية إذا كانت مهملة في اصطلاح المنطق تحمل على البعض لا على الكل. فالمراد به في هذا المكان بعض الإنسان وليس جميعهم.

وهكذا أشار الشيخ وراعى قواعد كثيرة في كلمات وجمل، فانتقل من فائدة إلى فائدة، مراعيًا قواعد الوصل والفصل مع الإيجاز، فربما يستغرب القارىء هذا الانتقال السريع وظهور عدم الارتباط بين الفقرتين، أو عدم معرفة موضع الفصل والانقطاع، وقد حاولنا وضع الفاصلة بينهما حتى يكون الكلام واضحًا. وتستقل كل فائدة في البيان.

هذا ونحن إذ نعرض هذا التفسير الفريد لقرائنا الأفاضل نقدم لأصحاب الفضيلة الباحثين في مكتبة دار السلام أجزل الشكر وأجل التقدير، إذ بذلوا جهدهم في إخراج هذا التفسير علميًا وفنيًا، وأخص منهم بالذكر صاحب الفضيلة الشيخ/عبدالقادر الأرناؤط فقد قام بتخريج الأحاديث وعزوها إلى مخرجيها، والقارىء الشيخ/محمد إقبال الباكستاني، والشيخ/الحافظ عبدالمتين راشد الباكستاني، والشيخ/ شكيل أحمد الهندي القائمين بأعمال البحث والتحقيق والتصحيح في مكتبة دار السلام، فقد قاموا بترتيب الفقرات، وعزو الآيات إلى سورها ووضع أرقامها بدل الجزء والركوع، وتعيين جزء وصفحة الكتب التي ورد ذكرها مهملاً بغير قيد الجزء والصفحة، مع تصحيح الكتاب وتحسينه فنيًا ولفظيًا ومع إكمال تخريج الأحاديث وتسهيله بوضع أرقام

الأحاديث بدل الجزء والصفحة، كما أنهم تكرموا بوضع ثبت المصادر والمراجع بالكامل في آخر الكتاب، فلهم مني الشكر الجزيل، وجزاهم الله خيرًا.

كما أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى شيخنا الفاضل الشيخ/ صفي الرحمن المباركفوري حفظه الله المشرف على أعمال البحث في دار السلام إذ تكرم أخيرًا بالإشراف على جميع ما تم عمله حول هذا الكتاب، وألقى نظرة فاحصة من البداية إلى النهاية، وأفاد بآرائه القيمة وتصويباته المفيدة، وكتب ترجمة المؤلف الشيخ/ ثناء الله الأمرتسري، وكلمة التنبيه فأجاد وأفاد، وأزال كثيرًا من الإشكالات ببيان الحق الناصع، فله جزيل الشكر وجزاه الله خيرًا، هذا وصلى الله تعالى على خير خلقه وأعظم أنبيائه محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم.

عبدالمالك مجاهد

مدير مكتبة دار السلام للنشر

الرياض، المملكة العربية السعودية

١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م

ترجمة المفسر

بقلم فضيلة الشيخ/صفي الرحمن المباركفوري

هو الإمام الكبير، والفاضل النحرير، صاحب القلم واللسان، المعترف له بالفضل على عباقرة الزمان، الفذ الوحيد في الأماثل والأقران، الشيخ الفريد الألمعي، أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري ـ رحمه الله ـ ابن الشيخ محمد خضر ـ أو خضرجو ـ من إحدى سلالات براهمة كشمير المعروفة بسلالة «منتو».

أسلم أحد أجداده ـ فيما يزعمون في العهد الإسلامي في كشمير، ولم يعرف بالضبط ـ وكانوا من سكان مقاطعة «دور» في محافظة «إسلام آباد» (أننت ناغ) في كشمير قريبًا من العاصمة «سرينغر» وكان والده تاجرًا نزح إلى مدينة «أمرتسر» في ولاية «بنجاب» الهند، فاستقر بها واتخذها موطنًا له.

ولد الشيخ في مدينة «أمرتسر» في شهر ربيع الأول سنة ١٢٨٥هـ ـ يونيو سنة ١٨٦٨م وتوفى والده وهو صغير ابن سبع سنين. ثم توفى عمه الشيخ محمد أكرم بعده قريبًا، فاضطر الشيخ مع أخيه إلى القيام بكسب يسد به حاجته وحاجة أهل بيته، ولم يجد فرصة للتعلم والدراسة.

ولم يمض على عمره أربعة عشر عامًا حتى توفيت والدته، فأظلمت أمام عينيه الدنيا، وشاء الله أن يأتي إليه بعد ذلك أحد كبار العلماء لتصليح عبائه ـ وكان هذا هو عمل الشيخ ـ فلما كلمه لمح فيه معالم النبوغ والابتكار، فحضه على الدراسة وطلب العلم، واستشجع الشيخ فبدأ بالطلب مع اشتغاله بالكسب، فدرس اللغة الفارسية ثم العربية وعلوم النحو والصرف والمنطق وغير ذلك في مدينة «أمرتسر» في مدرسة «تأييد الإسلام» لصاحبها الشيخ/ أحمد الله أحد رؤساء «أمرتسر».

ثم انتقل الشيخ إلى المحدث الحافظ الشيخ/عبدالمنان الوزير آبادي أكبر أستاذ

للحديث في ولاية بنجاب فتزود من بحار علومه في الحديث وفنونه حتى تخرج عليه سنة ١٣٠٧هـ ـ ١٨٨٩م.

ثم التحق بمدرسة «ديوبند»، فدرس هناك الكتب النهائية في المعقول والمنقول، من المنطق والفلسفة والفقه والأصول والعقائد وغيرها، ثم في الأخير درس كتب الحديث، وكان معظم هذه الدراسة على الشيخ محمود الحسن، ثم تخرج فيها سنة ١٣٠٩هـ.

وأثناء دراسته في مدرسة «ديوبند» ارتحل في بعض الشهور إلى «دهلي»، ودرس على المحدث الجليل السيد/ نذير حسين الدهلوي ـ رحمه الله ـ أطرافًا من كتب الحديث، وحصل منه على إجازة رواية كتب الحديث.

وبعد التخرج في ديوبند التحق بمدرسة «فيض عام» في مدينة كانفور، ودرس على الشيخ/ أحمد حسن العلوم العقلية والنقلية بما فيه كتب الحديث، وتخرج عليه سنة ١٣١٠هـ ـ ١٨٩٢م ودرس في كانفور شيئًا من علم الطب أيضًا.

ولما رجع بعد التخرج إلى مسقط رأسه، عينه الشيخ/ أحمد الله الأمرتسري رئيسًا لهيئة التدريس في مدرسته «تأييد الإسلام» بمدينة «أمرتسر» ووكل إليه تدريس الكتب النهائية من صحيح البخاري وغيره. وبعد ست سنوات من ذلك انتقل الشيخ إلى المدرسة الإسلامية بماليركوتله واشتغل بالتدريس هناك بعض السنوات.

ثم تخلى الشيخ عن التدريس، وانقطع إلى التصنيف والتأليف، والدعوة والإرشاد، والمناظرة والردود دفاعًا عن الإسلام ونشرًا له وقد برز في باب المناظرة والردود حتى لم يوجد له نظير ومثيل. وقد اعترف له علماء الإسلام بذلك، وصرحوا به في كلماتهم وكتاباتهم.

وكان الزمان زمان هجوم شديد من قبل أعداء الإسلام على الإسلام وأهله، وكأنهم كانوا يرجون بعد فشل المسلمين في مقاومة الإنجليز وإخراجهم من شبه القارة الهندية أنهم سوف يفشلون في التمسك بدينهم الإسلامي الحنيف، فقامت قساوسة النصارى

ومشيخة الآريين من الهندوس، وهم من ينبذ عبادة الأصنام، وكذلك النساك ومن يشاكلهم من عُبَّاد الأصنام، والفرق الضالة المبتدعة المنتسبة إلى الإسلام من الروافض والقبوريين وغيرهم فتألبوا على الإسلام وأهله، وبينما كان هجوم هؤلاء على أشده إذ ظهر الدجال الأكبر الميرزا غلام أحمد القادياني، فادعى أنه المسيح أو مثيل المسيح، وأن المسيح عيسى ابن مريم لا يعود إلى الدنيا أبدًا، ثم ادعى أنه هو المهدي، ثم ادعى أنه نبي ورسول، وادعى مع هذه الدعاوي أنواعًا من الألوهية لنفسه، وأقام بذلك ربوع القارة الهندية وأقعدها.

وقد تصدى العلماء لصد هذه الهجمات وصمدوا أمامها حسب ما وجدوا في أنفسهم من القوة والاستعداد والموهبة ـ وجزاهم الله على ذلك خيرًا ـ إلا أن الرجل الذي كان إمام الدفاع عن الإسلام وحامل لوائه في كل مجال هو شيخنا الفاضل العملاق الشيخ/ ثناء الله الأمرتسري ـ رحمه الله ـ يقول فيه السيد/ سليمان الندوي رحمه الله:

«كل من فتح لسانه أو سدد قلمه ضد الإسلام ورسوله فقد كان قلم الشيخ (ثناء الله) سيفًا مسلولاً ضد هجومه. وقد قضى نحبه في خدمة هذا الجهاد، فجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء.

كان ـ رحمه الله ـ مجاهدًا كبيرًا للإسلام، وكل من هجم على الإسلام بلسانه وقلمه فالذي كان يتقدم الجميع في دفعه هو هذا الشيخ، رفع الله درجات هذا الغازي وبلغه مراتب الشهادة.

قبل الحركات السياسية الحالية حينما كانت النوادي الإسلامية قائمة في المدن، وكانت المناظرات قائمة بين المسلمين والقاديانيين والآريين والنصارى كان الشيخ هو الذي يمثل فيها المسلمين عمومًا، وكان في تنقل مستمر في هذا السبيل ما بين هملايا إلى خليج بنغالة. (ياد رفتكان ص ٤١٨ـ٤٢١).

وكان من آيات الله التي ظهرت في هذا الباب أن الميرزا القادياني لما رأى أن الشيخ

ثناء الله رحمه الله قد أبطل كل حيله ومكائده، وهدم كل ما أقامه وبناه نشر نشرة دعا الله فيها أن يفتح بينه وبين الشيخ، ويميت الكاذب منهما في حياة الصادق، حتى يكون موته دليلاً على كذبه. ثم أعلن أن الله تقبل دعاءه، ثم لم يلبث القادياني بعد ذلك إلا نحو سنة حتى مات، وبقي الشيخ يتمتع بعده بالحياة إلى نحو أربعين سنة، فكان ذلك آية من الله للشيخ/ ثناء الله ـ رحمه الله ـ لم تقدر لأحد غيره من أهل العلم والفضل مع كثرتهم وتوافرهم في شبه القارة الهندية.

وكان من أثر جهاد الشيخ هذا، ودحره أعداء الإسلام أنه كان يلقب بأسد بنجاب، وأسد الهند، وبفاتح القاديان، وبابن تيمية الزمان وغير ذلك.

هذا، وقد كتب الشيخ وألف كتبًا قيمة في كل من هذه الموضوعات وغيرها، وتنقسم هذه التأليفات إلى ما يلي من الفنون:

(١) تفسير القرآن الكريم مع الرد على من أوله غير تأويله من المنحرفين والمبطلين.

(٢) إثبات ما هو الصحيح الثابت من السنة.

(٣) الآداب والعلوم الإسلامية والعربية.

(٤) الرد على النصارىٰ.

(٥) الرد على الآريين.

(٦) الرد على القاديانية والقاديانيين.

(٧) الرد على المبتدعة والخرافيين ومن شاكلهم من المتأولين.

ويبلغ عدد ما كتبه الشيخ إلى أكثر من مائة وثلاثين كتابًا عدا ما كتبه في الجرائد من الموضوعات التي يصعب حصرها. وأكثر ما كتبه في الرد على القاديانيين، وفاق في ذلك جميع أهل زمانه، حتى أدى ذلك ـ بالإضافة إلى محاضراته ـ إلى ما سبق من مباهلة القادياني وموته. ولله الحمد.

وقد أصدر الشيخ ثلاث جرائد ومجلات خدم بها الإسلام والمسلمين خدمة لا مثال

لها وهي:

(١) جريدة «أهل حديث» الأسبوعية من أمرتسر، بدأ إصدارها في ٢٣ شعبان سنة ١٣١٢هـ ـ ١٣ نوفمبر ١٩٠٣م، واستمرت ٤٥ سنة حتى صدر آخر عدد منها في ١٣ رمضان سنة ١٣٦٦هـ ـ أول أغسطس سنة ١٩٤٧م حيث لم يمكن إصدارها فيما بعد لشدة الاضطرابات الطائفية التي حدثت جرَّاء تقسيم القارة الهندية إلى دولتي الهند وباكستان عند استقلال البلاد. وكانت هذه الجريدة فريدة في شبه القارة الهندية، في نشر تعاليم الإسلام والدفاع عنه، وبيان صحة منهج السلف وإثباته.

(٢) جريدة «مسلمان» الشهرية ثم الأسبوعية، أصدرها من أمرتسر، وخصها بالرد على الآريين. بدأ إصدارها في شهر ربيع الآخر سنة ١٣٢٦هـ ـ مايو سنة ١٩٠٨م شهريًا، وبعد سنتين جعلها أسبوعيًا، وبعد سنة وشهر من ذلك نقل حقوقها إلى المنشئ علمَ الدين الأمرتسري، واكتفى بجريدته «أهل حديث» ولكن الرجل لم يستطع الاستمرار في نشرها، فتوقفت تمامًا.

(٣) مجلة «مرقع قادياني» الشهرية. أصدرها الشيخ من أمرتسر في ربيع الآخر سنة ١٣٢٥هـ ـ يونيو ١٩٠٧م، وذلك بعدما نشر القادياني دعاء الفتح ضده في ١٥ أبريل من نفس السنة. فلما أمات الله القادياني في ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٢٦هـ ـ ٢٦ مايو سنة ١٩٠٨م، وجعله آية ودليلاً على كذبه أوقف الشيخ نشر هذه المجلة من شهر شوال سنة ١٣٢٦هـ ـ سبتمبر سنة ١٩٠٨م، ثم جددها مرة أخرى في ذي القعدة سنة ١٣٤٩هـ ـ أبريل سنة ١٩٣١م، وبعد سنتين وشهر أوقف نشرها نهائيًا. واكتفى بجريدته الأسبوعية «أهل حديث» للرد على الجميع.

وكانت للشيخ مساهمة فعالة في المنظمات الإسلامية المهمة إنشاءً وتحريكًا، فقد كان ممن دعوا وقاموا بإنشاء جمعية أهل الحديث لعموم الهند (أي شبه القارة الهندية) في ٦ ذي القعدة سنة ١٣٢٤هـ ـ ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٠٦م وقد اختار المجتمعون الشيخ أمينًا

عامًا لها فشغل هذا المنصب طول حياته، وقام بأعمال جليلة في خدمة الإسلام والدفاع عنه والدعوة إليه. وهذه الجمعية هي المنظمة الوحيدة في شبه القارة الهندية التي تتمسك بالكتاب والسنة وفق منهج السلف الصالح رضي الله عنهم.

وقد دعا الشيخ علماء القارة الهندية إلى إنشاء جمعية لهم توفر للمسلمين قيادة موحدة فيما يهمهم من شئون الحياة، وذلك أثناء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٧م حينما كانت الظروف في تزعزع واضطراب شديد. وكان المسلمون حيارى فيما دهمهم من الأمور. وبعد نقاش وحوار وأخذ وردٍّ أنشئت هذه الجمعية على يد الشيخ وغيره من كبار العلماء سنة ١٣٣٨هـ ـ ١٩١٩م، وأدت دورًا قياديًا فعالاً إلى حين.

كذلك كان الشيخ أحد أعضاء المجلس الذي قرر إنشاء حركة ندوة العلماء، وكانت حركة علمية فعالة، ومن مآثرها أنها أنشأت «دار العلوم لندوة العلماء» في مدينة لكناؤ، عاصمة ولاية يوبي/ الهند.

وكان الشيخ كاتبًا بارعًا، وخطيبًا مصقعًا، ومناظرًا مسكتا، وظريفًا مطرفًا، ذا ملح غريبة، ونكت فريدة، ناظر أعداء الإسلام وأعداء السنة أكثر من ألف مرة، وأفحمهم في كل مرة، أما دروسه وخطاباته ومحاضراته فلا تعد ولا تحصى، وكان في هذا السبيل يتنقل في ربوع الهند من أقصاها إلى أقصاها عدا ما يقوم به في مدينته من الدروس في كل يوم. وقد استفاد به الجم الغفير ممن لا يحصون كثرة، فمنهم من أعتنق الإسلام، وآمن بالله ورسوله بعد أن كان كافرًا، ومنهم من رجع إلى التمسك بالكتاب والسنة بعد أن كان مبتدعًا، ومنهم من اختار المنهج الصحيح بعد أن كان تائهًا، ومنهم من سلك سبيل الهدى وترك الضلال، ومنهم من ثبت على الحق وقوي فيه بعد أن كان ضعيفًا، فرحمه الله وأجزل له المثوبة.

وفي سنة ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٦م قام الشيخ بالرحلة إلى الحجاز، يريد أداء فريضة الحج، فأدى المناسك، واختاره الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ ضيف شرف له، إذ كانت بينهما

علاقة وطيدة. وحيث إن الملك كان قد استولى على الحجاز قريبًا، ولم يكن قرر مصيرها، فقد عقد مؤتمرًا إسلاميًا بمناسبة هذا الحج، وكان فيه الشيخ أحد الممثلين من جهة جمعية أهل الحديث الهندية، وقد أدى دورًا فعالاً في اتخاذ قراراته حول مصير الحجاز، وهو الذي اقترح إنشاء إدارة خاصة للحج فتبنته الدولة.

وفي سنة ١٩٣٧م من أول نوفمبر إلى الثالث منه عقد القبوريون اجتماعًا لهم في مدينة أمرتسر، انهالوا فيه بالشتائم على الوهابيين ـ أهل الحديث ـ وأغروا أتباعهم على ضربهم بل وعلى قتلهم. وفي اليوم الرابع خرج الشيخ إلى «مسجد مبارك» ليرد عليهم. وما إن نزل عند المسجد حتى انقض عليه أحد شبابهم، يريد قتله، فضرب على قفا رأسه بحديدة طبر، حتى جرح الشيخ جرحًا شديدًا، وتحول الشيخ إلى القاتل ـ وقد ألقي عليه القبض أحد مرافقيه ـ فضربه القاتل ضربة أخرى من جبهته إلى أنفه، وهو مأخوذ، وساعد المهاجم زملاؤه الذين كانوا مختفين قريبًا حتى أنقذوه، ونقل الشيخ إلى المستشفى ثم إلى البيت. وبعد شهر أو أكثر برئ جرحه، وشفى الله الشيخ حتى عاد إلى عمله.

أما المهاجم فطاردته الشرطة حتى ألقت عليه القبض في كلكته، وحاكمته في محكمة أمرتسر، وأصدر القاضي قضاءه بسجنه لأربعة أعوام مع تشغيله بالعمل الشاق فسجن. وعلم الشيخ أن عائلته ليس لهم من يكسب بعده فعين لهم راتبًا شهريًا كان ينفقه عليهم طول هذه المدة دون أن يعلم بذلك أحد. ولما خرج المسكين من السجن لم يكن منه إلا أن جاء إلى الشيخ وطلب منه العفو، وشكره شكرًا جزيلاً، واختار التمسك بالكتاب والسنة، وكفى هذا الحادث لبيان ما كان عليه الشيخ من الطريقة المثلى والخلق العظيم.

وفي أواخر أيامه حينما اقترب موعد استقلال بلاد الهند بدأت اضطرابات طائفية شديدة، وأخذت جموع السيخ والهندوس يداهمون بيوت المسلمين وحاراتهم وقراهم في بنجاب الشرقية الهندية، يقتلون المسلمين ويأسرون نساءهم، وينهبون أموالهم،

ويحتلون ضيعاتهم، ولم يبق أمامهم خيار إلا أن يفروا إلى باكستان. وفي ١٣ أغسطس سنة ١٩٤٧م داهم المهاجمون حارة الشيخ، وفجروا قنبلة صار ضحيتها ابن الشيخ، المولوي عطاء الله، وكان هو ابنه الوحيد، وذلك عند العصر، وفي أوائل الليل ارتحل الشيخ في جمع خفيف من المسلمين مع عائلته من الزوجة والأحفاد وغيرهم يريدون باكستان، ولم يكن معه إلا خمسون روبية وما كان على أجسادهم من الثياب، وداهم المفسدون بيته ليلاً، ونهبوا كل ما كان فيه من النقود والحلي والأثاث والمطبعة والمواد وغير ذلك، وأحرقوا البيت والمكتبة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

أما الشيخ فوصل إلى لاهور بسلام، وبعد أيام انتقل إلى غوجرانواله ثم إلى مدينة سركودها ليستقر بها مستقلاً، ولم يمض عليه هناك إلا عدة أشهر حتى انتقل إلى رحمة الله يوم الاثنين الثالث من شهر جمادى الأولى عام ١٣٦٧هـ ـ ١٥ مارس ١٩٤٨م رحمه الله رحمة واسعة وغفر له، وأعلى درجته، وأسكنه بحبوحة جنانه، آمين يارب العالمين.[١]

---

(١) المصادر: جريدة «أهلحديث» الأسبوعية، أمرتسر، أعداد ١٤ يونيو ١٩١٨م، ٩ أكتوبر ١٩٣٦م، ١٢ نوفمبر ١٩٣٧م وما بعده: ٢٣ يناير ١٩٤٢م، ٢٣ اكتوبر ١٩٤٢م، من أحواله بقلمه في أواخر كتابه إسلام أور برتش لاء. (الإسلام والقانون البريطاني) ص ٥٧، ٥٨ نورتوحيد له ٣٩ـ٤٤: شمع توحيد له ص ٥٨ ومابعدها، كتابي: فتنه قاديانيت أورمولانا ثناء الله أمرتسري ص ١٧ـ٦٦، سيرت ثنائي ص ٦٩، ٧٠، ٧٦، ٧٧، ١٠٥، ٣١٠، أما الجرائد والمجلات فقد كتبت ما كتبت عنها بعد البحث عنها والاطلاع عليها مباشرة.

كلمة تنبيه حول هذا التفسير النبيه

علمنا مما سبق أن الشيخ ثناء الله الأمرتسري ـ رحمه الله تعالى ـ درس كتب الحديث على كبار علماء أهل الحديث وبخاصة على المحدث الشيخ عبدالمنان الوزيرآبادي والإمام المحدث الشيخ السيد/ نذير حسين الدهلوي ـ رحمهما الله تعالى ـ وكانا على طريقة أئمة أهل الحديث وفقهائهم من التمسك بالكتاب والسنة وعدم التقيد بمذهب إمام معين مع احترامهم لجميع الأئمة واستفادتهم من فقههم واجتهادهم فيما اجتهدوا فيه. وكان الشيخ ثناء الله الأمرتسري ـ رحمه الله ـ ورث هذا المنهج عن آبائه، فلما درس كتب الحديث على هذا المنهج ازداد ذلك ثباتًا واستحكامًا، وبقي الشيخ على منهجه هذا على مزيد من البصيرة وعمق الرؤية. وكان ذلك من فضل الله عليه ولطفه وكرمه.

إلا أن الشيخ درس المنطق والفلسفة والعقائد مع بعض كتب الفقه في مدرسة ديوبند، ومشايخ ديوبند كانوا ولا يزالون على المذهب الحنفي في الفقه، وعلى طريقة المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية في العقيدة مع ميلهم إلى الاعتزال وعلى طريقة المتصوفين في السلوك بأقسام طرق التصوف الأربعة: السهروردية والنقشبندية والقادرية والجشتية. متشددين في كل من ذلك من المذهب والعقيدة والتصوف تشددًا لا يتصور فوقه، حتى تجرأ بعضهم على تحريف نصوص الكتاب والسنة تحريفًا لفظيًا لإثبات ما كان يهواه فضلاً عما كان يقوم به من السب والشتم والتغليظ على أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم والشيخ محمد بن عبدالوهاب وأمثالهم من المتمسكين بالكتاب والسنة في المنهج والعقيدة.

ولم يدرس الشيخ ثناء الله الأمرتسري ـ رحمه الله ـ العقيدة إلا على مشايخ ديوبند هؤلاء، وهم يعتنون بها عناية شديدة، بينما لا يعتنون بتدريس كتب الحديث إلا بقدر المرور بها قراءة، إذ يدرسون الكتب الستة وثلاثة أخرى خلال سنة دراسية واحدة،

فكان من جراء ذلك أن الشيخ ثناء الله الأمرتسري ـ رحمه الله ـ تأثر بهم في العقائد، وظن طريقهم من الأشعرية والماتريدية طريق الحق والصواب. وتمسك بهما من حيث المعتقد. ولم يكن يعرف بذلك في أوساط أهل الحديث، بينما كان مواكبًا لهم في منهجه في التمسك بالكتاب والسنة وعدم التقيد بمذهب معين.

فلما ظهر الشيخ الأمرتسري ـ رحمه الله ـ على ساحة البحث والمناظرة وألف كتابيه في التفسير أولهما كتاب «تفسير ثنائي» باللغة الأردية، وثانيهما «تفسير القرآن بكلام الرحمن» باللغة العربية، وتناول فيهما الشيخ آيات الصفات بالتأويل، ونشر الكتابان، واطلع عليهما علماء أهل الحديث، وعرفوا ما ذهب إليه الشيخ من هذا التأويل انتقد عليه بعض علماء الغزنويين من أمرتسر في أربعين مكانًا من هذا التفسير مع مصادقة عدد من العلماء ونشروه في صورة كتاب، وتكلموا في الشيخ وطعنوا عليه حتى أفتى بعضهم بخروجه عن الملة، وقامت بذلك ضجة وخصام شديد، حتى اقترح الشيخ الأمرتسري ـ رحمه الله ـ أن تقدم هذه القضية إلى مجلس علماء أهل الحديث الموثوقين، وأنه يرضى بما يقضون به. ووقع الاتفاق على تحكيم ثلاثة من كبار العلماء، وهم المحدث الشيخ عبدالله الغازيفوري، والمحدث الشيخ أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادي صاحب عون المعبود شرح سنن أبي داود والمحدث الشيخ الشاه عين الحق الفلواروي رحمهم الله أجمعين.

وكانت جماعة أهل الحديث – الهند، تعقد اجتماعًا سنويًا لها في مدينة «آره» – الهند على صعيد شبه القارة الهندية باسم اجتماع المذاكرة العلمية، يحضرها كبار علماء أهل الحديث من عامة شبه القارة الهندية، فلما عقد هذا الاجتماع في شهر شوال ١٣٢٣هـ ـ مايو سنة ١٩٠٥م نوقش هذا الموضوع مع الشيخ الأمرتسري ـ رحمه الله ـ ومعارضيه، وكان من جملة أعذار الشيخ الأمرتسري أنه لا ينكر معاني الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة ولا ينفيها، بل يثبتها ويؤمن بها، ولكنه يقول أيضًا بلوازم

معانيها التي ذهب إليها أهل التأويل، مثل اليد بمعنى اليد وبمعنى القدرة، والعين بمعنى العين وبمعنى الحفظ والاستواء على العرش بمعنى الاستواء وبمعنى الاستيلاء على الكون ونحو ذلك، كما كان من أعذار الشيخ أنه إنما جمع بين الأمرين لأنه كان في مناظرات مستمرة مع أعداء الإسلام ولا يفيد معهم إلا طريق أهل التأويل مع تفضيله طريق أهل الحديث اعتقادًا وفي نفس الأمر، ولذلك كان لا يستطيع أن يترك طريق أهل التأويل في كتبه. وبعد الحوار الطويل والدقيق قبلوا عذر الشيخ، وقضوا بأنه مخطىء في أربعة عشر مكانًا، لا في أربعين، وأنه لأجل ذلك لم يخرج عن جماعة أهل الحديث ولا عن طريقهم ومنهجهم في المعتقد كما أنه غير خارج عن طريقهم في التمسك بالكتاب والسنة في الشريعة والأحكام. وكتب الشيخ بتسليمه لهذا القضاء، وأن عمله يكون طبقًا له، وأن ما يصدر منه من خطأ في المستقبل يخالف أصول المحدثين ونبه عليه فإنه يرجع عنه أيضًا.

ثم بعد ذلك بزمان حصلت مناقشة أخرى وردود وحوار من بعض علماء الغزنويين، فحصلت محاكمة وإصلاح في مكة المكرمة على يد الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله تعالى ـ حضرها عدد من علماء المملكة والعالم الإسلامي، وكتب بذلك محضر نشره الشيخ في الطبعة الثانية لتفسيره خلف الغلاف، وفيما يلي نص هذا المحضر مع بيان الشيخ عن ذلك المجلس الذي كتب فيه. يقول الشيخ تحت عنوان:

«إصلاح الإخوان على يد السلطان أيده الله مادار القمران»:

«لما طبع تفسير القرآن بكلام الرحمن أول مرة تعاقب (وانتقد) بعض معاصري العلماء الغزنوية الأمرتسرية على أربعين مقامًا من التفسير المذكور بلسان الأردو. وسموها الأربعين، فدفعتهُا (ورددتُ عليها) بكتاب مسمى بالكلام المبين، ثم لما ذهبتُ لأداء فريضة الحج سنة ١٣٤٤هـ عربوا الأربعين وطبعوها مرة ثانية، وأشاعوها (نشروها) في الحرمين، فبلغ الخبر (إلى) جلالة الملك عبدالعزيز بن سعود، أيده الله،

فدعا كلا الفريقين، لا على طريق الحكومة، بل كما يدعو الأب أبناءه ليصلح بينهم، وكان في المحضر القاضي عبدالله بن بليهد، والشيخ السيد محمد رشيد رضا، صاحب المنار المصري، والشيخ محمد بن عبداللطيف والشيخ عبدالله بن حسن، والشيخ بهجة بيطار، والشيخ أبو زيد المصري وغيرهم، سلمهم الله وعافاهم، فدار الكلام بين الفريقين، فبعد ختم (وانتهاء) المكالمة أمر جلالة الملك، القاضي ابن بليهد أن يكتب مسودة الفصل فكتب، وهذا نصها بحروفها (وصورتها):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

في المجلس الشريف المعقود على يد الإمام عبدالعزيز بن سعود قد حضر الشيخ مولوي ثناء الله وحضر معه الشيخ عبدالواحد الغزنوي فطلب كل منهما إلى الإمام - أيده الله - أن ينظر فيما كان بينهما من النزاع، بحضرة جماعة من العلماء، وقد حصل الاتفاق بعد النظر فيما قالوه على أن الشيخ ثناء الله قد رجع عما كان كتبه في تفسيره من تأويل الاستوىٰ وما في معنى ذلك من آيات الصفات الذي تبع فيه المتكلمين، واتبع ما قاله السلف في هذا الباب، وأقر بأنه هو الحق بلا ريب، والتزم أن يكتب ذلك في تفسيره، أما الشيخ عبدالواحد الغزنوي ومن معه ممن كان قد تكلم في حق الشيخ ثناء الله مما يوجب الطعن عليه فإنهم يرجعون عنه وأن يحرقوا الأربعين التي كتبوها في حقه، ورجع كل منهما إلى تجديد عقد الأخوة، واجتناب ما ينافي ذلك، حصل القرار على ذلك، وتبايعوا عليه على يد الإمام والعلماء الموقعين عليه. والحمد لله على التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٤٤هـ

يقول الشيخ: «وليعلم أن مسألة الاستواء لم تكن مندرجة في الأربعين، بل هي أوردت من (الجماعة) النجدية فبعد اللتيا والتي سلمت هذه المسودة، فرضي جلالة الملك والمخلصون ـ أرضاهم الله ـ فلينظر الناظرون تفسير آية استوى على الصفحة ١٢٥

(أي تحت آية رقم ٥٤ من سورة الأعراف) والله الموفق.

خادم دين الله أبو الوفاء ثناء الله مؤلف هذا التفسير الهندي الأمرتسري». انتهى كلام الشيخ بلفظه ونصه.

وهذا يدل دلالة واضحة صريحة على أن الشيخ كان قد رجع عما كان كتبه من تأويل الصفات واتبع ما قاله السلف في هذا الباب، وأقر بأنه هو الحق بلا ريب، كما هو مسطور بكل صراحة في وثيقة رئيس القضاة القاضي عبدالله بن بليهد ـ رحمه الله ـ .

فهذا ما وجب التنبيه عليه حتى لا يغتر أحد بكلام المخادعين والمغرضين الذين كثروا في هذا الزمان. والله المستعان، وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

صفي الرحمن المباركفوري، الرياض

٨/ ٨/ ١٤٢٠هـ

تقريظات العلماء ذوي الشأن على تفسير القرآن بكلام الرحمن

الذي ألفه خادم دين الله أبو الوفاء ثناء الله - كفاه الله - الهندي الأمرتسري

قال رسول الله ﷺ :

«أنتم شهداء الله»

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، رب أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون.

أما بعد: فيا أخواني المسلمين أنا صنفت بحول الله وقوته كتبًا كثيرةً في تأييد الإسلام وترديد الكفر والبدعة والطغيان وشيدت أركان سنة النبي عليه السلام متوكلاً على الله الرحمن، منها: تفسير القرآن بكلام الرحمن، التزمت فيه أن فسرت القرآن بالفرقان كما هو أصل مقرر عند أهل العلم والبيان بذلت فيه وسعي والله يعفو عن زلتي ولما شاع قرظ عليه العلماء وجرائد الإسلام بالتحسين التام.

جريدة المؤيد المصرية: قال صاحب الجريدة: أهدانا حضرة العالم المحقق والكامل المدقق المكرم المولوي أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري المخاطب بالمولوي فاضل نسخة من تفسيره المسمىٰ بـ «تفسير القرآن بكلام الرحمن» وقد سرحنا النظر في رياضه وأجلنا الفكر في مراميه وأغراضه فإذا هو تفسير تلوح في سماء المعالي كواكبه فتنقشع عن بصيرة مطالعه سحب الجهل وغياهبه، ولما كان من المتفق عليه بين أهل التفسير وأرباب هذا الشأن الخطير أن أحسن التفاسير تفسير كلام الله بكلام الله فقد التزم هذا المحقق أن يأتي عقب كل جملة من الكتاب العزيز بما يوضح معناها من نفس كلام الله وغير خفي أن محاولة ذلك والسلوك في جادة هذه المسالك لا يتسنى إلا لمن منح قوة الاستنباط والاستحضار ورزق متانة العارضة والاستبصار وجدير بتفسير كهذا أن تشد إلى تحصيله

الرحال ويسعىٰ إلى اقتنائه المحصلون من فحول الرجال نفع الله تعالى مؤلفه بقصده وكسا تفسيره حلة القبول وآتاه رحمة من عنده (آمين).

١٠ جمادى الثانية سنة ١٣٢١هـ

قال صاحب جريدة البيان الهندية في بلدة لكهنؤ: لا يخفى أن كتاب الله هو النور المبين والحق المستبين والزبر الكريم والوحي الناطق ببينات وحجج قرآن عربي غير ذي عوج ولما كان الكشف عن مستودعاته والفسر عن مكنوناته لا يمكن إلا لمن برؤ في التنقير عن المعالم والمعارف والتفسير في التالد والطارف ترى من منفوعه ما هو مصدور مع غزارة مراده وعن ينبوعه ما هو مستور مع تزاحم ورّاده وكثرة ارتياده وقد كان السلف رضوان الله عليهم يفسرونه بآثار مأثورة وأخبار مذكورة عن النبي ﷺ وأصحابه ومنهم من فسره بدلائل عقلية وبراهين حكمية مع اتفاقهم على أن أحسن الطرق في التفسير أن يفسر كلام الله بكلام الله؛ لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣] فألهم الله عبده النشيط السفيط السري الكامل المولوي الفاضل الشيخ ثناء الله الأمرتسري أن يجد فيه ويبتكر في تعاطيه فتصدى في خوضة وفسر بعضه عن بعضه فياله من كتاب مبين وآيات مبينات ومثل من الذين خلوا من قبل وموعظة للمتقين. (المجلة البيان: عدد ١١ مجلد ٢).

حضرة الشيخ حسين اليماني شيخ الحديث في بهوفال هند ـ رحمه الله ـ: أما بعد: فقد لاحظت هذا التفسير العظيم الشأن وطالعت ما فيه بل أمعنت النظر إلى مظاهره وخافيه فرأيته تفسيرًا يسر الخاطر مع قلة ألفاظه وغزارة معانيه ويشتاق إليه كل طالب لما ثبت بالعقل والسمع خالصًا من الحشو والزوائد من ذاق طعم معانيه فهو السعيد ومن لم يذق لم يعرف القريب من البعيد كيف لا وهو تفسير ألّفه من امتزجت العلوم بروحه امتزاج الماء بالراح ورسخت الفهوم في صدره مع عظيم الانشراح المولوي المكرم أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري المخاطب بالمولوي فاضل لابرح كشافًا عن معالم التنزيل ومبينًا لأسرار

الآيات ومن شك في هذا التقرير فليرفع الشك باليقين فسيظهر له الحق المبين والحمد لله رب العالمين.

حضرة الأستاذ مولانا محمود الحسن الهندي الديوبندي شيخ الحديث ـ نور الله مرقده ـ: أما بعد، فإن طرق التفسير مختلفة، من أحسنها ما سلكه العالم الفاضل المتبع للسنة والهدى المولوي أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري أن يفسر القرآن بكلام الرحمن كأنه تفسير في الحقيقة لهذه الآية الكريمة ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٢٣] وأمثالها ـ فلله دره فيما أفاد وأجاد ـ نعم التفسير وحبذا التحرير جزى الله مصنفه عن أهل الإسلام.

حضرة مولانا خليل أحمد شيخ الحديث سهارنفوري الهندي ـ رحمه الله ـ وبعد: فإن المسالك التي سلكها المفسرون في تفسير القرآن شتى وابتدعها الفاضل المولوي ثناء الله من تفسير القرآن بكلام الرحمن حري بأن يسمى ويمدح ويثنى فإنها طريقة عديمة السالك بعيدة عن العوامل والسوالك ـ فلله دره ـ فقد أوجز وأبلغ وأتم وأسبغ نسأل ربنا أن يزودنا وإياه التقوى.

حضرة مولانا شمس العلماء محمد شبلي النعماني ـ رحمه الله ـ: إني وقفت على تفسير القرآن للفاضل المولوي ثناء الله وأعترف أنه نافع للمحصلين ومن مزاياه أنه يفسر القرآن بالقرآن وهذا مزية لا توجد فيما علمت في غيره فالله يجازيه خيرًا.

حضرة الأستاذ مولانا الحافظ عبدالله الغازيفوري شيخ الحديث والتفسير ـ نور الله برهانه ـ حضرة مولانا المكرم الشيخ عبدالعزيز الرحيم آبادي ـ رحمه الله ـ أما بعد: فإن العلماء المفسرين قد صنفوا في تفسير القرآن المجيد كتبًا كثيرة وأسفارًا عديدة شهيرة، وكل منهم قد اختار في تفسيره من الطرق ما هو أحب إليه وأحسن لديه وإن أمثل الطرق وأحسنها أن يفسر القرآن الكريم بالقرآن الكريم كما قيل:

تصنيف را مصنف نيكو كندبيان

هذا الطريق الأمثل والأحسن قد اختاره المفسر العلام المولوي الفاضل مولانا ثناء الله الأمرتسري ـ سلمه الله تعالى ـ وسمى تفسيره «تفسير القرآن بكلام الرحمن» ولقد أصاب فيما أفاد جعل الله أُخراه خيرًا من أُولاه.

حضرة مولانا الشيخ محمد غضنفر المولوي الفاضل اللوديانوي الهندي ـ رحمه الله ـ:

أما بعد فإن أخانا الأواه مولانا الفاضل ثناء الله أبا الوفاء طبع كتابًا سماه «تفسير القرآن بكلام الرحمن» وهو محقق جليل ومدقق نبيل تسنم العلم توسم الحلم أبدع فيما أزمع وأجمع وأغرب فيما أعرب وأجاد فيما أفاد وأطاب فيما أراد إذا نطق نسق أو عبر حبر أو كتب أعجب مملوظه ملحوظ وملفوظ غيره ملفوظ جرىٰ في هذا المضمار الصعب الذي يحار فيه من لا يجار، سجع فيه المسجع الوعر القليل المسالك وما أدراك ما ذلك، ذلك أصعب المسالك، ذهب وجاء أعجب ذهاب وجيء وأتقن وأحسن ولم يجز من حسن شيء على أن الإنسان محل السهو والنسيان وأول الناس أول ناس من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط:

كفى المرء نبلاً أن تعد معائبه ... في زمن كادت الآداب تعفى رسومها

سلك فيه طريق الإنصاف من غير اعتساف طبعًا لا وضعًا فالطبع غير التطبع فإنه رضع من رضع الإفاضة من الفياض وغذي من در الإصابة في الكتابة والخطابة والدراية والهداية وسائر الأغراض إن اعتزل فمن السادة وأن تربع في الجلوس ثنى له الوسادة بالجملة فالكتاب صاحبه، خطؤه أقل من صوابه، وصوابه أصل ما يرجى لحُسن صوابه وليس لطالب الحق أن يكون من الممترين فإنه إذا نزل بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

جناب مولانا السيد عبدالسلام ابن الابن لشيخ الحديث مولانا السيد محمد نذير حسين ـ نوَّر الله مرقدهما ـ: مافي تفسير القرآن بكلام الرحمن حق حقيق بالقبول وقد صنف هذا التفسير الجليل الشأن العظيم المكان من هو معروف في البلدان المبتغي لرضاء الله أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري.

أيضًا مولانا السيد أبو الحسن أخوه ـ مد ظله ـ:

هذا التفسير قد شرح كلمات القرآن وكشف الغطاء عن كلام الرحمن والمرجو أن يعطي حظًّا غزيرًا من الغفران والرضوان.

جناب مولانا الحافظ عبدالهادي شيخ الحديث الهندي راولفندي ـ رحمه الله ـ:

الحمد لله الذي منَّ علينا الامتنان بتفسير القرآن بكلام الرحمن وهو كتاب دقيق كأنه بحر عميق للغواصين فيه لآلئ مكنونة وللطالبين قناطير مخزونة وللعلماء فوائد لطيفة ومقاصد لطيفة وللفضلاء عجائب محبوبة وغرائب مرغوبة وللأذكياء دقائق جليلة وحقائق جزيلة وللأصفياء أسرار كريمة وأنوار عظيمة مع أن لغاته يسيرة ونكاته كثيرة فما اطلع عليه فهم الفقير وعلمه وجده كما يدل عليها اسمه قبله الله تعالى برحمته وكرمه.

جناب مولانا الحافظ محمد الدين المدرس في قرية اوسان كوئيان ضلع بستي / الهند ـ رحمه الله ـ:

وبعد فقد طالعت هذا التفسير الكريم والدر النظيم المبين لمعاني القرآن العظيم بالقرآن الكريم الكاشف لرموزه وأسراره ودقائقه وإشاراته وأنواره الذي ألفه صاحب الذهن السليم والفهم المستقيم الذي يضيء في الليل البهيم المولوي الفاضل أبو الوفاء ثناء الله مجمع بحري المنقول والمعقول منبع نهري الفروع والأصول مالك أزمة البراعة والفضائل الفاصل بين الحق والباطل فإذا هو أجل تصنيف قد أفرغ في أحسن ترتيب فاق به وعلا على كل تفسير وتأليف لأنه حوى من النكات السنية ومن الفوائد القريبية مع إيجاز المباني وجزالة المعاني جزاه الله عنا وعن جميع المسلمين.

جناب المولوي الحافظ عبدالسلام الملتاني الهندي:

وبعد فتفسير القرآن وما أدراك ما تفسير القرآن؟! تفسير كتاب عالم الخفيات بآياته البينات الواضحات يبين مطالبه أجمل التبيين ويوضح معانيه أكمل الإيضاح ويمرن لها أكمل التمرين، ألفاظه انتهت إليها الرشاقة والملاحة وعباراته تكاد تبيض لها أيديهم

أهل الفصاحة إذا أعمقت التأمل فيما جمعه من الدرر أيقنت بأن محرره جاد بما لم يخطر على قلب بشر كتاب مبارك لم يسمح الدهر له بمثيل ولم يستطع مدع أن يأتي له بقبيل، لو نظر فيه صاحب الكشاف الزمخشري لهداه الصراط السوي واعتزل عن اعتزاله ولازم أحسن أحواله، كيف لا ومحرره هو العالم العلامة الفاضل الفهامة أفضل المتبحرين أكمل المحررين صاحب الفضائل المأثورة والكمالات الفاتحة المشهورة الذي يستمد من بحار علومه كل سرى محبنا المولوي ثناء الله الأمرتسري أدام الله فيضه وأفاض على العالمين برة فيا أيها الناظرون حق عليكم أن تقتنوه وكيفما أمكنكم فاشتروه وإن لم تجدوا ما تشترونه به من النقود فابذلوا فيه أرواحكم والمهج استرضاء للرب الودود، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

جناب المولوي محمد حسين خلف مولانا الحافظ محمد مفسر القرآن لكوكي فيروزبور ـ فنجاب ـ سلمه الله ـ:

أما بعد: فتفسير القرآن بآيات الرحمن للعالم الهمام الفاضل الفهام جامع المعقول والمنقول المولوي أبي الوفاء ثناء الله قد نظرت مقاماته المختلفة وصفحاته المنتشرة فوجدته كاسمه تفسير الآيات بالآيات لا دخل فيه لرأي الإنسان المركب من الخطأ والنسيان وهذا طرز عجيب ونهج غريب جزاه الله خير الجزاء عنا وعن جميع المؤمنين وأعاذه من شرور الحاسدين.

جناب المولوي عبدالتواب الملتاني الهندي ـ سلمه الله ـ:

وبعد، فقد طالعت تفسير القرآن بآيات الرحمن لمرتضع لبان العلوم جامع الفضائل حاوي العلوم المولوي ثناء الله الأمرتسري فسح الله في مدته وبارك له في همته ووقاه شر كل غوى فوجدته سفرًا مباركًا مشتملاً على غرر درر العباب تبهردقة مطالبه عقول أولي الألباب لا يحري وصفه خطاب ولا يجمع محاسنه ديوان أو كتاب أتى فيه بمعانٍ عجيبة ونكات آخذة بجامع اللب غريبة غير أنه في بعض المقامات لم يسلك سبيل السلف المتقين

بل ذهب مذهب الخلف المؤولين وأظنه ألجأه إلى ذلك ما زاع فيما بين العوام من اعتراضات الملاحدة الذين هم أضل من الأنعام.

جناب المولوي عبدالكريم الملتاني:

أما بعد، فإن الفقير المحتاج إلى ربه قد كان سمع أن الشيخ الثنائي - رحمه الله - قد فسر القرآن بأن لم يدرج كلامه في تفسيره بل فسره به فتشوقت لأنظره فجهدت لأنظر جده فوجدته عند أخي الملا عبدالسلام استعرته منه فطالعته فوجدته كما سمعت من تفسير الآية بالآية إلا في مواضع قليلة مشتملاً على معانٍ لم يبينها أحد مثله على طريقة قيمة جازاه الله أحسن الجزاء كما أحسن تفسير القرآن.

حضرة الفاضل مولانا محمد سعيد شيخ الحديث البنارسي - رحمه الله -:

لا شك أن تفسير القرآن بكلام الرحمن مختصر مغن قد فسر القرآن بالقرآن بذل المصنف وسعه تقبل الله منه سعيه.

جناب المولوي السيد علي الحائري اللاهوري الهندي:

فبعد أنا الحقير القاصر والعبد العاثر قد وقفت بمطالعة بعض المقامات من تفسير القرآن بكلام الرحمن فوجدتها بترتيب مطلوب وتهذيب مرغوب وأسلوب عجيب ونظم غريب كاشفًا للعجائب جامعًا للغرائب خاليًا عن المعائب فلعمري نعم التفسير ونعم المفسر وذلك فكره الصائب وجاحده الخائب بعون الله الواهب فعليه التكلان في كل آن وهو المعين في كل حين.

حضرة مولانا محمد سليمان الفلواروي - مد ظله -:

أما بعد فهدا التفسير بنهج عجيب وأسلوب غريب تفسير القرآن بالقرآن فسبحان من هو كل يوم في شأن وكلما سرحت بريد نظري في رياضه ورويت فكري من حياضه زاد به لوعي وهيامي واشتد إليه ولهي وأوامي كيف لا وقد ألفه الحبر العلامة والبحر الفهامة من فضله وشرفه أجل من أن يذكر وأعظم من أن يسطر وكيف يثنى عليه وهو

الثناء وأنى يوفى له المديح وهو أبو الوفاء:

جـــواد مـــادح نـــدب كـــريـــم تقـــي فـــاضـــل مـــولى همـــام
محـاســن لا يحيـط بهـا النظـام ومجـــد لا ينـــام ولا يـــرام
وفضـل لـو قسمـت البعـض منـه على جهـل الخـلائـق لاستقـامـوا
وعـز شـامـخ الأطـواد تهـوي بجـانبـه الكـواكـب والغمـام

ذلك عز الإسلام والدين المترقي من حضيض التقليد إلى أوج اليقين صاحبنا العلامة المولوي ثناء الله رقاه الله تعالى ورفع معارج الكمال وبلغه جميع الأماني والآمال.

حضرة الفاضل مولانا غلام محمد هوشياربوري - رحمه الله -:

أما بعد فقد ألقي إلي كتاب كريم وما أدراك ما الكتاب هو كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أعني تفسير القرآن بكلام الرحمن فطالعته على سبيل الاستعجال عند الارتحال واستفدت به على نمط الإجمال فوجدته وجيزًا مقرونًا بالحق والصواب وملقى بالقبول لدى أولي الألباب ومضامينه كاسمه سهلية الجمال لحل عقد الأعضال ومكاتيبه كرسمه رشيقة المرام وأنيقة النظام ما من معقود بديع إلا روعي فيه وما من بيان لطيف إلا أودع فيه كيف لا وقد رتبه وهذبه حاوي الفروع والأصول جامع المنقول والمعقول رأس الأذكياء فخر الأحباء محبنا الفاضل المولوي محمد ثناء الله فلله دره وعلى الله أجره ولعمري أن المفسر اللبيب قد جهد غاية الجهد وسعى نهاية السعي فهذا تذكرة منه للطالبين المسترشدين وموعظة للمتقين المهتدين مع إيجازه كافية للمتمسكين بعروة الوثقى ووافية للمتشبثين بغاية القصوى. أيها الطالبون الصادقون هلموا إلى مقاصدكم واشكروا إلى إنجاح مراصدكم ثم أقول قد بلغ فيه من التحقيق مالا يقال معه ليت ولعل ومن التدقيق مالا يستفهم عنه بلما وهل، آخر كلامنا وختم مرامنا الحمد لله رب العالمين.

حضرة الشيخ بيرمهر على شاه كولره ـ هند :

أما بعد : فإني طالعت تفسير القرآن بكلام الرحمن لحبي في الله المولوي الفاضل ثناء الله فلله دره إذ وفقه لإبراز خيرات حسان من تفسيرات نظم القرآن كاشفًا عن خدورهن بحيث يرى بمرايا جمالهن وجوه الإعجاز من بعد ما كان يحسب من نوع الألغان ويسر عليه تقرير الأدلة المحكمة وحل الشبه المدلهمة بالإمعان في سوق العبارات من غير تكلف التأويل ولا تطويل إضمار المقدمات إذ رأيت فيه حسبته حدًّا أوسط لإثبات أن كل كلمة من القرآن سلطان دارها وافية بالأغراض وكل آية من الفرقان برهان جارها شافية للأمراض ـ فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم وصلى الله على حبيبه سيد المرسلين حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم .

حضرة مولانا عبدالجبار عمر بوري شيخ الحديث ـ رحمه الله ـ :

أما بعد، فإن علم التفسير فن خطير وأمر كبير كيف وإنه أم العلوم والسبب الأقصى في المنطوق والمفهوم وأن السلف الصالح قد بنوا فيه الربوع الشامخات والمناظر إلا أنه كم ترك الأول للآخر ألا ترى أن التفاسير ألوف على وجه الغبراء وليس في الأول ما في الآخر من أشياء ولكن تفسير القرآن بالقرآن وتوضيح آياته بآياته البيضاء والتبيان لم تر عين ولا سمعت أذن إلى الآن فأنشأه وألفه الحبر الألمعي والنحرير اللوذعي كمثل الجاحظ والأصمعي الذي باهت على هامته تيجان البراعة والفخامة وافتخرت فوق مفرقه قلانس الفطانة والكرامة المذكور ذكرًا جميلاً في الألسنة والأفواه مولانا ثناء الله لازال مظفرًا ومنصورًا وما برح مبشرًا ومسرورًا فجاء بحمد الله مصداق المصرع الفارسي : تصنيف را مصنف نيكوكند بيان، فلله در المؤلف اللبيب الذي كان في آجام العلوم كالضرغام المهيب حيث لم يذكر مطلبًا إلا ساطعًا ولا دليلاً إلا تالهًا وما اجتنى ثمرًا إلا يانعًا قد أصبح الطبع إليه جانفًا من رآه فقد صار ها رفا لأنه كان غاضفا ولما طلعت شمس تأليفه على الوجود وأينع منها الغصن وأورق العود مؤرخًا ومادحًا

ولاعنائه صادمًا وكامحًا.

بشرى لكم يا معشر العلماء ... غيم أتى بالخصب في الجدماء
طوبى لكم يا عصبة الرفقاء ... ببزوغ شمس العلم في الظلماء
نبتت رياض في القفار ببهجة ... فيها فواكه حكمة وصفاء
سفر جليل كاشف لغياهب ... قد جاء مثل الدر في الدأماء
تفسير قرآن كريم معجز ... وبيانه باللطف والإيماء
من فاضل حبر ثناء الله من ... قد فاق تنقيدًا على القرناء
قد فسر القرآن بالقرآن من ... تحقيقه والجهد والإحصاء
فالله يجزيه الذي هو أهله ... الفوز والأفلاح في الأشياء
تفسير قرآن عجيب قابل ... قد ضاء مثل البدر في الليلاء

جناب مولانا المكرم محمد أبي يحيى الشاهجهانبوري مصنف الإرشاد ـ رحمه الله ـ:

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان ونصب له دلائل الرشد وهداه طرق الإيمان وميز له طريق الشكر من طريق الكفران واصطفى منه رسلاً وأيدهم بالمعجزات وجعل لهم السلطان صلوات الله وسلامه عليهم ما ولد وتعاقب الملوان لا سيما سيد ولد آدم محمد النبي العظيم الشأن الذي ختم به النبوة ومحا على يده ظلم الشرك والطغيان وأنزل عليه الفرقان هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان. ثم منَّ بعميم لطفه وعظيم الإحسان أن جعل بعضه لبعض الدليل والبيان والتفسير والتبيان، فإن كنت تريد ذلك فافزع إلى تفسير القرآن بكلام الرحمن الذي ألفه بالغ الأقران السابق في الميدان الناصر لخير الأديان المدافع لمكائد أهل البدع والطغيان آية من آيات الله العلامة أبو الوفاء ثناء الله استوهب الله له عمرًا مديدًا وعيشًا في إشاعة الحق رغيدًا فإنه تفسير عجيب وكتاب غريب نادر في بابه لم ير له ثان يضطر مطالعه إلى قول أن القرآن كتاب متشابه مثان وإني قد طالعته حين أهداه إلي مؤلفه العلام من مواضع مختلفة فوجدته كما

قلت وهو أحرى أن يكتب بالعسجد على ألواح زبرجد وأن يزين به صفحات الصدور فإنه نور على نور والحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات.

حضرة الفاضل مولانا أبي محمد عبدالحق مصنف تفسير حقاني الدهلوي ـ رحمه الله ـ:

أما بعد، فإن علم التفسير الباحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية علم عظيم شأنه وقوي برهانه إذ موضوعه كلام الله سبحان الذي هو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة ومباديه العلوم العربية بأقسامها والعلوم العقلية والنقلية بتمامها من أصول الفقه وأصول الحديث والكلام والجدل والحديث وعلم الرجال وعلم التأويل والقراءة والفقه وعلم السير وعلم تاريخ الأمم الماضية وعلم الأديان السابقة وغير ذلك مما لا تعد ولا تحصى ولذا ترى تفاسير العلماء في هذا متفاوتة فبعضها عالية شامخة وبعضها دانية ساقطة وقد أكب السلف على تفسير القرآن الكريم حسب استعداداتهم ومنهجهم السقيم والقويم فمنهم من تصدى لتبيين إعرابه ومنهم من قصد أحكامه ومنهم من تبرز لجمع الروايات المروية من غير التمييز بين الصحيحة والضعيفة المتعلقة بالقرآن أو غير المتعلقة وقس على هذا فصار علم التفسير بحرًا ذاخرًا وجبلاً شامخًا فمن المفسرين المولوي الفاضل الكامل أبو الوفاء محمد ثناء الله صاحب الفضل والكمال فسر القرآن بالقرآن والأحاديث وسرد العبارات من غير تعرض للجرح والتعديل فلله دره ولا يخاب دره حيث أجاد فيما أفاد وأما السهو والنسيان فقلما يسلم منه الإنسان وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. (منقول من الكلام المبين المطبوعة سنة ١٣٢٢هـ)

مقدمة المفسر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا قيمًا لينذر بأسًا شديدًا، إن الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك وسلم.

أما بعد: فإني طالما طالعت تفسيرات القرآن وتشريحات السلف إلى الخلف لآيات الفرقان فوجدتهم مختلفين في تفسير مشكلاته وتشريح معضلاته فمنهم من يفسر كلام الله بآثار نقلية ومنهم من يفسر بدلائل عقلية مع أنهم متفقون على أن أحسن الطرق في التفسير أن يفسر كلام الله بكلام الله لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر:٢٣] قال المفسر الشهير الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ إن أصح الطريق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكانه فإنه قد بسط في موضع آخر فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له (تفسير ابن كثير المجلد الأول على هامش فتح البيان ص ٤).

فهداني الله سبحانه لهذا الطريق بفضله ومنِّه وهو على كل شيء قدير وبالإجابة جدير فأتى بحمد الله كما ترى وإني قد بذلت فيه فكري ولم آل فيه جهدي على أني لا أبيعه بشرط البراءة من كل عيب ولا أدعي أنه جمع سلامة كيف والبشر محل النقص بلا ريب

حمدت الله ربي إذ هداني ... لما أبديت مع عجزي وضعفي

فمن لي بالخطا فأرد عنه ... ومن لي بالقبول ولو بحرف

والالتماس من العلماء والطلباء أن ينظروا في هذا التفسير من حيث إنه صنيع الإنسان والإنسان مركب الخطأ والنسيان فإن وجدوا فيه كلمة الحق فهي من الله وإن

كان غير ذلك فهو من زلتي وخطئي وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء وإنما الأعمال بالنيات والله أعلم.

ينبغي أن يعلم أن هذا التفسير ليس على مذهب مخصوص من الفقهاء أو أرباب الكلام بل على الحق من حيث وجد لقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ﴾ وقوله عليه السلام: «كلمة الحكمة ضالة الحكيم حيث وجدها فهو أحق بها» الله أعلم.

الفصل الأول

ما معيار صحة التفسير؟

العربية وعلومها :

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣] أيضًا قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢] أيضًا قال عز من قائل: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ [فصلت: ٤٤] وأيضًا قال جل ذكره: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [مريم: ٩٧] الآيات تدل بأعلى النداء على أن صحة تفسير القرآن موقوفة على الموافقة للعربية.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أيها الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا: ما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية فيه تفسير كتابكم. (التفسير الكبير للإمام الرازي - مجلد ٧ ص ٣٢٢).

قال حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما: إذا خفي عليكم من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب. (التفسير الكبير - مجلد ٨ ص١٩٢، المطبعة الأزهرية تحت ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ ﴾ الآية).

وقال المفسر الإمام ابن جرير ـ رحمه الله ـ: وكل كتاب أنزله على نبي ورسالة أرسلها إلى أمة فإنما أنزله بلسان من نزل أو أرسله إليه واتضح بما قلنا ووصفنا إن كتاب الله الذي أنزله على نبينا ﷺ بلسان محمد ﷺ وإذا كان لسان محمد ﷺ عربيًا فبين أن القرآن عربي وبذلك أيضًا نطق محكم تنزيل ربنا فقال جل ذكره: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢] وقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ○ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ○ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ○ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ـ١٩٥] وإذا كانت واضحة صحة ما قلنا بما عليه استشهدنا من الشواهد ودللنا عليه من الدلائل فالواجب أن تكون معاني

كتاب الله المنزل على نبينا محمد ﷺ لما في كلام العرب موافقًا وظاهره لظاهر كلامها ملائمًا. (تفسير ابن جرير - مجلد ١ ص ٥، ٦).

قال مجاهد رحمه الله: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب. (الإتقان للسيوطي - مطبوعة مصر - مجلد ٢ نوع ٧٢).

قال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ: لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً. (الإتقان للسيوطي - مطبوعة مصر - مجلد ٢ ص ٧٢).

قال الإمام الرازي ـ رحمه الله ـ: إن القرآن نزل بلغة العرب فلا يجوز حملها على خلاف ما يكون حاصلاً في لغة الغرب. (تفسير الرازي - مجلد ١ ص ١٦٢)

قال الشيخ ولي الله الدهلوي قدس سره: ليعلم أن القرآن نزل بلغة العرب سويًا بغير تفاوت وهم قد فهموا معنى منطوقه بقريحة جبلوا عليها كما قال: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. (الفوز الكبير الباب الثاني).

قال مولانا النواب صديق حسن خان الهندي رحمه الله: إن التفسير الذي ينبغي الاعتداد به والرجوع إليه هو تفسير كتاب الله جل جلاله باللغة العربية حقيقة ومجازًا إن لم تثبت في ذلك حقيقة شرعية[1]، وكذلك إذا ثبت تفسير ذلك من الرسول ﷺ فهو أقدم من كل شيء بل حجة متبعة لا يسوغ مخالفتها لشيء آخر ثم تفاسير علماء الصحابة المختصين برسول الله ﷺ. (تفسير فتح البيان - مطبوع مصري - مجلد ١ ص ٩).

ذيل تفاسير الصحابة لا تكون حجة شرعية ملزمة إن لم تكن مؤيدة بحديث مرفوع أو بشهادة لغة كما هو مذكور في مقام آخر من التفسير المذكور حيث قال تحت قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾.

أما ما روي عن ابن عباس ونحوه من الصحابة ومن بعدهم في تعيينها فهو أولاً

---

(١) الذي يقال لها منقول شرعي كلفظ الصلاة والزكاة فإن الصلاة والزكاة في اصطلاح الشرع غير ما في اللغة لكنه في الحقيقة فرد من أفرادها فافهم (مصنف).

أقوال الصحابة ولا تقوم بها الحجة (فافهم). (تفسير مذكور - مطبوع مصر - ص ١٧٦).

فلأجل ذلك ترى كبار العلماء ـ رحمهم الله ـ يستشهدون بل يستدلون على مخالفيهم باللغة العربية.

هذا شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يحتج على مخالفيه بالاستشهاد باللغة حيث قال الشيعة في آية المباهلة بمساواة علي المرتضى بالنبي ﷺ قال الشيخ في جوابهم.

هذا اللفظ في لغة العرب لا يقتضي المساواة وهو خلاف المستعمل في لغة العرب. (منهاج السنة - مجلد ٤ ص ٣٤، ٣٥).

والحافظ ابن القيم ـ رحمه الله ـ أيضًا يستشهد على صحة التفسير باللغة العربية (إغاثة اللهفان - ص ٢٩، ٣٠).

فتفكر فيما صرح هؤلاء الكبار رضي الله تعالى عنهم ولا تعجل.

الفصل الثاني

التفسير بالرأي، ما هو؟

هذه المسألة من أهم المسائل في فن التفسير لأن النبي ﷺ قال: «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار». (الترمذي)

قال الحافظ السيوطي ـ رحمه الله ـ بعد ذكر العلوم العربية: هذه العلوم التي هي كآلة للمفسر لا يكون مفسرًا إلا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسرًا بالرأي المنهي عنه، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسرًا بالرأي المنهي عنه. (الإتقان للسيوطي - نوع ٧٨).

قال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ: لا أوتي برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً. (الإتقان - مجلد ٢ نوع ٧٨).

قال الإمام الرازي ـ رحمه الله ـ: متى تكلم في القرآن من غير أن يكون متبحرًا في أصول وفي علم اللغة والنحو كان في غاية البعد عن الله ولهذا قال النبي ﷺ: «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار». (التفسير الكبير للرازي - مجلد ٢ ص ٤٢٢)

ثبت من هذه الاستشهادات المرضِيَّة أن التفسير بالرأي فعل قبيح وأنه خلاف العربية والمنصوصات النبوية والله أعلم.

الفصل الثالث

لقد يرى في بادي النظر أني فسرت القرآن على خلاف موارده فينبغي أن أذكر شيئًا مما قيل في شأن موارده أحسن ماقيل فيه ما قال حجة الله الشاه ولي الله قدس الله سره في كتابه فوز الكبير في أصول التفسير هذا نصه:

«من المواضع الصعبة معرفة أسباب النزول، ووجه الصعوبة فيها أيضًا خلاف المتقدمين والمتأخرين والذي يظهر من استقراء كلام الصحابة والتابعين أنهم لا يستعملون نزلت في كذا لمحض قصة كانت في زمنه ﷺ وهي سبب نزول الآية بل ربما يذكرون بعض ما صدقت عليه الآية مما كان في زمنه ﷺ أو بعده ﷺ ويقولون: نزلت في كذا ولا يلزم هناك انطباق جميع القيود بل يكفي انطباق أصل الحكم فقط وقد يقررون حادثة تحققت في تلك الأيام المباركة واستنبط ﷺ حكمها من آية وتلاها في ذلك الباب ويقولون: نزلت في كذا وربما يقولون في هذه الصورة فأنزل الله قوله كذا فكأنه إشارة إلى أنه استنباطه ﷺ وإلقاؤها في تلك الساعة بخاطره المبارك أيضًا نوع من الوحي والنفث في الروع فلذلك يمكن أن يقال فأنزلت ويمكن أن يعبر في هذه الصورة بتكرار النزول ويذكر المحدثون في ذيل آيات القرآن كثيرًا من الأشياء ليست من قسم سبب النزول في الحقيقة مثل استشهاد الصحابة في مناظراتهم بآية أو تمثيلهم بآية أو تلاوته ﷺ آية للاستشهاد في كلامه الشريف أو رواية حديث وافق الآية في أصل الغرض أو تعيين موضع النزول أو تعيين أسماء المذكورين بطريق الإبهام أو بطريق التلفظ بكلمة قرآنية أو فضل سور وآيات من القرآن أو صورة امتثاله ﷺ بأمر من أوامر القرآن ونحو ذلك وليس شيء من هذا في الحقيقة من أسباب النزول ولا يشترط إحاطة المفسر بهذه الأشياء إنما شرط المفسر أمران: الأول ما تعرض به الآيات من القصص فلا يتيسر فهم الإيماء بتلك الآيات إلا بمعرفة تلك القصص والثاني ما يخصص العام من القصة أو مثل ذلك

من وجوه صرف الكلام عن الظاهر فلا يتيسر فهم المقصود من الآيات بدونها ومما ينبغي أن يعلم أن قصص الأنبياء السابقين لا تذكر في الحديث إلا على سبيل القلة فالقصص الطويلة العريضة التي تكلف المفسرون روايتها كلها منقولة عن علماء أهل الكتاب إلا ما شاء الله تعالى وقد جاء في صحيح البخاري مرفوعًا: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم» وليعلم أن الصحابة والتابعين ربما كانوا يذكرون قصصًا جزئية لمذاهب المشركين واليهود وعاداتهم من الجهالات لتتضح تلك العقائد والعادات ويقولون نزلت الآية في كذا ويريدون بذلك أنها نزلت في هذا القبيل سواء كان هذا وما أشبهه أو قاربه ويقصدون إظهار تلك الصورة لا بخصوصها بل لأجل أن التصوير صالح لتلك الأمور الكلية ولهذا تختلف أقوالهم في كثير من المواضع وكل يجر الكلام إلى جانب وفي الحقيقة المطالب متحدة وإلى هذه النكتة أشار أبو درداء حيث قال: لا يكون أحد فقيها حتى يحمل الآية الواحدة على محامل متعددة وعلى هذا الأسلوب كثيرًا ما يذكر في القرآن العظيم صورتان صورة سعيد يذكر فيها بعض أوصاف السعادة وصورة شقي يذكر فيها بعض أوصاف الشقاوة ويكون الغرض من ذلك بيان أحكام تلك الأوصاف والأعمال لا التعريض بشخص معين كما قال سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥] ثم ذكر صورتين صورة سعيد وصورة شقي ومثل ذلك ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤] ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ خَيْرًا﴾ [النحل: ٣٠] وعلى مثل هذا تحمل آية ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ [النحل: ١١٢] وآية ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ الآية [الأعراف: ١٨٩] وآية ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢] ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم: ١٠] ولا يلزم في هذه الصورة أن توجد تلك الخصوصيات بعينها في شخص كما لا يلزم في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١] أن توجد حبة بهذه الصفة إنما المقصود تصوير زيادة الأجر لا غير فإن وجدت صورة توافق

المذكور في أكثر الخصوصيات أو كلها كان من قبيل لزوم مالا يلزم وربما تدفع شبهة ظاهرة الورود أو يجاب عن سؤال قريب الفهم بقصد إيضاح الكلام السابق لا لأجل سؤال سائل وقع في ذلك العصر وشبهة حدثت بالفعل وكثيرًا ما يفرض الصحابة في تقرير ذلك المقام سؤالاً يقررون المطلب في صورة الجواب والسؤال وإن نظرنا بالتحقيق والتفحص فالكل كلام واحد متسق لا يسع نزول بعض عقيب بعض جملة واحدة منتظمة ولا يتأتى فك القيود على قاعدة وقد يذكر الصحابة تقدمًا وتأخرًا والمراد بذلك التقدم والتأخر الرتبي كما قال ابن عمر في آية ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤] هذا قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرةً للأموال ومن المعلوم أن سورة براءة متأخرة في السور وهذه الآية في تضاعيف القصص المتأخرة وكانت فرضية الزكاة متقدمة بسنين ولكن مراد ابن عمر تقدم الإجمال رتبة على التفصيل وبالجملة فشرط المفسر لا يزيد على نوعين من هذه الأنواع الأول قصص الغزوات وغيرها مما وقع في الآيات الإيماء إلى خصوصياتها ومالم تعلم تلك القصص لا يتأتى فهم حقيقتها والثاني فوائد بعض القيود وسبب التشدد في بعض المواضع مما يتوقف على معرفة حال النزول وهذا المبحث الأخير في الحقيقة فن من فنون التوجيه ومعنى التوجيه بيان وجه الكلام وحاصل هذه الكلمة أنه قد يكون في آية من الآيات شبهة ظاهرة من استبعاد صورة هي مدلول الآية أو تناقض بين الآيتين أو إشكال تصور مصداق الآية على ذهن المبتدئ أو خفاء فائدة قيد من القيود عليه فإذا حل المفسر هذا الإشكال سمي ذلك الحل توجيهًا كما في آية ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ فإنهم سألوا عما استشكلوه من أنه كان بين سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما السلام مدة كثيرة فكيف يكون هارون أخا مريم كان السائل أضمر في خاطره أن هارون هذا هو هارون أخو موسى فأجاب عنه ﷺ بأن بني إسرائيل كانوا يسمون بأسماء الصالحين من السلف وكما سألوا كيف يمشي الإنسان يوم الحشر على وجهه فقال: إن الذي أمشاه في الدنيا على رجليه لقادر أن يمشيه على وجهه وكما سألوا ابن عباس عن وجه التطبيق بين قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ وبين آية

أخرى ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ فقال رضي الله عنه عدم التساؤل يوم الحشر والتساؤل بعد دخول الجنة، وسألوا سيدتنا عائشة رضي الله عنها فقالوا: إن كان السعي بين الصفا والمروة واجبا فما وجه ﴿ لَّا جُنَاحَ ﴾ فأجابت رضي الله عنها بأن قومًا كانوا يتجنبونه وبهذا السبب قال عز وجل: ﴿ لَّا جُنَاحَ ﴾ وعمر رضي الله عنه سأل النبي ﷺ عن قيد ﴿ إِنْ خِفْتُمْ ﴾ ما معناه فقال ﷺ: صدقة تصدق الله بها يعني لا يكون عند الكرماء في الصدقة مضائقة فلم يذكر الله سبحانه وتعالى هذا القيد للمضائقة بل القيد اتفاقي وأمثلة التوجيه كثيرة والمقصود التنبيه على المعنى ومما يناسب عندي أن أذكر ما نقل البخاري والترمذي والحاكم في تفاسيرهم من أسباب النزول وتوجيه المشكل بسند جيد إلى الصحابة أو إلى حضرته ﷺ بطريق التنقيح والاختصار لفائدتين الأولى أن حفظ هذا القدر من الآثار لابد منه للمفسر كما لابد مما ذكرناه من شرح غريب القرآن والأخرى أن يعلم أن أكثر أسباب النزول لا مدخل لها في فهم معاني الآيات اللهم إلا شيء قليل من القصص يذكر في هذه التفاسير الثلاثة[1] التي هي أصح التفاسير عند المحدثين وأما محمد بن إسحاق والواقدي والكلبي وما ذكروا تحت كل آية من قصة فأكثره غير صحيح عند المحدثين وفي إسناده نظر ومن الخطأ البين أن يعد ذلك من شروط التفسير والذي يرى أن تدبر كتاب الله متوقف على حفظه فقد فات حظه من كتاب الله، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم. (انتهى)

فهذا هو الأصل المعتمد عندي من ثم لم أبال بظواهر الموارد إذ لم يساعده ظاهر القرآن وحملت موارده على ما حمله الشيخ العلام فاحفظه ولا تعجل ستجدني إن شاء الله من المخلصين.

أبو الوفاء ثناء الله الهندي الأمرتسري

---

(١) البخاري والترمذي والحاكم.

سورة الفاتحة مكية وهي سبع آيات[١]

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي قولوا أيها العباد: نقرأ[٢] بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله، لقوله تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١] وقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩]. ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ الذي خلقهم وخلق أسباب رزقهم، لقوله تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠﴾ [فصلت: ٩، ١٠]. ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ هو العطوف على العباد بالإيجاد وبالهداية إلى الإيمان وأسباب السعادة والإسعاد في الآخرة، لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن ١-٤] وقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب: ٤٣] لعلهما مترادفان فافهم. ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ يوم القيامة، لقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾ [الانفطار: ١٨، ١٩].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ نوحدك بالإخلاص في كل ما تستحق من العبادة الخالصة والمحبة الكاملة، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ أي نطلب منك الإعانة فيما في يديك خاصة، لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢﴾ [الشعراء: ٧٩-٨٢] وقوله تعالىٰ:

---

(١) نزلت بمكة حين فرضت الصلاة (فتح البيان ١/ ٣١) أقول: نزلت على لسان المصلين سورة لدعائهم في الصلاة ـ بحذف صيغة الأمر، والأصل: قولوا: نقرأ إلخ (منه).

(٢) إشارة إلى أن الجارة متعلقة بالفعل المحذوف، أي نقرأ (منه).

﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠] وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ ﴾ [الروم: ٣٧] وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ ﴾[1] [الشورى: ٢٨] والأمور المقدورة للعباد يجوز الاستعانة عليها من العباد، لقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ [المائدة: ٢]. ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ أي وفقنا دائماً للعمل بالأحكام المذكورة، في قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣]. ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ الموصوفين بقوله تعالى: ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء: ٦٩] عطف بيان من الصراط المستقيم. ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ اليهود ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ النصارى، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المائدة: ٦٠] وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ [المائدة: ٧٧] أو الكفار مطلقاً كائناً من كان، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ ﴾ [النساء: ١٦٧] ﴿ غَيْرِ ﴾ بدل من الموصول السابق.

---

(١) هذا كله تفصيل لما في يديه تعالى خاصة (منه).

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وست وثمانون آية

﴿الٓمٓ ۝١﴾ مختصر من «أنا الله أعلم»[١] هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧ والدخان: ٥٨] ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ مبتدأ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ خبره، أي في كونه وحياً منزلاً من الله، لقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [السجدة: ٢] ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ هداية خاصة بمعنى الإيصال إلى المطلوب، لقوله تعالى: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: ١٦] والهداية بمعنى إراءة الطريق شاملة لكل إنسان، لقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي ماغاب عنهم من ذاته ـ سبحانه ـ والملائكة والنعماء في الجنة، لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [الفرقان: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]. ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي يؤدُّونها بأركانها مع الجماعة، لقوله تعالىٰ: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وقوله عليه السلام: «**تسوية الصفوف من إقامة الصلاة**» الترمذي[٢] وقوله تعالى: ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ [البقرة: ٤٣] ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ من المال والعلم والجاه ﴿يُنفِقُونَ ۝٣﴾ إياها في الخير، لقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧] وقوله عليه السلام: «**خير الناس من ينفع الناس**» الحديث[٣]. ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ

---

(١) معالم التنزيل (١/ ٥٨).

(٢) الذي في سنن الترمذي رقم (٢٢٧) «**من تمام الصلاة إقامة الصف**» واللفظ الذي ساقه المؤلف جزء من حديث البخاري رقم (٧٢٣) في صلاة الجماعة، باب تسوية الصفوف من حديث أنس بن مالك، ورواه مسلم رقم (٤٣٣) وأبو داود رقم (٦٦٨) بلفظ: «**تسوية الصف من تمام الصلاة**».

(٣) ذكره في الكنز (٤٤١٥٤) بهذا اللفظ عن خالد بن الوليد. وهو جزء من حديث رواه القضاعي في مسند الشهاب رقم(١٢٩) و(١٢٣٤) من حديث جابر، وهو حديث حسن، ورواه الطبراني في الكبير، وابن عساكر في التاريخ من حديث عبدالله بن عمر بلفظ: «**أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس**» فالحديث حسن، والحمد لله.

﴿إِلَيْكَ﴾ من القرآن، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإنسان: ٢٣] ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ من صحف الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لقوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦] لا ما يسميه اليهود والنصارى: التوراة والإنجيل وغيرها المنسوبة إلى مصنفيها، وفيها من توهين الأنبياء، بل خلاف شأن[1] الإله ما فيها، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ﴾ [المائدة: ٧٢]. ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ والموصولان صفتان كاشفتان[2] للمتقين، لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧]. ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الموصوفون في كلتا الآيتين مستقرون ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ منزل ﴿مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ الداخلون الجنة، المبعدون عن النار، لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ أي مستو عليهم إنذارك وعدم إنذارك، بدل من جملة ﴿كَفَرُوا﴾ فهو في حكم صلة الموصول، فاندفع ما توهم[3]. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر: ٣٥] ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ﴾ أغفل قلوبهم عن قبول الحق وأسماعهم عن سماعه وأبصارهم عن إبصاره، لقوله تعالى: ﴿وَلَا

---

(١) التفصيل يطلب من مصنفاتنا الهندية من التفسير الثنائي وتقابل ثلاثة وغيرهما.

(٢) لأن الآية الكريمة الشاهدة تدل على أن الإنفاق في سبيل الله والإيمان بالكتب وغيره داخل في حقيقة المتقين، فافهم.

(٣) من أن الكفار بعد نزول هذه الآية كثير منهم آمنوا، وجه الدفع أن الله أخبر بعدم الإيمان ممن كان الإنذار وعدمه سواء عنده، أي لا يصغي إلى الحق، وكلهم ما كانوا كذلك (منه).

تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣] فاندفع ما أورد[1]. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ بأفواههم ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ في الحقيقة ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أي رسول الله بإظهار الإيمان، لقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ عطف على الجلالة، بل على المضاف المقدر ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لأن وبال خداعهم عليهم، لقوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ [فصلت: ٤٦ والجاثية: ١٥] ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ خسران حالهم، لأنه ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ كفر لقوله تعالى: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ [الحجرات: ١٤] ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ﴾ أي صار القرآن سببا لمزيد كفرهم، لقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم على قولهم: سيل مفعم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ أي بكذبهم في قولهم امنا إذ لم يؤمنوا ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بنقل الكلام من جهة إلى أخرى كما سيأتي ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ أي الإصلاح منحصر فينا، إذ ما نحن عليه ليس فيه شائبة من الفساد، بل أنتم أيها المؤمنون مفسدون لميلانكم[2] إلى جهة واحدة. من ثم رد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ منحصر فيهم الفساد، فساد الكفر، بحيث يعرفه كل غبي وغوي ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ ماذا يحل عليهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ الكاملون، لقوله تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ[3] كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ﴿قَالُوٓا۟﴾ في جواب القائل ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ﴾

---

(١) من الكفار أن الله ختم على قلوبهم، فما قصورهم؟ وجه الدفع أن الختم متفرع على تكبرهم ونقضهم فافهم.

(٢) أي لميلكم.

(٣) لما دلت الآية الكريمة على أن الكافر كالأنعام فتحصل أن المؤمن هو الناس فافهم (منه).

نسبوا السفاهة إلى الصحابة الكرام، حيث مالوا إلى جهة ولم يلووا إلى أخرى، لقوله تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾ [هود: ٢٧] فرد الله عليهم ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ لإنكارهم الطريقة الحنيفية البيضاء، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠] ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ أي ليس لهم حصة من جنس العلم، فأولئك كالأنعام، بل هم أضل ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي أشرافهم ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟﴾ مضوا ﴿إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ أي سادتهم الذين في حقهم في الإضلال كالشياطين، لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

﴿قَالُوٓا۟﴾ في جوابهم حيث يعيرونهم في مخالطة المؤمنين ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ لا معهم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ بهم لأنهم يستبشرون بإظهار إيماننا لخفة عقولهم، فرد الله عليهم ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يذلهم ويحقرهم على رؤوس الأشهاد في الدنيا، لقوله تعالى: ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ﴾ [المنافقون: ٤] وفي الآخرة، لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٣ـ١٥] ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يمهلهم ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ أي في ضلالهم ليبعدوا عن الله، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ﴾ [آل عمران: ١٧٨] ﴿يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ يترددون، ولا يثبتون على حال. حال من المفعول به ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ استبدلوها ﴿بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ أي ما ربحوا فيها، بل خسروا، لقوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [الأنعام: ٣١] ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ في تجارتهم، إذ استبدلوا الأعلى بالأدنى، لقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الرعد: ٢٦].

﴿مَثَلُهُمْ﴾ أي المنافقين ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾ النار ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾

استغنوا عنها ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ﴾ كثيرة ﴿لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ فيها شيئاً، كذا هؤلاء المنافقون لما استغنوا عن الله بعد ما رأوا آياته الباهرة والحجج القاهرة استغنى الله عنهم، لقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [التغابن: ٦]. ﴿صُمٌّ﴾ عن استماع الحق ﴿بُكْمٌ﴾ عن إظهاره ﴿عُمْىٌ﴾ عن رؤية دلائله لقوله تعالىٰ: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩] لما سدت عنهم هذه الطرق الثلاث.

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ إلى قبول الحق لعدم استعدادهم لهذا، لقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾ [التين: ٥]. ﴿أَوْ﴾ مثلهم ﴿كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي كأهل المطر النازل من السحاب[1] ﴿فِيهِ﴾ في الصيب أي في وقته ﴿ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ مفعول لأجله ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ خص الكافرين بالذكر لتهديدهم وإلا فهو تعالىٰ محيط بكل شيء لقوله تعالىٰ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يس: ٨٣] ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ﴾ لضيائه ﴿يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ﴾ البرق ﴿لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ متحيرين ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ أي كما لأصحاب الصيب تحير كذا لهؤلاء المنافقين في الإسلام، لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا﴾ [الأنعام: ٧١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ أي ذلّلوا أنفسكم غاية التذليل وعظموا الله ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي ميلوا إلى الخالق ولا تميلوا إلى من لم يخلق شيئاً، لقوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٧] ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي لكي تصيروا متقين الله، الرجاء راجع إلى المخاطب لا إلى المتكلم، فافهم. ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ أي من السحاب لقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [النور: ٤٣]. وقول الشاعر:

---

(١) المراد من السماء في نزول الماء السحاب كما يأتي في آية ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

فأنتم سماء يعجب الناس رزها بآيدة تنحي شديد وئيدها

﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ صفة لرزقاً ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ مفعول به ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ بالعبادة والمحبة لغيره، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥] ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أن لا إله إلا هو، لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد عليه الصلاة والسلام ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ في البلاغة وحسن الترتيب، لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: ٣١]. ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الذين يشهدون علىٰ مماثلته للقرآن، لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠]. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ في دعواكم أن محمداً ﷺ افتراه، لقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [السجدة: ٣] ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ معترضة بين الشرط والجزاء ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾ المشركون ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ أي الأصنام، وكل ما يعبد من دون الله من الأمكنة والقبور وغيرها، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾[1] [الأنبياء: ٩٨] ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا﴾ أي من الجنة ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ مفعول ثان لرزقوا ﴿رِّزْقًا﴾ مصدر أو مفعول له، أي أكلًا ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي في الدنيا، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ٢٨]. وقوله تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا[2] رُزِقُوا۟﴾ الآية. ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ﴾ بثمار الدنيا في الصورة، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ﴾ [إبراهيم: ٤].

﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ﴾ من سوء الأخلاق لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ

---

(١) والعباد الصالحون الذين يعبدهم ويدعوهم المشركون خارجون عنها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] (منه).

(٢) لأن لفظة «كلما» في الأصل سور الكلية، وتخصيص المرة الأولى بلا دليل. فافهم (منه).

عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣] ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أي في الجنة ونعمائها ﴿خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[1] أي لا يترك ذكرها لأجل التمثيل، فإن القرآن على لسان عربي مبين، وهم يمثلون بها، لقوله تعالىٰ ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ [مريم: ٩٧]. ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ المطابق للممثل له. ﴿مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ﴾ عناداً. ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ تمييز لهذا. ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ أي ما يعاهدون الله بالعبودية، لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ [المائدة: ١٣] أو ما يعاهدون فيما بينهم بالله، لقوله تعالىٰ ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ [البقرة: ١٠٠]. ﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ توثيقه في كلا الوجهين. ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من التعلقات فيما بين بني آدم، لقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾ [النساء: ٣٦، ٣٧].

وقوله عليه السَّلام: «**الخلق عيال الله أقربهم إلى الله أنفعهم لعياله**»[2]. وقوله عليه

مورد النزول (١) ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾ سبب نزول هذه الآية أن الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الحج: ٧٣] وقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١] قال اليهود: ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة؟! فنزلت هذه الآية في جوابهم (معالم ١/ ٧٦) (منه).

(٢) رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده (٦/ ٣٣١٥ و ٣٣٧٠و٣٤٧٨) والبزار من حديث أنس بن مالك، وإسناده ضعيف، ورواه الطبراني في الكبير والأوسط من حديث عبدالله بن مسعود، وإسناده ضعيف، وله رواية من حديث عبدالله بن عمر بن الخطاب عند الطبراني وابن عساكر وابن أبي الدنيا بلفظ: «**أحب الناس إلى الله عز وجل أنفعهم للناس**» وهو حديث حسن.

السلام: «في كل كبد رطب أجر»[1]. ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي يعملون على خلاف مقتضى نظام العالم من الإصلاح بين الإخوان وغير ذٰلك، لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة: ٢٠٥]. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ لخسران عاقبتهم، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر: ١٥]. ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ أي ليس لكم وجه للكفر ﴿وَكُنتُمْ﴾ قبل الهيئة الإنسانية ﴿أَمْوَٰتًا﴾ أي أجساداً لا أرواح لها، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾. [المؤمنون: ١٢ـ١٦]. ﴿فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ لأجل الحساب يوم الجزاء ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ كما مر مفصّلا. ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم﴾ الأرض و ﴿مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ لأجل مصلحتكم، لقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]. ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ قصد ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ في يومين، لقوله تعالىٰ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢]. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ والواقعة الآتية من علمه.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أي إني خالق إنساناً حاكما نافذا أمره على الأشياء كلها، هو وأولاده كلهم، لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦] وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٤]. ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ أتجعل المفسدين

---

(١) هو جزء من حديث طويل، رواه البخاري رقم (٢٣٦٣) في المساقاة، باب فضل سقي الماء، و (٢٤٦٦) في المظالم، باب الآبار على الطرق و (٦٠٠٩) في الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ومسلم رقم (٢٢٤٤) في كتاب السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «في كل كبد رطبة أجر» وفي لفظ عند البخاري: «في كل ذات كبد رطبة أجر».

خلفاء يقتل بعضهم بعضاً بغير حق ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ونعلم[1] الأشياء كلها، فنحن أحق بالخلافة. ﴿قَالَ﴾ الله تعالىٰ: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ من المصلحة واستعدادهم لهذا الأمر وعدم استعدادكم ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ تبكيتاً لهم في إخفاء دعواهم العلم بالأشياء كلها، لقوله تعالىٰ: ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١﴾ في ادعاء العلم. ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٢﴾ فلما عجزوا واعترفوا بنقصان علمهم، ﴿قَالَ﴾ الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم﴾ أي الملائكة. ﴿بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ أي الأشياء، غلب ذووا العقول على غيرهم، كقوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ١]. ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ آدم كما أمره سبحانه. ﴿قَالَ﴾ الله تعالىٰ للملائكة. ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ من إفساد بني آدم. ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣﴾ من دعوى العلم واستحقاق الخلافة. ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ حيوا تعظيماً له، وانقادوا لأمره، لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢١﴾ [الانشقاق: ٢١] لا سجدة كسجدة لله لقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت: ٣٧]. ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾ حيوا كلهم ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ الملعون ﴿أَبَىٰ﴾ أنكر ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ تكبر ﴿وَكَانَ﴾ صار ﴿مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٤﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠].

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ واسعاً ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا﴾ بالأكل. ﴿هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ[2] فَتَكُونَا﴾ تفريع على المنفي، أي وإلا فتكونا ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ بقوله: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾

---

(١) لو لم يكن الملائكة ادعوا علم الأشياء، لا يقال لهم: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] فافهم (منه).

(٢) لعلها التين (منه).

[الأعراف: ٢٠ـ٢٢]. ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعماء. ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أي يكون بين ذواتكم وبين أولادكم عداوة لقوله تعالىٰ: ﴿مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ الآية. ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ﴾ تمتع ﴿إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ الموت. ﴿فَتَلَقَّىٰ﴾ ﴿أَلْهَمَ﴾ ﴿آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ دعائية هي: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣]. ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ قابل التوبة، فعلى التماس آدم الجنة. ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ أي استمروا على الهبوط من الجنة، فهذا الأمر للاستمرار لا للإنشاء. ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ أي من اتبع هداي من ذريتك يدخل الجنة، ومن لم يتبع يدخل النار، فهي السبيل لدخول الجنة لا غير، لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي من الحكومة الدينية والسياسة الدنيوية، لقوله تعالىٰ: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء: ٥٤]. ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ المتعلق لإظهار الحق، لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧] ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦]. ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ لا غيري لقوله تعالىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النحل: ٥٢]. ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ﴾ على محمد عليه السلام ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من مضامين الشريعة الحقة المنزلة على موسىٰ عليه السلام، لا لكل مما معكم من توهين الأنبياء بل وخلاف شأن الإله، لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٨]. ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي لا تأخذوا بكتمان الآيات الحقة شيئاً من حطام الدنيا وإن كان كثيراً، لقوله تعالىٰ: ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧]. ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ لا غيري. ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ أنكم بكتمان الحق

على الباطل، لقوله تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة: ١٤، ١٥] ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي صلوا بالجماعة ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[1] أي اخضعوا لله مع الخاضعين، لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥٥] وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المرسلات: ٤٨]. فهي كقوله تعالىٰ: ﴿ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٣].

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ تعظون الناس بمكارم الأخلاق ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ قُبْحَ أعمالكم ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟﴾ بالله لقوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥] ﴿بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ على مصائب الدنيا على اختيار الإسلام. ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي الاستعانة بالصلاة وقت المصيبة. ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ أي شديدة ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ من هم؟ هم ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ في الحياة الدنيا وبعد الممات، كملاقاة المعلول بالعلة التامة، لقوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١] ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ بعد الموت، والمعنى أن الاستعانة ليست كبيرة على الذين يصدقون بأنهم مخلوقون لله، ويؤمنون بالجزاء، لقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل: ٥-٧].

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ التي مر بيانها في قوله تعالىٰ: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [النساء: ٥٤] الآية. ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ أي عالمي زمانكم السالف، لقوله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ[2] أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا﴾ يوم القيامة ﴿لَّا تَجْزِى﴾ فيه ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ بغير إذن الله، لقوله تعالىٰ: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣] ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ عوض على المعاصي ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي يوم الجزاء، لقوله تعالىٰ:

---

(١) قال الجمهور: أي صلوا مع جماعة المصلين.

(٢) الآية الكريمة تدل على خيرية الأمة المسلمة.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤ـ٣٧]. ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ حذراً من كثرتكم ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ للخدمة ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ الإنجاء ﴿بَلَآءٌ﴾ إنعام ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ أي صيرناه حصتين، لقوله تعالىٰ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء: ٦٣] ﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ عدوكم ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ إنهم مغرقون. ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ لإيتاء الكتاب ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي بعد ذهابه إلى الطور ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾ في ذٰلك الوقت. ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾ بالتوبة منكم كما سيأتي بعد. ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ هذه النعمة.

﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي علم الشرائع ﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾ الامتياز بين أهل الحق وأهل الباطل بغلبة المؤمنين على الكافرين، لقوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ [النساء: ١٥٣] ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي إخوانكم، الذين اتخذوا العجل، لقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤] ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ التوبة. ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ خالقكم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ بقبول توبتكم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ المتوجه علىٰ من توجه إليه. ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ لمن استرحم ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ قُلْتُمْ﴾ على الطور ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ عياناً ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ المستلزمة للرجفة ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ فمتم. ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ أي ثم أحييناكم بعد هلاككم، لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ [الأعراف: ١٥٥]. ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ في وادي التيه لدفع الشمس[1]

---

(١) لأن بني إسرائيل أقاموا في التيه أربعين سنة في الشمس، لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [المائدة: ٢٦] (منه).

﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ (١) وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ رزقا لكم. قلنا: ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ الإضافة بيانية، لقوله تعالىٰ: ﴿ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ ﴾ [سبأ: ١٥]. ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ بالكفران بقولهم: ﴿ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾ [البقرة: ٦١]. ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ إذ وبال كفرهم عليهم، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [فصلت: ٤٦]. ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ ﴿ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [المائدة: ٢١]. ﴿ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾ حال أي متخاضعين، لا متكبرين، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ ﴾ [الانشقاق: ٢١]. ﴿ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ ﴾ أي أمرنا استغفار وتوكل، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المائدة: ٢٣]. ﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ المخلصين أجرهم، بل زائداً على أجرهم، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ق: ٣٥]. ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ أي خالفوا ما أمروا به من التوكل والاستغفار، فبدلوا بقولهم: ﴿ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المائدة: ٢٤] وأيضاً «**دخلوا على أستاههم. وقالوا: حبة في شعرة**» (البخاري)(٢). ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا ﴾ عذابًا. ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ أي أحرمناهم(٣) بفسقهم، لقوله تعالىٰ: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المائدة: ٢٦].

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «**الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين**» (البخاري: ٤٤٧٨، ٤٦٣٩، ٥٧٠٨) (منه).

(٢) هو جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه رقم (٣٤٠٣) في الأنبياء، ورقم (٤٤٧٩) في التفسير، باب: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾، ورقم (٤٦٤١) في التفسير، باب: ﴿ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ ﴾، ومسلم رقم (٣٠١٥) في التفسير، باب: ﴿ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ ﴾، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والأستاه، جمع است، وهي الدبر.

(٣) والحديث المرفوع المروي عن أسامة بن زيد: «**الطاعون رجز، أرسل على طائفة من بني إسرائيل**» لا ينافي تفسيرنا، فإنه في وقت آخر، فافهم ولا تعجل (منه) والحديث رواه مسلم رقم (٢٢١٨) وعند البخاري رقم (٣٤٧٣) «**الطاعون رجس**» في الأنبياء في باب بعد باب حديث الغار.

﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ على عدد قبائلهم ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ﴾ قلنا لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟﴾ تفسدوا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ حال مؤكدة. ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ قُلْتُمْ﴾ في وادي التيه ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ المن والسلوىٰ ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ بيان لما ﴿قَالَ﴾ موسىٰ عليه السَّلام ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ﴾ أي أتأخذون الأخس بالأعلىٰ ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾ أي بلد ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ في زمانهم، لا دائما، لقوله تعالىٰ: ﴿جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠]. والمسكنة عدم المال المغني وإن كان صاحبها قليل المال، لقوله تعالىٰ: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾ [الكهف: ٧٩]. ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ﴾ رجعوا ومالوا إلى غضب من الله ﴿ذَٰلِكَ﴾ الغضب عليهم ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ﴾ الكفر بآيات الله وقتل الأنبياء ﴿بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ حدود الله أي عصيانهم صار منجرًّا إلىٰ أن قتلوا الأنبياء، وفعلوا ما فعلوا، لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف: ٥]. وقوله تعالىٰ: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ أي اليهود ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ الذين لا مذهب لهم، من قولهم: صبأ، إذا خرج ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ من هؤلاء المذكورين ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ موافقاً للشريعة المطهرة والسنة النبوية، لقوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ﴾ [الأعراف: ٣]. وقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]. ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من أهوال يوم القيامة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ على ما فاتهم لما أنهم لا يفوتهم شيء من أعمالهم الحسنة، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٣٠]. ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ أَخَذْنَا

﴿ مِيثَٰقَكُمْ ﴾ بالأخذ بأحكام الشريعة ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾ أي أتينا بكم تحت الجبل، جعلناه فوق رؤوسكم، لقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٧١]. قلنا لكم: ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ متعلق بخذوا. ﴿ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ ﴾ من الأحكام أي اعملوا على ما فيه ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ فأقررتم. ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ عند الله يوم الجزاء، لقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر: ١٥].

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ ﴾ ﴿ فِى ﴾ حكم ﴿ ٱلسَّبْتِ ﴾ قد[1] أمروا أن يفرغوا للعبادة يوم السبت وهم صادوا فيه، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ مطرودين فصاروها لقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾ [المائدة: ٦٠]. وهلكوا بعد ثلاثة أيام، للحديث.

﴿ فَجَعَلْنَٰهَا ﴾ أي هذه الواقعة ﴿ نَكَٰلًا ﴾ عبرة ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ أي للذين كانت هذه الواقعة في زمانهم والذين خلقوا بعدها ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ لأنهم هم المنتفعون بها، وبكل هداية لقوله تعالىٰ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]. اذكروا[2] ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ﴾ أيّ بقرة ﴿ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ أتسخرنا: نحن نسأل عن قاتل الميت وتجيب بذبح البقرة، أنى هذا من ذاك؟! ﴿ قَالَ ﴾ موسىٰ - عليه السلام - ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الذين يسخرون الناس. ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾ أي

---

(١) قصتهم مذكورة في كتاب نحمياه في الباب (١٣) (منه).

(٢) قال المفسرون وجه حكم ذبح البقرة: أن أحداً من بني إسرائيل قتل إنساناً، فرمىٰ به رجلًا آخر فاختلفوا، فأمر الله موسى أن يأمرهم بذبح البقرة. وسائر القصة يأتي بعد، والله أعلم (منه).

ماسِنُّها؟ ﴿قَالَ إِنَّهُۥ﴾ تعالىٰ ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾ مسنة ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ فتية. ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ متوسطة. ﴿فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ شديدة الصفراء ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾﴾ أي تعجبهم ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ أي ما صنعها ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ إليها ﴿قَالَ﴾ موسىٰ عليه السلام ﴿إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ أي فيها لون واحد لا ألوان شتىٰ ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ في نظر الناظر لكثرة سؤالهم.

﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَـْٔتُمْ فِيهَا﴾ نسب القتل بعضكم إلى بعض ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ﴾ أي مسوا الميت ﴿بِبَعْضِهَا﴾ أي البقرة المذبوحة. فمسوه بها «فَحَيِيَ»، فأخبر من قتله لقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل هذا الإحياء ﴿يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ الدالة على كمال قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ ففهمتم ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ في الضلالة ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ التشقيق للتنويع لا للترديد[1] ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ القليل، كلاهما يُرىٰ في الجبال ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ لأن لها حسًّا فطريًّا، لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ فاعملوا ما شئتم ستجزون بأعمالكم، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٨] ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ﴾ يصدقوا قولكم في أمر الدين ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ﴾ جماعة ﴿مِّنْهُمْ﴾ اليوم ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ من غيرهم أي أنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم لا يقرؤونه وإن أسمعهم غيرهم من العوام المعتقدين لهم يسمعونه ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ فهموه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ في أنفسهم أنهم مبطلون لقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ

---

(١) بمعنى أن قلوبهم على قسمين: قلوب كالحجارة قسوة، وقلوب أشد قسوة منها.

بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [القيامة: ١٤] ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا ﴾ المتبوعون ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُم ﴾ أي المسلمين ﴿ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ ﴾ أظهره ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ أي أعلمكم في كتابكم المنزل على الأنبياء ﴿ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ اللام للعاقبة ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ قبح أعمالكم، قال تعالى: ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي المانعون ﴿ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ بلىٰ يعلم وهو أعلم بما قالوا وبما فعلوا ﴿ وَمِنْهُمْ ﴾ أي أهل الكتاب ﴿ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ﴾ المنزل ﴿ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾ كاذبة تلقوها من علمائهم. من قولهم: ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [المائدة: ١٨] و ﴿ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ [البقرة: ٨٠] وقولهم: ﴿ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [البقرة: ١١١] ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ غير الحق ظن الجاهلية.

﴿ فَوَيْلٌ ﴾ عذاب ﴿ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ ﴾ أي المسائل الدينية ﴿ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ أي ينسبون ما يكتبون من عند أنفسهم إلى الله ﴿ لِيَشْتَرُوا ﴾ ليأخذوا ﴿ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ من حطام الدنيا ولو كان كثيراً فإنه قليل، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [النساء: ٧٧] ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ لأنهم نسبوا إلى الله ما لم يقل الله، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [يونس: ٦٩] ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ أي إن مستنا النار على معاصينا تمس مدة قليلة لأن الله يحبنا، لقوله تعالى حاكيا عنهم: ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [المائدة: ١٨] ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا ﴾ على هذا، إن اتخذتم ﴿ فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ﴾ لأن ﴿ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٩] ﴿ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[1] ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ كائنا من كان ﴿ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ على وفق الشريعة المطهرة، لقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾

---

(١) هكذا قول بعض الجهلة العلوية والصوفية في زماننا فما أجاب الله به اليهود نجيبهم به (منه).

[البقرة: ١٩٨] من أي قوم كانوا ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾﴾.

أيدَّعون الأكاذيب ﴿وَ﴾ لايذكرون ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي أمرناهم وأخذنا الإقرار منهم في التوراة في كتاب سفر الخروج في الباب العشرين ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي اعبدوا الله وحده ولا تعبدوا معه غيره وأحسنوا بالوالدين إحساناً ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ﴾ كلهم ﴿حُسْنًا﴾ أي كلموا الناس بكلام لا ضرر ولا مفسد فيه، لقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فأقررتم ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ إلى اليوم. ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ في الباب المذكور آنفاً ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم﴾ أي إخوانكم ﴿مِّن دِيَارِكُمْ﴾ الإخبار بمعنى الإنشاء. أي لا يقتل بعضكم بعضاً ولا يخرج بعضكم بعضاً بالقهر والغلبة من ديارهم ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾ اليوم أيضاً ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ إخوانكم ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم﴾ أي أعداءهم ﴿بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ هٰذا فعل قبيح ﴿وَإِن﴾ يؤسروا بأيدي الأعداء و ﴿يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ﴾ أي تؤدوا فداءهم، وتخلصوهم، هذا حسن ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ بأداء الفدية ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ بالتظاهر عليهم ﴿فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٧، ٨].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ أي أرسلنا بعده رسلًا كثيرًا ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ أي الدلائل الواضحة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ

﴿ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة: ١١٠] ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ أي بإرسال جبرائيل ـ عليه السلام ـ إليه بالنبوة، والتثبت عند قوة الأعداء، لقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢] ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ﴾ تشتهي ﴿أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ كعيسى ـ عليه السلام ـ وغيره ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ كيحيىٰ ـ عليه السلام ـ وغيره ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ محفوظة، لا يدخلها شيء مما تقول: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ لقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤] ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ أي لا يؤمنون لأثر اللعنة القلة بمعنى النفي مطلقاً، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء: ٥٢] وقول الشاعر:

قليل التشكي للمهم يصيبه كثير الهوى شتى النوى والمسالك

أي عديم التشكي ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بنبي آخر الزمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ الشرطية الثانية جزاء لـ «لَمَّا» الأولى، وجملة «وكانوا» معترضة ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ أي عرضوا أنفسهم على الهلاك ﴿أَن يَكْفُرُوا۟﴾ بتأويل المفرد مخصوص بالذم ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا﴾ مفعول له من قبيل: قعدت عن الحرب جبناً ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ حسدوا محمداً ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، لقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء: ٥٤] ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي القرآن ﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ التوراة وغيرها ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ حال ﴿لِّمَا مَعَهُمْ﴾ مرّ مراراً ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ إلهاً ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾

بأخذ العجل إلهاً، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٥٤] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ مرَّ بيانه. قلنا: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ متعلق بالأمر ﴿وَٱسْمَعُوا۟ قَالُوا۟﴾ بلسانهم ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ مخفين ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ﴾ يا محمد ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ أي إن فعلتم ما فعلتم ديانة وإيماناً فبئس إيمانكم وإن فعلتم لهواً وعناداً فهو أقبح ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ بلا عمل ﴿عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ كما زعمتم، لقوله تعالى: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١] ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ في ادعائكم موتوا فادخلوا الجنة ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ حيث ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ﴾ أن ﴿يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ أي مدة طويلة ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ مبعده ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ بتأويل المفرد، فاعل مُزَحْزِحِهِ ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ فيجازيهم بما يعملون لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾ [الزلزلة: ٧].

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾[1] فقد خاب وخسر ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ أي القرآن ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي أقرأك، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٨، ١٩] ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قد مر مثله ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ لأنهم هم المنتفعون به، لقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥] ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ فقد خاب وخسر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ كمثل هؤلاء ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾ الذين لا

---

(١) قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن حبراً من أحبار اليهود، يقال له: ابن صوريا. قال للنبي ﷺ أي ملك يأتيك من السماء؟ قال: «جبريل» قال ذلك عدونا من الملائكة، ولو كان ميكائيل لآمنا بك، إن جبريل ينزل بالعذاب والقتال والشدّة، وإنه عادانا مراراً، فنزلت هذه الآية (معالم ١/ ١٢٤).

يرجون لقاء الله، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٩] يقولون: قلوبنا محفوظة عن دخول الصوت، ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا﴾ الله ﴿عَهْدًا﴾ من قبل بالطاعة ﴿نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ أي لا يعملون بمقتضىٰ إيمانهم، لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [المائدة: ٥٩] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ أي محمد ﷺ ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من الأحكام الإلٰهية ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي تركوا العمل به ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ وإن كانوا يعلمون.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ أي على عهد سليمان من السحر وغيره من اللغويات والكفريات ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ برضاه على السحر، لأنه لم يكن مطلعاً عليه ﴿وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ﴾ أي لم[1] ينزل ﴿عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ جبريل وميكال عطف على ما كفر ﴿بِبَابِلَ﴾ كما يزعمون أن السحر أنزل في بابل على ملكين ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ بدل[2] من الشياطين أي لٰكن الشياطين هاروت وماروت وأتباعهم كفروا ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ أي هاروت وماروت ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ أي أحداً من الناس ﴿حَتَّىٰ يَقُولَا﴾ إظهاراً للتواضع ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ مبتلون بالبلاء. أي لسنا بمقربين عند الله ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بصحبتنا، وغرضهما من

---

(١) كان السحرة يقولون: إن السحر يسمع جبريل وميكائيل من الله فهو علمنا، فرد الله عليهم. (منه).

(٢) يدل على صحة هذا التركيب أنه ـ تعالى ـ ذكر أولاً تعليم السحر وأسنده إلى الشياطين، ثم ذكر ثانيا كيفية التعليم فأسنده إلى هاروت وماروت: فقال ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ الآية ثم ذكر تعلم الناس. فقال منهما، ففهم أن مصداق الشياطين وهاروت وماروت من حيث تعليم السحر، وأخذ الناس منهم السحر واحد: وما يروى من غرائب شأنهم من كونهما ملكين نزلا من السماء وغيره، لا يثبت شيء منها، بل يثبت نقيضها، كما يدل عليه صريح مفهوم الكتاب. وجمع المبدل باعتبار الأتباع، وثنّي البدل باعتبار الأصل، مأخوذ من فتح البيان، فافهم. [قلت: في هذا التركيب تخبط لا يخفى، وكلام الله بريء من مثل هذا التخبط. (ص،ر)].

هذا الكلام إمالة قلوب الناس إليهما فإن الإنسان حريص لما منع ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ أي الناس من هاروت وماروت ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ أي يتعلمون من التعويذات ما كان أثرها هذا، كما يعملها بعض العاملة في زماننا ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي بخلقه وإرادته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ في العقبى ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ فيها أي السحر الذين يفرقون به بين المرء وزوجه ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ أي ليس له حظ في الآخرة إلا النار ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ أي عرضوها على الهلاك بعمل السوء ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ لو للتمني أي لو كانوا يعملون بما يعلمون لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥] لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٢] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ كما أمروا ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ أي امتثلوا ما أمرهم الله به واجتنبوا ما نهاهم عنه ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ ثواب ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ على التقوىٰ ﴿خَيْرٌ﴾ مما يحصلون من حطام الدنيا ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ أي لو كان لهم حظ من العلم اختاروا التقوىٰ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا[1] ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ مؤلم شديد ﴿مَّا يَوَدُّ﴾ يحب ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا﴾ من ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لعداوتهم وبغضهم، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧] ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ فيصيب الخير من يشاء من رحمته، لقوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢] ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ ﴿ما

---

(١) كان المسلمون يقولون لرسول الله ﷺ وقت المكالمة: رَاعِنَا، (من المُرَاعَاة) أي انظرنا وأمهلنا كي نفهم كلامك حق الفهم، ولا يفوتنا شيء. واليهود يقولون: رَاعِينَا (بإشباع كسرة العين بصيغة اسم الفاعل من الرعي) أي خادمنا ومن أراذلنا تحقيراً لشأنه عليه السلام، فنزلت هذه الآية إقلاعاً لمادة الفساد (منه).

﴿نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾[1] أي نبدل حكماً من أحكام الشريعة، لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ [النحل: ١٠١] وقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ أي نؤخرها لعارضة ضرورة داعية، كقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣] وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤] وغير ذلك من الآيات ما لا يحصى ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ في الثواب ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ في الثواب مع سهولة العمل ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ فمن يسهل أمركم إذ لم يفعل مولاكم الحق، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣] ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾[2] حين طلبه ـ عليه السلام ـ بنو إسرائيل إلٰهاً ثانياً، لقوله تعالى: ﴿وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨] ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ أي أخذ الكفر، وترك الإيمان ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾ أي الصراط المستقيم.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ أي يصيّرونكم كافرين ﴿حَسَدًا﴾ مفعول لأجله ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟﴾ أي أعْرِضوا عنهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩] ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ أي ينصركم ويُعزكم لقوله تعالى: ﴿إِذَا

---

(١) وذٰلك أن المشركين قالوا: إن محمداً يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه، ما يقوله إلا من تلقاء نفسه، يقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً، فنزلت هذه الآية (معالم ١/ ١٣٣).
أقول كما قال الإمام الرازي: إن الآية قضية شرطية كما يدل عليه الجزم فلا تدل على الوقوع، فافهم. (منه).

(٢) سأل قوم رسول الله أن يجعل لهم ذات أنواط ، كما كان للمشركين ذات أنواط، وهي شجرة كان المشركون يعبدونها، ويعلقون عليها المأكول والمشروب، كما سألوا موسىٰ أن يجعل لهم إلٰهًا كما لهم آلهة، (فنزلت) (التفسير الكبير ١/ ٦٤٣، ٦٤٤).

﴿جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ [النصر: ١، ٢] حتى غاية لرفع[1] الحاجة، لا لنسخ الحكم، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝٦٣﴾[2] [الفرقان: ٦٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١٠٦ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة: ٧] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١٠﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ أي هم المستحقون لها على أي عمل كانوا ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ أي متمنىٰ أنفسهم، ليس لهم عليها دليل علىٰ هذا ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١١١﴾ اسمعوا حق الأمر ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي فوّض أمره إلى الله في السراء والضراء، لقوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾ [المزمل: ٨] ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي عامل على قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝٣٦﴾ [النساء: ٣٦] ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١١٢﴾ لأنهم لا يفوتهم شيء من حسن أعمالهم، لقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ معتد به من الدين، لأجل قولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ﴾ ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ معتد به ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي الجهال المشركون ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ أي مثل قول أهل الكتاب في نفي الحق عن الغير، فهو عطف بيان لِـ «كَذَٰلِكَ». ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١١٣﴾ في الله وأحكامه ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ

---

(١) فيه إشارة إلى الرد على زعم أن هذه الآية ومثلها منسوخة بآية السيف، لأن رفع الحاجة لا يستلزم النسخ، بل يدل على مقتضى الحكم، فإذا وجد المقتضى، ثبت المقتضى فافهم.

(٢) الآية الكريمة تدل على أن مخاطبة الجاهلين بالسلام أمر ممدوح مستمر، فكيف النسخ؟! (منه).

مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾[1] بمنع المصلين عنها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ على ظلمهم ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟﴾[2] وقت الدعاء أو وقت الصلاة عند عدم العلم بجهة الكعبة، لقوله تعالى: ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤] ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أي تجدوا توجهه سبحانه بالقبول ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ يعلم ما في أنفسكم ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ أي المشركون والنصارى وبعض فرق اليهود ﴿سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً، لقوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦] ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي خالقهما بلا مثال سبق ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن﴾ موجوداً ﴿فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ موجوداً ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي الجهال المشركون ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ بنفسه ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ أي إن كلمنا الله تعالى في حق محمد ﷺ أنه نبي أو يظهر على أيدينا معجزة اخترعناها نصدقه، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾ الآية [الإسراء: ٩٠] ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ حيث قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾. عطف بيان، لـ«كَذٰلِكَ». ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في الزيغ ﴿قَدْ بَيَّنَّا﴾ أظهرنا ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾ أي من كان على إيقان الحق، لا من كان جاحداً كل الجحود، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ حال من الضمير المنصوب ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ لِمَ دخلوا النار؟ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ [الرعد: ٤٠] ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ في

---

(١) نزلت في مشركي مكة، إذ كانوا يصدون المصلين عن المسجد الحرام، لقوله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الأنفال: ٣٤].

(٢) قال ابن عباس: خرج نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفر قبل تحويل القبلة فتحروا القبلة، فصلوا، فاستبان لهم أنهم لم يصيبوا، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذٰلك، فنزلت هذه الآية. (معالم ١/ ١٤٠).

أمر الدين ﴿ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ الذي هدانا ﴿ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ ﴾ قوماً ﴿ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ بالوحي ﴿ مَا لَكَ مِنَ ﴾ عذاب ﴿ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ ينصرك ويمنعك من العذاب لقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ [يونس: ١٠٧] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[1] الموصول مبتدأ ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ أي يقرؤونه بالخضوع والخشوع، ويتدبرون آياته، لقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩] المضارع حال مقدرة، هم المسلمون ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ خبر المبتدأ، والحصر للكمال لا للحقيقة لقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾[2] [آل عمران: ١٠٤] ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ في الآخرة لخسران عاقبتهم، لقوله تعالى: ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٨، ٢٩]

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ قد مر ذكرها ﴿ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ ﴾ أي نفس ﴿ عَن نَّفْسٍ ﴾ أيّ نفس ﴿ شَيْـًٔا ﴾ أي شيء ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ بدل ماليّ ﴿ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ بغير إذن الله لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النبأ: ٣٨] ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ من دون الله. ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ أي أمره بأحكام عديدة، مثل قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [البقرة: ١٣١] ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ كما أمر ﴿ قَالَ ﴾ الله ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ يأتم الناس بك، لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النحل: ١٢٣] ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم عليه السلام: اجعل يارب ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ أيضاً ﴿ قَالَ ﴾ الله ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ أي لا أجعل المشرك محلًّا للنبوة، لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ ﴾ حسب التماس إبراهيم كما سيأتي ﴿ مَثَابَةً ﴾ مرجعا ﴿ لِّلنَّاسِ ﴾

---

(١) قال ابن عباس: نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر، وكانوا أربعين رجلًا: اثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من رهبان الشام، منهم بحيرا (معالم ١/ ١٤٤).

(٢) لأن الآية الكريمة تدل على كون فرقة من المسلمين داعية، لا كلهم، فافهم (منه).

للحج بقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج: ٢٧] ﴿وَأَمْنًا﴾ أي ذا أمن ﴿و﴾ أمرنا الناس ﴿ٱتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ أي صلوا عنده كما صلى ﴿وَعَهِدْنَآ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ من الأصنام وغيرها ومن كل ما يعبد من دون الله، كما قال إبراهيم في دعائه: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥] وقوله تعالى حاكيا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩] ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ حول البيت ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ للتعبّد ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ أي المصلين ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ يأمن فيه الناس من الإغارات وغيرها، لقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [العنكبوت: ٦٧] ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ﴾ بدل من أهله ﴿ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ فهم عليه السلام من جواب الله السابق: لعل الرزق مخصوص بالمؤمنين، وهو ليس كذلك، لقوله تعالىٰ: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ﴾ [الإسراء: ٢٠] ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ في الدنيا حسب مقتضى التربية، لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: ١] ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ﴾ بعد الموت ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ ﴿و﴾ اذكروا ﴿إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ أقوالنا ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ بإخلاصنا ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ منقادَيْن لكَ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أركان الحج، لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٠٠] ﴿وَتُبْ﴾ تَوَجَّهْ ﴿عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ﴾ بأثر الصحبة ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ فقد أجاب الله تعالىٰ بإرسال حبيبه محمد ﷺ. لقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ

﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي لا يرغب عنها ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ﴾ أي أجهل ﴿نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ هذا علة لسفه المعرض عن ملته عليه السلام، اذكروا ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا﴾ بالملة الحنيفية ﴿إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ أي دوموا على الانقياد لله تعالى، لا يأتي عليكم زمان ما إلا وأنتم منقادون لله تعالى، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] ﴿أَمْ كُنتُمْ﴾ أيها اليهود ﴿شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا﴾ جميعاً ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ بدل من «إلٰهك»، رفعاً لتوهم التعدد من تعدد المضاف إليه ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ لا لغيره ﴿تِلْكَ﴾ الرسل التي ذكرت ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ مضت في وقتها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ المقصود العكس أي لا يسألون عما تعملون أيها اليهود، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة: ١١٩] ﴿وَقَالُوا﴾ اليهود والنصارى ﴿كُونُوا﴾ أيها المسلمون ﴿هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ نشر على ترتيب اللف، أي قالت اليهود: كونوا هوداً، وقالت النصارىٰ: كونوا نصارىٰ، لثبوت التباغض بينهم، لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣] ﴿تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ﴾ اخترنا ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ حال من المضاف إليه ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ كما أنتم ﴿قُولُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ من القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ من صحف أولاد يعقوب ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ حال كونهما في الدنيا لا ما نسب إليهما مما يسمىٰ بالتوراة والإنجيل المشتملين على ولادتهما ومماتهما، بل وما وقع بعدهما ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾ أي لله وحده ﴿مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ﴾ مثل زائدة، لقوله تعالىٰ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣] ﴿فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا﴾

أي أعرضوا عنه ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ مخالفة الحق ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ وحده ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ يسمع أقوالهم، ويعلم أحوالهم، لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾ [طه: ٧] قولوا: اخترنا ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[1] لا كمثلكم، تعبدون الله مرة والمسيح وعزيرًا أخرىٰ. ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ وثمرة الإخلاص للمخلص أيّاً ما كان، لا كما زعمتم: نحن أبناء الله وأحباؤه، من دون الناس ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ أيها اليهود والنصارى.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ نشر على ترتيب اللف ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ لا شك أن الله أعلم، وهو أخبرنا بمذهبه أنه كان موحِّداً مخلصاً لله، لقوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧] وقد أدخلتم في مذهبكم ما ليس في دين إبراهيم عليه السلام، لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ من أن إبراهيم كان موحِّداً خالصاً مخلصاً لله ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ﴾ غير مطلع ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾ فيجازيكم أعمالكم ﴿تِلْكَ﴾ الرسل ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ مضت في أوقاتها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾.

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ﴾[2] أي المسلمين ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ أي بيت المقدس ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي الجهات كلها ﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ ما فيه من المصلحة والحكمة، وهو قبلة إبراهيم ـ عليه السلام ـ

---

(١) قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن النصارى إذا وُلِدَ لهم وَلَدٌ فأتت عليه سبعة أيام غمسوه في ماء أصفر، وصبغوه به ليطهروه بذلك الماء، مكان الختان، فإذا فعلوا ذلك، قالوا: الآن صار نصرانيًّا حقًا فأخبر الله أن دينه الإسلام، لا ما يفعله النصارى. (معالم ١/ ١٥٧).

(٢) كان النبي ﷺ والمسلمون يصلون إلى بيت المقدس اتباعاً للأنبياء لقوله تعالىٰ: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] وكان النبي عليه السلام يحب التولي إلى الكعبة، فنزلت تمهيداً للحكم الآتي (منه).

لقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥] ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ معتدلة ضابطة على أهواء النفوس، لقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ يوم القيامة، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [النحل: ٨٩] أو في الدنيا بالحكومة، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [النور: ٥٥] ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ ﴾ أي بيت المقدس، لقوله تعالىٰ: ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾ [البقرة: ١٤٢] ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ نميز ﴿ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ أي يرتد عن التعميل ﴿ وَإِن كَانَتْ ﴾ القبلة أي التولي إليها ﴿ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ لأنهم يعلمون ﴿ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٧٣] ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ أي ثباتكم على الإيمان، لقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [النساء: ١٣٦] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾.

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ متعلق بالتقلب ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ ﴾ في الصلاة ﴿ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ أي نحو الكعبة ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ ﴾ أيها المسلمون ﴿ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ في الصلاة ﴿ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ﴾ التولي إلى المسجد الحرام ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ ﴾ لما في كتبهم من التصريحات والإشارات إلىٰ خروج النبي الصادق من مكة المكرمة زادها الله شرفاً وتعظيماً كما في التوراة الموجودة عندهم[1] ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟

---

(١) فهذه البركة التي بها بارك موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته، وقال جاء الرب من سينا وأشرق لنا من ساعير، استعلن من جبل فاران (مكة المكرمة) ومعه ألوف ﷺ الأطهار في يمينه سنة من نار إلخ (الباب الثالث والثلاثون من الكتاب الخامس من التوراة المطبوعة في لندن عام ١٨٥٧م) وفي كتاب حبقوق النبي «الله يأتي من التيمن والقدوس من جبل فاران ستر مجده السموات، والأرض ممتلئة من حمده. شعاعه يكون مثل النور بيده القرون هنالك مختفية. جبروته قدام وجهه يسير الموت ويخرج إبليس أمام قدميه. وقف ومسح الأرض نظر وأرخى الأمم وانسحقت جبال العالم انحنت آكام الدنيا من مساير أزليته إلخ (الباب الثالث من كتاب حبقوق) فهذه وأمثالها إشارات إلى ظهور خاتم =

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ وكفروا عناداً ﴿بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾ التي أمرتهم بالتولي إليها ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ بغير أمر الله ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ لما أن اليهود يتوجهون إلى بيت المقدس والنصارى لا يلتزمون جهةً ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ «مِنْ» بيانية ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ أي التحول إلى الكعبة كما يعرفون أبناءَهم أنهم أبناؤهم بلا تردد لما في كتبهم كما مر ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ أنهم مبطلون في الكتمان ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ الشاكين.

﴿وَلِكُلٍّ﴾ من أمتك ﴿وِجْهَةٌ﴾ من الكعبة ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ يتوجه إليها يريد عَزَّ من قائل إن الإسلام ينتشر في أطراف الكعبة كلها، وإن المسلمين يصلون إن شاء الله تعالىٰ إلى كل جهة منها كما وقع، فالحمد لله، لقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنبياء: ٤٤] فهذا تسلية للنبي ﷺ وأصحابه ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ بتعجيل التعميل، تفريع على التسلي ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟﴾ من الأرض ﴿يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي يجمعكم أيام الحج، لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج: ٢٧] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾ فهو سبحانه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾﴾ من الحسن والقبح ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ أنت يا رسول الله ﴿فَوَلِّ

= الأنبياء محمد المصطفى ﷺ (منه).

(*) قد وقع في الترجمة الهندية للتوراة في هذا المقام ما تعريبه «عشرة آلاف قدوسية» وهو إشارة إلى خروج النبي ﷺ يوم فتح مكة المكرمة زادها الله شرفا وإكراما كما ورد في الأخبار الصحاح أنه كان معه عليه السلام يومئذ عشرة آلاف من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فلهذا الوجه حذف النصارى هذا اللفظ في الترجمة العربية المطبوعة في أوكسفورد عام ١٨٨٩م فعبارتها هكذا. وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم، فحذفوا «لفظ عشرة ألاف» ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]. (منه)

﴿وَجْهَكَ﴾ عند الصلاة ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾ أيها المسلمون تأكيد للأمر المذكور ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ عذر واعتراض في مخالفة القول عملكم، لقوله تعالىٰ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٣] ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ أي المعاندين المستثنى منقطع ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ بالفتوحات ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٠﴾ الترجي راجع إلى المخاطب أي وارجوا هداية كاملة موصلة إلى الله سأتم نعمتي عليكم ﴿كَمَا﴾ أتممناها عليكم بإرسال الرسول فإنّا ﴿أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۝١٥١﴾ من أمر الدين، لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢] ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ بالإفضال ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ۝١٥٢﴾ بكفران هذه النعمة أي إرسال محمد ﷺ لقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ الله على المصائب ﴿بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ أي بالتبتل إلى الله، لقوله تعالىٰ: ﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمل: ٩] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝١٥٣﴾ بمزيد العناية، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزمر: ١٠] ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾[1] وإن كانت أرواحهم فارقت أجسادهم ﴿بَل أَحْيَاءٌ﴾ يرزقون ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٧٠﴾ [آل عمران: ١٧٠] ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ۝١٥٤﴾ كيف حياتهم فلا تقيسوا حياتهم على حياتكم، فلا تقولوا: هم أحياء كأحيائنا ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أيها المسلمون نجعلكم مبتلين ﴿بِشَيْءٍ﴾ يسير ﴿مِّنَ الْخَوْفِ﴾ من الأعداء ﴿وَالْجُوعِ﴾ بضيق المعاش ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ بالسَّنَةِ وغيرها ﴿وَالْأَنفُسِ﴾ بالأمراض وغيرها ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ أي بنقص الثمرات، لقوله تعالىٰ:

---

(١) نزلت في قتلى بدر من المسلمين كانوا أربعة عشر رجلًا، كان الناس يقولون لمن يقتل في سبيل الله: مات فلان. وذهب عنه نعيم الدنيا، فنزلت هذه الآية (معالم ١/١٦٨). أقول: الحكمة في هذا النهي أن المؤمنين إذ كانوا يسمعون قتل أولادهم وإخوانهم وهنوا في الجهاد، فمنع الله عن هذا القول كيلا يهنوا ولا يتكاسلوا في الجهاد (منه).

﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٤] ﴿ وَبَشِّرِ ﴾ مِنّا ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ هم الذين يقولون: ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا لقوله تعالىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ حق الهداية ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[1] مكبراً ومهلّلاً ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ فيجازيه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ السماوي ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ ﴾ ما كتموا ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ حال من ضمير مَاتُوا أي كافرين ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ يمهلون للاعتذار، لقوله تعالىٰ: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦] ولأنه ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الرحمن: ٤١] ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ أي تعاقبهما على نسق واحد، لقوله تعالىٰ: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: ٤٠] ﴿ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ من أسباب التجارة والمحاربة وغيرها ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ أي ينزل ﴿ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي السحاب لما

---

(١) **سبب نزول هذه الآية**: أنه كان على الصفا والمروة صنمان، وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيماً للصنمين، فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كان المسلمون يتحرجون عن السعي بين الصفا والمروة لأجل الصنمين، فأذن الله فيه (معالم ١/ ١٧٣).

مر في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [البقرة: ٢٢] ﴿مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا﴾ يحيي ﴿بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي يظهر نضارتها بعد يبسها، لقوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥﴾ [الحج: ٥] ﴿وَبَثَّ﴾ نشر ﴿فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ ذي حياة، ﴿و﴾ ﴿تَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ شرقاً وغرباً يميناً وشمالاً ﴿وَ﴾ في ﴿ٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لإنزال المطر ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ على وجود صانع العالم ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٦٤﴾ أي يريدون أن يفهموا لا لمن هم كالأنعام، بل أضل، ولا يكادون يفقهون حديثاً من الملاحدة المنكرين للصانع، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن﴾ يقر بالصانع المعبود ومع ذٰلك ﴿يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ هذا هو شركهم، واتخاذهم غير الله معبوداً ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ أي لا يحبون غيره سبحانه كحبه لما يرون من نعمائه عليهم، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[1] [النحل: ٥٣] ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ أي إن رأى الظالمون بالشرك وقت عذابهم لعلموا[2] ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ﴾ أي الاختيار ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ لا لغيره من معبوداتهم ﴿وَ﴾ علموا أيضاً ﴿أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ۝١٦٥﴾ على العصاة من الكافرين والمشركين لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [السجدة: ٢٠] ﴿إِذْ﴾ بدل من «إِذْ يَرَوْنَ» ﴿تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ خلاف الرسول أي المتبوعون الضالون ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ كلهم ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ۝١٦٦﴾ أي التعلقات فيما بينهم، لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ [الزخرف: ٦٧] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ في جوابهم ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجوعاً إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ فيها ﴿كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾ اليوم. والحال أنا أطعناهم ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ۝٦٨﴾ [الأحزاب: ٦٧، ٦٨] والجزاء الجزاء الأوّل ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ

---

(١) لأن النعمة موجبة للمحبة.

(٢) إشارة إلى حذف الجزاء المقصود منه إظهار استمرار الإنزال.

﴿حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۗ﴾ ندامات حال من المفعول الثاني ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [البينة: ٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ من تحليل الحرام وتحريم الحلال لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [المائدة: ٨٧، ٨٨] ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ خلاف الشريعة ﴿وَٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ الزنا ومثله، لقوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤] ﴿وَ﴾ يأمركم ﴿أَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ من اتخاذ الشريك والولد، لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ﴾ [لقمان: ١٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ أي المشركين ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في القرآن ﴿قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ أيتبعون آباءهم ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ سواء السبيل ﴿وَ﴾ لذلك ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أشركوا في دعائهم غير الله ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ﴾ يصوّت ﴿بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ﴾ أي يدعون من لا يستجيب لهم، لقوله تعالىٰ: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: ١٤] هذا حال المدعوين، وحال الداعين، أنهم في الحقيقة ﴿صُمُّۢ﴾ عن سماع الحق ﴿بُكۡمٌ﴾ عن نطق الحق ﴿عُمۡيٞ﴾ عن رؤية الحق ﴿فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ ولا تحرموها من عند أنفسكم، لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٧] ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ﴾ على تحليلها ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ﴾ المسفوح، لقوله تعالىٰ: ﴿أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥] ﴿وَلَحۡمَ

﴿ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ أي عُين تقرباً إلى غير الله، لقوله تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ إلى ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾[1] [المائدة: ٣] وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُهِلَّ﴾ الآية. وقول الكروس بن زيد:

أهل به لما استهل بصوته حسان الوجوه لينات الأنامل

فمعنى الإهلال: رفع الصوت، ثم رفع الصوت في محل التقرب ليس بضروري، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ ألجأه الجوع ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ غير مبتغ حراماً ﴿وَلَا عَادٍ﴾ غير معتد قدر سد الرمق، أي من ألجأته الضرورة إلى أكل الحرام وليس عادته الفسوق والاعتداء في الأكل، لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ٣] ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ بسلب الإثم عن فعله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي يأخذون شيئاً من حطام الدنيا، وإن كان كثيراً، فهو قليل، لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بل يطردهم، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الذنوب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾ أي تركوا الهدى والمغفرة وأخذوا الضلالة والعذاب طوعاً ورغبة ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ أي شيء جعلهم صابرين عليها صيغة للتعجب ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي خالفوا ما في الكتاب قصداً وعمداً، استحصالاً للمنافع الدنيوية ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾ أي يخالفون مراد الله مخالفة بعيدة عن الحق.

---

(١) فيه إشارة إلى أنه لو قيل: إن ما أهل به لغير الله، معناها ما ذبح على اسم غير الله، كما وقع في بعض التفاسير، لكان قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ مستدركاً، وأيضاً كان لفظ «ما» خاصًّا بذوات الأرواح، مع أنه عام، فما قلنا ليس فيه تخصيص بلا مخصص، ولا مستدركاً. قال الإمام الرازي: قال العلماء: لو أن مسلماً ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتدًّا ذبيحته ذبيحة مرتد (المجلد الثاني من التفسير الكبير ص ١٩٢).

﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾[1] أي ليس التولي إلى المشرق والمغرب مقصودًا أصليًا ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ ﴾ أي البارُّ ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ أي ﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [البقرة: ١١٢] ﴿ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ أي مع حب المال، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩] يؤتي المال من زكاة أو غير زكاة ﴿ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ﴾ فك ﴿ ٱلرِّقَابِ ﴾ إحساناً ﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ كما أمره الله بقوله: ﴿ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ ﴾ [الحج: ٧٧] وقال عليه السلام: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**» الحديث[2] ﴿ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ كما أمره الله سبحانه، تخصيص بعد تعميم، لما أن إيتاء المال المتقدم عام فرضاً كان أو نفلًا، وهذا خاص في الفرض ﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ ﴾ معطوف علىٰ «مَنْ» ﴿ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ﴾ عهداً أجازه الشرع ﴿ وَ ﴾ أخص منهم بالمدح ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ أي الفقر والمرض ﴿ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾ أي القتال بالكافرين، لقوله تعالىٰ: ﴿ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ [النمل: ٣٣] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ﴾ في دعوى الإيمان ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ الموعودون بقوله تعالىٰ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [البقرة: ٥].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ﴾[3] أبيح لكم ﴿ ٱلْقِصَاصُ فِى ﴾ حق ﴿ ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ ﴾ إن قتله ﴿ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ ﴾ إن قتله ﴿ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ ﴾ إن قتلتها ﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ ﴾

---

(١) عندي أن هذه الآية نزلت لتنبيه المصلين الغافلين في صلاتهم الذين كان حظهم في الصلاة التولي إلى الكعبة فقط لا غير، لقوله تعالىٰ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الماعون: ٤، ٥] رزقنا الله الخشوع والخضوع في الصلاة (منه).

(٢) رواه البخاري في الأذان، باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة رقم (٦٣١) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

(٣) نزلت هذه الآية في حيين من أحياء العرب. وكان لأحد الحيين على الآخر طول في الكثرة والشرف، وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهور، فأقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم، وبالمرأة منا الرجل منهم، وبالرجل منا الرجلين منهم، وبالرجلين منا أربعة رجال منهم. وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات أولئك. فرفعوا أمرهم إلى النبي ﷺ، فأنزل الله هذه الآية وأمر بالمساواة فرضوا وأسلموا (معالم ١/ ١٨٩).

أي وارث المقتول ﴿شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌ﴾ أي فيجب على القاتل اتباع ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ﴾ ما بقي ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾ لا بالطعن ولا باللعان ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ الحد المقرر من الله ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أيًّا مّا كان ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ﴾ أي عوض القتل بحكم الحاكم ﴿حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ القتل لخوف القود.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ في الحضر أو في السفر ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي بالشرع، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢] ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ حقًّا مصدر، أي حق هذا الحكم حقًّا، أي يجب على الميت أن يوصي أولياءه أن يقسموا فيما بينهم حسب ما آتاهم الله في قوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [النساء: ١١]. لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١] ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ﴾ أي خالف تقسيم الشريعة ﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ لا على الميت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ أقوالكم ﴿عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾ بأحوالكم ﴿فَمَنْ خَافَ﴾ علم ﴿مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾ ظلماً بإتلاف حق أحد ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ معصية بأن يوصي في معصية الله ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ على وفق الشرع ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾ يدفع الذنب عن هذا المصلح لحسن نيته، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من اليهود والنصارى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ أي لكي تصيروا معتادين للتقوىٰ، الرجاء راجع إلى المخاطب ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ هي رمضان، كما سيأتي بعد ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أي من كان مريضاً فأفطر فعليه أن يتم عدة أيام الإفطار ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ أي يستطيعون الصيام وإن كان بالكلفة والمشقة مثل الشيخ الفاني وغيره، ولم يصوموا، فعليهم ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ لوقت واحد ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ أي من فعل الخير زائداً على المفروض،

فهو له، كقوله تعالىٰ: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٦ والجاثية: ١٥] ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي صومكم خير لكم في حالة المشقة أيضاً لما فيه إصلاح النفس ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ مصلحة الصيام، وإن تسألوا عن زمان الصيام فهو ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ أي أنزل في فرضية صيامه حكم القرآن لتفريع[1] قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] كما سيأتي ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ أي فصل الخطاب حالات مترادفة من القرآن ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ كائناً من كان ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ أمركم بالقضاء ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ هذه النعمة.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى﴾[2] أحكامي ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِى﴾ إيماناً صحيحاً ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ يهتدون.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾[3] أي أبيح لكم ابتداءً لا بعد المنع، كقوله تعالىٰ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [المائدة: ١] ﴿لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾ أي الوصول بالجماع ﴿إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ أي بينكم ملازمة وملابسة لا ينفك أحدكما عن الآخر لقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١] ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ أي تنقصون حظوظ أنفسكم بالمجانبة عن النساء، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٧] أي يحرجون أنفسهم ﴿فَتَابَ

---

(١) لأن هذا التفريع على الإنزال، فلو كان المراد الإنزال إلى السماء لما صح التفريع. فافهم (منه).

(٢) سأل بعض الصحابة النبي ﷺ فقالوا: أقريب ربنا فنناجيه؟ أم بعيد فنناديه فأنزل الله هذه الآية (معالم ١/ ٢٠٤).

(٣) قال البراء: لما نزل صوم رمضان، كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ﴾ الآية (البخاري ٤٥٠٨ ومعالم ١/ ٢٠٧).
أقول: ليس في القرآن آية. وما ورد حديث مرفوع بمنع الأكل والجماع ليالي رمضان، بل قال الله تعالى في أول الأمر: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧] لعلهم التزموا هذا من عند أنفسهم، كما التزموا الوصال في الصيام، فافهم (منه).

﴿عَلَيْكُمْ﴾ توجه عليكم حيث صرح لكم بإجازة الرفث ليلة الصيام[١] لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [القصص: ٥٩] ﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾ شدتكم علىٰ أنفسكم من غير إيجاب الله تعالىٰ عليكم، لقوله تعالىٰ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧] ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾ جامعوهن ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ من الأولاد ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ بيان للخيط الأبيض، أي يتبين لكم الفجر مثل الخيط ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى﴾ إقبال ﴿ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ الجملة حال أي عاكفين ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ بالتعدي ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ أي يصيروا متقين بمباشرة الأحكام ومجانبة النواهي ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ لا ﴿تُدْلُوا۟ بِهَآ﴾ أي الأموال رشوة أو مخاصمة ﴿إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ أنه ليس لكم فيها من حق.

﴿﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ لِمَ تزيد أو تنقص؟ ﴿قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ لأوقات الناس لقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥] ﴿وَ﴾ هي مواقيت لأجل ﴿ٱلْحَجِّ﴾ أيضاً لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾[٢] البار ﴿مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ المحارم ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾

---

(١) دليل على أن ما لم يبين الشرع فيه أمراً فهو معفو لقوله عليه السلام: «**ذروني ما تركتكم...**» (الحديث)(*) فلما لم ترد آية ولا حديث مرفوع بمنع الوقاع ليالي الصيام، فكيف يكون معنى الآية: أبيح لكم الرفث بعد المنع فافهم (منه).

(*) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٣٣٧) في الحج، باب فرض الحج مرة في العمر ورقم (١٣٣٧) في الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله، والنسائي (٥/ ١١٠) في مناسك الحج، باب وجوب الحج من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كان الناس في الجاهلية إذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة لا يدخل حائطا ولا بيتا ولا دارا من بابه، فإن كان من أهل المدر نقب نقباً في ظهر بيته ليدخل منه ويخرج، أو يتخذ سلمًا فيصعد منه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط، ولا =

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ أي راجين الفلاح ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ الحدود المقررة في القتال من السلم وغيرها، لقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٦١] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ﴾ في القتال ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْۚ﴾ من مكة إن لم يصطلحوا، لقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١] ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ أي مكرهم الليل والنهار في إيذاء المسلمين، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [البروج: ١٠] ﴿أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِۗ﴾ لما يتأذى المسلمون منهم كل يوم، بل كل وقت، لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةًۚ﴾ [التوبة: ١٠] ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾ من الشرك والكفر أي أسلموا لقوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنفال: ٣٨] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾﴾ يغفر لهم، لقوله تعالىٰ: ﴿إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم﴾ [الأنفال: ٣٨] ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ فساد ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ أي يكون القانون السياسي كله قانون الإسلام، لقوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [يوسف: ٧٦] ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾ عن الفتنة والفساد لقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٦١] ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ الناقضين العهد ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي المقاتلة يجوز بمقابلة المقاتلة في الشهر الحرام من الكفار، لا ابتداءً، لقوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌۖ﴾ [البقرة: ٢١٧] أي إن بدؤوكم بالقتال في الشهر الحرام فقاتلوهم أنتم أيضا، وإلا فلا، كما سيأتي من قوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٤] ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ﴾ عموماً ﴿قِصَاصٌۚ﴾ بمنزلة التعليل أي إن هتكوا حرمتكم بالقتال في الشهر الحرام فاقتصوا منهم كمثله، كما صرح بقوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ فيها ﴿فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ

= يدخل ولا يخرج من الباب، حتى يحل من إحرامه، ويرون ذٰلك برًّا فأنزل الله: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ الاية (معالم ١/ ٢١٢).

﴿مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في التعدي ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ إياه.

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عموماً وفي الجهاد خصوصاً ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾ أي أنفسكم، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] أي كسبتم ﴿إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ الهلاك أي بإمساك المال وبإيصال الجسم في معرض الخطر، لقوله تعالىٰ: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩] ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟﴾ إلى الناس بالإنفاق وقضاء الحاجات والقول الميسور ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ بعد الإحرام، بأن لا تستطيعوا الوصول إلى الكعبة، بمرض أو عدو أو غيرهما ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ﴾ أي فيجب عليكم ما استيسر لكم ﴿مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾ أن تذبحوها ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ﴾ أي لا تحلوا من الإحرام في الإحصار ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ أي موضع نزوله الحرم إن أمكن، لقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ [الحج: ٣٣] وإلا فحيث أمكن لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ مرضاً محوجاً إلى الحلق ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ فاحتاج إلى الحلق ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ أي فيجب عليه فدية عوض ﴿مِّن صِيَامٍ﴾ ثلاثة أيام ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ ثلاثة أصْوُع يتصدق بها على ستة مساكين ببيان السنة ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾ ذبيحة ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ من الإحصار ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ أي مع الحج، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢] أي مع أموالكم. أي أدّى الحج والعمرة في سفر واحد ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ﴾ فيجب عليه ما استيسر ﴿مِنَ ٱلْهَدْىِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى﴾ أيام ﴿ٱلْحَجِّ﴾ في منى ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أوطانكم، لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾[1] [التوبة: ٨٣] وقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٣] أو إلى مكة، لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾[2] [البقرة: ١٩٨] ﴿تِلْكَ﴾ الأيام ﴿عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ﴾ الحكم أي لزوم دم التمتع لا التمتع، لقوله تعالىٰ:

---

(١) فيه إشارة إلى أن الرجوع يطلق على العود، لا على الفراغ كما قيل، فافهم (منه).

(٢) الإفاضة والرجوع واحد فافهم (منه).

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[1] [آل عمران: ٩٧] ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي لا يكون هو وأهله ساكني مكة المكرمة، زادها الله شرفاً وإكراماً، لقوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾.

﴿ٱلْحَجُّ﴾ أي وقت إحرام الحج ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ هي شوال وذو القعدة وثمانية ذي الحجة ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ أي أحرم له ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ أي لا يجوز الوصول إلى النساء بالوقاع، لقوله تعالىٰ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ أي عصيان، أيّ عصيان كان، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ مناظرة ومجادلة، لقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] لأنها وإن كانت بنية حسنة فإنها تفضي في الأكثر إلى كثرة النزاع ﴿فِى﴾ أيام ﴿ٱلْحَجِّ﴾ ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟﴾[2] للسفر ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ﴾ أي خير منافع الزاد ﴿ٱلتَّقْوَىٰ﴾ عن السؤال، يتقي المتزود السؤال لقوله تعالىٰ: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾[3] [الطلاق: ٧] ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بالتجارة في أيام الحج، ما لم تضيعوا فعلًا من أفعال الحج، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الروم: ٤٦] ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم﴾ رجعتم ﴿مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ﴾ جبل ﴿ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ على لسان رسوله ﷺ، لقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ

---

(١) فيه إشارة إلى أن وجوب الحج بأقسامه مساوٍ على الناس كلهم، فما المخرج للمكي عن بعض أقسامه فافهم (منه).

(٢) نزلت في أناس من أهل اليمن، كانوا يخرجون إلى الحج بغير زاد ويقولون: نحن نحج بيت الله فلا يطعمنا؟! فإذا قدموا مكة سألوا الناس. (معالم ١/ ٢٢٨).

(٣) إشارة إلى أن ذا المال مأمور بالإنفاق، فليس من شأنه السؤال (منه).

﴿كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١] ﴿وَإِن كُنتُم﴾ أي وإنكم كنتم ﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ أي قبل التعليم ﴿لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢] ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا﴾ أي ارجعوا ياقريش والمسلمون ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ أي العرب كلهم سوى قريش[1] من عرفة ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ لذنوبكم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ أعمال الحج ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[2] أو للتنويع أي على حسب الفرصة ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا﴾ حظنا ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ فقط ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾ نصيب، فلا تكونوا مثلهم ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ نعمة بالعافية والسلامة ونيل المرام في كل مرام، لقوله تعالىٰ: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠] ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ فكونوا مثلهم ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الفريقان ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ أي تمنوا ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ أي سريع المجازاة في الدنيا إن شاء، والآخرة، لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا[3] حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾﴾ [الطلاق: ٨].

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ هي ثلاثة أيام منىٰ في الحج ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ﴾ حتى ختم الثلاث ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ أي يكون تأخيره وتعجيله لا لغرض فاسد بل لامتثال الحكم لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٩-٢١] ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ فيجازيكم حسب إخلاصكم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن

---

(١) كانت قريش ترجع من المزدلفة فأمرت بتوافق سائر الناس (منه).

(٢) ذلك أن العرب كانت إذا فرغت من الحج وقفت عند البيت فذكرت مفاخر آبائهم فأمرهم الله بذكره (معالم ١/ ٢٣١).

(٣) أي في الدنيا (منه).

﴿يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ لا يعجبك في الآخرة، لأنه في الآخرة تظهر حاله لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤] وقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾ [الطارق: ٩، ١٠] ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾ أي يقول: والله إن حبكم في قلبي أشد مما أظهره، لقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ شديد الخصومة لكم ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ الفساد خلاف النظام، والنظام تنظيم القوم على أمر جامع لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ حملته الحمية والغرور على الإثم، أي يستنكف أن يتعظ بكلام الأدنى درجة منه، يقولون: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ [الأنعام: ٥٣] ﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ مفعول له، أي يشغل نفسه في طاعة الله طلباً لرضاه ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ حال من السلم أي انقادوا لأحكام الإسلام كلها ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بالعصيان للرحمن ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم﴾ عصيتم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ فيجازيكم بما تستحقونه ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي الكفار ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الفرقان: ٢١] ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ المتنازع فيه بين المسلمين والكفار من إهلاك الكفرة ونصر المؤمنين ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ كلها، لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٤٢].

﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ معجزات واضحات، لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٢-١٤] ﴿وَمَن يُبَدِّلْ﴾ يكفر ﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾ فيجازيهم بما يستحقونه كما أجاز أمثالهم من قبل لقوله تعالىٰ: ﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨] ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بقولهم: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾ [الأنعام: ٥٣] وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المطففين: ٢٩ـ٣٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ المنهيات الشرعية ﴿فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين: ٣٤ـ٣٦] ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢١٢﴾﴾ أي ليس فيه دليل لحقية مذهب صاحب المال، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزخرف: ٣٣ـ٣٥].

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ على دين الإسلام والتوحيد، فاختلفوا، فثبت بعضهم على التوحيد والإسلام وكفر بعضهم، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يونس: ١٩] ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ﴾ بالجنة على الحسنات ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالنار على السيئات. حال مقدرة من النبيين ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ﴾ الله أو الكتاب والمآل واحد ﴿بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ المتخاصمين ﴿فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾ من أمر الدين والعجب أنه ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ﴾ أي في الكتاب المنزل السماوي في هذا الزمان ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي الذين أنزل عليهم الكتاب السماوي من اليهود والنصارى ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ أي الدلائل الواضحات، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ [البينة: ٤] ﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾ أي حسداً من عند أنفسهم وتعالياً على الأنبياء عليهم السلام، لقوله تعالىٰ: ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ

﴿أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [هود: ٢٧] ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي المسلمين ﴿لِمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ بيان لما ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بتوفيقه ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٧].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾[1] أجيبوا من قبل الله ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا أَن يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي المسلمون ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ كائناً ما كان، من مال، أو حسن معاشرة، لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾ [الزلزلة: ٧] ﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ عمل صالح خالص لله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ فيجازيكم به ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ أيها المسلمون ﴿ٱلْقِتَالُ﴾ مع الكفار ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ أي أنتم تكرهون ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا﴾ لضعف الطبيعة ونقصان العلم ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في المآل ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ في الآخرة ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ مصلحتكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾[2] أي المسلمون أو الكفار ﴿عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدل من الشهر الحرام ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ﴾ إثم ﴿كَبِيرٌ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦] ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ ﴿وَ﴾ صد عن ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي إخراج الرسول

---

(١) نزلت هذه الآية في غزوة الخندق أو في أحد حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وأنواع الأذى (معالم ١/ ٢٤٤، ٢٤٥).

(٢) نزلت في سرية قاتلوا المشركين أول رجب، وهم يظنون أنه من جمادى، فعيرهم المشركون وقالوا: إن محمداً استحل الشهر الحرام (جامع البيان ٢/ ٣٦١، ٣٦٢).

والمؤمنين من المسجد الحرام أعظم إثماً من القتال في الشهر الحرام، كما يفعله المشركون، لقوله تعالىٰ: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [الممتحنة: ١] ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ التي يفتنون المؤمنين بها من أنواع التكاليف، لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠] ﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾ أي الإسلام ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾[1] أي في حال الكفر ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الصالحة ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي لا يستحقون بها المدح في الدنيا، ولا في الآخرة لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [البينة: ٦] ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٦٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي المهاجرين كلهم، لقوله تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨﴾ [الحشر: ٨] كأبي بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذي النورين وعلي المرتضى رضي الله عنهم أجمعين ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢١٨﴾ يغفر لهم ويرحمهم، لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ﴾ [النجم: ٣٢].

﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ﴾ ما حكمهما؟ ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ بالتجارة وغيرها ﴿وَ﴾ لكن ﴿إِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ أي ينبغي للمؤمن أن لا يتعاطاهما، لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أي أيّ قدر ينفقون؟ ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي الزائد عن الحاجة بيّنته السنة، بربع العشر بعد حولان الحول على النصاب المقرر، لقوله

---

(١) والتقييد بالموت يفيد أنه لو رجع إلى الإسلام لم يبطل عمله فيثاب عليه (جلالين ص ٣٤) والواجب حمل ما أطلقه من الآيات في غير هذا الموضع على ما في هذه الآية من التقييد (فتح البيان ١/ ٤٣٧).

تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤] ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى﴾ أمر ﴿ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ فتأخذوا الأصلح لكم ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾[1] ما يفعلون بهم ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ﴾ بأي وجه كان ﴿خَيْرٌ﴾ لكم ولهم ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾ بحسن النيات ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ أي فلا حرج عليكم، فإنهم إخوانكم في الدين ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ﴾ متميزا ﴿مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ أي لا يخفى عليه خافية، لقوله تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ لشق عليكم بتحريم المخالطة، لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: ٧] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يمنعه مانع ﴿حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ يفعل بالحكمة ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ المشركة بجمالها أو مالها أو حسبها ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟﴾ بناتكم ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وإن كان أحد يدَّعي الإيمان باللسان، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦] ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾ إيماناً صحيحاً ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ بحسنه أو ماله أو حسبه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ المشركون ﴿يَدْعُونَ﴾ متعلقيهم ﴿إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟﴾ عباده ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ﴾ أي بتوفيقه ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أحكامه ﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾ يتعظون.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ أي ما يفعلون بالنساء زمن الحيض ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ شيء مكروه للطبائع، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦] ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ أي لا تجامعوهن في أيام الحيض ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ بالوقاع ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ عن الدم، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ اغتسلن ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي في القبل، لقوله تعالىٰ:

---

(١) قال ابن عباس وقتادة: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢] تحرج المسلمون تحرجاً شديداً، حتى عزلوا أموال اليتامى عن أموالهم حتى كان يصنع لليتيم طعام فيفضل منه شيء فيتركونه حتى يفسد، فاشتد ذٰلك عليهم فسألوا رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية (معالم ١/ ٢٥٤).

﴿ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ ﴾ الآية [البقرة: ٢٢٣] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ من الذنوب ﴿ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ عن الأدبار، لقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النمل: ٥٦] (أي عن أدبار الرجال) ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ أي مثل الحرث في كونهن محل زرع للولد ﴿ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ أنى بمعنى كيف، لقوله تعالىٰ: ﴿ حَرْثُكُمْ ﴾ وقول الشاعر:

عجباً لأحمد والعجائب جمة أنى يلوم على الزمان تبذلي

أي باشروهن في القبل على أي هيئة شئتم لا في الدبر، فإنه ليس محلًّا للزرع، فيفوت التشبيه ﴿ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ أعمالاً حسنة ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ بالجنة ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1] أن المصدرية بدل من الأيمان، والمعنى لا تجعلوا الله حاجزاً مانعاً من البر والتقوى والإصلاح بين الناس ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لأقوالكم ﴿ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ ﴾ بأحوالكم ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾ كقول الرجل: لا والله، بلى والله، بلا رويّة ولا قصد ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ أي حلفتم عامدين على فعله أوتركه، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾ [المائدة: ٨٩] والمؤاخذة مذكورة في قوله تعالى ﴿ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ ﴾ [المائدة: ٨٩] ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾ لا يؤاخذ على اللغو بكفارة اليمين وإن كان اللغو معصية، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ٣].

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ ﴾ يحلفون ﴿ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾ أي على ترك قربانهن خبر مقدم ﴿ تَرَبُّصُ ﴾ انتظار ﴿ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ مبتدأ ﴿ فَإِن فَآءُو ﴾ رجعوا عن قولهم، وصالحوا نساءهم

---

(١) نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه شيء فحلف عبد الله أن لا يدخل عليه ولا يصلح بينه وبين خصمه. وإذا قيل له فيه قال: قد حلفت بالله أن لا أفعل، فلا يحل لي إلا أن تبر يميني (معالم ١/ ٢٦٢).

فمعفو عنهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾ أي صمموا على الطلاق ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾ بنياتهم، فيقضي القاضي بينهما بالطلاق، لا تفارق بمضي أربعة أشهر فقط، لقوله تعالىٰ: ﴿بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ وهو مستلزم للقول، فافهم ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ أي ثلاثة أطهار، لقوله تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[1] [النحل: ١٠٣] ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ من الأولاد خشية ازدياد العدة لقوله تعالىٰ: ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤] ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ التربص إن كن مطلقات بطلقة أو بطلقتين لقوله تعالىٰ، في المطلقة ثلاثا: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠] وأَحَقُّ ليس فيه تفضيل، كقوله تعالىٰ: ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنعام: ٨١] ﴿إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾ لا غير، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟﴾ [البقرة: ٢٣١] ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي كما للرجال على النساء حقوق، كذلك للنساء على الرجال حقوق، من حسن المعاشرة، لقوله تعالىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ أي درجة الحكومة لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤] ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ في حكمه وصنعه.

﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾ الرجعي ﴿مَرَّتَانِ﴾ مرة بعد أخرىٰ ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ أي إرسالهن بالطلاق الثالث لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الأحزاب: ٢٨] ﴿وَلَا يَحِلُّ

---

(١) وقاعدة العربي أنه تذكر الأعداد من الثلاث إلى التسع على خلاف القياس، أعني إن كان التمييز مذكراً تؤنث، وإن كان مؤنثا تذكر. وهاهنا ذكرت بتاء التأنيث فثبت أن تمييزها مذكر، وهو الطهر، لأنه مذكر، والحيض مؤنث. لعل هذا هو الحق. لقوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١] وقوله عليه السلام: «**ليطلقها طاهرًا**»(*) (منه).

(*) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٩٠٨) في تفسير سورة الطلاق، ومسلم رقم (١٤٧١) (٥) في الطلاق، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

﴿لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾ مفعول به لأن تأخذوا ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾ أن يعلم الزوجان[1] ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ أحكامه المتعلقة بالزوجية لعدم الموافقة بينهما ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ علمتم أيها الحكام ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في التفريق بالطلاق من جهة الزوج وإن أصر الزوج على أخذ شيء ﴿فِيمَا ٱفْتَدَتْ﴾ المرأة ﴿بِهِۦ﴾ من المال وخلعت عن الزوج ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي الأحكام التي حكم بها عباده ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ تجاوزوها بالعصيان ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا﴾ مرة ثالثة ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ﴾ بعد الطلاق الثالث ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ﴾ المرأة ﴿زَوْجًا غَيْرَهُۥ فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الزوج الثاني برضاه ومضت العدة لقوله تعالىٰ[2] ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٥] ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾ أي على المرأة وزوجها الأول ﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ يتصالحا بينهما ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ أي أن يصطلحا بينهما بالمعروف ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ﴾ أي لفائدة قوم ﴿يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ مصلحتها لأنهم هم المنتفعون لقوله تعالىٰ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥].

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ مرة أو مرتين لا ثلاثاً لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠] ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي قاربن البلوغ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ﴾ لكن ﴿لَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ مفعولاً له ﴿لِّتَعْتَدُوا۟ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي الإمساك للضرار ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ لا غيره لقوله تعالىٰ: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦] ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي لا تحسبوا مواعيده ﴿هُزُوًا﴾ استهزاء لا وقوع لها ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بعثة الرسول فيكم لقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ عطف الجزء المخصوص على الكل، لما أن

---

(١) ومعنى الخوف العلم أيضاً (قاموس).

(٢) دليل لمضي العدة.

الحكمة جزء من الكتاب لقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ـ٣٩] ﴿يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣٢﴾﴾.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[1] أي طُلِّقتْ بناتكم أو أخواتكم طلقة أو طلقتين لا ثلاثا ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي انقضت عدتهن ثلاثة قروءٍ من غير رجوع من الزوج ثم تصالحا فأرادا أن ينكحا ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ المطلقين ﴿إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ والقيد الأول مستفاد من قوله تعالىٰ: ﴿أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ والثاني من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠] والثالث من قوله تعالىٰ: ﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ أي ترك العضل ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ أشد زكاة ﴿وَأَطْهَرُ﴾ أشد طهارة ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ كل شيء ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾ أي ليس لكم علم إلا ما علمكم الله لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾ أي مدة الرضاعة ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ أبي الولد ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ حالة الرضاعة ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ﴾ تؤمر من الله ﴿نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ بقدر طاقتها لقوله تعالىٰ: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ [الطلاق: ٧] ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾ بصيغة المعلوم أي لا تضر الزوج بطلب الزيادة على طاقته أو المجهول من جهة الزوج بمنع إرضاعها إن رضيت بالإرضاع أو نقصان النفقة ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ﴾ بالوجه الأول الزوجة وبالثاني من الزوجة ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾ جد الولد أو عمه أو غير ذلك إن لم يكن له والد بأن مات أو غاب غيبة مجهولة ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ﴾

---

(١) نزلت في أخت معقل بن يسار طلقها زوجُها فلمّا انقضت عدتها جاء يخطبها، ومعقل منع أن يتزوجها (جامع البيان ٢/ ٤٩٧-٤٩٩).

من وجوب النفقة على حسب الطاقة وغير ذلك من المراعاة ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ الزوجان ﴿فِصَالًا﴾ أي ترك الرضاعة ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ مشورة بينهما قبل تمام الحولين الكاملين ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ مراضع غير الأمهات ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم﴾ أي سميتم ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ متعلق بـ سلمتم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾.

﴿وَالَّذِينَ﴾ أي أزواج الذين ﴿يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ الموصول بل المضاف المقدر مبتدأ ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ والجملة الفعلية خبر ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي انقضت عدتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ أي لا تمنعوهن عن الزينة بغرض النكاح بعد العدة ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ بيان لما أي لا تخاطبوهن صريحا في العدة ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾ مقصودكم من النكاح ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ لما بينكم من المؤانسة لقوله تعالىٰ: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] فلذلك رخص لكم فيه ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي نكاحاً لقول امرىء القيس:

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وألا يحسن السر[1] أمثالي

﴿إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ ما عرف في الشرع وهو التعريض ﴿وَلَا تَعْزِمُوا﴾ تحكموا ﴿عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ بالعقد ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ وهو أربعة أشهر وعشر ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ من الخير والشر ﴿فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن يستغفر ﴿حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ لا يعجل العذاب.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ﴾[2] أي أعطوهن شيئاً يستفدن به ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ﴾ المعسر ﴿قَدَرُهُ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧] ﴿مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا﴾ أي حق

---

(١) أي النكاح.

(٢) نزلت في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة، ولم يسم لها مهراً، ثم طلقها قبل أن يمسها، فنزلت هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «**متعها ولو بقلنسوتك**» (معالم ١/ ٢٨٣).

هذا الحكم حقًّا ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ أي المسلمين الذين أمروا بالإحسان ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ أي فيجب عليكم نصف المسمىٰ ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ أي النساء ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ أي الزوج لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٥] كما مر آنفاً أي إن كان الزوج أدى كل المهر وقت النكاح، فأراد أن يترك حصته من النصف فله الاختيار ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟﴾ أيها الرجال ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ ترغيب للزّوج في ترك النصف الغير المستحق لها إن كان أدى كله ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾.

أيها المؤمنون لا تشاغلوا بالنساء كل الوقت فتتركوا فريضة الصلاة بل ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ أي صلاة العصر لقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾[1] [النبأ: ٩-١١] وقوله عليه السلام يوم الأحزاب: «**شغلونا عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر، ملأ الله قبورهم وأجوافهم نارا**» (متفق عليه)[2] ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ مطيعين لقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٣١] حال أي مريدين الطاعة لا الرياء والسمعة كقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] أي لا يرائي ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ العدو ﴿فَرِجَالًا﴾ أي فصلوا رجالاً ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ على أي وجه قدرتم ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي صلوا ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ أي مستقبلي الكعبة لقوله تعالىٰ: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤].

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً﴾[3] أي قد أوصوا وصية عند الموت

---

(١) وجه الاستدلال بالآية الكريمة أن الله قد جعل النوم سباتا لنا والنهار معاشا، ولا شك أن وقت النوم الليل، ولا تكليف في النوم عند الشرع والعقل. فالأمر الشرعي لا يتوجه إلا وقت التيقظ وهو النهار، فصلاة الفجر أولى الصلوات، والعشاء أخراهن، والعصر الوسطى. فافهم.

(٢) رواه البخاري (٢٩٣١، ٤١١١، ٤٥٣٣، ٦٣٩٦) ومسلم (٦٢٧).

(٣) كانت نساء أهل الجاهلية على ما في المعالم وغيره من كتب الحديث يحددن ويعتددن =

﴿لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ بدل من متاعا الموصول المتضمن معنى الشرط مبتدأ ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ بأنفسهن شرط ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ من الزينة والتجمل جزاء، والشرطية خبر المبتدأ. . والمعنى أن الميت إن أوصىٰ إلى أوليائه وقت الموت لزوجته أن يمتعوها ويسكنوها في مسكنها إلى الحول فإن خرجت بعد عدة أربعة أشهر وعشر لقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] (كما مر آنفا) فليس على ورثة الميت إثم من فعلها إذ ليس عليهم إتمام هذه المدة هذا معنى قوله سبحانه: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ الآية ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ فيما أراد وأمر ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ على حسب ما بيّنه الشرع ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا﴾[1] من بني إسرائيل ﴿مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ علة للخروج من قبيل قعدت عن الحرب جبناً ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ فماتوا ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ نعمه ظاهرة وباطنة ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أعداء دينه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ أي من ينفق

= حولاً كاملاً كما قالت أم سلمة: جاءت امرأة إلىٰ رسول الله فقالت: يا رسول الله! إن ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفنكحلها فقال رسول الله ﷺ: «لا» ثم قال: «**إنما هي أربعة أشهر وعشر، وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول**» ـ كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حشًّا، ولبست شر ثيابها، ولم تمس طيبا ولا شيئا، حتى تمر بها سنة، ثم تؤتى بحمارة أو شاة أو طير فتفتض به فقلما تفتض بشيء إلا مات، ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها، ثم تراجع بعد ذٰلك ما شاءت من طيب أو غيره. والميت كان يوصي أهله أن يمتعوا زوجته ويحفظوها ولا يخرجوها سنة كاملة حتى الرمي. فحد الله مدة عدتها أربعة أشهر وعشر أولا، ثم نبه أولياء الميت في هذه الآية بأن ليس عليهم جناح في خروجها بعد العدة المقررة، فلا يمنعوها بعدها، هذا رأي الأكثر، وعندي ما ذكرت، والله أعلم، فاختر ما شئت (منه).

(١) نزلت لتنبيه المتكاسلين في أحكام الله (منه).

في سبيله ابتغاء مرضاته يعلم أنه كأنّ الله يستقرض منه لا حقيقة القرض لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ أي بيده القبض والبسط فكيف حقيقة القرض والاستقراض ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ فيجازيكم حسب أعمالكم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ ينظم أمرنا ﴿نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ﴾ النبي ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ۚ﴾ أي المرجو منكم عدم القتال فأي فائدة في هذا الالتماس ﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ﴾ أي عذر لنا ﴿أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾ بنصب الإمام والملك ﴿تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ فيجازيهم حسب أعمالهم ﴿وَ﴾ تفصيل هذه القصة أنه ﴿قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ﴾ وكان رجلًا صالحاً ذا سياسة، ولٰكن كان قليل ذات اليد، فمن ثم ﴿قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ أي الحكم ﴿عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ لكثرة المال ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ﴾ أي هو قليل المال، بل ليس له مال، حسبوا أنه ينبغي أن يكون ذو السياسة ذا مال كثير، كما قال مشركو مكة المكرمة ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١] ﴿قَالَ﴾ النبي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ﴾ وَهي مدار السياسة ﴿وَ﴾ الأصل أنه ﴿ٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ بمن هو صالح له فسألوا نبيهم آية علىٰ هذا الأمر ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ أي الصندوق الذي ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تسلية لقوله تعالىٰ: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠] أي تسكنون به ﴿وَبَقِيَّةٌ﴾ ما بقي ﴿مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٨٦] أي يكون فيه ما ترك موسىٰ وهارون وأولادهما من التوراة وغير ذلك محفوظاً ما تطرق إليه أيدي الظلمة العمالقة وهو يأتيكم ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُۚ﴾ حال ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الإتيان ﴿لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾

موقنين. فكان كما أخبر به النبي فانقادوا له.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ أي بنهر أردن ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ من أنصاري ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ﴾ أخذ ﴿غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ فهو معفو ﴿فَشَرِبُوا﴾ كلهم ﴿مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ فلما جاوزه ﴿هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر نفراً كما كان عدد المسلمين يوم بدر[1] الحديث ﴿قَالُوا﴾ أي بعض منهم لما رأوا كثرة جنود العدو ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يتيقنون ﴿أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ﴾ أي ملاقو نصره لقوله: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤] ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا﴾ خرج أصحاب طالوت ﴿لِجَالُوتَ﴾ لقتال جالوت ﴿وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا﴾ ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ رئيس الجنود كان داود إذ ذاك شابًّا مجاهداً ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ﴾ أي داود ﴿الْمُلْكَ﴾ أي الحكومة بعد طالوت ﴿وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ على لسان جبريل لقوله تعالىٰ: ﴿نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧] ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ لا كما قال المشركون لست مرسلًا

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ الذين أنت منهم ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ومحمدًا عليه السلام علىٰ سائر الأنبياء عليهم السلام، لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤] وقوله عليه السلام: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[2] ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾

---

(١) رواه البخاري في المغازي (٣٩٥٧، ٣٩٥٨، ٣٩٥٩) من حديث البراء رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي في سننه رقم (٣٦١٥) في المناقب من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وابن ماجه رقم (٤٣٠٨) من حديث أبي سعيد الخدري ورواه أيضاً أحمد في =

بغير واسطة ملك وغيره، كموسىٰ عليه السلام، لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤] ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ بطريق آخر من عموم التبليغ وكثرة الأمة كمحمد ﷺ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ إلى قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة: ١١٠] ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ أي جبريل لما مر في الجزء الأول ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ أي الأحكام والمعجزات الواضحة أي لو أجبرهم الله تعالىٰ على الإيمان لقبلوه لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣] ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ أي لكنهم اختلفوا في الدين بأن ثبت بعضهم على الدين وابتدع بعضهم، فصار هذا الاختلاف موجباً لمقاتلتهم بينهم، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ مع تحقق موجب القتال أجبرهم على خلاف مقتضاه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ الإرادة لا تشتمل الإجبار، بل هو على الاختيار لقوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟﴾ في سبيل الله ﴿مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ بغير إذن الله، لقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦] ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ﴾ الدائم الحياة لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧] ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ المنتظم للعالم، لقوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر: ٤١]

= المسند (٣/ ١٤٤) من حديث أنس بن مالك، وهو حديث صحيح.

﴿لَا تَأْخُذُهُ﴾ أي لا تأتيه ﴿سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ﴾ المخلوق ﴿بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ فيعلمهم بواسطة، أو بلا واسطة ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ ذو العلو، ذو العظمة، ﴿وَ﴾ الذي ﴿يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد: ١٣]

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أي لا يجوز أن يكره أحدٌ أحدا على قبول الإسلام[1] لقوله تعالىٰ: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس: ٩٩] وقوله تعالىٰ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢] ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ﴾ أي الإسلام ﴿مِنَ الْغَيِّ﴾ أي الكفر ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ أي يعرض عن عبادة كل ما يعبد ويدعى من دون الله نبيًّا كان أو وليًّا، صنماً كان أو وثناً، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقوله تعالىٰ: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: ١٤] ﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ وحده ويستقم عليه، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت: ٣٠] ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ التي ﴿لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ لا انقطاع لها أي له عاقبة محمودة، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢] ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ بالأحوال والأقوال.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ولاية خاصة مذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانت المرأة من الأنصار لا يعيش لها ولد، وكانت تنذر لئن عاش لها لتهودنه، فإذا عاش ولدها جعلته في اليهود. فلما أجليت بنو النضير وكان فيهم عدد من الأنصار فأرادت الأنصار استردادهم وقالوا: أبناءنا وإخواننا. فنزلت هذه الآية [معالم ١/٣١٣، ٣١٤].

كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٥، ١٩٦] ﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ أي يوفقهم للطاعة لقوله تعالىٰ: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ أي يتسببون لخروجهم من النور إلى الظلمات، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ ﴾ عليه السلام ﴿ فِى ﴾ حق ﴿ رَبِّهِۦٓ ﴾ الضمير يرجع على الذي أو إبراهيم ﴿ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ أي الحكومة على الناس أن المصدرية مفعول لأجله، فهذا كقوله تعالىٰ: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ [العلق: ٦، ٧] هو نمرود ادعى الألوهية، مثل فرعون، كما قال تعالىٰ: ﴿ إِذْ ﴾ ظرف متعلق بِحَاجَّ ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ ﴾ عليه السلام في جوابه إذ قال من ربّك؟ ﴿ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ ﴾ أي يعطي الحياة ويبقيها ﴿ وَيُمِيتُ ﴾ أي يوجد الموت ﴿ قَالَ ﴾ نمرود ﴿ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ ها أنا أخلص المقيد وأقتل المخلص ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ ﴾ عليه السلام هذا معاند لا يفهم، أو لا يريد أن يفهم كلامي، فلهذا وجه كلامه إلى وجه اخر فقال: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا ﴾ أنت ﴿ مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ أي تحير نمرود ماذا يجيب؟ ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ الذين يعاندون الحق، هذا قانون إلهي، كقوله تعالىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [غافر: ٣٥] ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى ﴾ الكاف بمعنى «إلى» عطف على الّذي حَاجَّ ﴿ مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾ قيل هو عزير عليه السلام مر على بيت المقدس بعد تخريب بختنصر إياه ﴿ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ فيه قلب. أي عروشها ساقطة على الجدران، لقوله تعالىٰ: ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٢٦] ﴿ قَالَ ﴾ استعظاماً للقدرة أو استكشافاً للأمر ﴿ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾ أحياه ﴿ قَالَ ﴾ تعالىٰ ﴿ كَمْ ﴾ مدة ﴿ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا ﴾ كاملاً ﴿ أَوْ بَعْضَ

﴿يَوْمٍ﴾ لا أدري يوماً كاملًا لبثت أو بعض يوم ﴿قَالَ﴾ الله تعالىٰ ﴿بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ يتغير ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ قد سقط ميتا ﴿وَ﴾ بعثناك ﴿لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ على كمال قدرتنا ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ أي عظام الحمار ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ نجمعها ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ظهر له أمر إحياء الموتىٰ ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ منه إحياء الموتىٰ.

﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ عليه السلام ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ أي كيفية الإحياء، ﴿قَالَ﴾ تعالىٰ ﴿أَ﴾ تقول كذا ﴿وَلَمْ تُؤْمِن قَالَ﴾ إبراهيم ﴿بَلَىٰ﴾ آمنت ﴿وَلَٰكِن﴾ أسألك يا رب ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ بعلم اليقين ﴿قَالَ﴾ تعالىٰ ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ﴾[1] أملهن أي اجعلها مائلة إليك بحيث إذا تركتها تميل ﴿إِلَيْكَ ثُمَّ﴾ بعد ميلانها إليك وتعودها ﴿اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ أي واحدًا واحدًا منهن لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٣، ٤٤] ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ﴾ بأثر دعائك ﴿سَعْيًا﴾ هرولة ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ في صنعه ـ قصة المحاجّ تمثيل للذين كفروا أولياؤهم الطاغوت، وقصة المارّ بقرية وإبراهيم عليهما السلام تمثيل لإخراج الله تعالىٰ أولياءه من الظلمات إلى النور.

﴿مَّثَلُ﴾ نفقة ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي في سبيل الخير ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ﴾ فكذلك نفقاتهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم: ٣٩] ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ﴾ يزيد علىٰ هذا القدر﴿لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ أي يعطي الأجر حسب الإخلاص ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾ أي لا يمنون

---

(١) صرْهُنَّ بضم الصاد معناه أملهن ووجههن (معالم ١/ ٣٢٤ وجلالين ص ٤٤) قال العلماء في الآية حذف فعل تقديرها صُرهن إليك، ثم اذبحهن وقطعهن، ثم اجعل علىٰ كل جبل منهن جزءاً من كل واحد منهن، فاختر ما شئت (منه). [ولكن التأويل الأول الذي اختاره المفسر لايفيد إراءة إبراهيم كيف يحيي الله الموتى، فما فائدة هذا التأويل؟].

على المساكين ولا يكلفونهم بشيء، لقوله تعالىٰ: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان: ٩] ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٢٦٢﴾ على تلفه لأنهم أنفقوا ما أنفقوا ابتغاء وجه الله لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ رد حسن على السائل عند عدم الوجدان، لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ۝٢٨﴾ [الإسراء: ٢٨] ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ له إن ألح أو سب ﴿خَيْرٌ﴾ عند الله ﴿مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن هذه الصدقات ﴿حَلِيمٌ ۝٢٦٣﴾ حيث لا يعجل العقوبة علىٰ مثل هذه الصدقات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَٰتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ مطر شديد ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ خاليا عن التراب ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ أي كما ليس في أيدي الذين يزرعون على الحجر المذكور شيء في الدنيا، ليس للمرائين بأعمالهم شيء في الآخرة، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل: ١٩-٢١] ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَٰفِرِينَ ۝٢٦٤﴾ المرائين، حيث لا يفهمون أن الرياء والسمعة مبطل للعمل ﴿وَمَثَلُ﴾ نفقة ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ مفعول له ﴿وَتَثْبِيتًا﴾ ناشئاً ﴿مِّنْ﴾ عند ﴿أَنفُسِهِمْ﴾ تثبيتا معطوف على المفعول له الأول، من قبيل: ضربت تأديباً. والثاني من أمثال: قعدت عن الحرب جبنا. أي يبتغون بنفقاتهم مرضاة الله ويثبتون أنفسهم علىٰ تكاليف الشرع طوعاً ورغبة، كقوله تعالىٰ: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَٰهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ۝٢٣﴾ [الأحزاب: ٢٣] ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ﴾ أرض طيبة التراب منتفخة بالماء لقوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥﴾ [الحج: ٥] وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا[1] لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩] ﴿أَصَابَهَا

---

(١) الربوة والربو والرابية وغيرها مبدؤها واحد. قد ارتضىٰ به الإمام الرازي رحمه الله.

﴿وَابِلٌ﴾ مطر شديد ﴿فَـَٔاتَتْ﴾ الجنة المذكورة ﴿أُكُلَهَا﴾ ثمرها ﴿ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ فيكفيه الطل، فكذلك نفقات المخلصين، وإن لم تكن كثيرة فهي نافعة لهم لإخلاصهم، لقوله تعالىٰ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ فيجازيكم علىٰ أعمالكم، ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ أيها المراؤون ﴿أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ﴾ أي البستان ﴿إِعْصَارٌ﴾ ريح شديد ﴿فِيهِ نَارٌ﴾ حرارة شديدة ﴿فَٱحْتَرَقَتْ﴾ الجنة به، فإذ لا يرضى أحدكم بهذه الحالة فَلِمَ يرائي بأعماله الصالحة، إذ كما هذا الشيخ محتاج إلىٰ بستانه في الدنيا في الحالة المذكورة، كذا الإنسان يكون محتاجاً إلى أعماله الصالحة يوم الجزاء، لقوله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٩] فإذا احترق ما كسب من خير بقي من غير ذات اليد، لقوله تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [التوبة: ٦٩] ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾ في أعمالكم. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ من الزرع ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟﴾ تقصدوا ﴿ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ إن أعطيتم في حقوقكم ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ لحاجتكم ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ عن صدقاتكم ﴿حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ بذاته أي ليس له حاجة إلى صدقاتكم فيأخذ الخبيث كما تأخذونه لقوله تعالىٰ: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥] ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ﴾ يخوفكم ﴿ٱلْفَقْرَ﴾ من الإنفاق في سبيل الخير ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ أي بالإنفاق في المنكرات الشرعية ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ على الإنفاق في سبيل الخير لقوله تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ [البقرة: ٢٦١] الآية مرت، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]

(ستأتي) ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ بيده كل شيء ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ بنيّاتكم ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ﴾ معنى الحكمة فهم النسبة بين الله وبين العبد وحفظها، المعبر عنها بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الأحقاف: ١٣] ثم استعمل اتساعاً على الأحكام الإلٰهية، لقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ إلى قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٣ـ٣٩] ﴿مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ أي فهم النسبة المذكورة ﴿فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ إلى ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران: ١٩١ـ١٩٤] ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ المرائين بأعمالهم لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣] ﴿مِّنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾ أي لا ناصر لهم، ينصرهم من عذاب الله ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ بالإخلاص ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾ أي نعم الشيء هي ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾ ابتغاء وجه الله ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ أي بعض سيئات سوى الشرك وحقوق العباد لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦] ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾.

﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ أن تهديهم صراطا مستقيما طريق الإخلاص، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦] ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ أي إعطاء مال أو إيصال نفع من التعليم أو التصنيف أو قضاء الحاجة بالوجوه، لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾ [الزلزلة: ٧] ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ لا لغيركم، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الروم: ٤٤] ﴿وَمَا تُنفِقُونَ﴾ أي لا تنفقوا ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ لأنه ليس شأن المؤمن إلا العمل لوجه الله، لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ الصدقات ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي حبسوا أنفسهم في سبيل الله لتعلم الدين أو الجهاد أو تبليغ الأحكام أو غير ذٰلك من أمور الدين،

لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾[1] [البقرة: ٢٠٨] ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ للتجارة وغيرها، لشغلهم بأمور الدين، ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ للاجتناب من السؤال ﴿تَعْرِفُهُم﴾ أنت ومثلك ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾ في وجوههم من أثر الفقر، وهم ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ أي لا يسألون بالإلحاح ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ أي لا يحجزهم وقت دون وقت، لقوله تعالىٰ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧] ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من حبط أعمالهم، بل يقال لهم: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠] وهم خائفون من خشية الله، لقوله تعالىٰ: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه: ١٠٨] ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ هذا حال المنفقين في سبيل الله، وحال من على خلاف حالهم، أعني ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ المحرم في الشرع ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ من القبور ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ أي يصرعه الشيطان، فيخبط في المشي خبط العشواء، لقوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ٢] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ﴾ حسبوا ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ فإذ يحل أحدهما لا يحرم الآخر ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ فمن أين التساوي بين الحلال والحرام ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ بلغه أمر ربه في ترك الربا ﴿فَٱنتَهَىٰ﴾ امتنع ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ أي ما أخذ من الربا قبل بلوغ الموعظة ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه. وإن كان يُرجىٰ الغفران ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ أي أخذ الربا بعد بلوغ النهي ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ في الآخرة، أي لا يعطي

---

(١) دلت الآية علىٰ أن شعب الإسلام كلها مأمور بدخولها: فالتعلم والتعليم والجهاد وغيرها، كلها سبيل الله فافهم.

الأجر على الربا، بل يؤاخذ ﴿ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ يضاعفها، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الروم: ٣٩] ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ ﴾ مر مثله آنفاً، ترغيب في حسن السلوك إلى المساكين وترك الربا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ ﴾ الذي فيه الظلم على الناس ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾ بالله ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ ﴾ ما تؤمرون به ﴿ فَأْذَنُوا۟ ﴾ اطلعوا ﴿ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ ﴾ عن أكل الربا ﴿ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ ﴾ غيركم بأخذ الربا في قضاء حاجاتهم البشرية ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ بل ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ مقروضاً لكم ﴿ فَنَظِرَةٌ ﴾ أي فيجب عليكم إمهال له ﴿ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ ﴾ أي تركككم حقوقكم على ذوي العسرة ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ مصلحة دينكم ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ﴾ في الظلم ﴿ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ وهو يوم القيامة لقوله تعالىٰ: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨] ﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾ من خير وشر ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ بنقصان الصالحات، وزيادة السيئات.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۖ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ﴾ إذ فضله ﴿ ٱللَّهُ ﴾ بصنعة الكتابة ﴿ فَلْيَكْتُبْ ﴾ ولا يبخل ﴿ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ ﴾ ينقص ﴿ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ في الكتابة بأخذ الرشوة أو الحماية ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ ﴾ أي المقروض ﴿ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا ﴾ لمرض أو غيره ﴿ أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ ﴾ لكونه أخرس أو جاهلا بلسان الكاتب ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ ﴾ قريبه ﴿ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾ أي ما وجب عليه بالحق ﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ ﴾ من جنسكم المسلمين ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ ﴾ أي يكفي رجل وامرأتان، لكن لا من أي قوم كانوا، وأي رجل كان، بل ﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ صداقتهم بيان للرجال، أي لا تشهدوا من أي قوم أو من أي جماعة، بل ممن تعرفون صداقتهم، مسلماً كان

أو غير مسلم، لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢] وإقامة المرأتين مقام رجل واحد لأجل ﴿أَن تَضِلَّ﴾ تنسى ﴿إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ فأن المصدرية مفعول له لفعل محذوف كما أشرنا ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟﴾ لأداء الشهادة أو تحملها لفظة «ما» تجيء زائدة بعد «إذا» ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ﴾ الكتابة ﴿أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟﴾ أي الكتابة أقرب إلىٰ عدم الارتياب في حفظ الشهادة ﴿إِلَّآ﴾ لٰكن وقت ﴿أَن تَكُونَ﴾ المعاقدة ﴿تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ يداً بيدٍ ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ إذ في كتابة مثلها حرج ﴿وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ أمر إرشاد ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ مبنيًا للمفعول[1] أي لا يؤذيان ولا يضيق عليهما في الإجابة من مكان بعيد بلا جبر نقصان، وهما مشغولان في أمورهما، لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقوله عليه السلام: «**لا ضرر ولاضرار**»[2] في الإسلام (الحديث) ﴿وَإِن تَفْعَلُوا۟﴾ الضرار ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ الضرار ﴿فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾ عليكم ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَـٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ أي فحكم هذه الصورة رهان مقبوضة عند المرتهن للتوثيق ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي أقرض بغير أخذ الرهن ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ﴾ أي قرضه الذي أخذ بلا رهن ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ في أدائه ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ﴾ بل أدوها كما هي، لقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٥] ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ والقلب رئيس الأعضاء لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى

---

(١) يجوز أن يكون مبنيًا للفاعل أيضًا (منه).

(٢) حديث حسن بطرقه وشواهده رواه مالك في الموطأ (٢/ ٧٤٥) من طريق عمرو بن يحيىٰ المازني عن أبيه عن النبي ﷺ وهذا سند صحيح إلا أنه مرسل، ورواه موصولاً من حديث أبي سعيد الخدري، الدارقطني (٣/ ٧٧ و ٤/ ٢٨٨) والبيهقي (٦/ ٦٩) والحاكم (٢/ ٥٨) ورواه الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت (٥/ ٣٢٧) وابن ماجه (٢٣٤٠) وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/ ٣٤٤).

﴿ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦] وقوله عليه السلام: «**إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**» الحديث[١] والمعنى أن كاتم الشهادة آثم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾ فيجازيكم علىٰ أعمالكم ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾[٢] أي إن تفعلوا ما في أنفسكم في الجلوة أو في الخلوة لا محض الإخفاء والإبداء، لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ الآية، وهو تفسير لهذا المعنى ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ أي يسألكم لم فعلتموه ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي الموحدين ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ أي المشركين، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨] ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ منه تعذيب المشركين، وإن كانوا سادة في الدنيا، لقوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣].

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[٣] قائلين ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾ في الإيمان بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ أحكام ربنا ﴿وَأَطَعْنَا ۖ﴾ ما أمرنا، نطلب ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ الرجوع ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ من الشر ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ﴾ ما أمرتنا ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾

---

(١) رواه البخاري (٥٢و٢٠٥١) ومسلم (١٥٩٩) وصححه ابن حبان (٧٢١).

(٢) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال الراوي: أحسبه ابن عمر ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ قال نسختها الآية التي بعدها ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ (صحيح البخاري) أقول النسخ كما قال العلامة السيوطي ـ رحمه الله ـ في الإتقان وغيرُهُ في غيرِهِ: كان يطلق في زمان الصحابة على التوضيح والتفسير أيضاً، وإلا فالنسخ الاصطلاحي لا يكون إلا في الإنشاءات، وههنا الآيات كلها أخبار لا غير، فمعنى هذه الرواية أنه فسرتها وأوضحتها الآية الأخرىٰ. أعني ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ كما أشرنا إليه في التفسير (منه).

(٣) حكايته مثالية لتعليم المسلمين. أي ينبغي أن يقولوا هذا لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران: ٨٤].

في فهمه أو أدائه ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا[١] كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ أي اليهود والنصارى، لقوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام: ١٤٦] ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ عدوك وعدونا آمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

سورة آل عمران مَدنيّة وهي مائتا آية

﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ سبق ذكرها في أول سورة البقرة ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ﴾[٢] دائم الحياة لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧].

---

(١) تفصيل الإصر على أهل الكتاب مذكور في كتابنا «تقابل ثلاثة» الهندية(منه).

(٢) نزلت هذه الآية في وفد نجران، قدموا علىٰ رسول الله ﷺ وحانت صلاتهم، فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**دعوهم**» فصلوا إلى المشرق، فكلم السيد والعاقب، فقال لهما رسول الله ﷺ: «**أسلما**» قالا: قد أسلمنا قبلك. قال: «**كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير**» قالا: إن لم يكن لله ولد فمن أبوه (أي عيسىٰ) فقال النبي ﷺ: «**ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه**» قالوا: بلىٰ، قال رسول الله ﷺ: «**ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسىٰ يأتي عليه الفناء**» قالوا: بلىٰ، قال: «**ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه**» قالوا: بلىٰ، قال: «**فهل يملك عيسىٰ من ذلك شيئًا**» قالوا: لا. قال: «**ألستم تعلمون أن الله لا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء**» قالوا: بلىٰ. قال: «**فهل يعلم عيسىٰ من ذٰلك إلا ما علّم**» قالوا: لا. قال: «**فإن ربنا صور عيسىٰ في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب**» قالوا: بلىٰ. قال: «**ألستم تعلمون أن عيسىٰ حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها. ثم غذي كما يغذى الصبي. ثم كان يطعم ويشرب ويحدث**» قالوا: بلىٰ. قال: «**فكيف يكون هذا كما زعمتم**». فسكتوا، فأنزل الله صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية (معالم ٢/ ٥).

﴿ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ المنتظم للعالم لقوله تعالىٰ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٣] ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ﴾ على موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ [البقرة: ١٣٦] ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ مفعول له ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ أي علم الفصل فيما بينكم من المعاملات والمنازعات لقوله تعالىٰ: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] أي ليس نزول القرآن بدعاً بل قد نزلت كتب من قبله لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلىٰ: ١٨، ١٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ بكفرهم وإنكارهم بآيات الله ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب علىٰ أمره ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾ ذو عقوبة شديدة لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج: ١٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾ أي ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من ذكر أو أنثى وغير ذٰلك لقوله تعالىٰ: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠] ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ أي أحكام محكمة لا تتغير متعلقة بالعبودية والتمدن لقوله تعالىٰ: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ [هود: ١-٣] ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي أصل الكتاب ومقصوده لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥] ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ أي وفي الكتاب المنزل أمور تشتبه على بعض الناس لبعدها عن المشاهدة كذات الله وصفاته سبحانه لما أن ألفاظها تشابه الألفاظ الواردة في حق المخلوق ويغاير معناها معنى صفات المخلوق وكأحوال البرزخ والحشر والنشر والحساب يوم القيامة ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ ضلالة لقوله تعالىٰ: ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨] ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ أي يقبلون عليها لا بالإخلاص وغرض الفهم بل ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ يفتنون الناس ويضلون بها

الجهال لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ [سبأ: ٧، ٨] ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ أي يظهرون أن مقصودنا من هٰذا البحث تحصيل المراد به لا غير لقوله تعالىٰ حاكياً عن المنافقين: ﴿إِن أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ۝٦٢﴾ [النساء: ٦٢] ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ عطف على الجلالة أي يعلم الله والراسخون أيضاً يعلمون وإن كان علم الله وعلمهم مختلفًا جدًّا لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ حال ﴿كُلٌّ﴾ من المحكمة والمتشابه ﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١] يقول الراسخون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ كما زاغت قلوب أهل الزيغ ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾ الكثير العطاء ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ[1] فِيهِ ۚ﴾ أي الراسخون يقرون بالحشر والنشر والحساب لا كما يقول أهل الزيغ: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾ [ق: ٣] و ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨﴾ [يس: ٧٨] وغير ذٰلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩﴾ كلام الله أو كلامهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي من عذاب الله ﴿شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ۝١٠﴾ دأبهم في الكفر والتكذيب ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾ كعاد وثمود ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝١١﴾ ثم فصل هذا التمثيل بقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أهل الزيغ ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ في الدنيا لقوله تعالىٰ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾ [القمر: ٤٥] وقوله تعالىٰ: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ۝١١﴾ [ص: ١١] ﴿وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝١٢﴾ ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ أيها الكفار ﴿ءَايَةٌ﴾ دالة على انهزامكم ﴿فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ﴾ يوم بدر للقتال ﴿فِئَةٌ﴾ قليلة هي مسلمة ﴿تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ هي

---

(١) فيه دليل على صحة تفسيرنا المتشابهات من أنها متعلقة بأحوال البرزخ والحشر والنشر أيضاً لأنه تعالىٰ ذكر قول الراسخين في مقابلة أهل الزيغ وذكر فيه الإقرار بالبعث فافهم وتدبر (منه).

قريش مكة ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ أي يرى المؤمنون أنفسهم مثلي المشركين وبالعكس ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ لا في المنام لقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال: ٤٤] لما رأى المؤمنون أنفسهم مثلي الكافرين والكافرون أنفسهم مثلي المسلمين اجترأ كل على الآخر كما قال تعالىٰ: ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢] ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ ليعتبروا.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ غير أولي الأبصار ﴿حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ وجه لإعراض المشركين عن الإسلام لأن الرسول عليه السلام والمسلمين كانوا إذ ذاك قليل ذات اليد لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١] وقوله تعالىٰ: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ﴾ [الأنعام: ٥٣].

﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ على الأعمال الصالحة لا علىٰ كثرة المال وغيره لقوله تعالىٰ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢٤] ﴿۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ منهيات الله ﴿عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ خلاصة المرام أنه ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥] ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ بك وبرسلك ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ في البأساء والضراء وحين البأس ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في القول والوعد ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ الخاضعين لله ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ مما آتاهم الله من فضله ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ الموصول وما بعده صفة كاشفة أو عطف بيان للعباد والمراد بالعباد الكاملون كقوله تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ إلى ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٦٣-٧٤] ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ أي يعلن ويظهر ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ

﴿إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ من الناس معطوف على الجلالة ﴿قَآئِمَۢا﴾ حال من المستثنى ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل متعلق بقائم ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ﴾ المرضي المتضمن للتوحيد ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ الذي جاء به محمد ﷺ لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ اليهود والنصارىٰ في الإسلام ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ أي المعرفة بأن ما جاء به محمد حق لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ [البينة: ٤] ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ مفعول لأجله أي ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]. ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بأيّ وجه كان باللسان أو بالقلب فيجازيهم ربهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ فالجملة دليل على الجزاء قائم مقامه كقول أبي الطيب المتنبي:

فإن تفق الأنام وأنت منهم ... فإن المسك بعض دم الغزال

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ فيما أنت عليه من الدين ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ أي ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩]: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ عطف على الضمير المرفوع أي أسلم أصحابي فهذا خلاصة مذهبنا ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ مثل ما أسلمنا لله وتركتم أهواءكم ﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ فقط ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة: ١١٩] ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ فيجازيهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي اليهود ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بيان للواقع لا للاحتراز كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [لقمان: ١٥] يعني إن الذين كانت عادتهم كذا ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الصالحة ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي لا يستحقون المدح بها في الدنيا ولا في الآخرة

لقوله تعالىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩] ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ أي اليهود ومثلهم النصارىٰ ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ في نبوة محمد ﷺ وغيرها ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ﴾ أي العذاب ﴿إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ أي مدة قليلة ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ بقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨] ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ من خير أو شر لقوله تعالىٰ: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩] ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ بنقصان الخير وزيادة الشر.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[1] منه إعزازنا وإذلال أعدائنا تفعل ما تشاء وتحكم ما تريد كقوله تعالىٰ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٠] ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ بالزيادة والنقصان أو بغروب الشمس لقوله تعالىٰ: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤] ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ من النطفة لقوله تعالىٰ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٨] ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ كالبيضة والنطفة ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لا تتخذوا الكافرين مخلصين تسرون إليهم بالمودة إسرارا يتضرر بإظهارها المسلمون لقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨] ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي اتخاذ الكافرين أولياء ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ من دينه ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا﴾ تفعلوا ﴿مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ تتقون بها شرهم لقوله

---

(١) لما خط رسول الله الخندق وضرب صخرة بيده ضربة فقال عليه السلام: «**أضاءت لي منها القصور الحمر من الروم وقصور صنعاء**» طعن المنافقون فيه. فنزلت هذه الآية (الكبير ٣/ ١٨٦).

تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ [النحل: ١٠٦] ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ أي مرجعكم بعد الموت ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ من مودة الكفار ﴿أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ فيجازيكم عليه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ﴾ ظرف متعلق بـ «تَوَدُّ» الآتية ﴿تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ أيضاً حاضرًا ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا﴾ أي النفس ﴿وَبَيْنَهُۥٓ﴾ أي العمل ﴿أَمَدًۢا﴾ بعداً ﴿بَعِيدًا﴾ وأنّى هذا لها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ فاحذروه ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾ في أفعالي لأني رسول الله و ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ محمداً ﷺ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن الإطاعة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ الخارجين من طاعته ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ جد المسيح من أمه ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ﴾ حال أي مولود ﴿بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ أي أنتم بعضكم من بعض لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣] وليس أحد منكم ولدا لله لقوله تعالىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ هذا تمهيد لرد مزعوم النصارىٰ ألوهية المسيح عليه السلام وابنيته لله ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ جدة المسيح من أمه ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما أقول ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ بما أريد ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ أي ما في بطنها وتأنيث الضمير باعتبار اللاحق وهو قوله تعالىٰ: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ أي ما أخبرت الله تعالىٰ بوضعها بل أظهرت حالها تحسرا ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ أي ليس الأنثىٰ كالذكر، فالتشبيه مقلوب، كما في قوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة: ١١٣] وقول الشاعر:

أبلغ سلامًا إن جئتها ... فلا يك شبها لها المغزل

﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ عابدة ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا

﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ لإخلاص أمها ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ أي أنشأها إنشاءً حسنا بالصحة والعافية لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧﴾ [نوح: ١٧] ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ﴾ إمام بيت المقدس عليه السلام ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ الغرفة ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ﴾ شيئاً مأكولاً ﴿قَالَ﴾ زكريا ﴿يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ كانت عليها السلام تنسب ما كان عندها إلى الله لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾[1] [النحل: ٥٣] كأنها كانت تشكر لله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٧﴾ أي بغير حسبان لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ إلى ﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾ أملي أن تسمع دعائي ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي جبريل ﴿وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ قبل دعاءك و﴿يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ﴾ أي ﴿بِغُلَٰمٖ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ [مريم: ٧] ﴿مُصَدِّقَۢا﴾ أي يكون مصدقا ﴿بِكَلِمَةٖ﴾ أحكام صادرة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [يونس: ١٩] ﴿وَسَيِّدٗا﴾ إماما كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾ [النحل: ١٢٠] ﴿وَحَصُورٗا﴾ محصوراً مشغولاً في العبادة. لقوله تعالىٰ: ﴿أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ

---

(١) ما قلنا في تفسير الآية الكريمة مؤيد بحديث مرفوع مروي عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أقام أياماً لم يطعم طعاماً حتى شق ذلك عليه فأتىٰ فاطمة فقال: «**يابنية! هل عندك شيء؟**» فقالت: لا. فلما خرج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم فوضعته في جفنة لها فرجع إليها. فقالت له: قد خبأت لك. فقال: «**هلمي يابنية بالجفنة**». فكشفت فإذا هي مملوءة خبزا ولحما فلما نظرت إليها بهتت وعرفت أنها بركة من الله. فحمدت الله تعالى، وقدمته إلى النبي ﷺ فلمّا رآه حمد الله وقال: «**من أين لك هذا يا بنية؟**» قالت: هو من عند الله. إن الله يرزق من يشاء بغير حساب. ثم قال: «**الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل، فإنها كانت إذا رزقها الله رزقاً فسئلت عنه قالت: هو من عند الله**» (تفسير الدر المنثور ٢/ ٣٦).

فانظر بإمعان النظر شبه رسول الله ﷺ فاطمة بمريم الصديقة وجوابها بجوابها والحال أن الطعام بعثت جارة لفاطمة إليها على العادة. وقالت: هو من عند الله قال العلماء: إن مريم الصديقة كان يأتيها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف علىٰ خلاف العادة فاختر ما شئت (منه).

﴿ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ﴾ زكريا ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ ولد ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ صرت ضعيفا كبير السن ﴿وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ لم تلد قط ﴿قَالَ﴾ ملك في جوابه الأمر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما قلت لكن ﴿ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾ ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم: ٩] ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ﴾ الله بلسان جبريل ﴿ءَايَتُكَ﴾ الأولىٰ أن ﴿قَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾ [مريم: ٩] والثانية ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ إشارة لقوله تعالىٰ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [مريم: ١١] ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ شكرا لله.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ﴾ عن الرذائل لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ الموجودة في زمانها لقوله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ[1] خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي﴾ اخضعي ﴿لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ أي اخضعي واخشعي لله كما يخضع له عباده المخلصون لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المرسلات: ٤٨].

﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من قصة زكريا ومريم ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ أي زكريا وغيره ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ أي ما كتبت أقلامهم من أسمائهم يقترعون بينهم كقوله تعالىٰ: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الصافات: ١٤١] ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ أي يفصلون هذا النزاع بالقرعة ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ فيه، فكيف تنبئهم علىٰ وجهها. فإن هو إلا وحي يوحىٰ. اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ جبريل ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ أي بأثر حكمه وهو الولد لقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم: ١٩] ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ عند الله

---

(١) لأن الآية الكريمة تدل علىٰ أن المسلمين خير من كل أمة (منه).

﴿وَيُكَلِّمُ﴾ يعظ ﴿ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾ طفلا لم يبلغ حد التكلم لقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [مريم: ٢٨ـ٣٠].

﴿وَكَهْلًا﴾ أي في سن الكهولة أيضاً يعظ الناس ويهديهم إلى صراط مستقيم لقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم: ٣٠، ٣١] ﴿وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ عند الله.

﴿قَالَتْ﴾ مريم ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ﴾ جبريل في جوابها الأمر ﴿كَذَٰلِكِ﴾ ولٰكن ﴿ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ﴾ وهو قادر علىٰ خلق الولد بلا والد لقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ﴾ [مريم: ٢١] ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ﴾ أي يُعَلِّم اللهُ ابنَك ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾ الإلٰهي ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ البالغة أي فهم النسبة بين الخالق والمخلوق لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٦٩] ﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ عطف التوراة والإنجيل علىٰ ما سبق من تفسير ﴿وَ﴾ يجعله ﴿رَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى﴾ أي بأني ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ﴾ دالة على نبوتي وصدق مقالتي ﴿مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ﴾ بدل من آية ﴿أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ﴾ بنفخي ﴿طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ﴾ لا بإذني فكيف أكون إلٰها كما زعمت النصارىٰ ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ﴾ الأعمىٰ من الولادة ﴿وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ﴾ لا بإذني فكيف ما ادعت النصارىٰ ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ﴾ بإلهام الله تعالىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ وقد وقع كل ذٰلك لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة: ١١٠] ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ بكفركم وبغيكم لقوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ﴾ إلىٰ ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام: ١٤٦] ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ﴾ كما ذكر ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾

وحده ﴿ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ ﴾ فيما آمركم لطاعة الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ لا غيره ﴿ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾[1] لا عوج له لقوله تعالىٰ: ﴿ أَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فكيف يكون المسيح إلٰها وهو كان عابداً لله ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ ﴾ أدرك ﴿ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ ﴾ أي الإصرار على الكفر ﴿ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ناصري في دين الله ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ ﴾ الذين اتبعوه ﴿ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ أي خدام دين الله ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ لله ثم تضرعوا إلى الله ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ ﴾ علىٰ نبينا عيسىٰ ﴿ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ ﴾ المسيح ﴿ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ لتوحيدك ﴿ وَمَكَرُوا۟ ﴾ أي اليهود شاوروا خفية لأخذه وقتله ﴿ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ أخفىٰ أمره في حفاظته ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ المدبرين، لأن التدبير مبناه علىٰ العلم فكل من كان كامل العلم كان كامل التدبير والله تعالىٰ: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الرعد: ٩، ١٠].

﴿ إِذْ ﴾ متعلق بـ «مكر الله» ﴿ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ ﴾ لا تخف ولا تحزن على مكرهم ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ أي إني أنا مميتك حتف أنفك بعد نزولك إلى الأرض مرة ثانية لقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [النساء: ١٥٩] ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ إلىٰ جنابي المقام الأرفع ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أي اليهود مما بهتوك وأمك من نسبة الزنا وغير ذٰلك معاذ الله لقوله تعالىٰ: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾ [النساء: ١٥٦]

---

(١) في الأناجيل المروجة: «جاء إلى المسيح واحد فسأله أي وصية أول الكل فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا اسمع يا إسرائيل الرب إلٰهك إلٰه واحد هو وتحب الرب إلٰهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل نيتك ومن كل قوتك هذه أول الوصايا» انتهىٰ (الباب الثاني عشر من إنجيل مرقس العربي المطبوع في بلدة لندن سنة ١٨٥٧م). وفي موضع آخر: «يقول المسيح هذه حياة الأبدان يعرفوك أنت إلٰه الحق وحدك» الباب السابع عشر من إنجيل لوك المطبوع أيضًا.

قد طهره الله وأمه بقوله: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥] ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ حقيقة من المسلمين وادعاء من النصارىٰ وإن ضلوا ضلالاً بعيداً فإنهم يعتقدونه لقوله تعالىٰ: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ﴾ [المائدة: ٤٧] ﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ سياسة وحكومة ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ من نبوة المسيح وألوهيته وبشريته ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أنكروا نبوته من اليهود والنصارىٰ الذين اعتقدوا فيه الألوهية لقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ ينصرونهم من عذاب الله ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بعيسىٰ كما هو نبي ورسول ﴿وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ كما أمروا علىٰ لسان الرسل ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ علىٰ أعمالهم الصالحة ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من قصة عيسىٰ وأمه وجدته مبتدأ ذو حال ﴿نَتْلُوهُ﴾ نقصه ﴿عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ من بيانية من ذٰلك ونتلوه خبر المبتدأ لقوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢٥٢] ﴿وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ المحكم الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢].

ولا ينبغي أن يغتر بولادة عيسىٰ لأنه ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾ في الخلق ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ﴾ أي آدم ﴿مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ أي فكان كذٰلك المسيح صار موجوداً بحكم الله لقوله في جواب مريم: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: ٤٧] كما مر آنفا ﴿ٱلْحَقُّ﴾ المذكور من خلق المسيح وإثبات بشريته ﴿مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ الشاكين. الخطاب لجميع المسلمين كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١] ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾ أي في عبودية المسيح ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بيان ما أي الوحي من الله ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا﴾ ذواتنا ﴿وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ

﴿نَبْتَهِلْ﴾ نتضرع لله ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾[1] في دعواهم ﴿إِنَّ هَذَا﴾ المذكور من عبودية المسيح ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن قبول الحق ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا﴾ جيئوا ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ كما هو مذكور في كتبكم[2] أيضاً ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ من بشرٍ أو حجرٍ أو شجرٍ ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ أولياء كما اتخذتم المسيح ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن قبول الحق ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا﴾ أيها النصارىٰ ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ منقادون لله ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ أيها اليهود والنصارىٰ ﴿لِمَ تُحَاجُّونَ فِي﴾ حق ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ تدعون وتفترون عليه أنه عليه السلام كان موافقاً لكم في اليهودية والمسيحية

---

(١) لما قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية على النصارىٰ الذين جاؤوا من نجران للمناظرة مع النبي ﷺ دعاهم إلى المباهلة قالوا: حتى نرجع وننظر في أمرنا فقالوا في خلوتهم: أيها الإخوان! قد عرفتم أن محمدا نبي مرسل والله! ما لاعن قوم نبيًّا قط فعاش كبيرهم ونبت صغيرهم ولئن فعلتم ذٰلك لتهلكن فإن أبيتم إلا الإقامة علىٰ ما أنتم عليه من الدين فوادعوا الرجل فانصرفوا إلىٰ بلادكم فأتوا رسول الله وقد غدا رسول الله ﷺ محتضناً للحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول: «إذا أنا دعوت فأمنوا» فقال أسقف نجران: يا معشر النصارىٰ! إني لأرىٰ وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلًا من مكانه لأزاله فلا تبهلوا فتهلكوا ولا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض نصراني إلىٰ يوم القيامة. فقالوا: يا أبا القاسم! قد رأينا أن لا نلاعنك وأن نتركك علىٰ دينك ونثبت علىٰ ديننا! فقال رسول الله ﷺ: «**فإن أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم**» فأبوا. فقال: «**فإني أقاتلكم**» فقالوا: مالنا بحرب العرب طاقة، ولكنا نصالحك على أن لاتغزونا ولاتخيفنا ولاتردنا عن ديننا على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة ألفا في صفر وألفا في رجب فصالحهم رسول الله ﷺ وقال: «**والذي نفسي بيده! إن العذاب قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا**» (معالم ٢/ ٤٨).

(٢) اسمع ياإسرائيل إن الرب إلٰهنا فإنه رب واحد. حب الرب من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك (الباب السادس من الكتاب الخامس من التوراة) وفي الإنجيل: اسمع ياإسرائيل الرب إلٰهك إلٰهٌ واحد مر آنفًا من إنجيل مرقس.

الموجودة ﴿ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ﴾ اللذان هما مبدأ اليهودية والنصرانية ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾ قبح ادعائكم ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ من المسائل ﴿ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ في حال إبراهيم عليه السلام ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ وهو أخبرنا بأنه ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا﴾ متبعًا للتوراة ﴿ وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ متبعاً للإنجيل ومعتقداً لألوهية المسيح ﴿ وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا﴾ مائلًا إلى الله لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [هود: ٧٥] ﴿ مُّسْلِمًا﴾ لله لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١] ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ فيه تعريض لهم بالشرك ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي أقربهم ﴿ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ في حياته ﴿ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ محمد ﷺ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ علامتهم أنهم يصلون كذا: اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ ولاية خاصة لقوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ﴾ أن ﴿ يُضِلُّونَكُمْ﴾ بالتمويه ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لوبال إضلالهم عليهم ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ قبح أعمالهم ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي القرآن ﴿ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ بالقلب علىٰ حقيته لقوله تعالىٰ: ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ﴾ لمنزل من الله ﴿ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ الزور من عند أنفسكم لقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٨].

﴿ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ الخالص المنزل من الله ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ أنكم مبطلون في أعمالكم.

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ﴾ أي القرآن الذي ﴿ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ المسلمين ﴿ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ متعلق بالأمر ﴿ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ﴾ أي آخر النهار ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ عن الإيمان أيضاً لزعمهم أن المسلمين يعرفون الحق بالرجال ﴿ وَلَا

﴿تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ تركيب الآية الاستثناء مقدم على المستثنىٰ منه. أن يؤتىٰ متعلق بلا تؤمنوا. أو يحاجوا معطوف عليه. تقدير الكلام قالت طائفة من اليهود: أيها الإخوان! لا تصدقوا أن يؤتىٰ أحد مثل ما أوتيتم من الفضائل والقرب عند الله. لما أنكم أبناء الله وأحباؤه، إلا في حق من كان علىٰ دينكم من اليهود لا من غيرهم. قال الله مجيباً لهم على لسان رسوله ﷺ إن الهداية والعزة بيد الله لا في أيديكم. وقالوا أيضًا: لا تصدقوا أن يحاج المسلمون عند ربكم بإلزام الحجة عليكم ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ﴾ أي الهداية والعزة ﴿بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ لا بأيديكم وإلا ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء: ١٠٠] ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ فآتاه المسلمين، لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾[الحديد: ٢٨، ٢٩] ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ لا أحد يستطيع أن يمنعه، لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ﴿۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ مال كثير ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ بل ولا يقره ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ كان مقرًّا ـ خلاصة المراد أنهم ﴿۞ لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران: ١١٣ـ١١٥] ﴿ذَٰلِكَ﴾ عدم أداء الأمانة ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ أي في أكل أموال الجهال من المشركين ﴿سَبِيلٌ﴾ عقاب عند الله ﴿وَيَقُولُونَ﴾ في هذا القول ﴿عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ أنهم مبطلون.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ يأخذون ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي يخلفون عهودهم بطمع مال قليل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى

﴿ٱلْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي لا يحسن خطابهم ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ عن الذنوب، أي لا يغفر لهم ذنوبهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ إن ماتوا علىٰ ذٰلك، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء: ١٨] ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ أي أهل الكتاب ﴿لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي يقرؤون الكتاب ملتبسين ليثبتوا به ألوهية المسيح ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي المخلوط ﴿مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ المنزل ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بنسبة مالم ينزل إليه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ أنهم مبطلون.

﴿مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لِبَشَرٍ﴾ أي بشر مسيحًا[1] كان أو غيره ﴿أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ﴾ أي الفهم في أمور الدين، لقوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ [مريم: ١٢] ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي متجاوزين الله وحده، سواء كان ذٰلك المتجاوز استقلالاً بعبادة البشر وتركه سبحانه أو اشتراكا معه، لقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ﴾ [المائدة: ٧٢] وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ﴾ [المائدة: ١١٦] ﴿وَلَـٰكِن﴾ يقول ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ أي كونوا مخلصين لله بتعلمكم وتعليمكم غيركم[2] لقوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ﴾ [الجمعة: ٥] ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ البشر الذي آتاه الله الكتاب ﴿أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ﴾ من دون الله ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ﴾ باتخاذ

---

(١) رد علىٰ النصارىٰ حيث زعموا أن المسيح ادعىٰ الألوهية بنفسه (منه).

(٢) فيه تنبيه للعلماء والطلاب قال: فداه أبي وأمي عليه أفضل الصلاة والسلام: «من تعلم علماً مما يبتغىٰ به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» يعني ريحها. (أحمد ٢/٣٣٨ و أبو داود: ٣٦٦٤ و ابن ماجه: ٢٥٢).

غير الله ربًّا ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ مخلصون لله، باتخاذكم الله إلٰها واحداً. ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ بيان «لَمَا» أي علم النسبة بين الخالق والمخلوق ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ﴾ معطوف علىٰ «آتَيْتُكُمْ» ﴿رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ إظهار في موضع الإضمار، أي له والموصول أي لما مبتدأ ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ خبر والمنصوب في «لَتَنْصُرُنَّه». والمجرور في «به» عائد إلى المبتدإ تقدير الكلام: الكتاب الذي آتيتكم والرسول الذي جاءكم مصدقا لذٰلك الكتاب، آمنوا به وانصروه. أي كل واحد منهما. والمعنىٰ أخذ الله من النبيين أنفسهم إن جاءكم رسول أي رسول[1] مصدق لما معكم في حياتكم فصدقوه، ولا تتفرقوا، كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب: ٧] وأمتهم تابعة لهم في ذٰلك، لقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] هذا المضمون في[2] التوراة مرقوم ﴿قَالَ﴾ الله ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ عهدي ﴿قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا﴾ تعالىٰ ﴿فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ الخارجون من الطاعة. هٰذا دين الله أينكرون الإسلام؟ ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ اليهود والنصارىٰ، إذ لا يؤمنون بمحمد ﷺ ﴿وَلَهُۥٓ﴾ أي لله ﴿أَسْلَمَ﴾ انقاد ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ أي بعضهم طوعاً وبعضهم كرهًا، لقوله تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٦] وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ [فصلت: ٥١] ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

---

(١) لأن النكرة تعم، فتشمل رسول آخر الزمان عليه السلام (منه).

(٢) فإن قام بينكم نبي أو من يقول: إنه نظر حُلماً وسبق. وقال: عليّ آية عجيبة، وحدث ما تكلم به. وقال لك: لنذهب ونتبع آلهة أخرىٰ لم تعرفها ونعبدها، فلا تسمع قول ذٰلك النبي أو حالم الأحلام (الباب الأول من الكتاب الخامس من التوراة المتداول في أيدي أهل الكتاب).

في الحياة لإنجاح الحاجات. وبعد الممات لجزاء المكتسبات ﴿قُلْ﴾ يا محمد! أسلمنا لله، وعلامة إسلامنا أنا ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ أي الرسل بأن نؤمن ببعض، ونكفر ببعض، لقوله تعالىٰ: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠﴾ [النساء: ١٥٠] ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝٨٤﴾ منقادون له لا لغيره.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾ أي يبتغ غير دين الإسلام من النصرانية والوثنية أو غيرها لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ لخسران عاقبته، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء: ١١٥] فبعد تقرر هذه الأصول ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ الهداية هٰهنا بمعنىٰ الغفران، لقوله تعالىٰ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٦﴾ [المنافقون: ٦] ﴿وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ الدلائل الواضحات من المعجزات وغيرها ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٦﴾ أي لا يغفر للمشركين، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لقمان: ١٣] وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١١٦] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ﴾ إن ماتوا علىٰ ذٰلك ﴿أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝٨٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي في اللعنة حال أي مقدرا لهم الخلود ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝٨٨﴾ يمهلون لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦﴾ [المرسلات: ٣٦] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ﴾ متصل بقوله: قوما كفروا ﴿تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الارتداد ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ ما أفسدوا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٨٩﴾ يغفر لهم ما قد سلف، فيوفقهم للأعمال الصالحة، لقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥-٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ أي ارتدوا عن الإيمان ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ بلغوا انتهاء كفرهم، أي قاربوا الموت على الكفر ﴿لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ حين حضر الموت، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨] ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾ ينصرونهم من دون الله.

﴿لَن تَنَالُوا۟﴾ أيها المسلمون ﴿ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ فيجازيكم به ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ﴾[1] أي كل أجزاء الطعام المأكول ﴿كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ابتداء ﴿إِلَّا مَا﴾ أي الجزء الذي ﴿حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ أي ترك أكله لمصلحة بدنه، لا من حيث الشرع ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ في التوراة المتداولة في زماننا إشارة إلىٰ هذه القصة[2] ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ بأن ادعىٰ حرمة المباح ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ عند الله ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ في هذا الأمر ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ كمثلكم المتبعين الهوىٰ، لقوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] ﴿إِنَّ أَوَّلَ[3] بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ أي لعبادة الناس ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ أي مكة المشرفة زادها الله شرفاً وتعظيماً وهو البيت العتيق ﴿مُبَارَكًا﴾ حال من المستكن في وضع أي ذا بركة، من حيث الأمن والرجوع

---

(١) فإن دخلت «كُلّ» على المنكّر أوجبت عموم أفراده. وإن دخلت على المعرّف أوجبت عموم أجزائه. حتى فرقوا بين قولهم: كل رمّان مأكول وكل الرمان مأكول بالصدق والكذب (نور الأنوار ص٧٦) ههنا لفظ كل مضاف إلى المعرفة. فالمعنى ما قلنا (منه).

(٢) فدعا يعقوب اسم ذلك المكان فنوايل قائلاً: رأيت الله وجها لوجه وتخلصت نفسي. فأشرقت عليه الشمس من بعد ما عبر فنوايل وهو كان يخمع من رجله لأجل ذلك لا يأكل بنو إسرائيل العرق الذي ذبل في ورك يعقوب حتى إلى هذا اليوم أنه جس عرق وركه وذبل. (الباب الثاني والثلاثون من الكتاب الأول من التوراة المطبوعة في لندن).

(٣) من حسن الاتفاق أني أصلح هذا المقام وأنا بمكة حاجًّا سنة ١٣٤٤هـ.

إليه، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة: ١٢٥] ﴿ وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ عطف علىٰ مباركاً أي مخرج هدى يخرج منه محمد ﷺ لقوله تعالىٰ حكاية عن الخليل وابنه عليهما السلام: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٩] ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ منها ﴿ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَ ﴾ منها ﴿ مَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ لا يتعرض له لقوله تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [القصص: ٥٧] وقوله تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٧] ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾ في العمر مرة ﴿ مَنِ ٱسْتَطَاعَ ﴾ بدل من الناس ﴿ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ بالزاد والراحلة وأمن الطريق وصحة البدن وغير ذٰلك ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ أي أعرض عن الحج ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ لا يبالي بكفرهم، لقوله تعالىٰ: ﴿ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ [إبراهيم: ٨] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي أحكامه المتعلقة بالحج وغيرها ﴿ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ وهي مذكورة كناية في كتبكم، في التوراة المتداولة: جاء الرب من سينا، وأشرق لنا من ساعير، استعلن من جبل فاران ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الإسلام ﴿ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا ﴾ أي مبتغين فيها ﴿ عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ﴾ علىٰ حقيتها، لقوله تعالىٰ: ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٦] ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ فيحاسبكم كما يشاء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم ﴾ يصيروكم ﴿ بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ مآلهم مذكور في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ أي ما أوجب عليكم بقوله تعالىٰ: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ ﴾ [التغابن: ١٦] وقوله تعالىٰ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ أي دوموا على الإسلام والانقياد لله تعالىٰ، لقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ [النساء: ١٣٦] ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ أي لا تصيروا فرقا مختلفة، لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٥٩] ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ أي كدتم أن تقعوا فيها لأجل الكفر والشرك، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٨] ﴿ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ أي من النار بإرسال محمد رسولاً لقوله تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٤] ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ أحكامه ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ عالمة ماهرة في القرآن والحديث وغيرهما، مما يتعلق بالدين ﴿ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ إلى الإسلام ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ ما عرف في الشرع، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ﴾ [الممتحنة: ١٢] ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ الذي أنكره الشرع، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [النحل: ٩٠] ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ الفائزون المرام الداخلون الجنة، المبعدون عن النار، لقوله تعالىٰ: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] الحصر على وجه الكمال لا علىٰ سبيل الحقيقة لقوله تعالىٰ: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[1] [المجادلة: ١١] ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ ﴾ في الدين ﴿ وَٱخْتَلَفُواْ ﴾ حتى عاند بعضهم بعضاً ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ أي الأحكام

---

(١) رفع درجات أولي العلم يقتضي أن يكون من تحتهم غير أولي العلم وهم المؤمنون الذين لايعلمون (منه).

الواضحة ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ﴾ ظرف متعلق بالنسبة الخبرية في الجملة السابقة ﴿تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ يقال لهم ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ أي بعد ما جاءكم ما لو آمنتم به لنجوتم لقوله تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [تبارك: ٨] ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس: ٣٨ـ٤٢] ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد (عليك السلام) ﴿بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾ في الوجود والبقاء كلها لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٤٢].

﴿كُنتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ أفضل الأمم ﴿أُخْرِجَتْ﴾ أظهرت ﴿لِلنَّاسِ﴾ في الناس ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ وحده هذه هي الفضيلة فيكم فما دمتم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كنتم خيراً وإلا فلا لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1] [الحجرات: ١٣] ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ مثل ما آمنتم ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ الخارجون من الطاعة ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾ شيئاً ﴿إِلَّا أَذًى﴾ أي يسمعونكم قولاً قبيحاً وسبًّا فضيحًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦] ﴿وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾ أي لا يقاتلونكم مقابلين لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤] ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي بإظهار الإسلام لقوله تعالىٰ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ

---

(١) الآية الكريمة تدل على أن الإكرام مداره على التقوى فالقضية في معنى المشروطة العامة (منه).

﴿ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] مر آنفاً ﴿وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي بإعطاء أمن من الناس لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ [التوبة: ٦] ﴿وَبَآءُو﴾ أي رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾ أي الهوان اللازم للرعية لقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الغضب والهوان ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ﴾ القتل والكفر ﴿بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ حدود الله وفي التوراة المتداولة هكذا[1] ﴿۞ لَيْسُوا۟﴾ كلهم ﴿سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ بأمر الله ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي القرآن ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي ما عرف في الشرع ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ ما أنكر في الشرع ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ﴾ خلاصة المرام أنهم أسلموا لقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ إلى قوله تعالىٰ: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: ٨٣] ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ يعلم إخلاصهم فيجازيهم علىٰ أعمالهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾ ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة: ٢٠] ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في معاندة الإسلام ونشر الكفر لا ينفعهم شيئاً بل هو مضر لأعمالهم الصالحة ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ﴾ كذلك نفقاتهم في نشر الكفر وصد الناس عن السبيل مهلكة لأعمالهم الصالحة لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ

---

(١) انظروا فإني أضع اليوم قدامكم البركة واللعنة فالبركة إن أنتم أطعتم وصايا الرب إلهكم التي أنا أوصيكم اليوم واللعنة إن أنتم لم تطيعوا وصايا الرب إلهكم (الباب الحادي عشر من الكتاب الخامس من التوراة) لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦] (منه).

﴿يُغْلَبُونَ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: ٣٦] ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ لا يقصرونكم في إيصال الشر ﴿وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ﴾ ما مصدرية ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي يظهرون عداوتكم ويحقرون شأنكم لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ﴾ [الأنعام: ٥٣] ﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ من هذا حيث ﴿عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩] ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ فتفهمون ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ﴾ المسلمون ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ أي الكتب كلها ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟﴾ غابوا عنكم ﴿عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ لما يرون عروجكم يوما فيوما ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾ [آل عمران: ٥] ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ عافية وغنيمة أو نصرة ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ حزنوا بها ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ مشقة وتعب بلا فائدة ﴿يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾ علىٰ الأذىٰ ﴿وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾.

﴿وَ﴾ اذكر الواقعة ﴿إِذْ غَدَوْتَ﴾ خرجت وقت الفجر ﴿مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تقعد المؤمنين ﴿مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بأقوالكم ﴿عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ بأحوالكم ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ تجبنا ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ الفاء للتعقيب أي علىٰ الله ليتوكلوا فليتوكلوا ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ لا قوة لكم في مقابلة الكفار، كان الصحابة يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا معهم فرسان وثمانية سيوف وستة أدرع ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ﴾ بدل من «إذ همّت» ﴿تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ حال ﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟﴾ على البلاء ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ المناهي ﴿وَيَأْتُوكُم﴾ أي الكفار ﴿مِّن فَوْرِهِمْ﴾ غيظهم وغضبهم ﴿هَٰذَا﴾ أي مثل هذا الغيظ ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ معلمين بعلامة خاصة. قد نصر الله المسلمين ببدر بألف من

الملائكة كما قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩] وبثلاثة آلاف في غزوة أحد كما قال عز من قائل: ﴿بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [آل عمران: ١٢٤] والموعود بخمسة آلاف أوفاه الله في غزوة الخندق كما قال سبحانه: ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الأحزاب: ٩] ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي الإخبار بالإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ أي ليس على الكثرة والقلة مدار الفتح والهزيمة بل علىٰ أمر الله لقوله تعالىٰ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٤٩] ﴿لِيَقْطَعَ﴾ متعلق بنصر ﴿طَرَفًا﴾ فريقاً ﴿مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ مقطوعي الآمال لٰكن ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ﴾ من العز والذل ﴿شَيْءٌ﴾ لأنك لا تقدر علىٰ شيء منهما لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ [الجن: ٢١] ﴿أَوْ يَتُوبَ﴾ إذا ندموا عطف علىٰ «يَكْبِتَهُمْ» ﴿عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ إن أصروا على الكفر ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ مستحقون العقوبة وجملة «لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ» معترضة والمعنىٰ أن الله مالكهم إما يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم حسب أعمالهم وإخلاصهم إنما أنت عبد مبعوث لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ [الرعد: ٧] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ﴾ المعنىٰ لا يفوته من يشاء تعذيبه ولا مانع لغفرانه لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [هود: ٣٣] ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨] ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾ يرجى غفرانه لقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ﴾ [الزمر: ٥٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ﴾[1] كما هو معروف بينكم

---

(١) كان أهل العرب يعاملون بينهم بدين على ربا، ثم إذا حل الأجل ولم يرد المديون دينًا أدخلوا الربا الواجب في دينه وأخذوا الربا عليه أيضًا. هذا معنى قوله تعالى أضعافا مضاعفة بيان للواقع لا للاحتراز لقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٨] (منه).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بإحسان الأعمال ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ مما رزقهم الله ﴿فِي السَّرَّاءِ﴾ اليسر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ العسر بحسب طاقتهم ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ مع القدرة علىٰ إنفاذه.

عطف علىٰ الموصول صفة للمتقين ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ في حقوق أنفسهم، لا حقوق الشرع ولا حقوق العباد فيما بينهم، لقوله تعالىٰ: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] ولقوله تعالىٰ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة: ١٩٠] ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ الذين يحسنون ما عليهم من الواجبات ﴿وَالَّذِينَ﴾ عطف علىٰ الموصول السابق ﴿إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ ضد الحياء ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ أي إخوانهم بني آدم لقوله تعالىٰ: ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم: ٢٨] ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَ﴾ يعلمون أنه ﴿مَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي لا يغفر الذنوب إلا هو، لقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشورى: ٢٥] ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ حال من ضمير «لَمْ يُصِرُّوا» أي يتركون وينتهون عن الذنوب وهم عالمون بقبحها، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١] وإن كانوا حال الفعل جاهلين، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧] ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ واقعات ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ فتعتبروا لكيلا تكون عاقبتكم أيضاً كذلك لقوله تعالىٰ: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [الإسراء: ٧٧].

﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا﴾ تضعفوا عن

القتال ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما فاتكم ولا ما أصابكم ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ بالغلبة عليهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿لَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء: ١٤١] ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ أي جراح فلا حرج ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ﴾ الكافرين ﴿قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ﴾ أي المصائب ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ تارة على الكافرين وأخرىٰ على المسلمين، والحرب سجال ﴿وَ﴾ فعل الله بكم ما فعل من الهزيمة ﴿لِيَعْلَمَ﴾ ليميز ﴿اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من غيرهم لقوله تعالىٰ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ [الرعد: ٩، ١٠] وقوله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] ﴿وَيَتَّخِذَ﴾ يجعل ﴿مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ قتلىٰ في سبيل الله ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ المشركين لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣] ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ﴾ يطهر عن الذنوب ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ إذا اجترؤوا على المسلمين كما فعل بهم يوم الأحزاب ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ بالإخلاص عن غيرهم ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ بالنصب عطف على المجزوم، كان حقه الكسر ولٰكن فتح للخفة (أبو السعود) والحق أنه قد تنصب الجوازم أيضًا، كقول أبي الطيب:

فبادٍ هواك صبرت أم لم تصبرا وبكاكِ إن لم يجر دمعك أو جرىٰ

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ أي الشهادة في سبيل الله ﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ أي كنتم تدعون للشهادة لقوله تعالىٰ: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣] ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾ بالعين.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ أي مضت في أوقاتها ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾

---

(١) دليل على أن الله عالم بالغيوب كلها، فمعنى العلم في هذا المقام التمييز، كما هو مصرح في الآية الكريمة الثانية (منه).

محمد حتف أنفه ﴿أَوْ قُتِلَ﴾ في معركة القتال ﴿ٱنقَلَبْتُمْ﴾ ارتددتم ﴿عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ استفهام إنكاري لا ينبغي لكم الارتداد ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ ارتد عن الإسلام ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ﴾ أي دينه ﴿شَيْـًٔا﴾ لأنه يستخدم على هذا العمل أقوامًا آخرين، لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨] ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ لنعمائه ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ مصدر ﴿وَمَن يُرِدْ﴾ بعمله ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ شهرتها ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ﴾ بعمله ﴿ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ جزاءها ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورىٰ: ٢٠] ﴿وَكَأَيِّن﴾ كثير ﴿مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ﴾ ناصرين له ﴿رِبِّيُّونَ﴾ مخلصون لله ﴿كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟﴾ جبنوا ﴿لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ أي ما كسلوا في سبيل الله بل ثبتوا ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ حينما خرجوا للمقاتلة ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ المعاندين المقاتلين ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ الغنيمة والحكومة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي الجنة لإخلاصهم، لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [محمد: ٤ـ٦] ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ في أعمالهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في قبول شبهاتهم ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ متولي أموركم ولاية خاصة لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾[1] [الشورىٰ: ٩] وقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾[2] [محمد: ١١] بشرط ثباتكم على الطاعة لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩]

---

(١) ثبوت للولاية العامة.

(٢) ولاية خاصة.

﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ ﴾ الخوف منكم ﴿ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ دليلًا نقليًا ولا عقليًا لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ﴿ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ ﴾ الذي وعدكم بقوله: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٨ـ٤٠] ﴿ إِذْ تَحُسُّونَهُم ﴾ تقتلونهم ﴿ بِإِذْنِهِۦ ﴾ بإرادته ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ الذي أمركم الرسول عليه السلام ﴿ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ ﴾ من الفتح صرفه عنكم ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ من ثم ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ ﴾ أي ليجعلكم مبتلين بالبلاء بما كسبتم لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورىٰ: ٣٠] ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ ﴾ ما سلف منكم ﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ ﴿ إِذْ ﴾ متعلق بـ «صَرَفَ» ﴿ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ ﴾ تلتفتون ﴿ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾ وراءكم ﴿ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا ﴾ بإسماعكم خبر قتل الرسول ﴿ بِغَمٍّ ﴾ على غم بفوت الفتح ﴿ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ من الفتح لما إذ سمعتم خبر حياة الرسول عليه السلام فرحتم وذهب منكم الغم علىٰ فوت الفتح ﴿ وَلَا ﴾ علىٰ ﴿ مَآ أَصَابَكُمْ ۗ ﴾ من الهزيمة والجراحات ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً ﴾ أمنا يبدل منه ﴿ نُّعَاسًا ﴾ نوماً ﴿ يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۗ ﴾ أي المؤمنين ليسكنوا بالنوم ﴿ وَطَآئِفَةٌ ﴾ أي الذين في قلوبهم مرض من المنافقين ﴿ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ ﴾ الذي لا ينبغي أن يظن من عدم نصر الله لرسوله وقد وعد الله سبحانه النصر لرسوله لقوله تعالىٰ: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ ﴾ [النصر: ١]، ﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ الاختيار والقدرة ﴿ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ ﴾ والقدرة ﴿ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ ﴾ ليس لأحد من خلقه التمكن من خير أو شر لقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ

أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ [الجن: ٢١] ﴿يُخْفُونَ﴾ المنافقون ﴿فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ من قولهم: ﴿نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢] ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أي القدرة على إخواننا الذين قتلوا بعد المنع عن الخروج ﴿شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا﴾ أي لم يقتل إخواننا المؤمنون ﴿هَٰهُنَا﴾ في ميدان القتال ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ﴾ أي خرج ﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم لقوله تعالىٰ: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يونس: ٤٩] ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ﴾ يظهر ﴿مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ من الإخلاص والنفاق ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ يميز ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ من المحبة أو العداوة ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ فابتلاؤكم للإظهار ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ﴾ أيها المسلمون أعرضوا عن القتال ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ المسلمون والكفار أي يوم أحد ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾ أزلهم ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ من حب الدنيا وترك المركز أي جرهم ذاك الذنب إلى هذا الذنب لقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة: ٦١] ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ وهو أعلم بمن يكون مستحق الغفران لقوله تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾[الأنعام: ٥٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ سافروا لأمر الدين ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ فاللام في ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ للعاقبة ﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ﴾ ينشىء الحياة ويديمها ﴿وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾ فيجازيكم ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ في سبيله من غير قتل علىٰ كل حال ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ الناس كلهم لقوله تعالىٰ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ في سبيل الله ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ فيجازيكم بأعمالكم ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤] ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ سيء الخلق ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ القاسي القلب ﴿لَٱنفَضُّوا﴾ تفرق الناس ﴿مِنْ حَوْلِكَ﴾ لسوء الخلق ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ على الأمر بعد المشاورة لقوله

تعالىٰ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورىٰ: ٣٨] ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ لأنه ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ عليكم ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ يذلكم ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي لا ناصر لكم لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٨، ٨٩] ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ الفاء للعطف كما مر ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ﴾ أي نبي ﴿أَن يَغُلَّ﴾[1] وكيف يغل وهو أسوة حسنة للناس لقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١] ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فيفتضح علىٰ رؤوس الأشهاد ومقام الرسول أرفع من ذلك لقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ [التحريم: ٨] وقوله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٩] ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ من نقص الحسنات وزيادة السيئات ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ محمدٌ ﷺ وأتباعه لقوله تعالىٰ: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الفتح: ٢٩] وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣] ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي عصىٰ ربه ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾﴾ لا بل ﴿هُمْ﴾ أي المتبعون رضوان الله والباؤون بسخط من الله ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ أي ذوو درجات مختلفة ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦] ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ فهم يفوزون بحسب أعمالهم لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤] ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾ محمداً عليه الصلاة والسلام ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي من قومهم ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ بأثر الصحبة عن الرذائل ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ

---

(١) قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في قطيفة حمراء افتقدت يوم بدر. فقال بعض الناس (المنافقون) لعل رسول الله أخذها. (الترمذي: ٣٠٠٩).

﴿إِيَّاهُ﴾ إلى قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٣ـ٣٩] ﴿وَإِن﴾ مخففة ﴿كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ فكيف يليق به ما نسب إليه المنافقون من الغلول نعوذ بالله.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم﴾ الكافرين ﴿مِّثْلَيْهَا﴾ بقتل سبعين وأسر سبعين ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ أي من أين هٰذا ﴿قُلْ﴾ يا محمد في جوابهم ﴿هُوَ﴾ أي ما أصابكم ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ إذ ارتكبتم المعاصي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ منه تعذيبكم ﴿وَمَآ أَصَابَكُمْ﴾ من القتل والجراح ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ المسلمون والكافرون ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ﴾ يميز ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ﴾ يميز ﴿ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ وَقِيلَ لَهُمْ﴾ أي قال لهم المسلمون ﴿تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟﴾ معنا ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟﴾ أعداءنا بإكثار جماعتنا في رؤيتهم ﴿قَالُوا۟﴾ كذبا ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾ ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم قالوا هذه الكلمة ﴿أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ أي رجحانهم إلىٰ الكفر أزيد من رجحانهم إلىٰ الإيمان بل ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من تكذيب الرسول والقرآن ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ من الكفر ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ الذين أسلموا وأخلصوا لله دينهم ﴿وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا﴾ في عدم الخروج للقتال ﴿مَا قُتِلُوا۟ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ في دعواكم أن إطاعتكم مانعة للموت ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾ بالسيف أو البندقة أو غيرهما ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ حياة طيبة ليست لغيرهم لقوله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] ﴿يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ من الله ما يشاؤون ﴿فَرِحِينَ﴾ حال من ضمير «يُرْزَقُونَ» ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بيان لِـ «مَآ» ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ من المسلمين ﴿أَلَّا﴾ بدل اشتمال من الموصول ﴿خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ أي يطلبون البشارة في حق المؤمنين الذين ما قتلوا بعد بشهادتهم لينالوا بها ما نالوا كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس: ٢٦ـ٢٧] أي فيعملوا مثل ما عملت فينالوا ما نلت ﴿﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بفرحون ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾

عليهم ﴿وَأَنَّ﴾ عطف على «نِعْمَةٍ» ﴿ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ أي يفرحون بأن الله يعطي إخوانهم من المؤمنين الذين ما قتلوا بعد ما أعطاهم لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٣٠].

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا﴾[1] أطاعوا ﴿لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ الجرح والجهد الشديد ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا﴾ من بيانية أي لهؤلاء المتقين ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ [التوبة: ١١٧] ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ أي نعيم بن مسعود عين المشركين ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ المشركين ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ أي المقاتلين لقتالكم ﴿فَٱخْشَوْهُمْ﴾ واتركوا زعم القتال ﴿فَزَادَهُمْ﴾ هذا القول ﴿إِيمَٰنًا وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ لتعليم الله تعالىٰ إياهم ﴿فَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال: ٤٠] ﴿فَٱنقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فائدة ﴿وَفَضْلٍ﴾ سرور ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ يعطي فضله حسب مصلحته لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١] ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ نعيم بن مسعود أي مستحوذ الشيطان لقوله تعالىٰ: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٩] ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ أي من أوليائه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ فأنا أكفيكم الهموم كلها لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾ [الطلاق: ٢] ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا

---

(١) رجع المشركون من أحد، فندموا في أثناء الطريق، وقالوا: نرجع ونستأصل المسلمين. فخرج رسول الله ﷺ ومن كان معه في أحد وهم في جراحاتهم عقب المشركين فلما سمع المشركون بخروجهم. ألقى الله في قلوبهم الرعب. فأرسلوا نعيم بن مسعود يخوف المسلمين باجتماع المشركين كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣] والمسلمون قالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ورجعوا إلى مكة ورجع المسلمون بعافية وربح وهو أن عيراً مرت فاشتراها رسول الله ﷺ والمسلمون وربحوا فيها خيراً كثيرا (جامع البيان ٣/ ٥٢٢، ٥٢٣ ومعالم ٢/ ١٣٦).

﴿ٱللَّهَ﴾ أي دين الله ﴿شَيْـًٔا﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف: ٨] ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ لتركهم الحق وأخذهم الباطل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي أخذوا الكفر رغبة وتركوا الإيمان طوعاً ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ إذ هو غني عن العالمين وإيمانهم لقوله تعالىٰ: ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم: ٨] ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾ مؤلم ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ﴾ نمهل ﴿لَهُمْ﴾ ما مصدرية أي إمهالنا إياهم ﴿خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠] ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ يهينهم يوم الجزاء ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ﴾ يترك ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ﴾ الكاذب في دعوىٰ الإيمان ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۚ﴾ الصادق القول لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٣] ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ فتعرفوا الكاذب من الصادق ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ﴾ بيان مقدم ﴿مَن يَشَآءُ ۚ﴾ مبين مؤخر أي إن الله يطلع رسله علىٰ غيبه إن شاء علىٰ أي قدر شاء لقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠] ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ﴾ بما يخبرونكم ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟﴾ بما يخبركم ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ ما نهاكم ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ من علم أو مال أو وجاهة ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ﴾ والعائد المرفوع قائم مقام المنصوب مفعول أول و«خَيْرًا» مفعول ثان ليحسب أي لا يحسب البخيل بخله خيرًا له ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ﴾ لأنهم ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ أي يعذبون بمالهم وعلمهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥] ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ هو مالكهما وما فيهما ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ﴾[1] حين أمروا بالإنفاق في سبيل الله ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾ أي سنجازيهم لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنبياء: ٩٤] وقوله[2] تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ عطف علىٰ «ما» ﴿وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ أي النار ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَ﴾ اعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ والنفي راجع إلىٰ أصل الفعل لا إلىٰ زيادة المبالغة لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] هم ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ﴾ أرسل ﴿إِلَيْنَآ﴾ حكماً ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ﴾ أي يأمرنا بقربان ﴿تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ أي يحرقه الكاهن[3] بالنار المذكور في التوراة المتداولة في أيدينا في الكتاب الأول من التوراة المسمىٰ بسفر الخروج في الباب التاسع والعشرين هكذا. «وتأخذ الكبش الواحد فيضع هارون وبنوه أيديهم على رأس الكبش وتأخذ دمه وترشه على المذبح من كل ناحية وتقطع الكبش إلى قطعه وتغسل جوفه وأكارعه وتجعلها على قطعه وعلى رأسه وتوقد كل الكبش على المذبح».

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ﴾ من متبعي التوراة إلىٰ بعثة المسيح ﴿مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات ﴿وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾ بقربان تحرقه النار ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن

---

(١) لما نزلت ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] قالت اليهود: إن الله فقير، يستقرض منا، ونحن أغنياء. (معالم ٢/ ١٤٣).

(٢) فيه إشارة إلى أن الآيتين مصداقهما واحد. فالمراد من الكتابة الحياة الطيبة، أي جزاء الحسنىٰ (منه).

(٣) ورد في الحديث: أن الغنيمة لم تحل لأحد قبلكم، كان النبي ﷺ وأصحابه إذا غنموا وجمعوها نزلت نار من السماء فأحرقتها (انظر الترمذي: ٣٠٨٥ وأحمد ٢/ ٢٥٢ ومسلم: ١٧٤٧ وغيره). فالغنيمة غير القربان، والقربان غير الغنيمة. والدليل علىٰ غيريتهما: أنا نحن أهل الهنود نأكل القربان، وما أكلنا الغنيمة قط، فافترقا. فالحديث لا يتعلق بالآية، بل هو واقع آخر، فافهم (منه). لكن القربان على هذا التأويل لا يكون دليلًا مقنعًا (ص، ر).

﴿كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ في أن من يأمر بقربان تأكله النار نؤمن به ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ فلا تبال ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ المسائل الشرعية ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ الجامع للمعاملات والعبادات وغيرها كالقرآن ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ أي هالكة بالموت لقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي بعد الموت معا لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: ٣٢] ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ يغتر به من انغمس في لجتها واغتر بزينتها بخلاف من يراها فانية ويعتبر وجودها وعدمها سواء لقوله تعالىٰ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧].

﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤] ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ أي من الأمور المعزومة التي تجب علىٰ العباد لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧] ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ أي الكتاب ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي متاع الدنيا وإن كان كثيراً فهو قليل لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الرعد: ٢٦] ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ هم علماء أهل الكتاب لقوله تعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤] وعلماء السوء من هذه الأمة مثلهم لقوله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾

[النساء: ١٢٣] ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا﴾[1] فعلوا ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا﴾ يمدحوا ﴿بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ﴾ نجاة ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾ يقدر على كل شيء من الممكنات.

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي الذهاب والمجيء ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دالات على وجود الصانع ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ العقلاء عند أهل الدنيا من يوجد الصنيعة وعند الله ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قائلين ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا﴾ الخلق ﴿بَٰطِلًا﴾ عبثا بلا فائدة وبلا مآل حسن لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص: ٢٧] ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ ننزهك تنزيها عن العبث ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ الذي أعدته للذين يظنونه باطلًا عبثاً ويقولون: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [المؤمنون: ٣٧] ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ أهنته ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة: ٢٥٤] ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ رسولاً منك داعيا إليك لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦] ﴿يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ﴾ بما سمعنا ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ الكبائر ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾[2] أي ذنوبنا كلها لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ﴾ [الفرقان: ٧٠] ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ أي ألحقنا بالصالحين في الدرجات العلىٰ لقوله تعالىٰ حاكيا عن يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا

---

(١) قال ابن عباس: دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء، فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه، فيما سألهم. وفرحوا بما أتوا من كتمانهم، فنزلت هذه الآية فيهم (صحيح البخاري: ٤٥٦٨ ومسلم: ٢٧٧٨).

(٢) للسيئات في القرآن معنيان: أحدهما الذنوب كلها. والثاني الصغائر لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]. عندي المعنى الأول حقيقة والثاني مجاز يحتاج إلى القرينة. والله أعلم (منه).

﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١] ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ بواسطة رسلك على الإيمان والعمل الصالح من البركات في هذه الدنيا وحسنتها لقوله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥] ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ وقد وعدتنا بقولك: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨] بل وآتنا يوم القيامة نعماء الآخرة الموعودة لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢] ﴿فَاسْتَجَابَ﴾ أجاب ﴿لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي﴾ بأني ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ كيف أضيع عمل أحد القسمين والحال ﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ أصلكم واحد فكما أوفيت لمن قبلكم أوفي لكم أيضاً ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ تركوا إخوانهم الكفرة لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤] ﴿وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ أي لأجل إيمانهم بي لقوله تعالىٰ: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [الممتحنة: ١] ﴿وَقَاتَلُوا﴾ الكفار ﴿وَقُتِلُوا﴾ في سبيلي شهداء ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ كما أنهم طلبوا مني عِدَتي ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا﴾ عوضاً حال أي لأعطينهم هذه النعماء حال كونها عوضاً ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ علىٰ أعمالهم الصالحة لقوله تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف: ٧٢] ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ أي ثواب حسن فيه التفات إلى الغيبة.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالتصرف والتجارة ﴿فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾﴾ هذا ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٢٦] ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ هذه حال الكفار ﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بالانتهاء عن المعاصي ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا

﴿نُزُلًا﴾ حال من جنات ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ من الدنيا ﴿لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ الصالحين لقوله تعالىٰ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلىٰ: ١٦، ١٧] ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ كما آمنتم ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ حال من ضمير «يُؤْمِنُ» وهو وإن كان مفرداً لفظاً فهو في المعنىٰ جمع ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي لا يأخذون الرشا علىٰ كتمان الحق كما يأخذ أكثرهم لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الخاشعون ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ فيجازيهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ﴾ علىٰ الشدائد ﴿وَصَابِرُواْ﴾ تواصوا بينكم بالصبر علىٰ الشدائد لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ٢، ٣] ﴿وَرَابِطُواْ﴾[1] بينكم بالمودة والمحبة لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] وقوله عليه السلام: «**لا تدخلون الجنة حتىٰ تحابوا**»[2] ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في الأمور ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ تفوزون بمرامكم (اللهم اجعلني من المفلحين).

---

(١) والمرابطة في الجهاد فرع من هذا المعنىٰ ـ فافهم ـ (منه).

(٢) رواه مسلم في الإيمان رقم (٥٤) والترمذي (٢٥١٠) في صفة القيامة ورواه البزار بإسناد جيد والبيهقي (١٠/ ٢٣٢).

سورة النساء مدنية وهي مائة وست وسبعون آية

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ آدم ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا ﴾ أي من نفسها أو من جنسها ﴿ زَوْجَهَا ﴾ أمّنا حواء ليسكن إليها ﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ ﴾ أي باسمه ﴿ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ ﴾ أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النساء: ٣٦] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ محافظاً يعلم سركم وجهركم لقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر: ١٩] ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ ﴾ التي هي عندكم أمانة إذا بلغوا ﴿ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ ﴾ الرديء ﴿ بِٱلطَّيِّبِ ۖ ﴾ بالأعلىٰ. أي لا تأخذوا الأعلىٰ وتؤدوا الأدنىٰ بدله ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ ﴾ أي منضمة إلىٰ أموالكم، بأن تشركوهم في المأكل والمشرب، وتنفقوا أموالهم زائدة ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا ﴾ ذنباً ﴿ كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ ﴿ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ [النساء: ١٢٧] ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ غيرهن ﴿ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ ﴾ علىٰ حسب طاقتكم وحاجتكم ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ ﴾ بين الزوجات المتعددة عدلاً هو في وسعكم لقوله تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ ﴾ [النساء: ١٢٩] ﴿ فَوَٰحِدَةً ﴾ أي فانكحوا واحدة ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ﴾ أي فاقضوا حاجتكم بإمائكم ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الاكتفاء بواحدة ﴿ أَدْنَىٰٓ ﴾ أقرب ﴿ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ ﴾ أي لا تصيروا[1] ذوي عيال كثير، فتشق عليكم نفقتها بالمعروف لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ

---

(١) عال الرجل عياله أي قاتهم (صراح) قال الشافعي رحمه الله: لا يكثر عيالكم (معالم ٢/ ١٦٢) أقول هذا هو المتبادر، لأن الله سبحانه قرب الاكتفاء بواحدة إلىٰ عدم العول. فيكون هناك احتمال العول، فإن كان المراد به الجور أي الميل إلى إحدى الزوجات فهو ليس بمحتمل الوجود، لأنه متفرع على التعدد وقد سلم عدمه والسالبة وإن كانت صادقة في صورة عدم الموضوع، فالقضية ههنا ليست بسالبة بسيطة، بل موجبة مطلقة أو معدولة. فافهم (منه).

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ مهورهن لقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء: ٢٤] ﴿نِحْلَةً﴾ عطية من طيب نفس ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ﴾ من المهر ﴿نَفْسًا﴾ تمييز عن النسبة أي طابت أنفسهن بلا إكراه ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ هنأكم الله تعالىٰ ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧] ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ﴾ الذين لا يميزون بين الخير والشر من متعلقيكم ﴿أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ أي ينتظم بالمال أمر معاشكم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩]، ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ منها ﴿وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾ أي هذبوهم بالشريعة لقوله تعالى: ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦] ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ اختبروهم قبل البلوغ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾ أي خمس عشرة سنة (للحديث) ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم﴾ أبصرتم ﴿مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ صلاحًا تمييزًا ﴿فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ التي كانت عندكم أمانة ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا﴾ حال أي مسرفين ﴿وَبِدَارًا﴾ أي بادرين عن ﴿أَن يَكْبَرُوا۟﴾ فيأخذوا أموالهم. والحاصل أنه لا تأكلوها بأي حيلة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٣٤] و[الأنعام: ١٥٢] ﴿وَمَن كَانَ﴾ من الأمناء ﴿غَنِيًّا﴾ لا يحتاج إلىٰ أجرة الحفاظة ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ فليتجنب عن أخذ الأجرة ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي فليأخذ الأجرة بالعرف ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ عند أدائها ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ يحاسبكم علىٰ ما أخفيتم من الفساد فإنه ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩].

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ من الإخوة والأخوات وغيرهم ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ أي من تركة قليلة كانت أو كثيرة ﴿نَصِيبًا﴾ حال من نصيب ﴿مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾ مذكوراً في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] الآية كما سيأتي ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الذين ليس لهم حق في تركة الميت إلا أنهم ذوو القربىٰ من الميت ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ كذلك ﴿وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ شيئاً عملا بقوله

تعالى: ﴿وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠] ﴿وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾ ما عرف في الشرع لدفع السائل من طيب الكلام لقوله تعالى: ﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٣] ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾ صغاراً ﴿خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ من الناس أن يضيعوا أموالهم والجملة الشرطية المصدرة بـ -لَوْ- صلة. والموصول فاعل «لِيَخْشَ». أي من كان يخاف على أولاده ضياع المال ليخشوا في حق غيرهم ﴿فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في أمر اليتامىٰ ﴿وَلْيَقُولُوا۟﴾ فيهم ﴿قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ مستقيمًا ذا إنصاف لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ بغير حق ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ لمآلهم إلىٰ النار لقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾[1] [الإسراء: ٧٢] ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ هذه مآلهم.

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ﴾ حق ﴿أَوْلَٰدِكُمْ﴾ أي أولاد المسلمين لا في أولاد النبي عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] وقوله عليه السلام: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة**»[2] رواه البخاري وأصول[3] الكليني[4] في كتاب العلم أي ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ بشرط أن لا يكون[5] هناك مانع ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾ اثنتين أو ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ الميت ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ أي للميت ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ﴾ الميت ﴿إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ الأب والأم

---

(١) فيه إشارة إلىٰ أن أعمال الدنيا مؤثرة في الآخرة. فافهم (منه).

(٢) رواه البخاري رقم (٦٧٢٦، ٦٧٢٧، ٦٧٢٨، ٦٧٣٠) في الفرائض، ومسلم رقم (١٧٥٨) في الجهاد والسير بلفظ «**لانورث ماتركنا صدقة**»وكذلك رواه الترمذي رقم (١٦١٠) ورواه أحمد (٢/ ٤٦٣) بلفظ «**إنا معاشر الأنبياء لانورث**...».

(٣) كتاب معتبر للشيعة كالبخاري لأهل السنة.

(٤) فاندفعت ما توهمت الشيعة وغضبوا على أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث منع ورثاء النبي ﷺ تركته والتفصيل في المجلد الثاني من التفسير الثنائي الهندي من مصنفاتنا (منه).

(٥) فيه إشارة إلى موانع الإرث كما هي مذكورة في كتب الفرائض فانظر فيها(منه).

﴿فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ﴾ والباقي للأب ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ﴾ أي للميت ﴿إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ﴾ مما ترك والباقي للأب والإخوة إن كانوا من الأم فلهم الثلث وإلا فلا ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾ تنفيذ ﴿وَصِيَّةٖ يُوصِي﴾ الميت ﴿بِهَآ أَوۡ﴾ أداء ﴿دَيۡنٍۗ﴾ والدين مقدم على الوصية لأنه من حقوق الخلق لقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣] ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗا﴾ تمييز من نسبة أقرب ﴿فَرِيضَةٗ﴾ مصدر أي فرض هذا الحكم فريضة ﴿مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١﴾ ﴿وَلَكُمۡ﴾ أيها الرجال ﴿نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ﴾ منكم أو من غيركم ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ﴾ أداء ﴿دَيۡنٖۚ﴾ كان على الميت ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ﴾ منهن أو من غيرهن ﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ﴾ بعد الموت لكن هذا أيضاً ﴿مِّنۢ بَعۡدِ﴾ تنفيذ ﴿وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ﴾ أداء ﴿دَيۡنٖۗ﴾ كان عليكم ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٞ﴾ ميت ﴿يُورَثُ﴾ منه ﴿كَلَٰلَةً﴾ من ليس له أصل ولا فرع من الوالدين أو الولد ﴿أَوِ ٱمۡرَأَةٞ﴾ كلالة ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ﴾ من أم لقراءة ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص لقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا﴾[1] ﴿وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ﴾ [النساء: ١٧٦] ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ ثلاثا أو أربعاً ﴿فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾ حال من الفاعل المفهوم من يوصىٰ أي يوصي حال كونه غير مضار بوصيته لأحد بأن لا يوصىٰ زائداً على الثلث أو خلاف الشرع لقوله تعالى: ﴿لِّتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ [النحل: ٤٤] وقوله عليه السلام: «**والثلث كثير أو كبير**»[2] رواه البخاري. وعليكم ﴿وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ

---

(١) بين الله سبحانه هناك للإخوة من الرجال والنساء نصيباً للذكر مثل حظ الأنثيين وهٰهنا لكل واحد منهما السدس ففهم من الآيتين أن الأخ والأخت المذكورين ههنا غير الإخوة المذكورة هناك فافهم (منه).

(٢) رواه البخاري (١٢٩٥) في الجنائز ومسلم رقم (١٦٢٨) في الوصية والموطأ (٢/٧٦٣) والترمذي (٩٧٥) وأبو داود رقم (٢٨٦٤) في الوصايا والنسائي ٦/٢٤١، ٢٤٣ في الوصايا.

﴿عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ حيث لا يعجل العقوبة على من يعصيه.
﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أحكامه ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما أمراه ﴿يُدْخِلْهُ﴾ الله ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ﴾ يتجاوز ﴿حُدُودَهُۥ﴾ المقدرة ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾.
﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ الزنا ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا﴾ فأشهدوا ﴿عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ من المسلمين ﴿فَإِن شَهِدُوا﴾ شهادة على وجهها بأن يقولوا رأيناهما يزنيان ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾ أي احبسوهن إلى الموت ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾ هذا قبل نزول حكم الزنا. فقد جعل الله لهن سبيلا بقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢] ﴿وَ﴾ الرجلان ﴿ٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا﴾ أي اللواطة ﴿مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا﴾ كليهما إيذاءً مناسبا لشأنهما ﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا﴾ أي صارا صالحين ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا﴾ قابل التوبة ﴿رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥] لا تقبل توبة كل واحد بل ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ بغلبة النفس ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ من غير مكث على الذنب لقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥] ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بإخلاص النيات ﴿حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ فيما يصنع ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ مديمين عليها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي آثار الموت ﴿قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ أي لا تقبل توبتهم لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩٠، ٩١] ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ أي يموتون كافرين ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ مؤلما.
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟﴾ تملكوا ﴿ٱلنِّسَآءَ﴾ غير منكوحاتكم

﴿ كَرْهًا ﴾ مكرهين أي لا تكرهوهن أن ينكحن من ترضون من بعد وفاة أزواجهن ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ أي لا تمسكوهن أيها الناكحون ضرارا ﴿ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ من المهور وغيرها أي لا تؤذوهن بأي وجه ﴿ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ الزنا ومثله لقوله تعالى: ﴿والَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾ [النساء: ١٥] الآية مرت آنفًا فآذوهن بطريق مذكور في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾ [النساء. ٣٤] فإن لم يطعن فيحل إضرارهن ليفتدين لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ أي بوجه عرف في الشرع بقوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ ﴾ لسوء الخُلُق أو الخَلْق فلا تؤذوهن ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ ولداً صالحاً ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٦] ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ ﴾ أي أردتم أن تطلقوها وتنكحوا غيرها بوجه من الوجوه ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا ﴾ مالاً كثيراً ﴿ فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ قليلًا ﴿ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا ﴾ بظلم نصب بنزع الخافض ﴿ وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ ﴾ أي بطريق يأثم صاحبه ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ ﴾ والحال أنه ﴿قَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ بالجماع ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ﴾ مضبوطاً عند عقد النكاح لأن النكاح ظاهره الاستمرار[1] لقوله تعالى: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ [النساء: ٢٤] ﴿ وَلَا تَنكِحُوا ﴾ امرأة ﴿ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ بيان لِـ-مَا- ﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ فهو معفو ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا ﴾ يمقت عليه الرب تبارك وتعالىٰ ﴿ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾ عرفاً وشرعاً.

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ أي ما يطلق عليه لفظ الأم من الوالدة والجدة من

(١) فيه إشارة إلىٰ بطلان نكاح المتعة فافهم.

قبل الأب والأم أي لا تنكحوهن ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ أي ما يطلق عليه لفظ البنت من الصلب وبنت الابن [وبنت البنت] لقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧] ﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ أي الصغائر التي في تربيتكم ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ بالجماع ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ في نكاحهن ﴿وَ﴾ حرمت عليكم ﴿حَلَٰٓئِلُ﴾ أزواج ﴿أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ فهو معفو ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾.

﴿﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾﴾ ذوات الأزواج ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ [النساء: ٢٥] أي صرن ذوات أزواج (كما سيأتي) وأصل الإحصان الحفظ والحفاظة لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [الأنبياء: ٩١] ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ بالسبي في الحرب وإن كانت ذات زوج فجاز الوطء بها بعد الاستبراء بشهر (للحديث) لصيرورة نكاحهن مفسوخا بالسبي لقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾﴾ [المؤمنون: ٦] ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ مصدر منصوب أي كتب الله عليكم كتابا ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور من النساء ﴿أَن تَبْتَغُواْ﴾ تطلبوا ﴿بِأَمْوَٰلِكُم﴾ أن المصدرية بدل من ما ﴿مُّحْصِنِينَ﴾ محافظين أنفسكم من الزنا لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾﴾ [المؤمنون: ٥].

﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ مخرجين الماء أي لا يكون مرادكم منه إخراج المني فقط ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ﴾ من المال ﴿مِنْهُنَّ﴾ أي بهن ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ لقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٢٤] (سيأتي) فيه إظهار موضع الإضمار أي آتوهن إياه ﴿فَرِيضَةً﴾ مقررة حال من «أُجُورَهُنَّ» ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ بالحط من المهر أو الزيادة عليه.

لقوله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ [النساء: ٤] وقوله

تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ غنىً ﴿أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الحرائر لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥] (كما سيأتي) ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ أي فانكحوا ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ من الأولىٰ تبعيضية والثانية بيانية ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾ فاكتفوا بظاهرهن ولا تجسسوا بواطنهن ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ لقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١] ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي بطريق عرف في الشرع ﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾ أي محفوظات حال ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ مخرجات المني ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ أخلاء يزنون بهن سرًّا ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ حفظن بالنكاح ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ الزنا ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ الحرائر ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي خمسين جلدة لقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإذن لنكاح الإماء ﴿لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ أي المشقة والضرر بالتجرد لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١] ﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟﴾ عن نكاح الإماء ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ حتىٰ يتيسر لكم الطول لنكاح المحصنات لقوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور: ٢٦] ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ لما يخطر ببالكم من دواعي الزنا في حالة التجرد.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ في النكاح وغيره ﴿وَيَتُوبَ﴾ يرحم ﴿عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ عن الطريق المستقيم فتكونوا سواء ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ يسهل أحكامه عليكم ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ لا يصبر على الضرر، ويفرح في السرور لقوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج: ١٩-٢١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بطريق غير مأذون من الشرع ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن تَكُونَ﴾ الأموال ﴿تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ فكلوا ما ربحتم لقوله

تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٨٦] ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ إخوانكم لقوله تعالى: ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم: ٢٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ القتل ﴿عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾ لا خطأً ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣] ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ وإن كان القاتل أميراً أو ملكاً ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ الإضافة بيانية أي الكبائر التي تنهون عنها فما نهىٰ عنه الشرع فهو كبير لقوله تعالى: ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧] ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ أي الصغائر من الذنوب لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢] ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ أي الجنة يكرم من الله من يدخلها لقوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس: ٢٦، ٢٧].

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي ما فضل الله به صنفا علىٰ صنف، لأنه ليس مما يمكن أن يتحصل بالتمني، فإنه وهبي لا كسبي، لقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٤] هذا في أمر فطري ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ فاجتهدوا في الشرافة الكسبية فإنها ممكنة الحصول لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٣٠] ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ العام غير المخصوص بصنف دون صنف من علم أو مال أو جاه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ﴾ إنسان مات ﴿جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ﴾ ورثة ﴿مِمَّا﴾ أي لمال ﴿تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ من الإخوة والأخوات وغيرهم ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ انعقدت العهود بينكم أي الزوج[1] والزوجة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٥] وقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ

---

(١) قال أستاذ الهند الشاه ولي الله ـ رحمه الله ـ : ظاهر الآية أن الميراث للموالي والبر والصلة لموالي الموالات. فلا نسخ. (الفوز الكبير ص٥٦).
قال بعض العلماء: المراد به أولياء الحلف والمؤاخاة. ثم نسخ توريثهم فاختر ما شئت (منه).

﴿تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء: ٢١]، والموصول معطوف على «الوَالِدَانِ» أي جعلنا لكل مال مما ترك هؤلاء ورثة ﴿فَئَاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ على حسب ما ذكر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾ يعلم من يتبعه ممن يعصيه.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ﴾ مسلطون ﴿عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ بالحكومة بوجهين فطري وكسبي ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ﴾ أي صنف الرجال ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ صنف النساء بوجه فطري ﴿وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ في المهور والنفقة لقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤] وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] كسبي ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ أي فالنساء الصالحات ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾ أي مطيعات للزوج لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤] (ستأتي) ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ أي حافظات لما غاب عن عيون الرجال من أموال الزوج ومن أنفسهن ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ أي بما أمرهن الله بالحفاظة بقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾[1] مخالفة أمر الزوج ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ أيها الأزواج بعذاب الله ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾ إن لم يتعظن بالكلام ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ ضربا غير مبرح إن لم ينتهين بالهجر ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ للعذاب. ولا تغتروا بالحكومة عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ﴾ عليكم ﴿عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ فيجازيكم على حسب أعمالكم ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ علمتم أيها الأولياء والعرفاء ﴿شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ مخالفتهما التي لا تكاد تصلح بالكلام ﴿فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا﴾ بالإخلاص ﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ بالنيات والأعمال ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحده لقوله تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ ﴿وَ﴾

---

(١) إن امرأة سعد بن الربيع نشزت عليه فلطمها. فانطلق أبوها معها إلى النبي ﷺ فقال: أفرشته كريمتي. فلطمها. فقال النبي ﷺ: «**لتقتص من زوجها**» فأنزل الله هذه الآية. فقال النبي ﷺ: «**أردنا أمرًا وأراد الله أمرًا. والذي أراد الله خير**» ورفع القصاص. (معالم٢/ ٢٠٧).

أحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ من الإخوة والأخوات وغيرهم ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ أي البعيد من بيتكم في القرية ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ الذي صاحبك ولو ساعة في السفر أو في الحضر في مجلس الدعوة أو مسجد الصلاة أو غيرها لقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِن[1] كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧] ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ أي المسافرين على حسب احتياجهم فمن كان منقطع الزاد فهو أحق من غيره لقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠] ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من العبيد والإماء والخدام ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾ متكبراً ﴿فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ مفتخراً هم ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ يمسكون عن الإنفاق في سبيل الخير ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ من مال أو علم أو غيره ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾ ذا إهانة ﴿وَالَّذِينَ﴾ عطف على الذين ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ أي ليقول الناس قد أحسن فلان ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ أي بجزاء ربهم ﴿وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فهذا قرين الشيطان ﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾ فقد خسر خسرانا مبينا ﴿فَسَاءَ﴾ الشيطان ﴿قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: ١٢٠] فهؤلاء هم المبغوضون عند الله ﴿وَمَاذَا﴾ أي ضرر كان ﴿عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾ إيماناً خالصاً مانعاً من الرياء لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ﴾ [النساء: ١٣٦] ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ أي لو آمنوا وأنفقوا مما آتاهم الله من علم أو مال أو جاه لكان خيراً لهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾ ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩] فهو يعاملهم بعلمه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ﴾ ذرة ﴿حَسَنَةً﴾ خالصة لله ﴿يُضَاعِفْهَا﴾ لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم: ٣٩] ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ الجنة ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ نبي

---

(١) العموم يستفاد من حذف المفعول به ـ فافهم ـ (منه).

يشهد عليها ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ أي الكفار ﴿شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ تشهد عليهم مما صدر عنهم لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: ٣٠] ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ﴾ أن ﴿تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ أي لو يموتون ويدفنون في الأرض لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحاقة: ٢٥ـ٢٧] ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ لشهادة أعضائهم لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥] هذه مسائل المعاد الآن اسمعوا مسائل العمل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ أي لا تصلوا ﴿وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ﴾ حال لأن السكر مناف للخشوع وهو ضروري في الصلاة لقوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨] ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا﴾ عطف على الحال ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ مسافرين فحكمه ما يتلىٰ عليكم ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾ متعلق بالجنب أي لا تصلوا جنباً حتى تغتسلوا إلا مسافرين فحكمه مذكور بعد ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ أي قضاء الحاجة البشرية من البول والبراز ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أي جامعتموهن لقوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٧] ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ في الصورتين الأخيرتين ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ تراباً طاهراً هذا حكم عابري السبيل ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ إلى الرسغ لقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] أي إلى الرسغ كذا فسره ابن عباس رضي الله عنهما (رواه الترمذي) ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ مغفرته تقتضي السهولة عليكم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾ حظًّا قليلًا ﴿مِنَ﴾ فهم ﴿الْكِتَابِ﴾ السماوي أي اليهود والنصارىٰ ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ يؤثرونها من البدعات والتثليث وغيرهما ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾ سبيل الهداية لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [آل عمران: ٧٢] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ

﴿وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ وهو ينصركم.

لقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [الحج: ١٥].

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ أي اليهود ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ الكلام ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ أي يغيرون ألفاظها ومعانيها لقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩] وقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟﴾ [المائدة: ٤١] ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ كلامك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ أي لا يسمع كلامك أحد ﴿وَ﴾ يقولون: ﴿رَٰعِنَا لَيًّۢا﴾ فتلا ﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ حال بمعنى المشتق أي لاوين بإشباع العين مريدين صيغة اسم الفاعل من الرعى يعنون راعينا أي خادمنا وراعينا للغنم لقوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] ﴿وَطَعْنًا﴾ عطف على «ليًّا» أي طاعنين ﴿فِى ٱلدِّينِ﴾ يقولون لو كان محمد نبيًّا لعلم ما نقول له: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ كلامك ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمرك ﴿وَٱسْمَعْ﴾ ما عرضنا عليك ﴿وَٱنظُرْنَا﴾ بدل «راعنا» ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ طريقا عند الله لتوقير الرسول وهو واجب لقوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحجرات: ٢] ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٨﴾﴾ أي لا يؤمنون مطلقاً. فالقليل بمعنى العدم لقوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفرقان: ٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا﴾ أي القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ من الكتاب لأنه جاء على وفق خبره لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [يونس: ٣٧] ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ نمحو ما فيها من الأنوف والعيون لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [يس: ٦٦] ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ أي هيئة أدبارها ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ أي ذوي وجوه ﴿كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ مسخناهم لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ

﴿ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ [البقرة: ٦٥] ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ وهو متوقع بعد في الدنيا أو في الآخرة والله أعلم ـ كيف لا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ بغير التوبة لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٧٠] ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي من كان أعماله الحسنة أكثر لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ [القارعة: ٦، ٧] ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ﴾ كسب ﴿إِثْمًا﴾ ذنباً ﴿عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾[1] عن الذنوب أي ينسبون أنفسهم إلى التزكية لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨] ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ بالمغفرة ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ شيئاً قليلاً فيظهر حالهم ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ من التزكية لهم بقولهم نحن أبناء الله ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ﴾ أي الافتراء والباء زائدة ﴿إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾ تمييز أي كفىٰ إثم هذا الافتراء.

﴿أَلَمْ[2] تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ أي يصدقون بما يعبد من دون الله لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ تمييز من النسبة أي طريقهم أهدىٰ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ﴾ بكفرهم وكتمانهم الحق ﴿وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ ينصرهم لقوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾ [آل عمران: ١٩٢] ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ أي حكومة الملك يذلون من يشاؤون ويعزون من يشاؤون

---

(١) جاء اليهود إلى النبي ﷺ بأطفالهم فقالوا: يا محمد! ألهؤلاء من ذنب؟ فقال: «لا» قالوا: وما نحن إلا كهيئتهم ما عملنا بالنهار يكفر عنا بالليل. وما عملنا بالليل يكفر عنا بالنهار فأنزل الله هذه الآية (معالم ٢/ ٢٣٣).

(٢) سألت قريش أحبار اليهود: ديننا خير أم دين محمد؟ فقالوا: دينكم وأنتم أهدىٰ. وقيل: سجدوا لأصنامهم حين حالفوا قريشاً في حرب المؤمنين. فنزلت (جامع البيان ٤/ ١٣٨).

لو كان لهم نصيب ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾ شيئاً قليلاً لبخلهم لقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء: ١٠٠] ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ أي المسلمين ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ من الكتاب والنبوة ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ النبوة ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ فكم من حاسد حسدهم. وما أضرهم من شيء. وكذلك هؤلاء الحساد لا يكادون يضرون المحسودين لقوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢] فلا تبالوا بهم أيها المؤمنون لقول أبي الطيب:

سوى وجع الحساد داو فإنه إذا حل في قلب فليس يحول

﴿فَمِنْهُم﴾ أي آل إبراهيم ﴿مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ ثبت على إيمانه ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ﴾ أعرض ﴿عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾ تنضج ﴿جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ﴾ نبدلهم ﴿جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ على أمره ﴿حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ في صنعه ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ حال مقدرة ﴿أَبَدًا﴾ متعلق بـ ـ خَالِدِينَ ـ ﴿لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من سوء الأخلاق لما مر في الجزء الأول ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ أي نعماء دائمة لقوله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾[1] [الإنسان: ١٣] ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ بالإنصاف وإن كان أحد الطرفين ذا قربى لكم بل أنفسكم لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ أي نعم الشيء الذي يعظكم به هذا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ فيما يأمركم به من أمر الدين لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢] ﴿وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2] أي من كان ذا

---

(١) لأن الظل المعروف موقوف على الشمس. وإذ لا فلا. فالظل كناية عن النعماء (ملخص من التفسير الكبير للإمام الرازي رحمه الله مجلد٣).

(٢) عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: بعث النبي ﷺ سرية، فاستعمل عبد الله بن حذافة السهمي، فأمرهم أن يطيعوه. فغضب. قال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: =

أمر حاكما منكم لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] أي أطيعوا ذا أمركم فيما يأمركم من الأمور المتمدنة ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿فِى شَىْءٍ﴾ من فعل في كونه جائزا أو غير جائز ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي كتابه ﴿وَ﴾ ﴿ٱلرَّسُولِ﴾ أي سنته لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ﴾ الرد إلى الكتاب والسنة ﴿خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ عاقبة أي عاقبته محمودة لقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩].

﴿أَلَمْ تَرَ [1] إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]﴿أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ من الكتب السماوية ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ أي ولي الطاغوت هو كعب بن الأشرف ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي بكل ما يعبد من دون الله لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ من الهداية ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي القرآن ﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ أي إلى نفسه أو سنته بعد وفاته لقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣] ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك ﴿يَصُدُّونَ﴾ يعرضون ﴿عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ مصدر للتأكيد ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ في الدنيا ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ يظنون أنك ساخط عليهم ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ بين الخصمين لا عنادًا وإنكارًا من الإسلام ﴿أُوْلَٰٓئِكَ

= بلىٰ قال: فاجمعوا لي حطباً. فقال: أوقدوا نارًا. فأوقدوها. فقال: ادخلوها. فهموا، وجعل بعضهم يمسك بعضاً، ويقولون: فررنا إلىٰ النبي ﷺ من النار فما زالوا حتى خمدت النار. فسكن غضبه. فبلغ ذلك النبي ﷺ. فقال: «**لو دخلوها ما خرجوا منها إلىٰ يوم القيامة. الطاعة في المعروف**» فنزلت هذه الآية (البخاري: ٤٣٤٠).

(١) نزلت في يهودي ومنافق اختصما فقال اليهودي: بيني وبينك محمد. وقال المنافق: بيننا كعب بن الأشرف (جامع البيان ٤/ ١٥٧، ١٥٨).

﴿ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من الإنكار ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ من الطعن واللعن ﴿وَعِظْهُمْ﴾ موعظة حسنة ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ﴾ حق ﴿أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ أي قولاً لينا مؤثراً في أنفسهم كي يتذكروا لقوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي فيما يأمر به من الدين ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالعصيان ﴿جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ لذنوبهم ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ محمد عليه الصلاة والسلام ﴿لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا﴾ يتوب عليهم ﴿رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ يرحمهم برحمته الواسعة.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾[1] لا مقحمة والواو قسمية ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هؤلاء القائلون بكلمة الإسلام حق الإيمان ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ أي يجعلوا نفسك حكماً لما مر ﴿فِيمَا شَجَرَ﴾ اختلف ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ ضيقا ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ لهم أو عليهم ﴿وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ أي لا ينكرون بوجه من الوجوه لقوله تعالى: ﴿مَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم﴾ بالهجرة ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ أي من الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وهم المؤمنون حقًّا ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ كلهم ﴿فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ من كل ما يأمر به الرسول وإن كان مخالفاً لعقولهم[2] لقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٤] ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ لقلوبهم على طاعة الله لقوله تعالى: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: ١٦] ﴿وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ هداية خاصة بأولياء الله لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ يكونون يوم القيامة ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ من بيانية ﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ

---

(١) خاصم الزبير رضي الله عنه رجلًا فقضىٰ رسول الله ﷺ للزبير. فقال الرجل: قضىٰ له لأنه ابن عمته. فنزلت هذه الآية (جامع البيان ٤/ ١٦١، ١٦٢).

(٢) فيه إشارة إلى صحة مذهب الأشعري من كون حسن المأمور به شرعيًّا والآية مؤيدة له فافهم (منه).

رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ﴾ المصاحبة ﴿ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ بما في نفوسكم ﴿ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٥].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ اسمعوا ما يجب عليكم من الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ﴿ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ﴾ ما يتقى به من العدو ﴿ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ ﴾ متفرقين ﴿ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾ يتأخر ﴿ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ ﴾ أي المسلمين ﴿ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ فتح وغنيمة ﴿ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُۢنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ والجملة الإنشائية المصدرة بيا ليتني مقولة ليقولن. وجملة كأن لم تكن اعتراض بين القول والمقولة لإظهار عدم إخلاصهم للمسلمين لقوله تعالى: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ ﴾ [آل عمران: ١٢٠] ﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ﴾ كأنهم يبيعون ﴿ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ ﴾ في كلا الحالين وإن كان أجر المقتول الشهيد أعظم ﴿ وَمَا لَكُمْ ﴾ أي ما عذركم ﴿ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَ ﴾ في تخليص ﴿ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ مكة ﴿ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ يتولىٰ أمورنا ﴿ وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ يمنعنا من الظلمة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ طلبا لرضاه ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ أي في حماية ما يعبدون من دون الله بإغواء الشيطان لقوله تعالى: ﴿ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[1] [الأنبياء: ٦٨] ﴿ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ أي الكفرة ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ واهياً لا قوة له بالنسبة إلى الله لقوله تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ ﴾ في مكة ﴿ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ ﴾ عن القتال. أي أمروا بالصبر على المصائب علىٰ لسان الرسول عليه السلام لقوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ

---

(١) هذا وإن كان في شأن إبراهيم عليه السلام. فإن الكفر ملة واحدة. فافهم (منه).

﴿ٱلْقِتَالُ﴾ أي أمروا بقتال الكفار لقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة: ١٩٠] ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ﴾ «الكاف» صفة للمصدر أي خشية مثل خشية الله «وأَشَدَّ» معطوف علىٰ الكاف وخشية تمييز عنه و«أو» للتوزيع أي بعضهم كذا وبعضهم كذا ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ﴾ بتأخير حكم القتال ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ شيئاً يسيراً ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ﴾ قصور مرتفعة ﴿مُّشَيَّدَةٌ ۗ﴾ مستحكمة ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾[1] أي الكفار ﴿حَسَنَةٌ ۗ﴾ نعمة ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ۗ﴾ كجدب وبلاء ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۗ﴾ أي أنت باعثها وسببها. تأتي بشؤمك وبمن معك لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ﴾ [الأعراف: ١٣١] قال تعالىٰ ردًّا عليهم ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ﴾ أي الله وحده موجد كل من الحسنة والسيئة لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢] ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ أي لا يعلمون أن الله هو المتصرف في العالم فكيف يمكن أن يتأذىٰ أحد بشؤم غيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ﴾ [فاطر: ١٨] ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾ أيها الإنسان ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ نعمة ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ﴾ أي من رحمته وإحسانه ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾ أي هو مسبب من سوء عملك وإن كان خالقه لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠] ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ﴾ وأنَّىٰ الرسالة والشؤم لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ يظهر رسالتك بالنصر والفتح ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ﴾ لأن الرسول من حيث هو رسول لا يأمر ولا يفعل إلا ما هو مأمور به من الله لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ۖ﴾

---

(١) قال اليهود والمنافقون: ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه فنزلت (معالم ٢/ ٢٥٢).

[الأحزاب: ٢١] ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ عن الطاعة ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة: ١١٩].

﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي المنافقون ﴿طَاعَةٌ﴾ أي أمرنا وشأننا طاعة، نقوم لخدمتك ما تأمرنا ﴿فَإِذَا بَرَزُوا۟﴾ خرجوا ﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ هي أي استشاروا خلاف ما قالوا لك: ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ أي يجازيهم بما يقولون لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنبياء: ٩٤] ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ لا يضرون من شيء ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ مفوضاً إليه لقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦] ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ في أخباره الماضية والآتية وما يذكر فيها من أسرارهم لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]. ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾ متعلق بالفتح أو الهزيمة ﴿أَذَاعُوا۟﴾ أشاعوا ﴿بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ من المسلمين ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ أي يستخرجونه ﴿مِنْهُمْ﴾ أنه مما ينبغي إشاعته أو ستره ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لإعلاء كلمته ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ﴾ رغِّب ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ على القتال ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ﴾ بغلبتكم عليهم أو إسلام بعضهم لقوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر: ٤٥] وقوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [الممتحنة: ٧] ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ تمييز من النسبة أي حربه أشد لا يقاومه أحد ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ تعذيباً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج: ١٢] لكن لا تكونوا أشداء في كل حين بل اشفعوا فيما بينكم واسمعوا أنه ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾ بأن يفيد بها أحداً من عند السلطان أو غيره أو يرغب أحداً إلى طاعة الله ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ﴾ لدلالته على الخير لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾﴾[1] [القلم: ٣] ولقوله عليه السلام: «**الدال على الخير**

---

(١) أي أجر الرسالة أي التبليغ. فافهم (منه).

كفاعله»[1] الحديث ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾ أي يشير أحداً مشورة سيئة يتضرر بها أحد أو يرغبه في الشر ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ﴾ وزر ﴿مِّنْهَا﴾ لقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٥] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ قديراً ﴿وَ﴾ ينبغي أن تكونوا في السلم والحرب أيضًا متمدنين ﴿إِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ أي إن أتحف أحد إليكم بشيء وإن كان من غيركم لقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن: ٦٠] ﴿فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾ أي أتحفوا إليه أحسن من تحفته ﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾ أي أتحفوا إليه مثل ما أتحف إليكم إن استطعتم وإلا فادعوا له لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ فيحاسبكم علىٰ أعمالكم ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ﴾ في ﴿يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ تمييز من النسبة أي حديثه أصدق.

﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾[2] أي صرتم فئتين اختلفتم في إسلامهم وكفرهم ﴿وَ﴾ الحال أنه ﴿ٱللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾ ردهم ﴿بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ من الكفر لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف: ٥] ﴿أَتُرِيدُونَ﴾ أيها

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٦٧٠) في العلم باب ما جاء في أن الدال على الخير كفاعله وهو حديث حسن.

(٢) رجع ناس من أصحاب النبي ﷺ (أي المنافقين) من أحد وصار الناس فيهم فرقتين فريق يقول: نقتلهم، وفريق يقول: لا فنزلت ﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ [النساء: ٨٨] وقال عليه السلام: «**إنها طيبة تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة**» (البخاري: ١٨٧١) أقول: إن الذين رجعوا من أحد أصناف: صنف رجعوا إلى المدينة وأقاموا بها وصنف رجعوا إلى مكة المكرمة زادهما الله شرفا وتعظيماً وارتدوا عن الإسلام فالمذكورون ههنا هم الذين رجعوا وارتدوا كما قال مجاهد: قوم خرجوا إلى المدينة وأسلموا ثم ارتدوا واستأذنوا رسول الله ﷺ إلىٰ مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا وأقاموا بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقائل يقول: هم منافقون وقائل يقول: هم مؤمنون (معالم ٢/٢٥٩) لأنه تعالىٰ أمر المسلمين بقتال هؤلاء وما روي في شيء من الأخبار أنه عليه السلام قاتل المنافقين المقيمين في المدينة قط. فافهم.

المسلمون ﴿أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾ للهداية لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧] ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ في الكفر ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ أخلاء ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي يتركوا أوطانهم لقوله تعالى: ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا﴾[1] [النساء: ١٠٠] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ من الهجرة والإخلاص لله سبحانه ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ في ميدان الحرب أو في غيره لحربهم ولحوقهم بدار الحرب ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾ خليلًا ﴿وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾﴾ حيث ظهرت عداوتهم من أقوالهم وأفعالهم ﴿إِلَّا﴾ استثناء من حكم «خُذُوا وَاقْتُلُوا» ﴿ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ يتعلقون ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ﴾ كفار ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ عهد بالصلح أي إلا معاهديكم أو معاهدي المعاهدين فلا تقتلوهم ﴿أَوْ﴾ الذين ﴿جَآءُوكُمْ﴾ حال كونهم ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ عن ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ﴾ معكم فلا تقتلوهم ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ﴾ أقدرهم ﴿عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ﴾ أي غلبوكم ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ أي صلح انقياد ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾ حيلة للقتال لقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة: ١٩٠] ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾ من المنافقين ﴿يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ أي يريدون أن لا يكلّفوا منكم لقتال الكفار ولا من قومهم لقتال المسلمين، لكن شأنهم ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾ أي الفساد وقتال المسلمين ﴿أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ﴾ أي كأنهم ألقوا فيها جبراً ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَ﴾ لم ﴿يُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ أي لم يصطلحوا معكم ﴿وَ﴾ لم ﴿يَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ﴾ وجدتموهم ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ حجة ﴿مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾ بالفتح والنصر لقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ﴾ [الأنفال: ٣٩].

---

(١) استشهاد على أن المهاجرة في القرآن تطلق علىٰ ترك الأوطان وهو المتبادر فما قيل يتركوا مخالفة الرسول ليس هو بسديد. فافهم (منه).

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾[١] أي من حيث الإيمان لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] وقوله عليه السلام: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، كل المسلم علىٰ المسلم حرام: ماله وعرضه ودمه**»[٢] (الحديث) ﴿إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ بأن يرميه مريدا به غيره أو يريد به مؤمنا لكن من حيثية أخرىٰ لا من حيثية الإيمان لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩] ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ أي يجب على القاتل أن يعتق رقبة مؤمنة ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ أي إلىٰ ورثة المقتول ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ يعفوا فيتركوا الدية فهي معفوة ﴿فَإِن كَانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ أي إن كان قومه كافرين محاربين لكم ﴿وَهُوَ﴾ أي المقتول ﴿مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ أى يجب اعتاق رقبة مؤمنة لأجل شرف المقتول لإسلامه لادية له لأنها حق الورثة. وهم محاربون لكم لقوله تعالى: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الممتحنة: ٢] ﴿وَإِن كَانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَوْمٍ﴾ كفار، لكن ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ﴾ عهد بالصلح ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ مؤمنا كان المقتول أو كافراً لقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ [التوبة: ٤] وقوله عليه السلام: «**ومن قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة**»[٣] ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ رقبة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ أي يجب عليه أن يصوم شهرين متتابعين بدل الرقبة وأمر الدية مفوض إلى أولياء المقتول إن شاؤوا تركوا وإن شاؤوا أخذوا منه بعد اليسر لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾[٤] الآية مرت آنفاً ﴿تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ نصب

---

(١) نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي قتل الحارث بن زيد ولم يشعر بإسلامه (معالم ٢/ ٢٦٢، ٢٦٣).

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٦٤) والترمذي رقم (١٤٢٦).

(٣) رواه ابن ماجه في الديات حديث رقم (٢٦٨٦) وأحمد (٥/ ٥٠).

(٤) لأن هذا اللفظ مشعر بتملكهم الدية فافهم. (منه).

على المفعولية الثانية أي جعل هذا الحكم توبة لكم من الله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ من حيث أنه مؤمن لا يرضىٰ إيمانه ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ إن لم يتب ﴿خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج: ١٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟﴾[1] أوضحوا الأمر ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾ مستوراً حاله ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ أي من سلم عليكم مواجهاً مستوراً حاله فلا تكفروه ـ لا من كان مجاهر الكفر، وألقىٰ إليكم السلام على طريق المسلمين لقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: ١].

﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بحذف همزة الاستفهام ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ فاطلبوها من عند الله ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ مستورين مستضعفين في مكة المكرمة زادها الله شرفا وتعظيما ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بتغليبكم على أعدائكم ﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾ فيجازيكم على أعمالكم.

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ﴾ عن الجهاد ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ من العمى والعرج وغيره أي الذين قعدوا من غير مانع المرض ومن غير ضرورة داعية ناوين الجهاد حين يؤمرون ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ كيف يكونون سواء والحال أنه ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ الذين يبذلون أموالهم وأنفسهم في إعلاء كلمة الله ﴿عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ الناوين الجهاد ﴿دَرَجَةً﴾ أي درجة العلو لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾ [النساء: ٧٤] ﴿وَكُلًّا﴾ من الفاعلين والناوين الجهاد﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ على فعلهم وعلى نيتهم الصالحة لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠] أما القاعدون عند الضرورة الداعية فليس لهم عذر عند الله لقوله

---

(١) قال ابن عباس: كان رجل في غُنيمة له فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم. فقتلوه وأخذوا غُنيمته فنزلت (البخاري: ٤٥٩١).

تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩] ﴿وَ﴾ لكن ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾ بدل من «أَجْرًا عَظِيمًا» ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ عطف على «دَرَجَاتٍ» ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ يغفر ويرحم من يستحق وحال من هو على خلافهم خلاف حالهم وهي:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بترك الجهاد بل وترك ما أوجب عليهم من إظهار شعائر الإسلام حال من الضمير المنصوب ﴿قَالُوا۟﴾ أي الملائكة توبيخا لهم ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ من الدين مسلمين أو كافرين ﴿قَالُوا۟﴾ معتذرين ﴿كُنَّا﴾ مؤمنين لكن ﴿مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ مجبورين على الكتمان لغلبة الكفار فلأجل ذلك ما أدينا ما علينا ﴿قَالُوٓا۟﴾ الملائكة ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ﴾ فتظهروا في دار الإسلام شعائر الإسلام ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ﴾ جهنم ﴿مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ مرجعًا لهم فإنهم وإن اعتذروا فعذرهم غير مقبول لأنهم كانوا مستطيعين لقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ حقيقة ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ الذين ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ موصلة إلى دارالسلام لضعف بنيانهم ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ﴾ لقوة إيمانهم وعذرهم لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بالإخلاص ﴿يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا﴾ مهجرا ﴿كَثِيرًا﴾ للهجرة لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً﴾ [النساء: ٩٧] كما مر ﴿وَسَعَةً﴾ في الرزق لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ طلبا لرضاه ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ لنصره تحت لوائه أو نائبه ﴿ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ﴾ يؤتيه على نيته لقوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٩-٢١] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ يغفر ويرحم على نية الفاعل المعذور.

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ في ﴿ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ الرباعية اثنين (للحديث) ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ﴾ يصيبكم ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ في حالة الصلاة ﴿ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ ﴾ أيها الرسول أنت أو نائبك ﴿ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم ﴾ أي المسلمين ﴿ مَّعَكَ ﴾ للصلاة ﴿ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ ﴾ معهم دفعا لضرر العدو احتياطًا ﴿ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ ﴾ قائمين مواجهين العدو ﴿ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ ﴾ جماعة ﴿ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ ﴾ صفة لِـ -طَائِفَة ﴿ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ ﴾ بقية ما ترك الأولون ﴿ وَلْيَأْخُذُوا۟ ﴾ معهم ﴿ حِذْرَهُمْ ﴾ ما يحذرون به العدو ﴿ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ علة هذا الحكم أنه ﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ ﴾ أن ﴿ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ ﴾ لشغل الصلاة ﴿ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ فيقتلونكم أجمعين لما أن هلاككم غاية مرامهم لقوله تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ﴾ [آل عمران: ١٢٠] ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى ﴾ أذية ﴿ مِّن مَّطَرٍ ﴾ لأجل مطر ﴿ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ ﴾ لاتستطيعون التحمل في ﴿ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ﴾ لكن ﴿ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ﴾ ما تحذرون به العدو ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ بالتسليم ﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا ﴾ حال أي قائمين وقاعدين ﴿ وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ على فرشكم أي التزموا ذكر الله لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٩١] ﴿ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ ﴾ من الحرب والخوف ﴿ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ كما علم الرسول عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٨] وقوله عليه السلام: «صلوا كما رأيتموني أصلي»[1] ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا ﴾ حكما مكتوبًا ﴿ مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ مقدرا بأوقات مخصوصة بينها الله في مواضع متعددة لقوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾ [الإسراء: ٧٨] وغيرها وأداها الرسول عليه السلام في خمسة أوقات لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ ﴾ تضعفوا ﴿ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ﴾ الكفار

---

(١) رواه البخاري (٦٣١) في الأذان ومسلم رقم (٦٧٤) في المساجد.

لأجل المشقة والضرر ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ﴾ في القتال فلاحرج ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾ أي الكفار أيضًا يتأذون ﴿كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ﴾ من الأجر لأنهم لايعتقدون الآخرة لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنعام: ٢٩] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ[1]﴾ أي القرآن ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ أوحى إليك ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ حاميا مدافعا عنهم ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ على ما هممت من تبرئتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ أي يحرجون إخوانهم بالغصب والسرقة لقوله تعالى: ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم: ٢٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾ والنفي يرجع إلى الأصل لا إلى المبالغة لقوله تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النحل: ٩٠] ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ كيف يستخفون منه ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يتشاورون بينهم وقت الليل ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ من مخالفة الرسول ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ ذاتًاوعلما لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢] ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ أيها القوم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المؤمنون ﴿جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾﴾ يتولى أمورهم ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾ عملًا سيئًا لايتعدى إلى غيره ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ أي يتلف حق أحد من بني نوعه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ لذنوبه ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ أي يغفر ذنوبه لقوله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ [الزمر: ٥٣] لكن في إتلاف حقوق المخلوق ينبغي أن يستعفى منه أو يجبر نقصانه لقوله تعالى: ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ﴾ [النساء: ٩٢] ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ ذنبا ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ﴾ لاعلى غيره كقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

---

(١) نزلت في بني أبيرق سرقوا طعاماً وسلاحا ثم رموا لبيد بن سهل وكان رجلًا صالحا وأتوا رسول الله ﷺ يبرؤون أنفسهم حتىٰ همّ رسول الله ﷺ أن يبرئهم ويجادل عنهم فنزلت هذه الآية فلحقوا بالكفار (ملخصا من الترمذي: ٣٠٣٦).

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] ﴿حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ في صنعه ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً﴾ ذنبًا سهوًا ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ قصدًا ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ غير فاعل ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾ لايخفى على أحد قبحه.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ﴾ بإطلاعك على الأمر ﴿وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ يلقوك في الخطأ في القضاء ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لأن وبال هذا الإضلال عليهم لقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: ٧] ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ قبل النبوة من أمور الدين لقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢] ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ حيث جعلك نبيا بل خاتم النبيين لقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ﴾ صاحبه ﴿بِصَدَقَةٍ﴾ في السر ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ شرعي غير الصدقة ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ لالغيره من الأغراض الفاسدة ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المجادلة: ٩]. ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾ يخالف ﴿ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من الإيمان وقبول الحق لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١] أي أصحاب محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٨] ﴿نُوَلِّهِۦ﴾ نصرفه إلى ﴿مَا تَوَلَّىٰ﴾ انصرف لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ [الصف: ٥] ﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ ولو كان قليلًا ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وقد

فصل سبحانه مشيئته في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾ [النجم: ٣٢] ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ من الهداية لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١] ﴿إِن يَدْعُونَ﴾ أي المشركون ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي من دون الله ﴿إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ ضعفاء لاقدرة لهم على شيء كأنهم إناث لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج: ٧٣، ٧٤] ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾ لأنه داع لهم إلى الشرك لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ [إبراهيم: ٢٢] ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ﴾ أي الشيطان ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ مقررًا ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ أي ألقينهم في المُنى ﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي يشقون آذان الأنعام على آلهتهم ﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ﴾ أي ينسبون ما خلق الله إلى غيره سبحانه لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف: ١٩٠] ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا﴾ أي اتبعه فيما يأمره ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ [الحج: ٤] ﴿يَعِدُهُمْ﴾ خيرا على الكفر والشرك والبدعة ومخالفة الشرع ﴿وَيُمَنِّيهِمْۚ﴾ منىً كاذبة ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ لاأصل له لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُمْۖ﴾ [إبراهيم: ٢٢] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي متبعو الشيطان ﴿مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ مفرا لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ على ما أرشدهم الرسول عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧] ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٨] ﴿وَعْدَ

﴿ٱللَّهِ﴾ مصدر مضاف إلى الفاعل أي وعد الله وعدا ﴿حَقًّا﴾ أي حق الوعد حقا ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ تمييز عن النسبة أي من قوله أصدق من قول الله ﴿لَّيْسَ﴾ أمر النجاة ﴿بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اسمعوا ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾ كائنا من كان ﴿يُجْزَ بِهِۦ﴾ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٨] ويرجى العفو ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ ينصره لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨] ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ أي يعمل بالإيمان بالله لا بالرياء لقوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٩-٢١] ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ شيئًا يسيرا ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي فوض أمره إلى الله في الخير والشر لقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: ٨، ٩]. ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي عامل بالحسنات الشرعية والعرفية ﴿وَٱتَّبَعَ﴾ في الإحسان ﴿مِلَّةَ﴾ طريقة ﴿إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ مائلا كل الميل إلى الله حال من إبراهيم ويحتمل أن يكون من ضمير اتبع أي اتبع مخلصًا لله لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] وكيف لايكون هذا أحسن دينا فإنه «اتبع» دين إبراهيم ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ محبوبًا مخلصًا كاملًا ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾.

﴿وَ﴾ لما كانت ملة إبراهيم صراطا مستقيما وعدلا قيما في الله وفي مخلوق الله فلهذا ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي متبعو إبراهيم يسئلونك ﴿فِى ٱلنِّسَآءِ﴾ كيف يعملون بهن من التوريث والمعاشرة ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ بعد ﴿وَ﴾ قبل ذلك يفتيكم ﴿مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ [النساء: ٣، ٤] وقوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧] الآية وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ [النساء: ١٥] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟

﴿ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩] ﴿فِي﴾ حق ﴿يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ من المهور ﴿وَتَرْغَبُونَ﴾ في ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ لمالهن وجمالهن ﴿وَ﴾ يفتيكم ويرشدكم إلى ما ذكر في حق ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾ هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠] ﴿وَ﴾ يأمركم ﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالإنصاف لقوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ [النساء: ٩] والمعنى ما ذكر عليكم قبل في هذه الأحكام فاعملوا عليه ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ عمل صالح: إحسان وغيره ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾ فيجازيكم ﴿وَ﴾ ما يفتيكم الله في هذا المقام هو هذا ﴿إِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ﴾ علمت[1] ﴿مِنۢ بَعْلِهَا﴾ زوجها ﴿نُشُوزًا﴾ تجافيا ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ أي توليا إلى غيرها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾ الزوج والزوجة ﴿أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ جائزا على أي وجه كان من نقص حقوق أحدهما أو المزيد ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ على كل حال ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ لكن ﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟﴾ بينكم ﴿وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ فيجازيكم حسب أعمالكم ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟﴾ عدلاً حقيقيًا ﴿بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ عليه ولم تكلّفوا به لقوله تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣] ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ عن واحدة ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ أي التي ملتم عنها ﴿كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ لا هي ذات زوج فتستريح ولا هي أيم فتزوج غيره هذا هو المنهي عنه ﴿وَإِن تُصْلِحُوا۟﴾ بينكم ﴿وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ يغفر لكم ويرحمكم ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ أي الزوج المائل والزوجة المعرض عنها لأجل عدم الموافقة ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ من وسعته أن يجد الزوج الزوجة الموافقة له وتجد الزوجة الزوج الصالح لها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿يَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧] والأصل

---

(١) والخوف «العلم» ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ [النساء: ١٢٨] (القاموس).

في إصلاح كل شيء التقوى لله.

﴿وَ﴾ من أجل ذلك ﴿لَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي اليهود والنصارى وغيرهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾ [الرعد: ٧] وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝٢٤﴾ [فاطر: ٢٤] ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحده بعمل ما يأمركم وترك ما ينهاكم ﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟﴾ فلا تضروه[1] شيئًا ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ۝١٣١﴾ كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٨﴾ [إبراهيم: ٨] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ وحده ﴿وَكِيلًا ۝١٣٢﴾ كقوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمل: ٩] ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يهلككم ﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ غيركم لقوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٩ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝٢٠﴾ [إبراهيم: ١٩، ٢٠] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ۝١٣٣﴾ ﴿مَّن﴾ ترك التقوى بأن ﴿كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ عوضها بالشهرة فقد خاب ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يعطى المخلص كليهما من فضله ويمنع المرائي ثواب الآخرة لقوله تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۝٢٠٠ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠٠، ٢٠١] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا﴾ بأقوالكم ﴿بَصِيرًا ۝١٣٤﴾ بأحوالكم وبنياتكم.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ الباء للتعدية أي مقيمين العدل ﴿شُهَدَآءَ﴾ أي مؤدي الشهادة الحقة ﴿لِلَّهِ﴾ لا لغيره ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي وإن كان مضرا لأنفسكم ﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ﴾ المشهود عليه ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ فلا تكتموا[2] الشهادة طمعًا من الغني وترحمًا على الفقير ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ﴾ أي متولي أمورهما ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ في ﴿أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ﴾ بأداء الشهادة الحقة ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟﴾ أي

---

(١) إشارة إلى حذف الجزاء (منه).

(٢) إشارة إلى حذف الجزاء (منه).

تحرفوا الشهادة أو لاتأتوا بها على وجهها ﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾ عنها بكتمانها من رأسها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ فيجازيكم على أعمالكم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ أي دوموا على الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ أي القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ صيغة الأمر «آمِنُوا» للاستمرار كما في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: ٦] و ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١] ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ ارتدوا ﴿ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ ارتدوا ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ بلغوا انتهاء الكفر بالموت لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٧] ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾ ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١٦٩] ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ مؤلما ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ أخلاء ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ لايجدونها أبدًا ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ حال من العزة دليل على الدعوى المقدرة أي لايجدون العزة من الكفار لقوله تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦] ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ أي القرآن ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا﴾ على وجه المعاندة لا على طريق المناظرة لقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] [النحل: ١٢٥] ﴿وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ لأن القعود معهم لغو مفض إلى كثرة النزاع فهو منهي عنه لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون: ٣] ﴿حَتَّى يَخُوضُوا﴾ يشرعوا ﴿فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ أي غير الكفر والاستهزاء وإلا ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ في المعصية لمخالفتكم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ الَّذِينَ﴾ صفة للمنافقين ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾

---

(١) لأن المجادلة الحسنة لا تكون إلا بسماع قول الخصم وإذا كان الخصم كافراً ينبغي أن يسمع كفره للجواب فافهم (منه).

ينتظرون ﴿ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ ﴾ لكم ﴿ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ في الحرب والمشاورة فنحن مستحقون للعطاء ﴿ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ ﴾ فتح ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ لهم ﴿ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ ﴾ نقدر ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ وقت المحاربة ﴿ وَ ﴾ ألم ﴿ نَمْنَعْكُم ﴾ نحفظكم ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بإغوائهم في تدبير الحرب ﴿ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾ أيها المؤمنون والمنافقون حكما بينا ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾ للغلبة ما داموا مؤمنين لقوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ أي رسوله لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[1] [الفتح: ١٠] ﴿ وَهُوَ ﴾ أي الله ﴿ خَٰدِعُهُمْ ﴾ مجازيهم بخداعهم مر في قوله سبحانه: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [البقرة: ٩] ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾ متكاسلين لايريدون الصلاة بل ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ صلواتهم ليظنوهم مؤمنين ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ وهو أيضًا بالرياء لا بالإخلاص ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ أي الإسلام والكفر حال ﴿ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ المؤمنين ﴿ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ الكافرين ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ ﴾ على غوايته ﴿ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ للهداية لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الكهف: ١٧] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ ﴾ أخلاء ﴿ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ ﴾ حجة واضحة على تذليلكم في الدنيا وعذابكم في الآخرة لأنهم ﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران: ١١٨] ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ ينصرهم ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ ﴾ صاروا صالحين متقين ﴿ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ توكلوا عليه ﴿ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ لاكمثل إخوانهم الذين ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ [النساء: ١٤٢] ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ التائبون ﴿ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يغفر لهم ما قد سلف ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ومن معهم من هؤلاء ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ ﴾ غرضًا من أغراضه

---

(١) ما يعامل بالرسول من حيث الرسول فهو المعاملة بالله تعالىٰ فافهم (منه).

﴿ إِن شَكَرْتُمْ ﴾ نعمه ﴿ وَءَامَنتُمْ ﴾ بما أنزل ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا ﴾ يقبل الصالحات ﴿ عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ بالنيات أي ليس لله غرض لنفسه بعذابكم ما دمتم على الإيمان والشكر لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء: ٤٠].

﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ أي لايحب أن يجهر بالسوء لأحد من أحد بأن يسبه جهرًا أو يذكره بالسوء ﴿ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ ﴾ استثناء مفرغ أي من كان مظلومًا له أن يظهر ظلم من ظلمه ويدعو عليه لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧] وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [الشورى: ٤١] ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا ﴾ بأقوالكم ﴿ عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾ بنياتكم وإن كان الأولى أن لايظهر بل ولايشتكي إلاَّ لله لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ ﴾ [إبراهيم: ٤٢] ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ﴾ تظهروا ﴿ خَيْرًا ﴾ عملا خيرا بالإخلاص لا بالرياء ﴿ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ وقت العمل ﴿ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ ﴾ فإنه أيضًا من العمل الصالح ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾ يعفو عن سيئاتكم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ بالإيمان بالله والكفر برسله ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ﴾ كمثل كفار الهند يؤمنون بالله ويكفرون بالرسل وكاليهود والنصارى يؤمنون بموسى ويكفرون بعيسى ومحمد عليهم السلام ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ ﴾ بين الإيمان والكفر ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ ﴾ لأن إنكار واحد منهم كإنكار كلهم لقوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [الشعراء: ١٢٣، ١٢٤] ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ كلهم ﴿ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ أي بين الله ورسله في الإيمان والكفر ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۚ ﴾ كاملة ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴾.

لما كان هذا الكلام حقا لايستطيعون الرد فلذا ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي اليهود ﴿ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا ﴾ جملة ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ

عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] فلاتعجب من سؤالهم ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ عيانًا كقوله تعالى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمُ﴾ بهذا السؤال ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ إلٰها ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾[1] أي المعجزات لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ﴾ [الأعراف: ١٥٠] ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ قهرًا وغلبة واضحة على قومه حيث أجبرهم على خلاف طبائعهم لقوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه: ٩٧، ٩٨] ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ﴾ على رؤوسهم لأخذ ميثاق منهم لقوله تعالى: ﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف: ١٧١] ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ أي باب الأرض التي غلب عليها الجبارون من العمالقة مر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟﴾ [البقرة: ٥٨] في الجزء الأول ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ أي لاتشغلوا أنفسكم في السبت بأمر من أمور دنياكم ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ مضبوطا على ذلك.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ بالاعتداء في السبت ﴿وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ﴾ في مقابلة الأنبياء ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ مستورة لايصل إليها ما تقولون من الحق إنها ليست بمستورة ﴿بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ لقوله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤] ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ أي لايؤمنون قط لقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء ٥٢] وجملة «بَلْ» مع تفريعها اعتراض ولبعد المعطوف عليه كرر قوله: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ نسبة الزنا لقوله تعالى حاكيا عنهم: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ

---

(١) فيه إشارة إلى أن تفسير البينات بالأحكام لا يصح ههنا، لأنهم اتخذوا العجل بعد ذهاب موسى عليه السلام على الطور لأخذ التوراة ولم يأتهم الكتاب بعد. فافهم (منه).

﴿ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ [مريم: ٢٨] ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ مصدق الرسالة عند الله لاعندهم ﴿وَ﴾ الحال أنهم ﴿مَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ اشتبه عليهم الأمر هل قتلوه أو تركوه حيا لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾﴾ الآية [النساء: ١٥٧] ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي الذين خالفوا بيان القرآن من كون عيسى غير مصلوب ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ أي يعتقدون أمرا خلاف الواقع لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾[1] [إبراهيم: ٩] ﴿مَا لَهُم بِهِۦ﴾ أي بهذا الواقع ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ يقيني ثابت غير زائل ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ فيظنون ما يعتقدونه صحيحًا ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾﴾ اليقين متعلق بالنفي راجع إلى المتكلم أو بالمنفي راجع إلى مدعي القتل ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ حيا[2] لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ موت عيسى أي من كان من أهل الكتاب حيا حين نزوله عليه السلام إلى الأرض قبيل القيامة (للحديث) يؤمن به لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١] ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ﴾ عيسى ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] يشهد عليهم بإيمان المؤمنين وكفر الكافرين.

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ أي اليهود ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ بينها سبحانه في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام: ١٤٦] أي كانت لهم حلا في حياة موسى عليه السلام ثم

---

(١) الشك ههنا بمعنى الخلاف لا بمعنى تساوي النسبة فتدبر(منه).

(٢) لأن الاستدلال بالعزة والحكمة يدل على أن هذا الرفع مستبعد عند النظار بادي الرأي وهو الرفع الجسماني على أنه إن كان المراد به الرفع الروحاني فلا يليق بكلمة «بَلْ» لأن أهل الكتاب من اليهود والنصارى يعتقدون صلبه ولا شك أنه عليه السلام لو كان مصلوبا كان مظلوما شهيدا، فالصلب لا ينافي الرفع الروحاني فكيف يصح إيراد كلمة بَلْ فتدبر.

حرم عليهم لما ذكر لقوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾[1] [البقرة: ٨٧] ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ في الباب الثاني والعشرين من الكتاب الثاني المسمى بسفر الخروج من التوراة ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بالرشا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [التوبة: ٣٤] وجملة الجارات من بما نقضهم ميثاقهم إلى قوله تعالى بصدهم وأكلهم متعلق بقوله تعالى حرمنا عليهم أي بفعلهم كذا وفعلهم كذا حرمنا عليهم لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥] ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ مؤلما ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ أي المتبحرون المتقنون المحققون ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي المسلمون ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ من كتب الأنبياء ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ عطف على «المُؤْمِنُونَ» منصوب على المدح كذا في الكشاف يؤيده قراءة المقيمون ونصب الصلاة على المفعولية ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ أي كل هؤلاء يؤمنون بالقرآن فلا تبال بمن كفر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾ من الجنة وزيارة الرب تبارك وتعالى.

﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ أولاد يعقوب ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا﴾ منصوب على شريطة التفسير بفعل ﴿قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ﴾ من أهالي الأفريقية وأوروبا وأهالي الهند لأن أهل العرب غير مأنوسين بهم وما تقرعت بهم آذانهم لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر: ٢٤] ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ هذه فضيلة خاصة ﴿رُّسُلًا﴾ أي أرسلنا رسلا ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ﴾ عذر في العذاب ﴿بَعْدَ﴾ تبليغ ﴿ٱلرُّسُلِ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ﴾ [التوبة: ١١٥] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا

---

(١) فيه إشارة إلى أن بني إسرائيل كانت تأتيهم رسلهم تترا بأحكام الله قديمة وجديدة منها حرمة الطيبات فافهم (منه).

﴿حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ إن قومك وإن كانوا ينكرون هذا ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ إنه لحق ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ يكفي شهادته من غيره فهو كاف واف لقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ﴾ [الزمر: ٣٦] أي يظهر صداقة القرآن لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف: ٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾﴾ من الهداية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟﴾ الناس على الإسلام كأبي جهل وغيره عليهم ما يستحقونه ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ذنوبهم ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ لقوله تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات: ٢٣] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟﴾ يكن ﴿خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟﴾ فلاتضروه شيئًا ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أيها النصارى ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ باعتقاد الألوهية في المسيح لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٢، ٧٣] ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ﴾ من نسبة الألوهية إليه والعبودية إلى غيره كائنا من كان ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ فقط ﴿وَكَلِمَتُهُۥ﴾ أي أثر حكمه ﴿أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ أي نفخه فيها لقوله: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١] ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي روح شريف مخلوق من حكمه لقوله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] أي هو مخلوق من مخلوقاته ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ﴾ أي بوصف الرسالة فيهم لا بالألوهية لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] ﴿وَلَا تَقُولُوا۟﴾ آلهة ﴿ثَلَٰثَةٌ ۚ﴾ الأب والابن وروح القدس أو مريم[1] الصديقة لقوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [المائدة: ١١٦]

---

(١) أو للتنويع على اختلاف عقائد النصارىٰ فافهم.

﴿ ٱنتَهُوا۟ ﴾ من التثليث واقصدوا ﴿ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ هو التوحيد لأن مآله خير لقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ﴾ عن ﴿ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾ مثله كما تزعمون بل ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ملكا وخلقا ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ ﴾ وحده ﴿ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾ لمخلوقه فما الحاجة إلى اتخاذ الولد.

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ﴾ فإنه ليس وراء العبودية للمخلوق مرتبة عند الله لقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾[1] [البقرة: ٢٣] ﴿ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ يستنكفون كيف يستنكفون ﴿ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ ﴾ عبوديته ﴿ وَيَسْتَكْبِرْ ﴾ يدخله النار لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر: ٦٠] ﴿ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ ﴾ دليل على حذف الجزاء كقوله تعالى: ﴿ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ [يوسف: ٧٧] وقول أبي الطيب:

فإن تفق الأنام وأنت منهم ... فإن المسك بعض دم الغزال

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ كاملة ﴿ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ أي يعطيهم زائدا على أعمالهم من فضله لإخلاصهم لقوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠] ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ عن عبادته ﴿ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ ﴾ أي المستنكفون عن عبادته ﴿ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ﴾ ينصرهم لقوله تعالى: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ [غافر: ١٨] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ ﴾ هاد ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ هو محمد عليه السلام لقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾[2] رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ ﴾ [البينة: ١، ٢] ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾ أي القرآن لقوله تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ

---

(١) لأن محمداً عليه السلام كان بعد الرسالة أيضاً عبداً لله فلايكون وراء العبد مرتبة للإنسان فافهم (منه).

(٢) البرهان والبينة واحد ولا شك أن مصداق البينة محمد ﷺ فهو برهان فافهم (منه).

ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ ﴾ وحده ﴿ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ ﴾ أي لم يميلوا إلى غيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠] ﴿ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾ هداية خاصة بالمؤمنين لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾ يطلبون منك الفتوى ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾ أي في الميت الذي ليس له أصل ولافرع ﴿ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ ﴾ مات ﴿ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ ﴾ عينية أو علاتية ﴿ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ ﴾ أي أخوها ﴿ يَرِثُهَآ ﴾ كل مالها بعد أداء حقوق ذوي الفروض ﴿ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ﴾ من ذكر ولا من أنثى ﴿ فَإِن كَانَتَا ﴾ أي الأختان ﴿ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ ﴾ من جهة الفريضة ﴿ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً ﴾ أي مخلوطة ﴿ رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ ﴾ منهم ﴿ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ وإن كانوا إخوة من أم فالحكم على قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ﴾ [النساء: ١٢] مر في الجزء الرابع ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ﴾ أي أن لاتضلوا بل تهتدوا لقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقول أبي الطيب:

أروح وقد حتمت على فؤادي بحبك أن يحل به سواك

﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ﴾ ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر: ١٩].

سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون آية

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ ما عقدت عليه ألسنتكم أو قلوبكم، لقوله

تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦] ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ إضافة العام إلى الخاص، أي الإبل والبقر والغنم ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣] الآية (تأتي) فالاستثناء متصل ويحتمل أن يكون منقطعا ناظرا إلى الكل ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ﴾ حال من ضمير «لكم» فإنه في المعنىٰ فاعل أي كلوا ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ محرمون حال متداخلة أي كلوا هذه الأنعام مجتنبين حال الإحرام من الصيد البري كائنا ما كان لقوله تعالىٰ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المائدة: ٩٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ لكن إرادته خير لكم، لقوله تعالىٰ: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة: ٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾[1] التي عينها الله تعالىٰ من المعالم القومية لأهل الإسلام من الوضع والزي والمذهبية من الصلوات والمساجد وغير ذٰلك لقوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النساء: ١١٥] ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ ببدء القتال فيه ﴿وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ في أعناق الهدايا ﴿وَلَآ﴾ تصدوا بالإيذاء ﴿ءَآمِّينَ﴾ قاصدين ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ بالحج والعمرة تفصيل بعد الإجمال ﴿يَبْتَغُونَ﴾ القاصدون الحاجون ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾ أي لا تؤذوهم بسرقة أموالهم وقطع سبيلهم، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ

---

(١) قدم الحطم بن هندي البكري المدينة في عير له يحمل طعاما فباعه ثم دخل علىٰ النبي ﷺ فبايعه وأسلم فلما ولىٰ خارجاً نظر إليه فقال لمن عنده لقد دخل علي بوجه فاجر وولىٰ بقفا غادر فلما قدم اليمامة ارتد عن الإسلام وخرج في عير له يحمل الطعام في ذي القعدة يريد مكة فلما سمع به أصحاب النبي ﷺ تهيأ للخروج إليه نفر من المهاجرين والأنصار ليقتطعوه في عير فأنزل الله هذه الآية. (معالم ٣/٧، ٨ وأسباب النزول ص: ١٥٤).

﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحج: ٣٢] ﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْ﴾ أمر إباحة كقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الجمعة: ١٠] ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾[1] يحملنكم ﴿شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ﴾ عداوتهم ﴿أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ زمن الحديبية «أن» المصدرية بدل من «شنآن» ﴿أَن تَعۡتَدُواْ﴾ أي علىٰ أن تجاوزوا حدود الله المذكورة ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ أي خلاف الشرع لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥] ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾ لمن خالفه.

﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ الذي لم يذبح ومن شأنه أن يذبح ﴿وَٱلدَّمُ﴾ المسفوح عند الذبح لقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥] ﴿وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ مر مثله في الجزء الثاني ﴿وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ﴾ أي المخنوقة ﴿وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ﴾ المقتولة ضربا ﴿وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ﴾ التي سقطت من العلو فماتت ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ التي نطحتها أخرى بقرونها فماتت ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ كلها تفصيل للميتة ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ﴾ أي ما أخذتموه حيًّا فذبحتم ﴿وَ﴾ حرم عليكم ﴿مَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ أي على الشيء الذي رفع ليعظم من دون الله من صنم أو قبر أو تعزية هندية أو غير ذلك لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ﴾ أي حرم عليكم أن تطلبوا القسمة بالأقداح لتعلموا ما فيه خيركم والحال أن هذا ليس سبيل العلم لقوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾[النمل: ٦٥] ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ المذكور من الحرام والاستقسام وغير ذلك ﴿فِسۡقٌۗ﴾ خروج من طاعة الله ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن﴾ انمحاء ﴿دِينِكُمۡ﴾ لأنه قد تم وشاع ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ﴾ في إظهار الأحكام ﴿وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ بإنزال القرآن ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ بإرسال الرسول فيكم لقوله تعالىٰ:

---

(١) نزلت حين أراد الصحابة صد بعض المشركين عن العمرة انتقاما من أصحابهم لما صدوهم عن البيت بالحديبية (جامع البيان ٤/ ٤٠٤، ٤٠٥).

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ الذي علمكم رسولي محمد عليه السلام ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ﴾ فأكل لأجل مجاعة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ أي ما كان عادته عدواناً وتجاوزاً عن حدود الله بل كان مخلصاً لقوله تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣﴾ وسيع المغفرة والرحمة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾[1] أي المباحات التي لم يرد عليها المنع من الشرع فكلوها لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] وقوله عليه السلام: «**ذروني ما تركتكم**»[2] (الحديث) ﴿وَ﴾ أحل لكم مقتول ﴿مَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ جوارح السباع والطير بيان لِـ -مَا- بشرط أن يكون المقتول مأكول اللحم ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ معلمين الكلاب وغيرهاحال من ضمير «عَلَّمْتُمْ» ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ بإلهامه ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ﴾ الكلاب أو الطيور ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أي لكم لا مما أكلن ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي ما أمسكن لكم عند الأكل ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٤﴾ فيجازيكم علىٰ أعمالكم ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ المباحات ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ اليهود والنصارى ﴿حِلٌّ لَّكُمْ﴾ بشرط أن يكون مأكول اللحم في الشرع ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَ﴾ أحل لكم ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ أي الحرائر ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ المسلمات بالنكاح ﴿وَ﴾ أحل لكم ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ اليهود والنصارىٰ ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ مر في الجزء الخامس ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ بعد النكاح بأهل الكتاب بودها ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ الصالح عند الله لقوله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥﴾ [الزمر: ٦٥] ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾.

---

(١) نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن مهلهل الطائيين. قالا: يا رسول الله! إنا قوم نصيد بالكلاب فماذا يحل لنا منها؟ فنزلت (معالم ٣/ ١٥).

(٢) رواه البخاري (٧٢٨٨) في الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ومسلم رقم (١٣٣٧) في الحج باب فرض الحج في العمر مرة والترمذي رقم (٢٦٧٩) في العلم والنسائي (٥/ ١١٠) في الحج باب وجوب الحج.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ لا تشتغلوا بالكلية بأمور الدنيا بل توجهوا إلىٰ الله بإقامة الصلاة ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي أردتم أن تصلوا لقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[1] إلىٰ قوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣] ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ أي مع المرافق كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَ﴾ اغسلوا ﴿أَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ مع الكعبين ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ أي فاغسلوا الجسد كله ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي مسافرين ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ أي قضاء الحاجة من البول أو البراز ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ فيجب عليكم الوضوء ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ تتوضؤون به ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ فاستعملوا ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ إلىٰ الرسغ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم﴾ بإيجاب الغسل والوضوء مع هٰذه الموانع ﴿مِّنْ حَرَجٍ﴾ ضيق ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ بأصل كان أو خليفة من الوضوء والتيمم ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦ وَٱذْكُرُواْ﴾ بالشكر ﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي الإسلام الذي رفع به النفاق من بينكم لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿مِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ علىٰ لسان رسوله ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ ما أمرتنا عند إظهار الإسلام لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥١﴾ [النور: ٥١] ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أن تنقضوا عهده ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧﴾ أي بالأمور التي في الصدور.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ﴾ مخلصين ﴿لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي بالعدل «بالقِسْطِ» متعلق بالقوامين. و«لله» متعلق بـ «شُهَدَاء» ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يحملنكم ﴿شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ أن صدوكم عن المسجد الحرام (مرت آنفاً) ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ في القول والعمل ﴿هُوَ﴾ أي العدل ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي العدل

---

(١) فإن هذه الآية تدل صريحاً على تقدم الطهارة على الصلاة. فافهم.

أقرب الطرق إلى التقوىٰ، لأنه شامل لكل عمل لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢] ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ما وافقت الشرع لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [النساء: ٦٦] ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بأحكامنا ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝١٠﴾ جهنم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ﴾[1] قصد ﴿قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل والأخذ ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ أي وضع بينكم المحاربة لقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤] ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ الأمر للاستمرار ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝١١﴾ فيظفروا بكل مرادهم.

﴿وَ﴾ اسمعوا تفصيل التقوىٰ ﴿لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ علىٰ تبليغ الأحكام والعمل بها ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ عرفاء ﴿وَقَالَ اللَّهُ﴾ لهم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أنفقتم في سبيله ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝١٢﴾

هذا هو المفهوم بعينه من الكتاب الثالث من التوراة المتداولة في زماننا من مقامات شتىٰ منها[2]. ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾ ما مزيدة ﴿لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ لا تلين لذكر الله لقوله تعالىٰ: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩] ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ الكلام ﴿عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ التي وضعها الله فيها ﴿وَنَسُوا حَظًّا﴾ حصة عظيمة ﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ علىٰ لسان الأنبياء من اتباع[3]

---

(١) نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ ببطن النخل فأراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا به وبأصحابه إذا اشتغلوا بالصلاة فأطلع الله نبيه علىٰ ذلك وأنزل صلاة الخوف. (معالم ٣/ ٢٧).

(٢) ولكن اعملوا بأحكامي، واحفظوا وصاياي، وسيروا بها. أنا الله ربكم، احفظوا شرائعي وأحكامي لأن الإنسان الذي يعمل بها يعيش بها. أنا الرب (ملتقط من الباب الثامن عشر من الكتاب المذكور).

(٣) يا ويلتى قد صرنا معشر المسلمين اليوم هكذا نسينا حظًّا وافرا مما ذكرنا، فلذا قال الله =

الشريعة ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ﴾ خيانة ﴿مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣] ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ أعرض ولا تبال بل أحسن إليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾ على حفظ الشريعة كما هو مفهوم من الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا وغيره ﴿فَنَسُوا۟ حَظًّا﴾ وافراً ﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ قد غيَّروا التوحيد بالتثليث، وافتروا على الله افتراء لا يليق به سبحانه وتعالىٰ حيث زعموا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾ اليهود والنصارىٰ ﴿ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ بسبب تركهم كتاب الله ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لا يصطلحون قط ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ﴾ بعد الموت ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أيها اليهود والنصارىٰ ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد عليه السلام ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ أحكاماً ﴿كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ عن الناس من التوحيد الخالص الذي بعث له الأنبياء بأسرهم وغير ذٰلك ﴿وَيَعْفُوا۟﴾ يعرض ﴿عَن كَثِيرٍ﴾ مما يتعلق بذواتكم من سوء الأخلاق ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ عطف تفسير أي القرآن لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧] ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ أي أراد أن يتبع رضوانه لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ هداية خاصة بالمتقين أي يوفقهم لخير الأعمال لقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ﴾ للنصارىٰ في المسيح أقوال شتى. يقولون: إن الله تجسم بجسم المسيح. فالمسيح هو الله الذي خلق

= تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٩] اللهم اهدنا فيمن هديت. (منه).

السموات والأرض. ونادىٰ موسى[١] على الطور. وأيضاً يقولون: مجموع الابن والأب والروح القدس الله، لا شيء من هذه الثلاثة الله، كما هو شأن الأجزاء الخارجية. رد الله عليهم بكلا الطريقين أبطل جزئية الألوهية في المسيح وكليتها لقوله تعالىٰ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: ٧٥] وأيضاً قال سبحانه ردًّا عليهم: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ الجزاء مقدم ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ﴾ على تقدير حياتها ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ﴾ الشرط مؤخر أي هو قادر على إهلاكهم فالهالك كيف يكون معبوداً لقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] مفهوم الشرطية الاتصال بين المقدم والتالي ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ أي الله خالق لا مخلوق، قادر لا مقدور كالمسيح فكيف يكون الله هو المسيح، والمسيح هو الله؟! ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ كلاهما ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ﴾ لأننا أولاد الأنبياء ﴿قُلْ﴾ إن كنتم أبناء الله وأحباءه ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ﴾ فثبت أنه ليس فيكم مزية ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ أي ليس له مانع من تنفيذ المشيئة إلا أن مشيئته لا تتعلق إلا بمن هو أهلها.

لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ﴾ [النساء: ٤٠] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ فيجازيكم ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد عليه السلام ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي في زمان الانقطاع من الرسل ﴿أَن﴾ لا ﴿تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ﴾ علىٰ صالح الأعمال ﴿وَلَا نَذِيرٍ﴾ على السيئات ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ اذكروا ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ﴾ علّيّةٌ ﴿جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة: ٤٧]

---

(١) كذا مرقوم في مفتاح الأسرار الهندي من تصنيف الفادري فندر.

﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ أنه يؤتيها إياكم ﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ أي ألا فتصيروا ذليلين ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ قهارين ذوي قوة لا طاقة لنا لمقابلتهم ﴿ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا ﴾ بأنفسهم ﴿ فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ الله ﴿ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ أي هداهما لطريقه لقوله تعالىٰ: ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء: ٦٩] ﴿ ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ ۖ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ ﴾ لوعد الله إياكم ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ ﴾ توكلوا ﴿ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ بالله وبوعده ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ ﴾ الله ﴿ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ فإذا رأينا أنكم غلبتم عليهم دخلنا ﴿ قَالَ ﴾ موسىٰ ﴿ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ هؤلاء الخارجين من أمر الله ﴿ قَالَ ﴾ الله ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ لن ينالوها ﴿ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ بل ﴿ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ فكان كما قال وتميز الطائع من الفاسق، كما تميز المتقي من غير المتقي من أبناء آدم.

فانظر ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ ﴾ هابيل وقابيل ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ أحدهما متقٍ والآخر غير متقٍ ﴿ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا ﴾ هابيل ﴿ وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ ﴾ قابيل وقد اطلعا بواسطة آدم أنه تقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر. لقوله تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٧٩] ﴿ قَالَ ﴾ قابيل لهابيل حاسداً عليه ﴿ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ لما فزت وأنا لم أفز. كقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [المائدة: ٥٩] ﴿ قَالَ ﴾ هابيل ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ المخلصين لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الليل: ١٩، ٢٠] ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ في القتل ابتداء، لأنه خلاف التقوىٰ ﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى ﴾ أي بإثم قتلي ﴿ وَإِثْمِكَ ﴾ السابق على قتلي ﴿ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ أظهر هابيل لقابيل هذا القول لينزجر عن إرادته، كقوله تعالىٰ حكاية عن

سحرة فرعون: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه: ٧٢ـ٧٤] فليس هذا القول إرادة منه بكون قابيل من أهل النار فاندفع ماتوهّم، فافهم ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ﴾ زينت ﴿لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ لغلبة شهوته النفسانية ﴿فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ في الدنيا بظهور قبح فعله. وفي الآخرة بعذابه. فصار متحيراً ما يفعل بأخيه كما هو عادة القاتل يصير متحيراً بعد القتل ساعة أو ساعتين ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾ أي جاء غراب حسب عادته بإلقاء من الله كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾﴾ [الفيل: ٣] ﴿يَبْحَثُ﴾ ينقر ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كما هو عادته ﴿لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ اللام للعاقبة لا للتعليل ﴿قَالَ﴾ قابيل بعد ما تفهم الأمر ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ علىٰ قتله.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ أي لأجل سد باب القتل ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي أخبرناهم وأظهرنا عليهم ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ﴾ عوض ﴿نَفْسٍ﴾ قتلتها ﴿أَوْ﴾ بغير ﴿فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ والحاصل أنه من قتل نفساً بغير حق شرعي ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ لأنه حرض الناس على القتل. وهذا مفهوم من الباب العشرين من الكتاب الثاني من التوراة. ونبههم الله علىٰ هذا، لينزجروا عن ارتكاب القتل ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ أي كف نفسه عن قتل الإنسان بعد أن تمكن من قتله خائفاً لله لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] أو عفا عن القاتل بأخذ الدية أو بغير أخذ شيء، لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ [المائدة: ٤٥] ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ لما أنه سن سنة حسنة ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ﴾ أي بني إسرائيل ﴿رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ متجاوزون الحدود ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي يخالفون ما يأمرانهم ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي يقطعون السبيل علىٰ أبناء السبيل. «جَزاءُ» مبتدأ. خبره ﴿أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ

﴿يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ﴾ **اليد اليمنى والرجل اليسرىٰ** (للحديث)[1] ﴿أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ التي هي دار إقامتهم. هٰذا مفوض إلى رأي الإمام ينفذ من هٰذه الشقوق ما يرى بحسب المصلحة ﴿ذَٰلِكَ﴾ القتل وغيره ﴿لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ بسبب كفرهم إن كانوا كافرين ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ عن الفساد توبة نصوحة ﴿مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ أي قبل أن تأخذوهم ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾ يغفر لهم ويرحمهم، إلا حقوق العباد، مفوضة إلى أربابها، لقوله تعالىٰ: ﴿وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۖ﴾ [النساء: ٩٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[2] أي التقرب إلى الله بالطاعات لقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧] وقوله عليه السلام في دعاء الأذان: «**آت محمداً الوسيلة**»[3] (الحديث) أي القربة عندك ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ حق جهاده بالنفس والمال والقلم واللسان لقوله تعالىٰ: ﴿وَمِمَّا[4] رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ [البقرة: ٣] ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ١٤ كَلَّآ﴾ [المعارج: ١١-١٥]

---

(١) رواه البخاري في المحاربين بين حديث رقم (٦٨٠٢) ومسلم في القسامة رقم (١٦٧١) والنسائي في القسامة رقم (٤٧٤٣).

(٢) الوسيلة والواسلة المنزلة عند الملك والدرجة والقرب، وسل إلى الله توسيلا عمل عملا تقرب به إليه (القاموس).

(٣) رواه البخاري (٦١٤) في الأذان باب الدعاء عند النداء وأبو داود رقم (٥٢٩) في الصلاة باب ما جاء في الدعاء عند الأذان والترمذي رقم (٢١١) في الصلاة باب ما يقول الرجل إذا أذن المؤذن من الدعاء والنسائي (٢/ ٢٧) في الأذان باب الدعاء عند الأذان.

(٤) لأن لفظة ما عامة.

﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ دائم ما دام يديمه الله، لقوله تعالىٰ: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [هود: ١٠٧] ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾ إن سرقا وثبت بالحجة الشرعية ﴿ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا ﴾ من الرسغ ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ كلاهما مفعول لأجله. أي لأجل الجزاء والعقوبة من الله على هذا الفعل القبيح ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ ﴾ توبة ﴿ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ ﴾ قبل أن تقدروا عليه ﴿ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ ﴾ يرحمه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي هو مالكهما ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ أي لا راد لمشيئته، ولا ناقض لقضائه إلا أن مشيئته لا تتعلق إلا بأهلها، لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ ﴾ [النساء: ٤٠] ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾[1] يجهدون في نشر الكفر وإغواء الناس عن الإسلام ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ أي المنافقون ذوو الوجهين ﴿ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ أي لا تهتم بشأنهم بل ﴿ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾ [المائدة: ٦٧] ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ أي اليهود قوم ﴿ سَمَّٰعُونَ ﴾ بالطبع ﴿ لِلْكَذِبِ ﴾ الأباطيل ﴿ سَمَّٰعُونَ ﴾ عندك ﴿ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ بعد وقد أرسلوا هؤلاء السماعين لإيصال الأخبار من عندك. أي لا يأتونك لأجل

---

(١) روى أحمد ومسلم وغيرهما عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: مُرَّ علىٰ النبي ﷺ بيهودي محمم مجلود فدعاهم فقال: «**هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟**» فقالوا: نعم فدعا رجلًا من علمائهم فقال: «**أنشدك بالله الذي أنزل التوراة علىٰ موسىٰ هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟**» فقال: لا. والله! ولولا أنك أنشدتني بهذا لم أخبرك. نجد حد الزاني في كتابنا الرجم(*) ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا زنىٰ الشريف تركناه وإذا زنىٰ الضعيف أقمنا عليه الحد. فقلنا: تعالوا حتىٰ نجعل شيئا نقيمه علىٰ الشريف والوضيع. فاجتمعنا على التحميم والجلد. فقال النبي ﷺ: «**اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه**» فأمر به فرجم فأنزل الله: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ الآية [مسلم (١٧٠٠) وأبو داود (٤٤٤٧، ٤٤٤٨) وأحمد (٤/ ٢٨٦)] (لباب النقول في أسباب النزول).

(*) أقول: الرجم موجود في الباب السابع عشر من الكتاب الخامس من التوراة إلى الآن (منه).

الاهتداء. بل لأجل الفساد ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ أي علماؤهم ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ﴾ لأتباعهم ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾ المحرف ﴿فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟﴾ أن تقبلوه ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾ ضلالته ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ من هدايته لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ المحرفون ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ لأجل زيغهم لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف: ٥] ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ ذلة ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ إن لم يتوبوا، هم ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ أي من عادتهم التصديق بالكذب والتكذيب بالحق ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ﴾ أي الحرام بالرشا وإضلال الناس ﴿فَإِن جَآءُوكَ﴾ لأجل الخصومة ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ للمصلحة ﴿فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا﴾ إن الله معك لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الأنفال: ٦٢] ﴿وَ﴾ لكن ﴿إِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ بالعدل وإن كانوا أعداء لك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨] ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ المتداولة ﴿فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ الذي يحكمونك له يسمعون ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ﴾ السماع ﴿وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾ أي ليس غرضهم من تحكيمك إظهار الحق، بل مفادهم.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ التي أكثرها مندرجة في التوراة المتداولة في زماننا، كما هو مفهوم من[1] الباب الخامس من الكتاب الخامس ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا

---

(١) ذكر في الباب المذكور عدة نصائح ثم قال هذه الكلمات حكم بها الرب كل جماعتكم في الجبل من وسط النار والسحاب والضباب وصوت عظيم، ولم يزد، وكتبها علىٰ لوحين من حجر، وأعطاني إياها (الآية الثانية والعشرون) هذا هو المراد بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ [المائدة: ٤٤] لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥] لا ما يسميه اليهود والنصارىٰ التوراة لما فيه من ذكر موت موسىٰ وذكر الوقائع بعده عليه السلام، كما هو مذكور صريحا في الباب =

﴿ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ انقادوا لله، بيان للواقع لا للاحتراز ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ أي اليهود ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ عطف على ﴿ٱلنَّبِيُّونَ﴾ أي الزهاد ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾ أي العلماء ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي حملوا حفاظة كتاب الله ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ الله ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي لا تبدلوا أحكامي المنزلة بطمع الفوائد الدنيوية، كما تفعلون معشر علماء اليهود لقوله تعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ مع وسعه لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ أي في التوراة في الباب الواحد والعشرين من الكتاب الثاني ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ﴾ تقتل ﴿بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ﴾ تقفأ ﴿بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ﴾ يجدع ﴿بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ﴾ تقطع ﴿بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ﴾ تقلع ﴿بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ يقتص فيها لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ عفا عن ظالمه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ مع وسعه وقدرته ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا﴾ أرسلنا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا﴾ حال من «عيسىٰ» الذي هو مفعول به ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ بيان «لما» ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ الذي[1]

= الرابع والثلاثين من الكتاب الخامس من قوله، وكان موسى ابن مائة وعشرين حين مات، ولم تكل عينه، ولاذهبت نضارته، فبكى بنو إسرائيل على موسى في عربات مواب ثلاثين يوما إلى أن قال: ولم يقم نبي في بني إسرائيل مثل موسى إلخ.
فهذا صريح في أن مجموع التوراة اليهودية ليس بمنزل على موسى بل هو تاريخ لحياته ومماته عليه السلام مثل تاريخ ابن خلدون وابن الأثير وغيرهما. فافهم. ولاتكن من المقصرين (منه).

(١) لاشك أنا نؤمن بأن عيسى عليه السلام آتاه الله الإنجيل، لكن الكتب التي تسميها النصارى الأناجيل ليست بالإنجيل الذي أنزل على المسيح، لما فيها من ذكر ولادته ووفاته، بل ذكر الوقائع بعده، كما وقع في إنجيل متى في الباب السابع والعشرين.

=

أكثره مندرج في الإنجيل المتداول في أيدينا ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ كان الإنجيل ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَ﴾ كان ﴿هُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ لأنهم هم المنتفعون به لقوله تعالىٰ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥] ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ لا بما زادوا فيه، كما هو واضح على من طالعه بأدنى تأمل ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ الخارجون من الطاعة.

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا﴾ حال ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ السماوي ﴿وَمُهَيْمِنًا﴾ محافظاً وأميناً ﴿عَلَيْهِ﴾ أي الكتاب المتقدم عليه لما زيد أو نقص منه. فما صححه القرآن صحيح. وما أغلطه فهو غلط، لقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]

= «فصرخ يسوع أيضًا بصوت عظيم وأسلم الروح»

هكذا بعينه في إنجيل مرقس في الباب الخامس عشر. وفي الباب الثالث والعشرين من إنجيل لوقا:

«ونادىٰ يسوع بصوت عظيم وقال: يا أبتاه في يديك أستودع روحي. ولما قال أسلم الروح»

كذا الوقائع بعد وفاته (على قولهم) مذكورة في الأناجيل الأربعة. فثبت من هذا صريحا أن هذه الكتب التي تسميها النصارى بالأناجيل ليست بالأناجيل، بل هي كتب السير فقط. وقد أقر به مصنفوها، كما قال لوقا صاحب الإنجيل الثالث في مبدأ إنجيله.

إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا، الذين كانوا منذ البدء معائنين وخدّاماً للكلمة رأيت أنا أيضًا. إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاؤفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به انتهى».

فهذا يدل دلالة صريحة علىٰ ما ادعينا من كون هذه الكتب مصنفات متضمنة لبعض الأحكام الإلهية وبعض الوقائع التاريخية. والإنجيل الذي أعطي المسيح من عند الله كله أو بعضه مندرج فيه، كما هو مذكور في إنجيل مرقس في الباب السادس عشر.

«قال (المسيح) لهم: اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها من آمن واعتمد خلص. ومن لم يؤمن بدن انتهىٰ».

فليت شعري كيف يكره النصارى المسلمين بهذه الآية القرآنية ومثلها على تصديق الأناجيل المروجة. والحال أن الأناجيل تصرح بأنها كتب التاريخ لاغير. فافهم. وتفصيل هذه المسألة في مصنفاتنا الهندية. فانظر فيها إن كنت من المحققين. (منه).

﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ ﴾ إليك من القرآن ﴿ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾ معرضاً ﴿ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ ﴾ [الأعراف: ٣] ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ ﴾ أيها الناس ﴿ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾ طريقاً يسلكه أهله. وهٰذا كقوله تعالىٰ: ﴿ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٖ ۝٧ ﴾ [الرعد: ٧] والمعنى: ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٩]. بل جاء من قبلي رسل بالبينات والزبر والكتاب المنير، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ۝٢٤ ﴾ [فاطر: ٢٤] فثبت بعضهم على الإيمان وانحرف البعض لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ أجبركم على الهداية لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٣٥ ﴾ ﴿ إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ۝٣٦ ﴾[الأنعام: ٣٥، ٣٦] ﴿ وَلَٰكِن ﴾ لم يشأ ﴿ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ ﴾ من العقل والفهم، تختارون باختياركم ما هو أصلح لكم في الدنيا والدين، لقوله تعالىٰ: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ۝١٠٤ ﴾ [الأنعام: ١٠٤] ﴿ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ ﴾ أي الإسلام ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ۝٤٨ ﴾ من الحق ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم ﴾ عطف على الكتاب تخصيص بعد التعميم ﴿ بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾ خلاف ما أمرك الله لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٨٩ ﴾ [يونس: ٨٩] ﴿ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ ﴾ يضلوك ﴿ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ ﴾ مما خالف طبائعهم ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾ عن القبول ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم ﴾ بالعقوبة ﴿ بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ۝٤٩ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ﴾ خلاف ما شرع الله ﴿ يَبۡغُونَۚ ﴾ هؤلاء لا ينبغي ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٥٠ ﴾ إيقاناً كاملاً.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ ﴾ أخلاء في الدين ﴿ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ أي ليس لهم معكم ود خالص، بلا طمع، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ ﴾ [البقرة: ١٢٠] ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم ﴾ يوالهم ﴿ مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا

﴿يَهْدِي﴾ هداية خاصة ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾[1] فاحذروه ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ نفاق ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ أي في ودهم ونصحهم ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ أي ينتظرون عليكم دائرة الزمان بالسوء، لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [التوبة: ٩٨] ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾ فتح البلدان لقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ [النصر: ١] ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ من شوكة الإسلام قبل الفتح ﴿فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ من ود الكفار خشية أن تصيبهم دائرة ﴿نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ حينئذٍ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ فيما بينهم ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ لما أنهم كانوا يدعون المحبة والمعية لقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤] ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ بارتكابهم ما نهى الله ورسوله عنه لقوله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥] ﴿فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾: ﴿فَلَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٧٦] ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ﴾ عاطفة ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ﴾ أشداء ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عند المقابلة لقوله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ في ذٰلك ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ يعلم من يستحقه. والمعنىٰ إن ارتد بعض منكم فسيوفق الله قوماً من المؤمنين علىٰ قتال المرتدين. وهم أبو بكر وأصحابه رضي الله عنهم لما ارتدت القبائل بعد وفاته ـ عليه السلام ـ قاتلهم أبو بكر وأصحابه لقوله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٣٩] ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ أي محبكم ومخلصكم ﴿ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ أي خاشعون مخلصون حال من ضمير «يُؤتُونَ» لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠، ٦١] ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

---

(١) قال ابن عباس: كان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث قد أظهر الإسلام ثم نافقا، وكان رجال من المسلمين يوادونهما فأنزل الله عز وجل هذه الآية (معالم ٣/ ٧٣).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ أي اليهود والنصارىٰ ﴿ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ﴾ أخلاء ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ صادقين في دعوى الإيمان ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ أذنتم ﴿ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ ﴾[1] أي لا تغضبون ﴿ إِلَّآ أَنْ ﴾ أي بسبب أنا ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ ﴾ من التوراة والزبور والإنجيل وغيرها. فتغضبون علينا، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾ [البروج: ٨] ﴿ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ وفسقكم يقتضي عداوتنا لقوله تعالىٰ: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ﴾ [السجدة: ١٨] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ ﴾ العيب الذي تنقمون منا علىٰ زعمكم ﴿ مَّثُوبَةً ﴾ تمييز من «شَرٍّ» ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ بحذف المضاف أي فعل من لعنه الله ﴿ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَ ﴾ من ﴿ عَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ ﴾ هم اليهود لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [البقرة: ٦٥] وقوله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء: ٥١] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ المذكورون ﴿ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾ لميلانهم إلىٰ هوى النفس لقوله تعالىٰ: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الفرقان: ٤٣] ﴿ وَ ﴾ العجب منهم أن بعضاً منهم ﴿ إِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ بما آمنتم أيها المسلمون ﴿ وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ﴾ أي بالكفر ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ في قلوبهم من الكفر والمعاندة ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ

---

(١) قال ابن عباس: أتى النبي ﷺ نفرٌ من اليهود. فسألوه عمن يؤمن به من الرسل. فقال: أؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل إلى قوله ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته. وقالوا. والله ما نعلم أهل دين أقل خطأً في الدنيا والآخرة منكم ولادينا شرًّا من دينكم فأنزل الله تعالى هذه الآية (معالم ٣/ ٧٤) أقول من جملة المنن التي من الله بلسان رسوله محمد ـ عليه السلام ـ على النصارى أنه أمر بتصديق نبوة المسيح عليه السلام. وقد كان اليهود يبغضونه أشد بغض كما ظهرت البغضاء من أفواههم. فيا للعجب! ويا للكفران! من النصارىٰ لايشكرون هذا الإحسان، بل يسبون ذا الإحسان محمداً ـ عليه السلام ـ ما تعاقب الملوان. فعليهم ما يستحقونه لأجل هذا الكفران (منه).

﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ الحرام بالرشا والخيانة لقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٧٥] ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٦٢ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ الرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ في زعمهم ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ العلماء ﴿عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝٦٣﴾. ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ممسكة عن الإنفاق أي بخيلة ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ عطف تفسير ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ واسعتان ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من قبض وبسط لقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢﴾ [الزمر: ٥٢] ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ القرآن ﴿مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ لحسدهم إياكم، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩] ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾ اليهود والنصارىٰ ﴿الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ أي لا يستطيعون أن يقاتلوكم مجتمعين لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝١٤﴾[(١)] [الحشر: ١٤] ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ حال أي مفسدين. أو مفعول له أي لأجل الفساد لا للإصلاح ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۝٦٤ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝٦٥ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي عملوا عليها كما هو حقها فمن جملتها اتباع سيد المرسلين محمد ﷺ لما هو مرقوم في كتبهم[(٢)] لقوله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ﴿لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ أي يبارك في أرزاقهم لقوله تعالىٰ: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢﴾ [نوح: ١١، ١٢] ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾

---

(١) واحسرتا قد صرنا معشر المسلمين. بمثابتهم، لانجتمع على أمر من الدين، ولا من الدنيا إلى الله المشتكى (منه).

(٢) سوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين إخوتهم. وأجعل كلامي في فمه. ويكلمهم بكل شيء آمره به. ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي. فأنا أكون المنتقم من ذلك (الباب الثامن عشر من الكتاب الخامس من التوراة).

متوسطة يعملون صالحاً وآخر سيّئاً ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ كل ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ من القرآن[1] لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإنسان: ٢٣] ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ إبلاغ كل ما أنزل إليك ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ أي كأنك ما بلغت شيئاً منها ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ لن يصلوا إليك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ أي لا يمكنهم من قتلك لقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ [النصر: ١، ٢] ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ معتد به من الدين أي ليس لكم حظ من الدين ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ كما مر ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي القرآن لقوله تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ مفعول به «ليَزِيْدَنَّ» لعنادهم ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ اليهود ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ الذين لا مذهب لهم، عطف علىٰ محل اسم إن على الابتداء ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ سواء أي ليس لأحد منهم مزية عند الله من حيث هو مخلوق، ردٌّ على أهل الكتاب حيث زعموا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ كائناً من كان. ومن أي قوم كان، لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ علىٰ هذه الأحكام ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[البقرة: ٨٣] ﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾ لانهماكهم في الهوىٰ ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا﴾ كانوا ﴿يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ مؤاخذة علىٰ هذا الفعل ﴿فَعَمُوا۟﴾ أي عميت قلوبهم لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى

---

(١) إشارة إلى الرد على من قال: إن هذه الآية في تبليغ خلافة علي المرتضى ـ رضي الله عنه ـ لأن الإنزال والتنزيل يطلق على القرآن. وهو المراد ههنا، وليس فيه ذكر خلافته رضي الله عنه (منه).

﴿ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦] ﴿وَصَمُّوا﴾ عن استماع الحق لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وفقهم للتوبة والإنابة ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾.

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[1] ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ مر قول المسيح في الجزء الثالث ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ من الأب والابن وروح[2] القدس ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ القول المذكور في حق الإله ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أصروا على الكفر ﴿مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ في الدنيا أو في الآخرة ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ﴾ أمة لله ﴿صِدِّيقَةٌ ۖ﴾ طائعة له ﴿كَانَا﴾ المسيح وأمه.

﴿يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ﴾ أي هما محتاجان في البقاء إلى الطعام، فكيف هما إلٰهان. والمحتاج إلى شيء لا يكون إلٰها، لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥] ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدلائل على بطلان ألوهية المسيح ﴿ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ يصرفون. قد أشار سبحانه بقوله: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ إلى دليل الاستقراء علىٰ بطلان مذهب النصارىٰ. وبقوله: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ﴾ وقوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ﴾ إلى دليل الخلف فتدبر ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ إن لم تعبدوه ﴿وَلَا نَفْعًا ۚ﴾ إن تعبدوه. فانظر كيف منع الله سبحانه المسلمين عن عبادة غيره بقوله تعالىٰ: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ﴾ إلخ. وقال لرسوله عليه السلام: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن: ٢١، ٢٢] ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ والمسيح لا يسمع

---

(١) فرقة من النصارىٰ تعتقد أن الله تجسم بصورة المسيح (منه).

(٢) فرقة من النصارى تعتقد التثليث بهذه الصفة.

دعاءكم. ولا يعلم حاجاتكم. ولا يجيبكم، لقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ ۖ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣، ١٤] ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟﴾ لا تجاوزوا الحد ﴿فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ﴾ أي أسلافكم ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ أي التوحيد الخالص لقوله تعالىٰ حكاية عن المسيح: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[آل عمران: ٥١].

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[1] بأحكام الله ﴿مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ﴾ بل علىٰ لسان كل رسول لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥] وفي كتب النصارىٰ مرقوم هٰكذا[2] ﴿ذَٰلِكَ﴾ السب واللعن ﴿بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ حدود الله ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من مشركي العرب وهم ينكرون النبوة ويسبون الأنبياء. وهؤلاء يوالونهم، بل يمدحونهم علىٰ شركهم وكفرهم، لقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء: ٥١] ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ «أَنْ» مع مدخولها مخصوص بالذم ﴿وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ﴾ محمد عليه الصلاة والسلام ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ لأن من آمن به

---

(١) مخالفة الأمر يقتضي اللعن. فافهم (منه).

(٢) فلما رأىٰ (المسيح) كثيرين من الفريسيين والصدوقين يأتون إلىٰ معمودية. قال لهم: يا أولاد الأفاعي من أراد بكم أن تفروا من الغضب الآتي (الباب الثالث من إنجيل متّى). وأيضاً في الباب الثاني عشر: يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار. وأيضاً في الباب الثالث والعشرين: أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم.

عليه السلام لا يوالى الكافرين لقوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ خارجون من حكم الله ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ لقساوة قلوبهم، لقوله تعالىٰ: ﴿بَل طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥] ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم﴾ أي أقرب الناس ﴿مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ مهملة في قوة الجزئية. أي بعضهم الذين مالوا إلى الإسلام، بل أسلموا. وإلا فأكثرهم واليهود سواء، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المودة للمؤمنين ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾ علماء راسخين ﴿وَرُهْبَانًا﴾ زهاداً ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن قبول الحق.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ محمد عليه السلام ﴿تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ﴾ تسيل ﴿مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ ما لنا لا ﴿وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[1] لا تتأثروا من رهبان النصارىٰ في ترك الطيبات أي ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ الإضافة بيانية أي أباح لكم، بعدم المنع ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ في الأكل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ في التحريم من غير قصد لسبق اللسان، كقول الرجل حين الكلام: لا والله. وبلىٰ والله. لقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون: ٣] ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا

---

(١) نزلت في جمع من الصحابة تبتلوا واعتزلوا النساء وطيبات الطعام واللباس وهموا بالإخصاء (جامع البيان ٥/ ١٠-١٢).

عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ بالقلوب ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾ إن حنثتم ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قميص وإزار وعمامة لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا[1] خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١] ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي إعتاق رقبة أية[2] رقبة كانت. لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦] ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ لعدم وجدان الرقبة أو عدم الاستطاعة ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ أي عليه صيام ثلاثة أيام ﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحنثتم ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ عن الحنث ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أحكامه ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ نعماءه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ﴾ أي الإشراك بالله بأي وجه كان لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٦] ﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾ أي الاستقسام بالأزلام ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ أي بسبب الخمر والميسر ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ بالسكر والشغل بالميسر، لأنه أظهر عداوته من قبل، بقوله: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧] ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟﴾ عذابه سبحانه على عصيانه عليه السلام لقوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣] ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الطاعة ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ وهو لا يُسأل عن أصحاب الجحيم لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ [الرعد: ٤٠] ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾[3] أكلوا وشربوا حلالاً ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟﴾ المحارم ﴿وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

---

(١) لأن الثياب جمع وأقله الثلاث وقع مفعولا به للبس، فافهم (منه).

(٢) فيه إشارة إلىٰ أن المطلق يجري علىٰ إطلاقه، فافهم (منه).

(٣) سبب نزول هذه الآية أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ قالوا لما أنزل تحريم الخمر: يارسول الله! كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر؟ فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية (معالم ٣/ ٩٥، ٩٦).

﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَّءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا﴾ كلها للتأكيد كقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [التكاثر: ٣، ٤] ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝٩٣﴾ أي العاملين بأعمال حسنة لقوله تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لا تشتغلوا بأكل الحلال بحيث لا تلاحظون الحدود، اسمعوا ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ﴾ أي ليمتحنكم الله في الحج ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾ يكون قريبا بحيث ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي ليظهر من يخشى الله من غير رؤيته لقوله تعالىٰ: ﴿عَالِمُ[1] الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۝٩ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ۝١٠﴾ [الرعد: ٩، ١٠] ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٩٤﴾ مؤلم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ﴾ البري ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ محرمون لقوله تعالىٰ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ (كما سيأتي) ﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ﴾ أي فعليه جزاء ﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ بيان للجزاء أي الإبل والبقر والغنم ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾ أي بمثله اثنان ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ حال مقدرة من الجزاء. أي يهدىٰ به إلى الحرم فيذبح هناك ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ﴾ مثل ذٰلك ﴿صِيَامًا﴾ ثلاثة أيام لقوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾[2] [البقرة: ١٨٤] ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ الذي ارتكب ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ مضىٰ من صنيعكم ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلىٰ فعله مرة أخرىٰ ﴿فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ فيعذبه إن لم يتب ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝٩٥ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ في حال الإحرام وغيره ﴿وَطَعَامُهُ﴾ حل لكم ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ للمسافرين ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ﴾ فقط ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ محرمين ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٩٦﴾ تجمعون ﴿۞ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ أي ذا العزة ﴿قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾ أي المسلمين المعظمين إياه ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ أي يكون أمر المسلمين منظماً ما

---

(١) دليل على تفسير العلم بالإظهار لكونه ـ سبحانه ـ عالماً بالغيب بذاته. (منه).

(٢) فدية طعام مسكين لصيام يوم. فلفظ المساكين بصيغة الجمع يقتضي جمع الصيام. وأقله ثلاث. فافهم (منه).

دامت الكعبة مرجعاً في الحج لقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة: ١٢٥] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الإظهار ﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فينظم الأمور بنظام كلي ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ لمن يعصيه ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ لمن يطيعه ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ ولا يُسأل عن أصحاب الجحيم لم دخلوها ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٥]. ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ أي وإن كان أصحاب الشرك والبدعة أكثر من الموحدين والمتبعين. فهم ليسوا سواء عند الله لقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦] وقوله تعالىٰ: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ١٣] ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[1] أي لا تسألوا عن أحكام لم تؤمروا بها من الجهاد وغيره لما في وجوب أمر تكليف عليكم. بل اعملوا بما أمرتم، وانتهوا عما نهيتم، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧] ﴿ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ ﴾ بالوجوب أو الحرمة فتكون فيها مشقة عليكم ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ﴾ فيما سلف ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾

---

(١) أخرج البخاري (٤٦٢١، ٤٦٢٢) ومسلم (٢٣٥٩)، عن أنس قال: خطب النبي ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط. فقال رجل: مَنْ أبي؟ فقال: «فلان» فنزلت هذه الآية. وأخرج ابن حبان (٣٧٠٤، ٣٧٠٥) عن أبي هريرة: إن رسول الله ﷺ خطب، فقال: «**يا أيها الناس إن الله قد افترض عليكم الحج**» فقام رجل، فقال: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت عنه، فأعادها ثلاث مرات، فقال: «**لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما قمتم بها، ذروني ما تركتكم**» فنزلت هذه الآية. فهذه الروايات تذكر في محل نزول هذه الآية. وعندي في هذا المقام إشكال بل إعضال. تقريره أنه حصل لنا من الآية والروايات المذكورة قضيتان شرطيتان: إحداهما «إن تسألوا يبد لكم» والثانية «إن تبد لكم تسؤكم» والحال أن الواقعة المذكورة في الروايات المذكورة لم تسئوا أحداً ولا سائلاً، فكيف تكون محلًّا لنزول الآية. فالمعنى ما يقتضي السياق كما فسرنا. والروايات محمولة على فهم الراوي، كما قال الشيخ الدهلوي في الفوز الكبير. والعلم عند الله الخبير. (منه).

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ منكرين كقوم طالوت لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ [البقرة: ٢٤٦] فلا تكونوا أيها المؤمنون مثل الكافرين في جعل البحيرة وغيرها من الدين. والحال أنه ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ﴾ أي ما شرع ﴿مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾[1] بنسبته إلى الله ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ حيث قالوا هٰذا حكم الله لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ أي القرآن ﴿وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ نفسه حين حياته لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء: ٦٤] وإلىٰ سنته بعد وفاته لقوله تعالىٰ: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ [الجمعة: ٣] ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ أي نتبع ما ألفينا عليه اباءنا ﴿أَ﴾ يتبعون اباءهم ﴿وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ سبيلاً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ احفظوا أنفسكم «بتعميل» الأحكام ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ ومن جملة اهتدائكم تذكيرهم، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنعام: ٦٩] ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ فيجازيكم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[2] من اهتدائكم ﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ أي شهادة معاملاتكم مبتدأ

---

(١) قال ابن عباس في بيان هذه الأوضاع: البحيرة وهي الناقة التي كانت إذا ولدت خمسة أبطن بحروا أذنها أي شقوها وتركوا الحمل عليها ولم يركبوها ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلأ ثم نظروا إلىٰ خامس ولدها فإن كان ذكراً نحروه إلىٰ أن قال: والسائبة فاعلة بمعنىٰ المسيبة أي المشقوقة الأذن والوصيلة سابعة أولاد الغنم والحام هو الفحل إذا ركب ولد ولده لا يحمل عليه إلخ (من معالم ٣/ ١٠٧).

(٢) **سبب نزول هذه الآية**: أن رجلًا من المسلمين خرج مسافراً معه رجلان من أهل الكتاب ومات بأرض ليس بها مسلم فلما قدموا بتركته فقدوا (أي ورثته) جاما من فضة مموها بالذهب فترافعوا إلىٰ رسول الله ﷺ فنزلت فأحلفهما بعد صلاة العصر فحلفا علىٰ أنهما ما اطلعا على الإناء ثم وجد الإناء عند من اشترىٰ منهما فقام رجلان من أوليائه فحلفا أن =

﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ متعلق بالشهادة ﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾ بدل من «إذا» ﴿ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ المسلمين ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ الكفار خبر بتقدير المضاف أي شهادة اثنين ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي السفر ﴿فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ أي آثاره شرط للربط كيفية أداء الشهادة أنكم ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ أي تقيمان الشاهدين ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي بعد صلاة العصر أو أية صلاة ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ شرط للقسم أي يقسمان قائلين ﴿لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا﴾ عوضاً. نقول حقًّا ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المشهود له ﴿ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ أي الشهادة التي أمر الله بأدائها لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣] ﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ أي إن كتمناها ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ﴾ استوجبا ﴿إِثْمًا﴾ بالشهادة الكاذبة ﴿فَءَاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ أي مقام الشاهدين المذكورين ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ﴾ وجب ﴿عَلَيْهِمُ﴾ بتلف حقوقهم من الورثة ﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾ الأقربان من الميت بدل من آخران ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَا أَحَقُّ﴾ أي أصدق ﴿مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ أي الذين استحقا إثماً ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾ بالشهادة الكاذبة ﴿إِنَّآ﴾ إن كتمناها ﴿إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ﴾ الطريق ﴿أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟﴾ الشهداء ﴿بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ كما هي ﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ﴾ على الورثة ﴿بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ فيفتضحوا بتكذيبهم إياهم ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في أداء الشهادة ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ هداية خاصة بأوليائه، لقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] والمعنى أنكم إن سافرتم وكانت عندكم سلعة وأسباب فاحتضرتم فعليكم أن توصوا إلى رجلين من أصحابكم في السفر أن يبلغا متاعكما أهليكم. وما بدا لكم أن توصوا لأحد بشيء من مالكم فأوصوا إليهما. ينبغي أن يكون الوصيان مسلمين. فإن لم يكونا مسلمين فمن غيرهم فيؤديان الشهادة عند الحاكم بوصية الميت فإن علم أنهما كذبا في أداء الشهادة لرعاية الموصىٰ له أو لطمع منه أو خانا. فليشهد الأوليان من الميت بأنهما كذبا، لأن عندنا دلائل وقرائن كذا

= الإناء لنا وأخذا. (جامع البيان ٥/ ١١٥-١١٧).

وكذا. ثم يفصل القاضي على شهادة الأوليين، إن أقاما الدليل أو القرينة، أدوا الشهادة كاملة. ذاكرين.

﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ﴾ من قبل أممكم في جميع مدة الدنيا ﴿ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ في وقت من أوقات يوم القيامة يجهلون. وفي وقت يشهدون، لقوله تعالىٰ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: ٤١] ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾ ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٨] اذكروا قصة المهتدين ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ حين كان في هذه الدنيا ﴿ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ﴾ مريم الصديقة ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ ﴾ قويتك ﴿ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ جبريل لقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل: ١٠٢] وأثر التأييد أنك ﴿ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ أي تعظ الناس طفلًا وكهلًا لقوله تعالىٰ: ﴿ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾ [مريم: ٢٩، ٣٠] ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ السماوي أي معانيه ﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ أي الفهم لأمور الدين ﴿ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ تخصيص بعد التعميم ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ ﴾ تهيء ﴿ مِنَ ٱلطِّينِ ﴾ صورة ﴿ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ من القبور ﴿ بِإِذْنِى ﴾ أي تحييها لقوله تعالىٰ: ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٤٩] قيد كل ذٰلك بقيد الإذن لدفع توهم الألوهية كما زعمت النصارىٰ هداهم الله كان هذا من معجزاته ـ عليه السلام ـ المزلة لأقدام النصارىٰ، لأجل ذٰلك قيد «بإِذْنِ الله» ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ ﴾ أي ما مكنتهم من قتلك، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨] ﴿ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ ﴾ الذي أظهرت لنا من المعجزات ﴿ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ تسحر به أعيننا.

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى ﴾ عيسىٰ أي وفقتهم للإيمان لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٠٠] ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا

﴿وَٱشْهَدْ﴾ يا عيسىٰ ﴿بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ مطيعون لله ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ﴾ عيسىٰ ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ من هذا السؤال بهذا العنوان، لأن الله تعالىٰ قادر علىٰ كل ممكن ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ فانتهوا عن هذا السؤال بهذا العنوان ﴿قَالُوا۟﴾ ليس لنا نيّة فاسدة، بل ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ﴾ به ﴿قُلُوبُنَا﴾ بظهور كمال قدرة الله، كما قال إبراهيم عليه السلام حين سأله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠] ﴿وَنَعْلَمَ﴾ علم اليقين ﴿أَن﴾ أي أنك ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ فيما أخبرتنا ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾ نشهد علىٰ معجزاتك ونستدل بها على الناس على رسالتك فلما رأىٰ عيسىٰ إخلاص نياتهم وعلم أن نزول المائدة ممكن بنفسه ليس بمحال لأنها مخلوقة حيثما كانت في الأرض أو في السماء ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ داعياً إلى الله ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ أي يوم سرور بإعطاء نعمتك ﴿لِّأَوَّلِنَا﴾ بدل من لنا بالرؤية ﴿وَءَاخِرِنَا﴾ بالسماع ﴿وَ﴾ تكون المائدة ﴿ءَايَةً مِّنكَ﴾ دالة على نبوتي ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ﴾ أي من يكفر هذه النعمة والإعجاز ﴿فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ والتعبير بصيغة اسم الفاعل يفيد نزولها لقوله تعالىٰ: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] لٰكن متىٰ نزلت وقت التكلم أو بعده العلم عند الله.

﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ قَالَ﴾ أي يقول ﴿ٱللَّهُ﴾ توبيخاً للنصارىٰ يوم القيامة لقوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩] (ستأتي) ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ﴾ معبودين ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ كما زعمت أمتك الغاوية ﴿قَالَ﴾ المسيح ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ لأنك ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ أي في غيبك ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ ما غاب عنا وعن جميع الخلق. ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ والمذكور في الإنجيل الموجود هكذا[1] ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ ناظراً

---

(١) اسمع يا إسرائيل! الرب إلٰهنا إلٰه واحد وتحب الرب إلٰهك من كل قلبك ومن كل نفسك =

لحركاتهم ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ موجوداً ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ بتوفية حياتي الأولىٰ في الدنيا ﴿كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ﴾ الشاهد ﴿عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ حاضر ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ لا يجدون ملجأً سواك ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب علىٰ أمره ﴿الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ في صنعه. لعله فيه شفاعة لهم، لٰكن بالتلميح لا بالتصريح، لقوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣] ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ في جواب عيسى ﴿هَٰذَا﴾ اليوم أي يوم القيامة ﴿يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ﴾ في أقوالهم ﴿صِدْقُهُمْ﴾ ويكون كذب الكاذبين وبالاً عليهم ﴿لَهُمْ﴾ أي للصادقين ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿ذَٰلِكَ﴾ الرضا ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ وكذب هؤلاء الظانين ألوهيتك ظاهر، لأنه ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ في الجو وغيره ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ وهؤلاء اعتقدوا فيك الألوهية فلا يفلحون لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦] وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١] اللهم اجعلني من الموحدين آمين.

سورة الأنعام مكية وهي مائة وخمس وستون آية

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ أي خلقها وأوجدها من العدم لقوله تعالىٰ: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ متعلق بـ -كَفَرُوْا - ﴿يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ من العدول أي ينحرفون عن سواء الطريق لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [المؤمنون: ٧٤] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ أي آدم ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ أي وقت الموت ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾ أي الحشر والنشر لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]

= ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولىٰ (إنجيل مرقس الباب الثاني عشر).

﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢﴾ تشكون في إخباره. كلمة «ثُمَّ» للتراخي في البيان لا في الجعل. فافهم ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي هو سبحانه مع كل مخلوق[1] بلا كيف كقوله تعالىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧] ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾ من الخير والشر فلذا ﴿يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ [المجادلة: ٧] ﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾ أي الكفار ﴿مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ أي واقعة عجيبة من أعاجيب المصنوعات دالة على كمال قدرته وصحة نبوة النبي عليه السلام ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۝١٠٥﴾ [يوسف: ١٠٥] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ أي القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥] ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٥﴾ بقولهم ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۙ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ [سبأ: ٧، ٨].

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ لم يفكروا في شدة قهرنا ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أي ذوي قرن زمان كقوله تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ أيها الكفار لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ [سبأ: ٤٥] ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾ أي مطراً كثيراً ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي بعصيانهم رسل الله ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا﴾ أي أهل قرن ﴿ءَاخَرِينَ ۝٦﴾ هٰذا البيان كمثل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ۝٩٤ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩٥﴾ [الأعراف: ٩٤، ٩٥] ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا﴾[2] أي مضموناً مكتوباً ﴿فِى قِرْطَاسٍ﴾ كما يطلبون منك لقوله

---

(١) أي بعلمه وقدرته.

(٢) نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد. قالوا: يا محمد! لن نؤمن لك حتىٰ تأتينا بكتاب من عند الله، ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من =

تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣] ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي تيقنوا بنزول الكتاب باللمس ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ أي لا يؤمنون لقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١] ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ فيمشي معه يحث الناس علىٰ اتباعه لقوله تعالىٰ: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧﴾ [الفرقان: ٧] ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨﴾ يمهلون ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي الرسول ﴿مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ أي في صورة الرجل ليأنسوا به لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾ [النحل: ٤٣] ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾ أي خلطنا عليهم ﴿مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ نسبة اللبس إلى الله تعالىٰ كنسبة المعلول إلى علة العلل كقوله تعالىٰ: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤] أي يشكون فيه أيضًا، كما يشكون فيك اليوم لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٣٠﴾ [يس: ٣٠] فلا تبال ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم﴾ أي الرسل ﴿مَّا﴾ أي جزاء ما ﴿كَانُواْ﴾ أي الكفار ﴿بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠﴾.

﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾ الرسل: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

﴿قُل﴾ يا محمد تبكيتا لهم ﴿لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بل وما تحت الثرىٰ أخبروني من مالكها كلها ﴿قُل﴾ أنت سابقاً كلها ﴿لِلَّهِ﴾ وحده لا شريك له، مع هذا الحكم والسياسة ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ أي اقتضت نفسه أن ترحم. ومن رحمته أن يرسل الرسل لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾

= عند الله، وأنك رسوله، فنزلت. (معالم ٣/ ١٢٩).

[الأنبياء: ١٠٧] ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ﴾ أي في ﴿يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الحج: ٧] ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتعريضها علىٰ العذاب ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ أي لا يصدقون بيوم الجزاء. مر مثله في الجزء الأول. ﴿وَلَهُ﴾ أي لله ﴿مَا سَكَنَ﴾ اطمأن ﴿فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي كل مخلوق ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لدعائهم ﴿الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾ بنياتهم.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ﴾ كائناً ما كان ﴿أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [الشعراء: ٧٩] ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ انقاد ﴿وَ﴾ أمرني الله مخاطبًا ﴿لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾ النهي للاستمرار لا للإنشاء لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾[1] [آل عمران: ١٠١] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ لأني عبد من عباده، مكلف بأحكامه كسائر العباد لقوله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥] ﴿مَنْ يُصْرَفْ﴾ العذاب ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ الله ﴿وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ﴿وَ﴾ اسمع يا محمد ومن اتبعك ﴿إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ بلاء في البدن أو في الأهل أو المال ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ دافع ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ بفضل فلا[2] راد لفضله ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ والمعنىٰ أن الله وحده متصرف في هذه الأمور كلها لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٨، ٨٩] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ الغالب ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ لا يفوتونه ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ فيما يفعل بهم ﴿الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ بحالاتهم وحاجاتهم ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ تمييز من النسبة أي أيّ شيء شهادته أكبر ﴿قُلِ

---

(١) استبعد الله منهم الكفر لأجل كون الرسول عليه السلام فيهم فكيف يكون الرسول نفسه محلًا للكفر والشرك فافهم (منه).

(٢) إشارة إلى حذف الجزاء وإقامة الدليل موقع الجزاء كقوله تعالىٰ: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ٧٧]. (منه).

﴿ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ يشهد لي بل يفصل ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنعام: ٥٧] ﴿وَ﴾ علىٰ شهادته أخبركم أنه ﴿أُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ القرآن إياه والمعنىٰ أني رسول الله إلى الناس كلهم لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ﴾ علىٰ مثل هذا البديهي البطلان ﴿قُلْ إِنَّمَا﴾ أشهد علىٰ أنه ﴿هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ بالله غيره ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ من قبلكم من اليهود والنصارىٰ ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ أي التوحيد وإن لم يسلموا ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ لما هو مذكور في كتبهم[1] لكن ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بإمالتها إلى الدنيا وحطامها ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بادعاء النبوة إشارة إلى نفسه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ أحكامه ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ﴾ يفوز ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر أي لا يفلح المفترون والمكذبون فإنهم ظالمون ﴿وَ﴾ نجزيهم ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ المشركين ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ إياهم شركائي ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ جوابهم المستلزم للفضيحة ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ [غافر: ٧٤] ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بنفي الشرك عنهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ بقولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] و ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] ﴿وَمِنْهُم﴾ الكافرين ﴿مَّن يَسْتَمِعُ﴾ أي يصغي السمع ﴿إِلَيْكَ﴾ ظاهرا ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثقلا لكفرهم وعنادهم لقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤] ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ﴾ مرئية من الآيات الآفاقية والمعجزات النبوية ﴿لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ لعنادهم وجهلهم ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية ﴿إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ﴾ في الحق بيان جدالهم أنه ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ﴾ القرآن ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ أي ليس فيه أمر عجيب لا نقدر عليه لقوله تعالىٰ: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: ٣١] ﴿وَهُمْ﴾

(١) اسمع يا إسرائيل! إن الرب إلٰهنا، فإنه رب واحد (الباب السادس من الكتاب الخامس من التوراة).

أي الكفار ﴿يَنْهَوْنَ﴾ الناس ﴿عَنْهُ﴾ أي عن القرآن ﴿وَيَنْـَٔوْنَ﴾ يبعدون ﴿عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ أن وبال فعلهم هذا عليهم لقوله تعالىٰ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ أيها الرائي ﴿إِذْ وُقِفُوا۟﴾ أي يوقفون ﴿عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟﴾ أي يقولون: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ إلىٰ الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف: ٥٣] ﴿وَ﴾ يكون الرد سبب أن ﴿لَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ بعد الرد إلى الدنيا بما حصل لهم من عبرة. ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ بل ويظهرون عن إنكار الحشر والنشر ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ من الشرك والكفر والبدع وشقاق الرسول عليه السلام ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ في قولهم: يا ليتنا نرد المتضمن[1] للوعد بالأعمال الصالحة لقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ﴾ أي ما ﴿هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ليوم الحشر ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ العذاب ﴿بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ﴾ أي يقول الله تبارك وتعالىٰ علىٰ لسان الملائكة لا بنفسه لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ [البقرة: ١٧٤] ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ أي جزاءه يظهر خسرانهم يوم الجزاء لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر: ١٥] ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية ﴿إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي مقدمة الساعة وهي الموت لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ[2] إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٩٣] ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة بلا سبق علمهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ

---

(١) فيه إشارة إلى دفع ما يتوهم أن «ليتنا نرد» جملة إنشائية لا تحتمل الصدق والكذب فكيف حكم عليهم بأنهم كاذبون. فافهم (منه).

(٢) لأن الآية الكريمة دالة علىٰ أن الموت موصل إلى الجزاء، وفي الحديث: «**من مات فقد قامت قيامته**». [كشف الخفاء: ٢٦١٨] فافهم (منه).

﴿تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا﴾ قصرنا ﴿فِيهَا﴾ أي في أمرها من السعي في الأعمال الصالحة ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ آثامهم التي اكتسبوها ﴿عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ أي يحملون ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ في حق أكثر الناس لقوله تعالىٰ: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣] ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ أن من كانت له عاقبة الدار خير ممن خسر فيها ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ﴾ أيها الرسول ﴿الَّذِي يَقُولُونَ﴾ أي ينسبون إليك ما لا يليق بشأنك بقولهم: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنبياء: ٥] ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ الفاء عِلِّيَة ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ حقيقة ﴿وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يكفرون لقوله تعالىٰ: ﴿مَّن[1] يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] فكل أمرهم إليّ لقوله تعالىٰ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ [المدثر: ١١].

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ﴾ كثير ﴿مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ أي ماتكلم به حقيقة وماكتبه سبحانه في اللوح المحفوظ لأنها متيقنة أي لا يستطيع أحد أن يبدل أمراً أخبر سبحانه بوقوعه بعدم وقوعه لقوله تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٥] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ﴾ من قبل هذا ﴿مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ فكيف تضطرب والحال أنه ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ﴾ [فصلت: ٤٣] ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ﴾ أيها الرسول ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ فاصبر وإلا ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا﴾ سربا ﴿فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا﴾ مصعداً ﴿فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ﴾ مما اقترحوا بقولهم ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣] أي إن كان في وسعك هذا فافعل فالشرطية

---

(١) فيه إشارة إلىٰ أن المعاملة مع الرسول في أمر الدين من الطاعة والعصيان هي معاملة مع الله فافهم (منه).

الثانية جزاء للشرط الأول يعني إذ ليس في وسعك ما يطلبون منك لأنك رسول ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٣٨] فاصبر وانتظر أمرنا ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ لهداهم أجمعين بالإجبار لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣] لكن ما أجبرهم لقوله تعالىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦] ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ النهي للاستمرار لا للإنشاء لقوله تعالىٰ: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٢-٤] ﴿۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ يجيب ﴿ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ سماع قبول ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي الكفار المشبهة بالموتىٰ في عدم سماعهم سماع قبول لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [النمل: ٨٠] ﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ فيجازيهم ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ مما اقترحنا كما سبق آنفاً لقوله تعالىٰ: ﴿وإن[1] يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾ [القمر: ٢] ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ أي ليس في وسعي شيء لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٣٨] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ أن من نخاطبه بإنزال الآية ليس له دعوىٰ لإنزالها لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ أي أنواع كما أنكم أيها الناس نوع ﴿مَّا فَرَّطْنَا﴾ تركنا ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي علم الباري ﴿مِن شَىْءٍ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ[2] مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]

---

(١) لأن نزول الآية مذكور في القرآن فكيف يصح طلبهم آية أي آية فالمراد بالآية المطلوبة ما اقترحوها (منه).

(٢) لأن هذه الآية مسوقة لبيان علمه تعالىٰ وتسمية العلم كتابا من قبيل تسمية القرآن كتابا مع أنه كلام نفسي لله تعالىٰ فافهم. كتاب مبين ـ أم الكتاب ـ إمام مبين. كتاب مكنون علمه سبحانه. قال مصنف الجلالين إلا في كتاب مبين اللوح المحفوظ ومكنون علمه تعالىٰ (جلالين: سورة النمل). الواو بمعنى أو، وهذا تفسير ثان لكتاب. (منه).

أي ما خفي عنا شيء مما كان ومما هو كائن كقوله تعالىٰ: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠﴾ [الرعد: ٩، ١٠] ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝٣٨﴾ يجمعون فيجازيهم علىٰ أعمالهم ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ أي أصروا علىٰ التكذيب عناداً ﴿صُمٌّ﴾ عن استماع الحق ﴿وَبُكْمٌ﴾ عن بيان الحق ﴿فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ الكثيرة ظلمة الكفر والهوىٰ والعناد والشهوات النفسانية ﴿ظُلُمَـٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٤٠] ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٩﴾ لكن لمشيئته موردًا خاصًّا يستحق بها العبد باختياره لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ۝١٣﴾ [الشورىٰ: ١٣] ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾ هذه الصيغة سماعية ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ﴾ أيها الكفار ﴿عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي الموت عيانا ووجاها ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ كائنا من كان ﴿تَدْعُونَ﴾ لكشف الأهوال ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٤٠﴾ في أن غير الله ينفع بدعائه لا ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ كما تشهد حالكم لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي له ﴿إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ۝٤١﴾ به فكيف تشركون به حال العافية، أفلا تشكرون؟.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ المصائب ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۝٤٢﴾ يتذللون إلينا ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ فنغفر لهم لقوله تعالىٰ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ۝١٤٧﴾ [النساء: ١٤٧] ﴿وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٤٣﴾ من سوء الأعمال من الكفر والشرك والبدعة وغيرها ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ من التضرع والتذلل في مثل هذه الأوقات والوقائع ﴿فَتَحْنَا﴾ استدراجاً ﴿عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من المطر والأرزاق والصحة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟﴾ من الله ﴿أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝٤٤﴾ قنطوا من كل خير كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ۝٩٤ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ

﴿ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأعراف: ٩٤، ٩٥] ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ أي ينبغي أن يقال: الحمد لله رب العالمين علىٰ إهلاكهم، لأن الظلم يصير سببا لفساد الأرض لقوله تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ [الروم: ٤١] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ أي أصمكم وأعمىٰ أبصاركم ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ بكفركم أي سد مواضع الفهم منكم ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦ﴾ بكل واحد لا لقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣] ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ يعرضون ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ عيانا بالعلم كقوله تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل: ٤٥-٤٧] ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي لا يهلك إلا الظالمون لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: ١٦٥] ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ الاستثناء منقطع المستثنىٰ حال أي ما كان لهم حق في الألوهية إلا التبشير والإنذار فقط لقوله تعالىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ٥٩] ﴿فَمَنْ ءَامَنَ﴾ بهم ﴿وَأَصْلَحَ﴾ أي عمل صالحاً علىٰ تعليمهم ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ مطلقاً بواسطة أو بلا واسطة إلا ما أطلعني الله عليه لقوله تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ لا آكل ولا أشرب فلم تطعنون فيّ بقولكم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾ [الفرقان: ٧، ٨] ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ ولا أتبع أهواءكم ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنعام: ٥٦] ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى

﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾ الضال ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾ المهتدي الذي يهتدي بنور الله لقوله تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ فتتبعون الجهال وتتركون العلماء[1].

﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ أي بالقرآن ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم﴾ في الدنيا ولا في الآخرة ﴿مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ﴾ يتولىٰ أمورهم ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لهم بلا إذن الله تعالىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩] ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ ما نهىٰ الله عنه ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ حال من ضمير «يَدْعُوْنَ» أي مخلصين له الدعاء لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل: ١٩، ٢٠] ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ﴾ أي ليس أحد منكم ضامنا للآخر بالحساب عند الله لقوله تعالىٰ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] ﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ نصب المضارع علىٰ جواب النفي أي فيكون طردك سبب أن تكون. ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا﴾ اختبرنا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟﴾ اللام للعاقبة ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ وهم فقراء محتاجون في معاشهم، ليس لهم غنى لأنهم يعتقدون أن وسعة الرزق موجبة للهداية والقربة إلىٰ الله لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١] ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ أنعمه الاستفهام للتقرير لقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ

---

(١) يا حسرتا علىٰ أمة يدعون أنفسهم أمة محمد ﷺ ويعتقدون أن الرسول عليه السلام بل المشايخ الكرام يعلمون الغيب ويرجون منهم ما يرجىٰ من الله من جلب المنافع ودفع المضار وقد قال الله تعالىٰ لسيد الأنبياء عليهم السلام: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨]. وقال الفقهاء رحمهم الله! ذكر الحنفية تصريحا بالتكفير باعتقاد أن النبي عليه السلام يعلم الغيب لمعارضة قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] كذا في المسائرة (شرح الفقه الأكبر للقاري). (منه).

﴿بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧﴾ [القلم: ٧] ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الذين يحقرهم المشركون ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي ابدأ لهم بالسلام وقل لهم تطييبا لقلوبهم ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ﴾ بدل من رحمة والضمير للشأن ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ بغفلة من النفس وقت الارتكاب لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١] ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥٤﴾ يغفر لهم ويرحمهم بل يثيبهم علىٰ التوبة لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠﴾ [الفرقان: ٧٠] ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ لهداية الناس ليهتدوا ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ تتبين ﴿سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٥٥﴾ فتحترز.

﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ دعاء يليق بجنابه تعالىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الإسراء: ٢٢] كائنا من كان ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ وإلا ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾ إذ لا هداية في ترك التعميل لأحكام الله لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣] ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ دليل ﴿مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ أي بالدليل الذي أنا جئت به ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ من العذاب والفصل في الدنيا لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝١٦﴾ [ص: ١٦] ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ﴾ في هذا ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾: ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٣﴾ [الإسراء: ٩٣] ﴿يَقُصُّ﴾ يبين ﴿ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ۝٥٧﴾ فهو يفصل بيننا ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ مني ﴿لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ لأني بشر مثلكم ذو عجلة أريد العجلة لقوله تعالىٰ: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٨﴾ فيجازيهم علىٰ أعمالهم إذا يشاء لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٤٢﴾ [إبراهيم: ٤٢] ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ تقديم الظرف لإفادة الحصر أي ليس عند غير الله لقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ تأكيد لما قبله ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ تفصيل لما قبله من الإجمال ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾ أينما كانت ﴿إِلَّا

﴿يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ أي في علم الله لما مر آنفا في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم﴾ ينيمكم ﴿بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾ كسبتم ﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ﴾ بعد الإنامة ﴿يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي النهار ﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي آجالكم إلىٰ الموت لقوله تعالىٰ: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود: ٣] ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ أي بالجزاء.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ الغالب ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أي ملائكة يحفظون أعمالكم لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١٢] ﴿حَتَّىٰ﴾ ابتدائية أي ﴿إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي حين الموت ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ أي ملائكة الموت ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ أي لا يقصرون في ما أمرهم الله لقوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦] ﴿ثُمَّ رُدُّوا﴾ أي الموتىٰ بعد قبض الأرواح ﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ الذي لا يبطل ولايته قط لقوله تعالىٰ: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤] ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ حال أي متضرعين ومخفين دعاءكم وتقولون: ﴿لَئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾ لنعمتك ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ غم ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ تنسبون كشفها إلىٰ غيره سبحانه ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ من إمساك المطر أو شدته وغيره ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ بعدم الإنبات من الأرض لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦] ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾ يجعلكم ﴿شِيَعًا﴾ مختلفين ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ﴾ عذاب ﴿بَعْضٍ﴾ أي يحارب بعضهم بعضا. فإن البأس يتفرع علىٰ التفرقة لقوله تعالىٰ: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤] اللهم احفظنا من بأسنا واجعلنا متفقين علىٰ كلمتنا ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ﴾ أي القرآن ﴿قَوْمُكَ﴾ قريش ومن دانهم من العرب ﴿وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾ فلا

أؤاخذ بأعمالكم لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة: ١١٩] ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ﴾ خبر مما أنبأتكم بإعلام الله ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾ مطلع يظهر فيه صدقه ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [هود: ٣٩].

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ﴾ بالطعن والاستهزاء لا بالمناظرة[1] لقوله تعالىٰ حاكياً مكالمة الخليل عليه السلام: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] ﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي لا تجلس معهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ فلا جناح في القعود والمكالمة معهم ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ﴾ أيها السامع ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ عن الإعراض عنهم بغفلة منك أو بسهو ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ وإلا فستكن مثلهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] ﴿وَ﴾ الأصل أنه ﴿مَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِن حِسَابِهِم﴾ أي من أعمال الخائفين ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ أي على المؤمنين تذكير ووعظ للمنكرين لا غير هذا من السب والشتم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾ هذا الرجاء بالنسبة إلىٰ المذكر أي ذكرهم بحيث يرجىٰ تذكرهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ [النساء: ٦٣] ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾[2] يأكلون ويتمتعون ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ بطيب عيشها ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ بالقرآن ﴿أَن تُبْسَلَ﴾ لا تهلك ﴿نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ﴾ يتولىٰ أمرها ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لها لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨] ﴿وَإِن تَعْدِلْ﴾ تفتد ﴿كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ [المعارج: ١١-١٤] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟﴾ أهلكوا ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾

---

(١) لما أن إبراهيم عليه السلام ما أعرض عن القائل بل رد عليه بكلام معقول (منه).

(٢) من أراد أن ينظر له مثالاً فلينظر أئمة الكفر في الهند (منه).

﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء شديد الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ ﴿قُلْ﴾ أصل النزاع بيننا وبينكم الدعاء من دون الله ﴿أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ أي مخلوقاً كائنا من كان نبيا كان أو وليا أميا كان أو عالما لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن: ٢١، ٢٢] وقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] هذا هو التوحيد الذي أُرْسِلَ به المرسلون. والله متم نوره ولو كره المشركون ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾ أي نرتد عن ديننا ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ﴾ مسته ﴿الشَّيَاطِينُ﴾ بالإضلال ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي في الوادي ﴿حَيْرَانَ﴾ حال ﴿لَهُ أَصْحَابٌ﴾ علىٰ أطراف الوادي ﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا﴾ أي ائت إلينا علىٰ صراط مستقيم يوصلك إلى المطلوب كذلك يدعونا الله إلى الإسلام لقوله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥] وقوله تعالىٰ هذا: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ المعتبر لا ما تزعمونه هدى من الإشراك والدعوة من دون الله ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ لا لغيره ﴿وَ﴾ قيل لنا: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ﴾ أي مخالفة أمره ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ تجمعون ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي بالنتيجة الحقة لا بالباطل العبث لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٧، ٢٨] ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ بعد الفناء يوم الحشر لكل شيء ﴿كُن﴾ موجوداً ﴿فَيَكُونُ﴾ فيصير موجوداً ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ يوم متعلق بما تعلق به له وهو ثابت أي له الحكومة يوم القيامة لا لغيره لا حقيقيًا ولا مجازيًا لقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦] ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾.

﴿وَ﴾ اذكروا لهم قصة الموحد والمشرك للتفهيم ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ عليه السلام ﴿لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ تعبدها ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ﴾ بهذا الفعل القبيح ﴿فِي

ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي نوجهه إلىٰ نظام العالم كيف دبره وأتقنه سبحانه ما لا يستطيع غيره لقوله تعالىٰ: ﴿ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل: ٨٨] ليعتبر ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ إيقانا كاملا فأخذ يستدل بالمعلول على العلة ﴿ فَلَمَّا جَنَّ ﴾ أظلم ﴿ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ ﴾ دريًّا وإن كان قد راه من قبل أيضاً إلا أنه لم يره مستدلا ﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ ﴾ غرب ﴿ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ لأن الآفل متأثر، والإله مؤثر لقوله تعالىٰ: ﴿ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩١] وقوله تعالىٰ: ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل: ١٧] ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا ﴾ وكانت الليلة ليلة رابعة عشر ﴿ قَالَ ﴾ مستدلا ﴿ هَٰذَا ﴾ القمر ﴿ رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ المشركين الذين يدعون مع الله إلهاً آخر ﴿ فَلَمَّا ﴾ طلع الفجر و ﴿ رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ ﴾ من الكل ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ ﴾ غربت وقت المغرب ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ ﴾ كل ما تعبدون من دون الله متأثر، ولا شيء من المتأثر بمعبود، فلهذا ﴿ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ ﴾ حال من ضمير أنا المستتر في -وَجَّهْتُ- ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ تأكيد لقوله -حَنِيفًا- ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ ﴾ في ترك الشرك واختيار التوحيد ﴿ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ ﴾ أي في حق الله ﴿ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ﴾ بإلهام منه لقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥١] ﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ ﴾ الاستثناء منقطع ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ فإذا أراد بي ضررا لا يدفعه أحد منكم وإذا أراد بي نفعاً لا يمسكه أحد لقوله تعالىٰ: ﴿ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزمر: ٣٨] ﴿ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ ﴾ أي شركاءكم ﴿ وَلَا تَخَافُونَ ﴾ من جزاء ﴿ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ ﴾ حجة ﴿ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ ﴾ أنا أم أنتم ﴿ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ فأخبروني قال

تعالىٰ فاصلا بينهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ﴾ يخلطوا ﴿إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي شرك لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

﴿وَتِلْكَ﴾ ما أرينا إبراهيم من الكواكب ﴿حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ أي فهمناه إياها ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ برحمة منا واستعداد منه ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ بأحوال المخلوقات ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ ابنه ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ابن ابنه ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ هداية خاصة ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ ابنه ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ أي كذا نهدي المؤمنين هداية خاصة لقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ﴾ عطف على المفعول به أي -كُلًّا- ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا﴾ هدينا ﴿وَكُلًّا﴾ المفعول به مقدم ﴿فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ أي الأنبياء ﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ﴾ من هديناهم ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾ اخترناهم ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ أريناهم صراطاً مستقيمًا ثم اجتبيناهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور مما كانوا يفعلون ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ لإخلاصه وإنابته لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورىٰ: ١٣] ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ من الأعمال الصالحة لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن﴾ ﴿يُشْرِكْ[1] بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ﴾ الشرعي ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ أي بالنبوة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ فلن يضروا شيئاً[2] ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ وهم الأنصار لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الأنبياء ﴿ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ

---

(١) لأن الكريمة مشيرة إلىٰ هلاك المشركين فكيف تبقىٰ أعمالهم. فافهم (منه).

(٢) إشارة إلىٰ حذف الجزاء (منه).

﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ في أصول الدين لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ عوضاً ماليا ﴿إِنْ هُوَ﴾ القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ [المزمل: ١٩].

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ غرضهم من هذا القول تكذيب القرآن ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾[1] أي التوراة ﴿نُورًا وَهُدًى﴾ حال ﴿لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ أي مكتوباً في قراطيس جمع قرطاس وهو الكاغذ أي تكتبونه ﴿تُبْدُونَهَا﴾ تظهرون بعضاً منه ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ من المسائل الحقة المخالفة لهواكم ﴿وَعُلِّمْتُم﴾ في التوراة ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ قبل نزوله ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أنزله وإن لم يصدقوا فليخبروا من هو ﴿ثُمَّ﴾ بعد الإخبار ﴿ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ﴾ أباطيلهم ﴿يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ حال. لا تتعرضهم لقوله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩] ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ صفة لكتاب ﴿مُبَارَكٌ﴾ صفة ثانية ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي قبله من الكتاب يقر بنزوله وما اختلط فيه غيره فيميزه لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ به يا محمد ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ مكة المكرمة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من الأعراب والأعجام لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي من كان يرجو الله واليوم الآخر ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي بالقرآن لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ [لقمان: ٣٢] ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾ أي يؤدونها بأركانها بالخشوع والخشية لله لقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ إلىٰ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [المؤمنون: ١-٩] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة المسائل الكاذبة إلىٰ الله كما يفعل اليهود

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت اليهود: يا محمد! أنزل الله عليك كتابا؟ قال: «نعم». قالوا: والله! ما أنزل الله من السماء كتابا فأنزل الله هذه الآية. (معالم ٣/ ١٦٧).

والنصارىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٦٩] ﴿أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾ مشير إلىٰ رسول الله أي إن كان لم يوح إلي فأنا أظلم وإلا فأنتم كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤﴾ [سبأ: ٢٤] ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ﴾ من القرآن في الفصاحة والبلاغة وأخبار الغيب وغير ذلك لقوله تعالىٰ: ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآۙ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣١﴾ [الأنفال: ٣١] عطف علىٰ من قبله ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ﴾ أي سكراته ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ﴾ قائلين لهم: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٩٣﴾ عن قبولها لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥﴾ [الزمر: ٤٥] ﴿وَ﴾ يقال لهم بعد الموت: ﴿لَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ لا ناصر لكم ولا شفيع ﴿كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ في الدنيا ﴿وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ﴾ آتيناكم من النعماء ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ﴾ وقد زعمتم أن مالكم يخلدكم لقوله تعالىٰ: ﴿يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣﴾ [الهمزة: ٣] ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ﴾ إذ كنتم تقولون: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾[1] فاعل مرفوع حكماً أي وصلتكم ﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٩٤﴾ بقولكم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨].

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ من النطفة لقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٧٧﴾ [يس: ٧٧] ﴿وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ﴾ بالإماتة ﴿ذَٰلِكُمُۖ﴾ الموصوف بصفات مذكورة ﴿ٱللَّهُۖ﴾ ومن لم يكن بهذه المثابة فليس بإله لقوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧] ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٩٥﴾ تصرفون لا ينبغي هو ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾ أي وقت

(١) لفظة «بَيْنَ» مبني على الفتح.

راحتكم لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [القصص: ٧٢] ﴿وَ﴾ خلق ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ أي لحسابكم وأعدادكم لقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ﴾ [يونس: ٥] ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ لا يتخلف شيء عما عينه الله عليه لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٨ـ٤٠] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا﴾ أي بعلاماتها ومنازلها ﴿فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ الدلائل علىٰ وجودنا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ ذوي علم لأنهم هم المنتفعون بها لا غير لقوله تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢] ومن لم ينتفع بها فهو جاهل لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ﴾ [الجمعة: ٥].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ آدم ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ أي لكم موضع قرار وموضع أمانة. والمستقر الأرض. والمستودع القبر لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: ٣٦] و قوله تعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ [1] ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ [عبس: ١٧ـ٢٢] ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ اسمعوا أيها الناس ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ﴾ أي ينزل[2] لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٣١] ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي من السحاب ﴿مَآءً فَأَخْرَجْنَا﴾ نخرج ﴿بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ أي من كل شيء ذي نبات ﴿خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ أي من الخضر ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا﴾ أول ما يخرج من النخل بدل - مِنَ النَّخْلِ -

---

(١) هذا مشعر بكون القبر موضع قرار عارضيا وهو المستودع.

(٢) لما أن فعل الله المستمر دائما يكون ماضيه مضارعاً فافهم.

بإعادة الجار ﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ قريبة الأخذ مبتدأ متأخر وخبره - مِنَ النَّخْلِ - ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ عطف على حبًّا ﴿مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا﴾ بغير الصنف مع اتحاد الجنس حال ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ بغيره من الأصناف ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ أي كل واحد ﴿إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ نضجه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ مع هذه القدرة الظاهرة والآيات الباهرة ترك المشركون التسليم ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ شركاء مفعول ثان، والجن مفعول أول ﴿وَ﴾ الحال أنه ﴿خَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي خرقهم هذا ملتبس بجهالة ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ يقولون من نسبة الولد والشريك إلى الله.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي خالقهما من غير سبق مثال ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ حقيقي كما زعمت النصارى عليهم ما يستحقونه ﴿وَ﴾ الحال أنه ﴿لَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ زوجة وكيف تكون له صاحبة ﴿وَ﴾ هو ﴿خَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ والمخلوق كيف يجانس الخالق لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٧] ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الموصوف بخلق وقدرة مبتدأ ﴿ٱللَّهُ﴾ خبره ﴿رَبُّكُمْ﴾ بدل من الله ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ حفيظ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ إذ هو غير مرئي في هذه الدنيا لقوله تعالى في جواب موسى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ لأن كل شيء في قبضته لقوله تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: ٥٦] ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ﴾ مواعظ ﴿مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾ أي من اهتدى فالهداية مفيدة لنفسه، ومن ضل فوبال الضلالة عليه لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد: ١٩] ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ لا أؤاخذ بأفعالكم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة: ١١٩] ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ نبين الآيات ليعتبروا ﴿وَلِيَقُولُوا۟﴾ بعد العجز عن الإتيان بمثله ﴿دَرَسْتَ﴾ عن غيرك ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ يؤمنون لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦] ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ من الكتاب ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ أي لا تبال بأذاهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾ أجبرهم علىٰ ترك الشرك، مر مرارا ﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ فلم تهتم بهم وتحزن عليهم؟ لقوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الشعراء: ٣] ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟﴾[1] أيها المسلمون ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي لا تهتكوا آلهة المشركين ﴿فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فيقولوا إن إله المسلمين كذا. ولا يعلمون أن إله المسلمين هو إله العالمين كلهم لقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢] ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ نسبة التزيين إلى الله كنسبة الفعل إلىٰ علة[2] العلل لقوله تعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل: ٢٤] ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ فيجازيهم ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ مما اقترحوا بقولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣] لا أنهم لم تأتهم آية لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن[3] يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾ [القمر: ٢] ﴿لَّيَقُولُنَّ يَٰٓأَبَانَا مَا لَنُمْنَعُ مِنَّا ٱلْبَرَكَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي ليس عندي ما تستعجلون به لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٣٨] ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿أَنَّهَآ﴾ أي الآيات ﴿إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ لا صلة أي من أيّ وجه تعلمون أيها المسلمون أن الكفار بعد رؤية الآيات يؤمنون لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾ [عبس: ٣، ٤] ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ﴾ قلوبهم ﴿وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾ أي لما لم يؤمنوا بالقرآن ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ يتحيرون لقوله تعالىٰ:

---

(١) قال قتادة: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار (علىٰ آذانهم) فنهاهم الله عز وجل عن ذلك لئلا يسبوا الله فإنهم قوم جهلة (معالم ٣/ ١٧٦).

(٢) فاندفع ما توهم (منه).

(٣) لأن الكريمة تدل على إعراضهم بعد رؤية الآية.

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الصف: ٥].

﴿۞وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ كما يقترحون بقوله تعالىٰ: ﴿لَّوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧﴾ [الفرقان: ٧] ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ علىٰ صدق محمد ﷺ ﴿وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ أي لو أريناهم كل ما أخبرتهم بوقوعه قبل يوم القيامة ﴿قُبُلٗا﴾ مواجهاً لهم ﴿مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ﴾ لعنادهم وإصرارهم على الكفر لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٣٢﴾[1] [الأنفال: ٣٢] ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ممن ليسوا كذلك ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ۝١١١﴾ لا يعلمون عاقبة أمرهم لعنادهم ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا﴾ مفعول ثان ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ مفعول أول أي جعلنا بجعل التكوين المضلين من الجن والإنس أعداء للأنبياء بل والصلحاء لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٢١] ﴿يُوحِي﴾ يومي ﴿بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ الأباطيل ﴿غُرُورٗاۚ﴾ مفعول له أو بدل من المفعول به أي ﴿يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس: ٥، ٦] ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ﴾ لأجبرهم على الطاعة لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣] ﴿فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ۝١١٢﴾ على الله من نسبة ما لا ينبغي إليه سبحانه وتعالىٰ ﴿وَ﴾ يفترون هذا الافتراء ﴿لِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ﴾ أي تميل إلىٰ افترائهم ﴿أَفۡـِٔدَةُ﴾ قلوب ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ﴾ أي يحصّل المفترون من سفلتهم ﴿مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ۝١١٣﴾ من حطام الدنيا وأسبابها لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾ [التوبة: ٣٤] قل ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا﴾ يحكم بيننا ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ﴾ فيه تفصيل كل شيء مما يحتاج إليه من أمر الدين لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ [المائدة: ٣] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾

---

(١) الآية تدل على كمال عنادهم. (منه).

أي فهم الكتاب السماوي لقوله تعالىٰ: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾ [سبأ: ٦] ﴿ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ ﴾ أي القرآن ﴿ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٦] ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ النهي للاستمرار لا للإنشاء لقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾[1] [يوسف: ١٠٨]. ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ أي معلوماته ومواعيده حقة ﴿ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ أي ليس في وسع أحد أن يبدل أو يغير معلوما أو مقدوراً له سبحانه لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقوله تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٨] ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ في أمور الدين ﴿ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ١٣] لأن أكثر الناس ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ يعملون بمجرد الرأي ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾ ﴿ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٥] ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ وحده ﴿ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ وحده ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ بقوله: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٤٥] ﴿ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ بالمجاعة والجوع لقوله تعالىٰ: ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ﴾ [المائدة: ٣] فهو معفو ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ينفرون الناس عما ذكر الله وحده عليه لقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزمر: ٤٥] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ ﴾ ما يراه الناس ﴿ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ ﴾ ما لم يره أحد ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ ﴾ بأي وجه ﴿ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ يكسبون ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ

---

(١) الداعي إلى شيء يكون على اليقين لا على الامتراء. فكيف يكون للإنشاء؟ (منه).

﴿ يُذْكَرِ (١) ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ وحده بأن ذكر عليه اسم غيره فقط أو معه سبحانه لقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا ﴾ إلى ﴿ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٤٥] ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ ﴾ يوسوسون ﴿ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ﴾ في أمر الذبائح ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾.

﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا ﴾ بالجهالة ﴿ فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا ﴾ أي علمناه علم القرآن ﴿ يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ أي يذيع القرآن في الناس وهو النبي عليه السلام والذين يبلغون الناس سنته عليه السلام لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورىٰ: ٥٢] وقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف: ١٠٨] ﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ ﴾ أي نفسه ﴿ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ أي الجهالات: جهالة الكفر وجهالة العلم وجهالة رسوم القوم وغيرها ﴿ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ أي لا يستوون عند الله لقوله تعالىٰ: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [النحل: ٧٦] ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ حيث يزعمون أن ما هم فيه مرضيٌّ عند الله، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ﴾ [النحل: ٣٥] ﴿ وَ ﴾ كما جعلنا هؤلاء كبار مكة ﴿ كَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ ﴾ مفعول ثان ﴿ مُجْرِمِيهَا ﴾ مفعول أول أي سلطنا المجرمين علىٰ كل قرية لقوله تعالىٰ حاكيًا عن أصحاب النار: ﴿ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا ﴾ [الأحزاب: ٦٧] ﴿ لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ﴾ ما شاؤوا واللام للعاقبة لا للعلة، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٥] ﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ لأن وبال مكرهم عليهم لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [فاطر: ٤٣] ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ لتزين أعمالهم في أنظارهم ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ﴾ هؤلاء المشركين ﴿ ءَايَةٌ ﴾ معجزة مصدقة للنبي عليه

---

(١) المراد بمالم يذكر اسم الله عليه وبما أهل لغير الله به واحد لتفسيقه سبحانه كليهما، فاندفع ما توهم فافهم (منه).

السلام لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ [القمر: ٢] ﴿قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ أي لا نؤمن حتىٰ تظهر المعجزة علىٰ أيدينا لقوله تعالىٰ: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ [البقرة: ١١٨] ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ۝٣٢﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢] ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ أنكروا الرسالة واستكبروا عنها ﴿صَغَارٌ﴾ ذل من ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ۝١٢٤﴾ يحيلون في إنكارهم الرسالة تارة بقولهم: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ۝٤١﴾ [الفرقان: ٤١] وأخرىٰ بقوله: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾ هداية خاصة بأوليائه لقوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[1] أي سهل الله عليه أمر الإسلام لقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥-٧] ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ أي يقيمه في الضلالة ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ عن قبول الحق ﴿حَرَجًا﴾ شديدا، شديد الضيق ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ علامته ما ذكر سبحانه في قوله جل مجده: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٤٥﴾ [الزمر: ٤٥] ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾ أي موجب الرجس أي العذاب وهو الطغيان والتكبر ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٢٥﴾ لعنادهم لقوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٢﴾ [الحجر: ١٢] ﴿وَهَٰذَا﴾ الذي ذكر من شرح صدور المخلصين وإضلال المعاندين المستكبرين ﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾ قانونه ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ لا عوج له لقوله تعالىٰ: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥] ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾

---

(١) لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله ﷺ عن شرح الصدر قال: «**نور يقذفه الله في قلب المؤمن، فيشرح له وينفسح**» قيل: فهل لذلك أمارة؟ قال: نعم، الإنابة إلىٰ دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل النزول. (معالم ٣/ ١٨٦). اللهم اجعلني منهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

الدالات علىٰ صدق مقالنا ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ يتعظون ﴿لَهُمْ﴾ أي مشروحي الصدور ﴿دَارُ السَّلَامِ﴾ أي دار العافية وهي الجنة لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾[الحجر: ٤٨] ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ الجار متعلق بالنسبة في جملة - لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ - لقوله تعالىٰ: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يقول: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ أي الشياطين ﴿قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ﴾ أي أضللتم كثيراً من الإنس ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم﴾ الذين أطاعوهم ﴿مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أي حصّل الإنسان المتبوع مطالبه من التابع لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾ [الصافات: ٢٧، ٢٨] ﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ﴾ عينت ﴿لَنَا﴾ مقصودهم من هذا أن يرجعوا إلى الدنيا فيعملوا صالحا لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: ١٢] ﴿قَالَ﴾ أي يقول الله تعالىٰ: ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا تخرجون منها ولا تعودون إلى الدنيا ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ فيخرجكم منها إن شاء أو يعذبكم بعذاب آخر لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: ١٠٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ﴾ أي كما جمعنا بين هؤلاء ﴿نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ من جنسهم أي نجمع بينهم في جهنم لقوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾﴾ [ص: ٥٩] ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ من الكفر والعصيان.

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي للجن من الجن، والإنس من الإنس لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر: ٢٤] ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا﴾ أي نعترف بتبليغهم إيانا ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ فلهذا لم يؤمنوا ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ﴾ أي تبليغ الأحكام علىٰ لسان الرسل لأجل ﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ منه ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾ عن أحكام الله المتعلقة بهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا﴾ [القصص: ٥٩] ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا

﴿رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ بل هو معهم أينما كانوا ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يهلككم دفعة ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ آباءكم ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من الوعد والوعيد في الدنيا والآخرة ﴿لَءَاتٍ﴾ لا محالة ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ الله إن أراد أخذكم لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الواقعة: ٦٠] ﴿قُلْ﴾ يا محمد للمشركين ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ طريقتكم أمر تهديد كقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ على سنتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أي المآل الحسن ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ عند الله.

﴿وَ﴾ من جملة ظلمهم أنهم ﴿جَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾[1] أنبت ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ مفعول به للجعل ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ فيصرفونه في نوائب الحق فأصابوا ﴿وَ﴾ لكن مع هذا يقولون مشيرين إلىٰ نصيب آخر ﴿هَٰذَا﴾ النصيب المعين ﴿لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلىٰ جهته تعالىٰ بأي وجه ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾ أي يجوز أن يصل إليهم بالسهو أو بإثارة الريح يخشون سرعة غضبهم في زعمهم، ولكمال الحلم وغنائه تعالىٰ: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ من نسبة ما خلق الخالق إلى غير الخالق لقوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾ أي وأد البنات ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ فاعل لِـ -زَيَّنَ- ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ يهلكوهم بغضب الله ﴿وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ الذي ارتضىٰ لهم من الإسلام نسبة الأفعال إلى شركائهم نسبة الفعل إلى السبب، كقوله تعالىٰ حكاية عن خليله عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ أجبرهم علىٰ الإيمان

---

(١) كانوا يجعلون من أموالهم نصيبا لله، ومصرفه الضيفان ونصيبا لآلهتهم ومصرفه خدم أصنامهم فإن سقط شيء من نصيب الوثن ردوه إلىٰ ما جعلوه للوثن. وإن هلك وانتقض منه شيء أخذوا بدله مما جعلوا لله. وإن سقط شيء من نصيب الله في نصيب الأوثان خلوه أو مات شيء منه لم يبالوا به وقالوا الله غني (جامع البيان ٥/ ٣٥٠، ٣٥١).

لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣] ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ لا تبال بهم بل ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ [المزمل: ١٠] ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ ممنوع من الأكل ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ بلا دليل وسلطان بل ﴿بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ فلا يركب كالحامي وغيره ﴿وَأَنْعَٰمٌ﴾ أُخر ﴿لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ بل يهلون عليها اسم غيره تعالىٰ وينسبونه إلىٰ غيره سبحانه تقرباً إلىٰ غيره سبحانه ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ بمعنىٰ المشتق حال أي يتركون اسم الله سبحانه مفترين عليه لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨] ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ أي نسائنا ﴿وَإِن يَكُن﴾ الخارج ﴿مَّيْتَةً فَهُمْ﴾ كلهم ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ يأكلون ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ بيانهم هذا ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ﴾ أي وأدوا بناتهم ﴿سَفَهًا﴾ منصوب بنزع الخافض أي بالسفاهة ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ صفة لِـ-سَفَهاً- للتأكيد ﴿وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ مما ذكر ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾ بمعنىٰ مشتق حال ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ في هذا الفعل.

﴿وَ﴾ اسمعوا ما أذكركم ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ على الفرش كالبطيخ وغيره ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ قائم علىٰ ساقه كالعنب والتفاح في الهند وغيره ﴿وَ﴾ أنشأ ﴿ٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ أي لذة كل واحد مما ذكر ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا﴾ بينها ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ أيها الناس ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾ من كل ما ذكر ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ علىٰ ثمره ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ﴾ المساكين ﴿يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ المتبعين للشياطين لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧] ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ إنشاء ﴿حَمُولَةً﴾ ما ﴿تَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [النحل: ٧] ﴿وَفَرْشًا﴾ ما لا تحمل كالغنم ﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ إيهامه في تحليل الحرام وتحريم الحلال ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ

عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ أي خلقها ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ ذكرا كان أو مؤنثا ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ بدليل قوي نقلي أو عقلي لقوله تعالىٰ: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤] ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ﴾ أي خلقها ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ ذكرًا ومؤنثا ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾ الله ﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ التحريم الذي زعمتم لا ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بالتحريم والتحليل ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ هداية خاصة بالمؤمنين أي التوفيق والتيسير للعمل لقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ إلى اليوم ﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ بغير التذكية فيشتمل ﴿ٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ [المائدة: ٣] ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ وقت الذبح ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾ أي موجباً للفسق بل للكفر ﴿أُهِلَّ﴾ عُيِّنَ وقُرِّبَ ﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦] ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ بالجوع غير واجد حلالاً ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ أي لا يكون عادته عدم الاعتناء بالأحكام الشرعية لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ [المائدة: ٣] ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ يرحم عباده المخلصين برحمته الواسعة بمغفرة الذنوب أو بسلبها رأسا ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ وهو ما لم تتفرق أصابعه كالإبل كما هو مذكور في الكتاب الثالث من التوراة في الباب الحادي عشر ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ أي ما لصق بالأمعاء ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ من الحيوان ﴿ذَٰلِكَ﴾ التحريم ﴿جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ على الرسل ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ في هذه الأخبار وإن هم أنكروا هذا ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ حيث لا يعجل لكم العذاب ﴿وَ﴾ لكن ﴿لَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾ عقوبته ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ إذا أتاهم كقوله تعالىٰ

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج: ١٢] ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ الأمر كذلك لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [الأنعام: ١٠٧] لكن مرادهم أن مشيئته مستلزمة لرضاه وليس كذلك لقوله تعالىٰ: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ اغتروا بحلم الله حيث فرحوا بنعمة الله ﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾ عذابنا ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ دليل نقلي أو عقلي علىٰ صحة أفعالكم لقوله تعالىٰ: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤] ﴿فَتُخْرِجُوهُ﴾ تظهروه ﴿لَنَآ﴾ أنىٰ لكم هذا ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ تتوهمون فيه ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ أي البرهان، له الغلبة التامة على المخلوق لقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦١] ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ أجبركم. لكن لا يجبركم على الأفعال الاختيارية لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [المائدة: ٤٨] ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ أي ما تفوهون بأفواهكم ﴿فَإِن شَهِدُوا۟﴾ فرضاً ﴿فَلَا تَشْهَدْ﴾ أنت يا محمد ﴿مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أهواء ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ يسوون بالله سبحانه غيره، حيث قالوا: «هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا».

﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أي أمركم به لقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ[1] رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ الآية [الإسراء: ٢٣] ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم﴾ بناتكم بالوأد لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير: ٨، ٩] ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ من خوف الفقر ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ علىٰ رؤية الناس

---

(١) استشهاد علىٰ أن التحريم هٰهنا بمعنى الأمر وهو القضاء لأن المنع يكون من الشرك لا من عدم الشرك المفهوم من قوله تعالىٰ: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟﴾ الآية. (منه).

﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾ خفي على الناس ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أي بحكم الشرع حيث أمر بالقتل ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم ﴾ أمركم ﴿ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ ﴾ بوجه من الوجوه حتى لا تأكلوا من طعامه ﴿ إِلَّا بِالَّتِي ﴾ أي بالسبيل التي ﴿ هِيَ أَحْسَنُ ﴾ في حقكم وحقه وهي التجارة لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: ٦] ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ فتعاملوه معاملة الأحباء والأصدقاء من قبول الهدية وغيره ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ ﴾ قضيتم أو شهدتم ﴿ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ﴾ المشهود عليه أوله ﴿ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ لكم ﴿ وَبِعَهْدِ اللَّهِ ﴾ الذي أخذ منكم بأداء الأحكام حين أسلمتم لقوله تعالىٰ: ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [المائدة: ٧] ﴿ أَوْفُوا ﴾ أدوها كما التزمتم أو لزمتكم ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَ ﴾ اعلموا ﴿ أَنَّ هَٰذَا ﴾ الذي ذكر ﴿ صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ حال من المشار إليه كقوله تعالىٰ ﴿ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾ [هود: ٧٢] ﴿ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ غيره ﴿ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ أي فتبعدكم عن الله لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ [النساء: ١١٦] ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ هذا انتهاء التزام الأحكام الإلٰهية ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ تماماً حال من الكتاب أي تامًّا كاملًا على النهج الحسن ﴿ وَتَفْصِيلًا ﴾ عطف على تماماً ﴿ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ أوصاف مترادفة لكتاب أوصاف له في الحقيقة لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٤] ﴿ لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ إيماناً كاملًا.

﴿ وَهَٰذَا ﴾ القرآن ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ ﴾ ولا تتبعوا غيره في المسائل الدينية لقوله تعالىٰ: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ [الأعراف: ٣] ﴿ وَاتَّقُوا ﴾ مخالفته ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوا ﴾ أيها العرب أن المصدرية مفعول له لأنزَلْنا من قبيل قعدت عن الحرب جبناً أي كراهية أن تقولوا: ﴿ إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ ﴾ اليهود والنصارىٰ ﴿ مِن قَبْلِنَا وَإِن ﴾ مخففة ﴿ كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ ﴾

أي درسهم بينهم ﴿لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾ لمغايرة اللسان والمعاشرة ﴿أَوْ تَقُولُواْ﴾ تتمنوا ﴿لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ﴾ أي رسول ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البينة: ١، ٢] ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ أي قرآن لقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ٢] ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ﴾ أعرض ﴿عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ هو حياة الشقاوة في الدنيا وعدم البصارة في الآخرة لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤] ﴿بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ يعرضون ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي ينظر المنكرون المعرضون بعد رؤية آيات الله الكاملة ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ نفسه لقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الفرقان: ٢١] ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ﴾ المنذرة[1] لقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ﴾ هو يوم الموت لفرد فرد من نوع الإنسان لقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الفرقان: ٢٢] وآيات يوم القيامة لنوع الإنسان لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [السجدة: ٢٩] ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ﴾ ما تمنيتم ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ أيضاً ما ينزل بكم من عذاب الله لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ ۖ فَتَرَبَّصُواْ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾ [طه: ١٣٥].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ فرقا مختلفة اختلافا يوجب تعددهم[2] (نعوذ بالله) وهم أهل الكتاب لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤] وقوله تعالىٰ: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]

---

(١) فتشمل آية طلوع الشمس من مغربها فافهم (من فتح البيان ٤/ ٢٨٣، ٢٨٤).

(٢) فلا يرد أن الصحابة أيضاً كانوا مختلفين فيما بينهم في المسائل لأنهم ما كانوا فرقا متباينة فافهم (منه).

واليوم صدق علينا خير الأمم. إلىٰ الله المشتكىٰ ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي ليس لك يا محمد بهم تعلق لحمقهم وجهلهم لقوله تعالىٰ: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحشر: ١٤] اللهم لا تجعلنا مثلهم ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ طريق فصله تعالىٰ أنه ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ فضلاً من الله ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ بزيادة السيئات علىٰ ما كسبوا ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أعلى ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ كما كنتم ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي﴾ هذا مثال أي عبادتي البدنية ﴿وَنُسُكِي﴾ مثال أي عبادتي المالية كلها ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ أي أنا منقاد لله تعالىٰ في جميع الأحوال والأقوال لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران: ٢٠] ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الأنعام: ١٤] ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ المنقادين لله تعالىٰ من هذه الأمة ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَ﴾ الحال أنه ﴿هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فكل ما سواه مربوب له فكيف اتخذ المربوب ربا لقوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٧] ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ بحيث تخلص الكاسبة فكيف أجرم على الاتكال عليكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ من أمر الدين ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ يخلف الولد الوالد لقوله تعالىٰ: ﴿كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأنعام: ١٣٣] ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ في المال والعزة ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ من المال والعزة أتصبرون وتشكرون أم لا ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ يقدر علىٰ أن يأخذكم في آن واحد لقوله تعالىٰ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٣] ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ يرحم من عباده من لا يستكبر عنه لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورىٰ: ١٣].

سورة الأعراف مكية وهي مائتان وست آيات

﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾﴾[1] أي أنا الله الأعلم الصادق، هذا ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ ضيق ﴿مِّنْهُ﴾ لتكذيب الكفار إياك لقوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الشعراء: ٣] ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ المنكرين من عذاب الله ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ تذكرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟﴾ أيها الناس ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟﴾ في أمر الدين ﴿مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي مطاعيكم الذين اتخذتموهم مطاعة لقوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ نصب قليلًا علىٰ أنه صفة المصدر وما زيدت للتأكيد ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ عذابنا﴿بَيَٰتًا﴾ حال كونهم بائتين في الليل ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾﴾ نائمون وقت القيلولة ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ نداؤهم ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [تبارك: ١١] ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ الرسل لقوله تعالىٰ: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص: ٦٥] ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ بقولنا: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [المائدة: ١٠٩] ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾ أي نخبرهم ﴿بِعِلْمٍ﴾ أي خبراً صحيحاً ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ﴾[2] أي مقدار الأعمال. بأي وجه كان ﴿يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي كثرت أعمالهم الصالحة ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾﴾ الداخلون الجنة لقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ [القارعة: ٦، ٧] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ حبطت أعمالهم بالكفر والشرك، أو قلت ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ ينكرون ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ ذرائع الرزق بالإنبات، وبأن يخدم بعضكم بعضا

---

(١) تفصيل بحث الحروف المقطعات في الإتقان فانظر فيه (منه).

(٢) قال مجاهد: المراد بالوزن ههنا القضاء ومعنىٰ الحق العدل (معالم ٣/ ٢١٤ والخازن) فافهم.

ويستأجر بعضكم بعضا لقوله تعالىٰ: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي بدأنا خلق أبيكم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ أي أتممنا خلقته لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: ٢٩] ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ مر بيانه في الجزء الأول ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ﴾ يا إبليس ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ لا صلة لقوله تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ [ص: ٧٥] ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ أي من آدم إذ ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر: ٢٧] ﴿وَخَلَقَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ أي عنصر النار غالب فيّ وعنصر الأرض غالب فيه، لقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] والنار أفضل، قياس منه بمقابلة النص، وهو حرام لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] ﴿قَالَ﴾ تعالىٰ ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي فاخرج من هذه الجماعة ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ يجوز ﴿لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ[1] فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ لعصيان أمر ربك لقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [التين: ٤ـ٦] ﴿قَالَ﴾ إبليس ﴿أَنظِرْنِىٓ﴾ أمهلني ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾﴾ أي يوم القيامة ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ نسبة الإغواء إلى الله تعالىٰ نسبة إلىٰ علة العلل لا إلى العلة القريبة لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣] ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ وبالجملة لا آلو في إضلالهم جهداً من كل وجه لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء: ٦٤] ﴿وَ﴾ بسعيي ﴿لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ لك ﴿قَالَ ٱخْرُجْ﴾ تأكيد لما قبلها من الأمر ﴿مِنْهَا﴾ من جماعة الملائكة ﴿مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ ذليلاً

---

(١) لأن تكبر إبليس علة قريبة لضلالته والله تعالىٰ علة فاعلية لكل شيء لقوله تعالىٰ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

بعيداً عن الرحمة ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ﴾ المتبوعين والتابعين ﴿أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ لا يفوتني أحد.

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ المعينة المشار إليها وإلا ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ العاصين ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي أشار لهما لأكل الشجرة الممنوعة ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ﴾ ستر ﴿عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ الذكر والفرج بتشريف الله تعالىٰ إياهما لأنه كان غرضه إهانتهما وتذليلهما ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ أي تأثير هذه الشجرة أن من يأكلها يكن ملكاً أو خالداً في الجنة ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ حلف لهما ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ المخلصين ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ أي أزالهما عن إصرار الإنكار ﴿بِغُرُورٍ﴾ أي بخداع منه بالحلف ﴿فَلَمَّا ذَاقَا﴾ أي آدم وحواء ﴿ٱلشَّجَرَةَ﴾ الممنوعة ﴿بَدَتْ﴾ ظهرت ﴿لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ ليسترا عوراتهما ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَ﴾ لم ﴿أَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه: ١١٧] ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا﴾ الأمر للاستمرار لا للإنشاء لقوله تعالىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٣٧، ٣٨] أي استمروا على القيام في الدنيا إلى انقطاع الحياة وفي علم الله يكون ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ﴾ الله تعالىٰ ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ أي أصل الأمر كذلك.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ أي خلقنا لكم ﴿لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾ زينة تتجملون بها ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ الإضافة بيانية أي تقوى الله ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ من اللباس الظاهري لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] وقوله عليه السلام: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى لباسكم ولٰكن ينظر إلى قلوبكم**»[1] (الحديث).

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٦٤) في البر والصلة باب ما جاء في المهاجرة بلفظ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم وأعمالكم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الدالات على كمال قدرته تعالىٰ ويبين للناس ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ﴾ يضلنكم ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ هذا الكلام كالنتيجة من القصة المذكورة ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أي مسلطين عليهم لقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: ٨٣] ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ كالطواف بالكعبة عريانا ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النحل: ٩٠] ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ بالعدل في كل شيء لقوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ الآية [النحل: ٩٠] ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي استعدوا لكل صلاة حين يؤذن لها لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء: ١٠٣] ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي الدعاء ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ أي خلقكم فرادىٰ ﴿تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ فرادىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٩٥] ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ﴾ لأجل ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي اتخذوا الأنبياء والأولياء عليهم السلام متولين لأمورهم بإغواء الشياطين لقوله تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ﴾ [الكهف: ١٠٢] ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ في دعائهم غير الله لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

﴿۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ﴾ ما يزينكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي التزموا الخشوع لله والخضوع له عند كل صلاة لقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦] وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ﴾ [الأعراف: ٢٩] وقوله تعالىٰ: ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨] وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ﴾[1] [البقرة: ٢٣٩] ﴿وَكُلُوا۟

---

(١) الاستدلال بهذه الآية بأنها في الغزوة والجهاد فإن كان المراد بالزينة التجمل لكان مأموراً=

﴿وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ لا تعتدوا إلىٰ الحرام ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ المعتدين حدوده. ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ﴾ من العدم إلى الوجود أي خلقها ﴿لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ كما يزعم بعض الزهاد أي كلوا واشربوا والبسوا ما شئتم مما أبيح لكم ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مع غيرهم ﴿خَالِصَةً﴾ حال ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي لا ينال الكفار شيئاً منها لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأعراف: ٥٠] وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النحل: ٢٧] ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الأحكام ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ أي الزنا ومباديه ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ بدل من «الفواحش» ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾ أي الأمر المنكر لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ [النحل: ٩٠] ﴿وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي العدوان علىٰ أحد لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾ [الحجرات: ٩] ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ ذكر عدم السلطان بيان للواقع لا للاحتراز لقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ من نسبة الولد إليه سبحانه لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ﴾ [النجم: ٢٧، ٢٨] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ﴾ من أجلهم ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ منه لقوله تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢] ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾

= به في الغزوة أيضًا البتة لعموم قوله تعالىٰ: ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ والتجمل في الجهاد كما ترىٰ فالمراد بالزينة ما تزين بها الصلاة عند الله وهو الخشوع لا اللباس الفاخر لقوله عليه السلام: حين سئل عن الصلاة في ثوب واحد «**أوكلكم يجد ثوبين؟**» (البخاري: ٣٦٥ ومسلم: ٥١٥) وقوله عليه السلام: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى لباسكم ولٰكن ينظر إلى قلوبكم**» (الحديث) [مسلم: ٢٥٦٤] وما يروىٰ عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن هذه الآية نزلت في امرأة كانت تطوف بالبيت في الجاهلية عريانة وعلىٰ فرجها خرقة وهي تقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله ... وما بدا منه فلا أحلـه

فلعله مستنبط من ظاهر الألفاظ فتفكر.

أي يتلون عليكم ﴿فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ﴾ أعماله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ هذه الآية حاكية عن الماضي أي قيل لهم على لسان أبيهم لما تاب الله عليه وأمره بالقيام في الأرض لقوله تعالىٰ (بعدما هبط إلى الأرض): ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: ٣٨، ٣٩] فرع الله سبحانه علىٰ هذا الإعلان النبوة الحاضرة.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بدعوى النبوة الكاذبة ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ﴾ أي كلا القسمين ﴿يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾ المذكور في الكتاب السماوي وهو قوله تعالىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: ٣٩] ﴿حَتَّىٰ﴾ ابتدائية أي ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ﴾ أي يقول الله لهم علىٰ لسان الملائكة: ﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾ أي مضت ﴿مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ من الكفار ﴿فِي النَّارِ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠] ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ فيها ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ التي أضلتها في الدنيا لقوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأعراف: ٣٨] ﴿حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا﴾ تلاحقوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ﴾ ورودا ﴿لِأُولَاهُمْ﴾ أي في شأنهم ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ لما أنهم مستحقون له لقوله تعالىٰ: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٥] ﴿قَالَ لِكُلٍّ﴾ منكم ﴿ضِعْفٌ﴾ للمتبوعين وزر ضلالهم وإضلالهم وللتابعين وزر ضلالتهم ودعوة الناس إلى اتباع متبوعيهم ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ أي لا تعلم طائفة ما يفعل بالأخرىٰ ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ﴾ المتبوعون ﴿لِأُخْرَاهُمْ﴾ أي التابعين ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ من الإيمان لأنكم كفرتم بالله وما كنتم مؤمنين لقوله تعالىٰ: ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الصافات: ٢٩] ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ أي لا تصعد أعمالهم

الصالحة إلىٰ أوج القبول لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] بل تحبط لقوله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥] ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ﴾ يدخل ﴿الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ أي ثقب الإبرة هو وإن كان محالاً عادة إلا أنه تحت قدرته سبحانه لقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: ١٠٦، ١٠٧] ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ المشركين ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش من النار ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ جمع غاشية أي غطاء ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ اعتراض لبيان الأعمال ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] وقوله عليه السلام: «**عليكم من العمل ما تطيقون. فإن الله لايمل حتىٰ تملوا**»(١) ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ خبر المبتدأ ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ أبد الآباد لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٨] ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أي قبل دخول الجنة ﴿مَا فِي صُدُورِهِمْ﴾ المؤمنين ﴿مِنْ غِلٍّ﴾ حقد من جهة الدين أو الدنيا كما كانت تجري المناقشة بين المسلمين لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ(٢) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩] ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا﴾ أي يقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾ أي لنعمل الموجب لهذا أي التقوىٰ والعمل الصالح لقوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٣] ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ أي لولا أن وفقنا الله لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٠] ﴿لَقَدْ جَاءَتْ﴾ في الدنيا ﴿رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا﴾ من الله ﴿أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿وَنَادَىٰ﴾ أي ينادي ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ من ثواب الجنة ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ من عذاب النار ﴿قَالُوا﴾ أي يقولون ﴿نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾

---

(١) رواه البخاري (١١٥١) في التهجد باب ما يكره من التشديد في العبادة ومسلم (٧٨٥) في صلاة المسافرين والموطأ (١/١١٨) في صلاة الليل والنسائي (٣/٢١٨) في صلاة الليل بعد حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) لأن الكريمة تدل علىٰ جريان المقاتلة بين المسلمين وهو مستلزم للغل فافهم. (منه)

من الله ﴿بَيْنَهُمْ أَن﴾ أي أنه ﴿لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا﴾ أي فيها ﴿عِوَجًا﴾ اعوجاجاً بقولهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥] وقولهم: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾﴾ [سبأ: ٧] وقولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الفرقان: ٧] ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾ منكرون ﴿وَبَيْنَهُمَا﴾ أي بين أصحاب الجنة وأصحاب النار ﴿حِجَابٌ﴾ ساتر ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾ أي الأمكنة المرتفعة بين الجنة والنار وهي السور لقوله تعالىٰ: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [الحديد: ١٣] ﴿رِجَالٌ﴾ عملوا الصالحات وأُخر سيئات كثيرة إلا الكفر والشرك لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ (١) ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [الواقعة: ١٠-١٢] وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢] ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ﴾ أهل الجنة ببياض وجوههم وأهل النار بسواد وجوههم لقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٦، ١٠٧] ﴿وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ أي لما يدخل الجنة أصحاب الأعراف ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ يرجون دخولها لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨] ﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ﴾ إلىٰ ﴿أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ الذين هم في النار.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ من أهل النار ﴿يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ﴾ بسواد الوجه ﴿قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ أي جماعتكم ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ به من الأموال والأولاد لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا

---

(١) لأن الكريمة تدل على سبق السابقين بالأعمال الصالحة إلى نعيم الجنة وسبقهم يدل علىٰ تأخر قوم وهم ليسوا إلا الذين ذكرهم الله في الآية الثالثة المشهودة بها فافهم (منه).

﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾ [مريم: ٧٣] ﴿أَهَٰؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ علىٰ أنه ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ منه لأنهم فقراء ونحن أغنياء لقوله تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١] انظروا قيل لهم: ﴿ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ﴾ حال كونكم ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ علىٰ فوات المطلوب ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ﴾ شيئاً ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ أي ما كانوا عليه من أمر الدين لا يعتقدونه من صميم قلوبهم بل يلعبون ويسخرون به فبغيره بالطريق الأولىٰ لعدم اعتقادهم الجزاء لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوٓا إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنعام: ٢٩] ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾ نتركهم كأنهم منسيون لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤] ﴿كَمَا نَسُوا لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ ينكرون ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً﴾ حالان مترادفان وهو القرآن لقوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود: ١] ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ خصوا بالذكر لأنهم هم المنتفعون لقوله تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ أي مآل أخبار القرآن من الحشر والنشر لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ إلىٰ قوله ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٢] ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ فلم نؤمن بهم ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا لَنَآ أَوْ نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ من الكفر والشرك ﴿قَدْ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ بقولهم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] وقولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى﴾ مقدار ﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواء يليق بشأنه[1] سبحانه لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ

---

(١) مذهب السلف في الاستواء وغيره من الصفات هو ما يلي:

=

= **قال شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني** رحمه الله: قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء وهذا تفسير قوله: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٥٢] على أحد الأقوال فبين هذه الموجودات في الدنيا وتلك الموجودات في الآخرة مشابهة وموافقة واشتراك من بعض الوجوه، وبه فهمنا المراد وأجبناه ورغبنا فيه، وبينهما مباينة ومفاضلة لا يقدر قدرها في الدنيا، وهذا من التأويل الذي لا نعلمه نحن بل يعلمه الله تعالى، ولهذا كان قول من قال: إن المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله حقا، وقول من قال: إن الراسخين في العلم يعلمون تأويله حقًّا، وكلا القولين مأثور عن السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، والذين قالوا: إنهم يعلمون تأويله مرادهم بذلك إنهم يعلمون تفسيره ومعناه، فهل يحل لمسلم أن يقول: إن النبي ﷺ ما كان يعرف معنى ما يقوله ويبلغه عن الآيات والأحاديث، بل كان يتكلم بألفاظ يعرف معانيها، ومن قال: إنهم لا يعرفون تأويله أرادوا به الكيفية الثانية التي اختص الله بعلمها، ولهذا كان السلف كربيعة ومالك بن أنس وغيرهما يقولون: الاستواء معلوم والكيف مجهول، وهذا قول سائر السلف كابن الماجشون والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم وفي غير ذلك من الصفات فمعنى الاستواء معلوم وهو التأويل والتفسير الذي يعلمه الراسخون والكيفية هي التأويل المجهول لبني آدم وغيرهم الذي لا يعلمه إلا الله وكذلك ما وعد به في الجنة تعلم العباد تفسير ما أخبر الله به وأما كيفيته فقد قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: يقول الله تعالى: «**أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» فما أخبرنا الله به من صفات المخلوقين نعلم تفسيره ومعناه ونفهم الكلام الذي خوطبنا به ونعلم معنى العسل واللحم واللبن والحرير والذهب والفضة ونفرق بين مسميات هذه الأسماء وأما حقائقها على ما هي فلا يمكن أن نعلمه نحن ولا نعلم حتى تكون الساعة (شرح حديث النزول ص ١٣).

انظر كيف صرح شيخ الإسلام أكمل تصريح بأن آيات الصفات لاسيما آية الاستواء معلومة المعنى اللغوي مجهولة الكيفية وقال: هذا هو مذهب السلف (لا شك فيه).

قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: يجب على كل من لا يقف على كنه هذه المعاني وحقيقتها ولم يعرف تأويلها والمعنى المراد به أن يقر بالعجز فإن التصديق واجب وهو عن دركه عاجز، فإن ادعى المعرفة فقد كذب وهذا معنى قول مالك: الكيفية مجهولة يعني تفصيل المراد به غير معلوم.

كيف نبه الإمام الغزالي على كون آية الاستواء معلومة المعنى مجهولة الكيفية فافهم.

أجاز شيخ الإسلام ابن تيمية في التحفة العراقية: أن تفسر ألفاظ الصفات الإلهية بألفاظ =

﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ أي يغطي أحدهما على الآخر ﴿يَطْلُبُهُۥ﴾ أي أحدهما الآخر ﴿حَثِيثًا﴾ سريعًا أي لا يفتر ﴿وَ﴾ خلق ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ﴾ حال مقدرة من المفعول به ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ متعلق بمسخرات ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ أي بالتضرع ﴿وَخُفْيَةً﴾ أي

= أخرى حيث قال:

وتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله تعالى بعلمها، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره الاستواء معلوم والكيف مجهول، فالاستواء معلوم يعلم معناه ويفسر ويترجم بلغة أخرى، وهو من التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم، وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، وقد روي عن ابن عباس ما ذكره عبدالرزاق وغيره في تفسيرهم عنه أنه قال: تفسير القرآن على أربعة أوجه، تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لايعلمه إلا الله عز وجل، فمن ادعى علمه فهو كاذب، وهذا كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] وقال النبي ﷺ: يقول الله تعالى: «**أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**» وكذلك علم وقت الساعة ونحو ذلك، فهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، وإن كنا نفهم معاني ما خوطبنا به ونفهم من الكلام ما تحصل أفهامنا إياه.

كيف صرح رحمه الله: أن يفسر الاستواء بلفظ آخر ويترجم بلغة أخرى في الفارسي أو الهندي وغيره. وقال مذهب السلف لا يأباه بل هو هذا.

نثبت من كلام هؤلاء الكبار الأذكياء أن مذهب السلف لايمنع من فهم المعاني اللغوية لآيات الصفات بل يمنع من فهم كيفيتها، مثلًا معنى استوى على العرش على ما قال أهل اللغة: تسخير الملك للملك كما نبه عليه الشيخ الدهلوي في كلامه المذكور (تستعار ألفاظ تدل على تسخير الملك لمدينته تسخيره لجميع الموجودات) وكما قال العلامة الراغب الأصفهاني في مفرداته للقرآن متى عدي (الاستواء) بعلى اقتضى معنى الاستيلاء كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وكما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

فتحقق من مجموع ما سبق أن من فسر «استوى على العرش» بمعناه اللغوي وفوض كيفيته إلى الله وقال: لا يعلم أحد كيفية استوائه إلا الله ما خالف السلف بل اتبع فيه السلف الصالح كما قال الإمام الغزالي وشيخ الإسلام الحراني وغيرهما من الراسخين رضي الله عنهم. اللهم أحيني على مذهب السلف وأمتني عليه واحشرني في زمرة الصالحين آمين (منه).

دون الجهر الشديد لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: ١١٠] ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ المتجاوزين الحدود الشرعية ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ أي بعد تبليغ الأحكام الإلٰهية لا تخالفوها لقوله تعالىٰ حاكيا عن شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [هود: ٨٨] ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي خائفين من عذابه وراجين ثوابه ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ أي قبوله ﴿قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ﴾ حملت ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ مثقلة بالماء ﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ﴾ أي علىٰ البلد الميت من السحاب ﴿الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ بالماء المأكولات ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ في محل النصب ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إخراج النباتات من العدم إلىٰ الوجود ﴿نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ﴾ من القبور ونبين لكم هذا ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ أي الأرض الطيبة ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ﴾ نباته ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ قليلًا كالعدم لا خير فيه هذا تمثيل للقرآن المنزل من السماء لقوله تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن دمتم علىٰ حالكم هذه ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ يوم القيامة ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ أي جماعة الأشراف ﴿مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ لما تأمرنا بترك ما كان يعبد آباؤنا لقوله تعالىٰ: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود: ٥٤] ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾﴾ وبين الرسالة والضلال بون بعيد لقوله تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ: ٤٦] ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ لما أنه سبحانه يوحي إليَّ لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] ﴿أَ﴾ قلتم كذا وكذا ﴿وَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ أي بوساطة رجل ﴿مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا﴾ أي تصيروا متقين

﴿ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ لا يبصرون الحق ببصيرة، وإن كانوا مبصرين لقوله تعالىٰ: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: ٤٦] ﴿ وَ ﴾ أرسلنا ﴿ إِلَىٰ عَادٍ ﴾ أي قوم عاد ﴿ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَ ﴾ تشركون به ﴿ فَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ تخافون عقابه ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ وبين الرسالة والسفاهة بون بعيد لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة: ١٣٠] ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَ ﴾ تقولون كذا وكذا ﴿ وَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ ﴾ تذكير لكم ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ وكانوا بعد نوح ﴿ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ ﴾ نعماءه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ تفوزون المرام ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ﴾ كما تأمرنا ﴿ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ۖ ﴾ من دونه ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴾ علىٰ إنكارنا ﴿ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ ﴾ أي عقاب ﴿ وَغَضَبٌ ۖ ﴾ من الله ﴿ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ ﴾ لا مسمى لها ﴿ سَمَّيْتُمُوهَا ﴾ عينتموها ﴿ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا ﴾ أي بعبادتها ﴿ مِن سُلْطَانٍ ۚ ﴾ حجة وبرهان لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ﴿ فَانتَظِرُوا ﴾ عذاب الله عليكم ﴿ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ فصله أي لا أستطيع أن أعجله عليكم لقوله تعالىٰ: ﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۗ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ ﴾ [الأنعام: ٥٨] ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾ لأنه ﴿ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم: ٤٧] ﴿ وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

﴿ وَ ﴾ أرسلنا ﴿ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ وحده ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ ﴾ حال من المشار إليها كقوله تعالىٰ: ﴿ هَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ ﴾ [هود: ٧٢] ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَ ﴾ النصب علىٰ جواب النهي أي فيكون المس سبب

أن يأتي ﴿كُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ مؤلم ﴿وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ﴾ قوم ﴿عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ مكنكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ غرفات عالية ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ تسكنون فيها هذه نعمة من الله عليكم لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ بالشكر عليها ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ حال مؤكدة ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ أي الرؤساء ﴿مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ﴾ بدل من الموصول ﴿مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي أتؤمنون برسالته ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾ متيقنون ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ لا نؤمن برسالته ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾ عقر واحد منهم لقوله تعالىٰ: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾ [الشمس: ١٢] ونسب إلى الكل برضاهم ﴿وَعَتَوْا۟﴾ تكبروا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ علىٰ إنكارنا ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾ من الله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة المعلولة من الصيحة الشديدة لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٩٤] ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ عطف علىٰ قالوا وما بينهما اعتراض لإظهار النتيجة ﴿وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ المخلصين ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ بعد تعليم التوحيد ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ اللواطة ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ هي ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ أي بالشهوة ﴿مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي تاركين النساء معلقة في بيوتكم لقوله تعالىٰ: ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] ﴿بَلْ﴾ للترقي ﴿أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ متجاوزون حدود الله في هذا الأمر لقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١] ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ﴾ خبر مقدم لكان ﴿قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ لأجل ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ قالوا: هذا ساخرين بهم ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾ الباقين في العذاب لعصيانها أمر لوط لقوله تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ

عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التحريم: ١٠] ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ﴾ مخصوصاً بهم لقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ﴾ [هود: ٨٢، ٨٣] ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

﴿ وَ ﴾ أرسلنا ﴿ إِلَىٰ ﴾ أهل ﴿ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ أي بعد بلوغ أحكام الله لقوله تعالىٰ حاكيا عن شعيب عليه السلام: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ ﴾ [هود: ٨٨] ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ أي إيفاء الكيل والميزان ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ مآلاً ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ ﴾ تهددون ﴿ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ ﴾ مفعول به للفعلين علىٰ سبيل التنازع ﴿ وَتَبْغُونَهَا ﴾ أي فيها ﴿ عِوَجًا ﴾ اعوجاجًا، والأفعال الثلاثة أحوال مترادفة من ضمير لا تقعدوا ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾ الله عددا ﴿ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ من قبلكم ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ ﴾ فوقع النزاع بينكم ﴿ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ ﴾ أي تتركن الإسلام ﴿ قَالَ ﴾ شعيب ﴿ أَ ﴾ نعود في ملتكم ﴿ وَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم ﴾ لأنا ادعينا بطلانها بوحي الله تعالىٰ، فكيف نعود فيها ﴿ بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ ﴾ بإرسال الهداية إلينا ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ ﴾ أي لا يمكن العود منا إلىٰ ملتكم لقوله تعالىٰ: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ﴾ [الأعراف: ١٧٨] ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ ﴾ بأن يأمرنا بالعود إليها. المستثنىٰ لمحض إظهار قدرته تعالىٰ. وإلا فهو سبحانه لا يأمر بالعود إلى الكفر لقوله تعالىٰ: ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [النحل: ٩٠] وأيضاً لقوله: ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾ [الزمر: ٧] ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ الفاصلين ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا

﴿ لَخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ لأنه يأمركم بإقامة الميزان والكيل لقوله تعالىٰ حاكيا عنه عليه السلام: ﴿ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ كما مر انفاً إذ هو أي الإيفاء ليس دأب التجار ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ المعلولة من الصيحة لقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ [هود: ٩٤] ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ ﴾ يقيموا ﴿ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ كرر الموصول لتقبيح شأنهم ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾ بعد رؤية شدتهم وإصرارهم على الإنكار ﴿ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ ﴾ فكذبتموني ولم تؤمنوا بي ﴿ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ ﴾ أحزن ﴿ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ وهو منهي عنه لقوله تعالىٰ: ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المائدة: ٢٦] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا ﴾ لما كذبوا وأصروا على التكذيب ﴿ بِٱلْبَأْسَآءِ ﴾ الفقر ﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ المرض ﴿ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ يتذللون إلى الله ﴿ ثُمَّ ﴾ لما لم يتذللوا ﴿ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ ﴾ أي العافية ﴿ حَتَّىٰ عَفَوا۟ ﴾ أكثروا ﴿ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ ﴾ مثل ذٰلك أي ليس فيه دخل للطاعة والعصيان لقوله تعالىٰ حاكياً عن المشركين: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ [المؤمنون: ٣٧] ﴿ فَأَخَذَتْهُمْ بَغْتَةً ﴾ مفاجأة ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ الذين أهلكوا بذنوبهم ﴿ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي أنزلنا عليهم ماء من السماء وأنبتنا لهم نباتا من الأرض لقوله تعالىٰ حاكيا عن نوح عليه السلام: ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح: ١٠ـ١٢] ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ ﴾ بالحق ﴿ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ أي نوع الإنسان ﴿ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ﴾ عذابنا ﴿ بَيَٰتًا ﴾ ليلا ﴿ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ لأنهم في قبضة قدرته تعالىٰ في كل وقت من الليل والنهار لقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ ﴾ [الأنبياء: ٤٢] ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ أي أخذه فجاءة لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الفجر: ١٤] لا ينبغي لقوله تعالىٰ: ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

فإن الأمن من مكره تعالىٰ ليس من شأن المؤمن لقوله تعالىٰ: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد: ١٩-٢١] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ ما [١] وقع على المنكرين ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾ أي يرث الابن الأب ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي أهلكناهم كما أهلكنا من كان قبلهم ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ سماع تدبر أي لا يتدبرون أنا قادرون علىٰ مثل هذه الأفعال فيؤمنوا ويعتبروا فهي كقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [السجدة: ٢٦] ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ التي أهلكناها ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ لإصرارهم وعنادهم للحق ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ الذين أصروا على الكفر عنادا وتكبراً لقوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر: ٣٥] ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ كانوا يعهدون وقت نزول البلاء ثم ينقضونه لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأعراف: ١٣٤، ١٣٥] ﴿وَإِن﴾ أي إنا ﴿وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ الخارجين من العهد ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟﴾ كفروا ﴿بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ أنا ﴿حَقِيقٌ﴾ جدير ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ لأني رسول الله. والرسول لا يقول إلا الحق لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣، ٤] ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ﴾ بدليل ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ هي المعجزة القاهرة لقوله تعالىٰ حاكيا عن السحرة: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [طه: ٧٢] ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ﴾ فرعون ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ أي ببينة ودليل ﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ

---

(١) إشارة إلى تعيين الفاعل (منه).

﴿ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ في دعواك ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾ حية عظيمة ﴿مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ وجاه الناس ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ من الجيب ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ ينظرونها بيضاء. ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾ في شأنه ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ﴾ أمهل موسىٰ ﴿وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾ جامعين ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ نسب فرعون السحر أوّلاً إلىٰ موسىٰ ثم شاور أمراءه في شأنه عليه السلام فاتفقوا كلهم تبعا له علىٰ ما قال من أنه ساحر يريد نزع ملكنا عن أيدينا بسحره، فينبغي أن تأتي في مقابلته بالسحر لقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ إلىٰ ﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾ [طه: ٥٧ـ٦٣] ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾﴾ على موسىٰ ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾ عندي فجاءوا مقابلين لموسىٰ ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ أولاً ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ قبلك ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ بل أعين موسىٰ وهارون أيضا لقوله تعالىٰ: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه: ٦٦] ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ (١) عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فلما ألقىٰ ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾ تبلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾ يكذبون بدعوىٰ حقية ما جاءوا به والحال أنه كان تمويها محضاً ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟﴾ أي السحرة ومن تبعهم ﴿هُنَالِكَ﴾ في المقابلة ﴿وَٱنقَلَبُوا۟﴾ فرعون وملأه ﴿صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ ذليلين حال ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ لما رأوا من المعجزة القاهرة وهم أعلم بعلمهم ولم يروا شيئاً من أثر علمهم فيها ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ فلما أخبر فرعون بإيمانهم ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿فِرْعَوْنُ

---

(١) أقول: هذا هو العلم الذي يقال له المسمريزم وله آثار قوية تشبه المعجزة أحياناً عند الجهال والحق أنه كسبي والإعجاز وهبي لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٣٨]. (منه).

﴿ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ﴾ تدبير منكم لأخذ الملك ﴿مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾ أنتم وموسىٰ فإنكم متفقون علىٰ هذا الأمر لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ [طه: ٧١] ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ ﴿أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ [طه: ٧١] ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ بعد الموت ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾ وهو كما قال الرجل الصالح العجمي:

مكش به تيغ ستم والهان ملت را نكرده اند بجزباس حق گناه دگر

(لا تقتل محبي الملة بسيف الظلم فإنهم لم يرتكبوا ذنبا سوى تأييد الحق)

ثم توجهوا إلى الله وقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ علىٰ أذى فرعون وملئه ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ منقادين لأمرك. فصلبوهم وفرغوا من هذا الأمر ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ لفرعون ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ﴾ بعد صلب السحرة ﴿لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي أرض مصر ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ أي الأصنام التي كان عينها لعبادتهم من تماثيله لقوله تعالىٰ حاكيا عنه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤] ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ رجالهم المقاتلة ﴿وَنَسْتَحْىِۦ﴾ نبقي ﴿نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ غالبون لأن ﴿هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الشعراء: ٥٤] ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ كلها ﴿لِلَّهِ يُورِثُهَا﴾ يملكها ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ مآل الأمر ﴿لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ وإن أوذوا قليلًا أو كثيرا لقوله تعالىٰ: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ - إلىٰ قوله سبحانه - ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧] ﴿قَالُوٓا۟﴾ يا موسىٰ ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ على توهم ولادتك ﴿وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ على تبليغ رسالتك ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ فرعون ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ أي بالقحط ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ يتعظون ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ العافية بعد البلاء ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ أي نستحقها لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الزمر: ٤٩] ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟﴾ يتشاءموا

﴿ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۚ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ ﴾ أي أعمالهم من الخير والشر لقوله تعالىٰ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ [الإسراء: ١٣] محفوظ ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي كانت المصيبة التي ينسبونها إلى موسىٰ وقومه تصيبهم بذنوبهم، لا لأجل شؤمهم لقوله تعالىٰ: ﴿ مَّآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورىٰ: ٣٠] ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ حقيقة الأمر حيث ينسبون بلاياهم إلى غيرهم كما نسب آل فرعون ﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا ﴾ أي لتصرفنا عن ديننا لقوله تعالىٰ حاكيا عن فرعون: ﴿ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾ [طه: ٦٣] ﴿ فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ ﴾ مطر البرد كما هو مذكور في الباب التاسع من الخروج من التوراة ﴿ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ ﴾ الكثيرة ﴿ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ ﴾ أي العذاب ﴿ قَالُواْ ﴾ أشراف فرعون ﴿ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ﴾ أي وعدك أنه إن آمن فرعون وأهله يكشفه ﴿ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ ﴾ هذا ﴿ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ ﴾ أي إلى عدة أيام ﴿ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ ينقضون عهدهم باستكبارهم عن آيات الله كما هو مذكور مفصلًا في الباب الثامن من الكتاب الثاني من التوراة ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ ﴾ أي فرعون وجنوده ﴿ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ غفلة الاستكبار لا غفلة السهو لقوله تعالىٰ: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤] ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ﴾ أي بني إسرائيل ﴿ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ ﴾ بقتل أبنائهم ﴿ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ بكثرة الأشجار والأثمار وهي أرض القدس وما حولها لقوله تعالىٰ: ﴿ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ [الإسراء: ١] ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أي صدق وعده المفيد ﴿ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ على أذىٰ فرعون وملئه لقوله تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة: ٢٤] ﴿ وَدَمَّرْنَا ﴾ ضيعنا ﴿ مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ ﴾ في شأن بني إسرائيل من تضعيفهم بقتل أبنائهم ﴿ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ يبنون من القصور

المرتفعة لقوله تعالىٰ: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝٢٧﴾ [الدخان: ٢٥ـ٢٧] ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ أي يعبدونها ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ﴾ موسىٰ عليه السلام ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝١٣٨﴾ معرفة الله حيث لا تعلمون أن الله جاعل كل شيء وليس بمجعول لأحد لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَخْلُقُونَ[1] شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠﴾ [النحل: ٢٠] ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ﴾ ضائع ﴿مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٣٩﴾ أي ليس لهم أجر، بل وزر لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣] ﴿قَالَ﴾ موسىٰ عليه السلام ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ﴾ أي أبغي لكم. ﴿إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٤٠﴾ أي عالمي زمانكم لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. ﴿وَ﴾ اذكروا أيها اليهود ﴿إِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم﴾ الإنجاء ﴿بَلَآءٌ﴾ نعمة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝١٤١﴾ ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ لإعطاء التوراة ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا﴾ أي الثلاثين ﴿بِعَشْرٍ﴾ لأنه لم يتم له استعداد لأخذ الكتاب لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ[2] ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢] ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ يصوم نهارها ويقوم ليلها كذا يفهم من الباب الرابع والثلاثين من الكتاب الثاني من التوراة ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ قبل ذهابه إلى الطور ﴿لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى﴾ أي كن خليفتي ﴿فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ﴾ بينهم ولا تفرقهم لقوله تعالىٰ حاكياً عن هارون عليه السلام: ﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ [طه: ٩٤] ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝١٤٢﴾ على فسادهم ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ﴾ مشتاقاً إليه ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ﴾ نفسك ﴿أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ﴾

---

(١) استدل بالآية الكريمة على نفي الألوهية عن المخلوق (منه).

(٢) لأن الكريمة تدل على أن النبي عليه السلام كان لا يحتمل جملة القرآن في وقت واحد فكذا موسى عليه السلام وما ينقل ههنا من قصة السواك ليس بشيء. (منه).

تعالى ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ببصرك هذا في الحياة الدنيا لقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ فإنك مثله في الخلقة ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ﴾ ظهر ﴿رَبُّهُۥ﴾ ظهوراً لا يعلم كنهه ﴿لِلْجَبَلِ﴾ لبعض منه ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ مدكوكاً مفتتاً ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ مغشيًّا عليه ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ من أن ترىٰ ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٤٣﴾ بأن الله لا يُرى وليس من شأنه أن يُرى في الدنيا لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ هذا ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٤﴾ على هذه النعمة ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ﴾ أي أمرناه[1] بكتابة الأحكام لقوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ﴾ [يس: ١٢] ﴿فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ من أمور الدين ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ﴾ بعد[2] مدة ﴿دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝١٤٥﴾ وهم فرعون وقومه لقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩﴾ [الشعراء: ٥٧-٥٩] ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ﴾ أي الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ﴾ الصرف عن آياتنا ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ عناداً واستكباراً ﴿وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ۝١٤٦﴾ غفلة الاستكبار والعناد ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ﴾ الصالحة لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٤٧﴾ أي

---

(١) أسند سبحانه الكتابة إلى نفسه تشريفاً للمكتوب في الألواح وهو مكتوب بأمره. (تفسير فتح البيان ٥/ ١٥ للنواب صديق حسن خان البوفالي الملخص من فتح القدير للشوكاني ـ رحمهما الله -).

(٢) لأن بني اسرائيل لم يتغلبوا على مصر بعد هلاك فرعون متصلًا بل أقاموا في ميدان التيه أربعين سنة لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ الآية [المائدة: ٢٦] فافهم (منه).

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١] ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي بعد ذهابه إلى الطور ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ جسماً لا روح فيه بدل من عِجْلًا ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ صوت البقر بجريان الريح لا بالروح الحيواني لقوله تعالىٰ: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ إلىٰ قوله ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طه: ٨٨، ٨٩] ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ ومن لا يهدي سبيلا كيف يكون إلٰهاً لقوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥]. ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ إلٰهاً ﴿وَكَانُوا﴾ صاروا ﴿ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ به ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ أي صاروا نادمين علىٰ ما فعلوا ﴿وَرَأَوْا﴾ أي علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ﴾ من الطور ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ حزينا حال هذا وسط القصة ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ أي خالفتم أمره عمداً لقوله تعالىٰ: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١] ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ المرقومة فيها التوراة ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ هارون ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ على ترك الأمر بالمعروف لبني إسرائيل ﴿قَالَ﴾ هارون ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ أي يا أخي نسبه إلىٰ أمه تعطفاً ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ﴾ بني إسرائيل ﴿ٱسْتَضْعَفُونِى﴾ أي وجدوني ضعيفاً ﴿وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِى﴾ على منعهم من عبادة الأصنام ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ بتذليلي ﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ في الجزاء ﴿قَالَ﴾ موسىٰ لما سكن غضبه ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾ غضبي على أخي ﴿وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ هو القتل لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ الذين حسبوا الألوهية في العجل وعصوا أمر[1] هارون لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا

---

(١) فيه رد على اليهود والنصارىٰ حيث زعموا أن هارون عليه السلام كان شريكاً لهم في اتخاذ العجل بل هو صنع لهم عجلاً كما هو مذكور في الباب الثاني والثلاثين من الكتاب الثاني من التوراة (منه).

فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ [طه: ٩٠، ٩١] ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ اتخذوا العجل ﴿ثُمَّ تَابُوا۟﴾ بالقتل والإخلاص ﴿مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟﴾ جددوا الإيمان ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يا موسىٰ ﴿مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا﴾ أي فيما كتب في الألواح لا فيما هو موجود[1] بأيدينا باسم التوراة ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ خصهم بالذكر لأنهم هم المنتفعون به لقوله تعالىٰ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥] ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ أي من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ بعد التوبة كما هو مفهوم من الباب الثاني والثلاثين من الخروج من التوراة ﴿لِّمِيقَٰتِنَا﴾ لتكميل التوبة ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ المعلولة من الصاعقة لما أنهم طلبوا رؤية الله لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة: ٥٥] فصرعوا ميتين لقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة: ٥٦] ﴿قَالَ﴾ موسىٰ ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَّ﴾ معهم ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ الحمقاء ﴿مِنَّا﴾ بحصرهم الإيمان علىٰ رؤيتهم إياك ﴿إِنْ هِىَ﴾ أي الرجفة ﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ فضيحتك[2] التي أفضحت بها الظالمين، وليس بظلم منك لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى﴾ بها ﴿مَن تَشَآءُ﴾ من اعترف بذنبه، وفوض أمره إليك هدي. ومن تكبر ولم يتضرع بها ضل، لقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾

---

(١) فيه رد على اليهود والنصارىٰ حيث يزعمون أن القرآن يصدق ويشهد على صحة ما في أيدينا من التوراة المشتملة علىٰ ذكر موت موسىٰ وهارون وغيره من الوقائع ولا يشعرون أن ما يشهد علىٰ صحته القرآن هو القدر الذي كان في الألواح كما هو مرقوم في التوراة الموجودة في الباب الخامس من الاستثناء من قوله بعد عدة أحكام: «هذه الكلمات كلم الرب كل جماعتكم في الجبل من وسط النار والسحاب والضباب وصوت عظيم ولم يزد وكتبها على لوحين من حجر وأعطاني» (مر مراراً) (منه).

(٢) الفتنة: الفضيحة (القاموس).

﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٥-١٠] وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٦، ٢٧] ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ۝١٥٥﴾ ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي اتنا عافية ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ﴾ رجعنا ﴿إِلَيْكَ قَالَ﴾ تعالىٰ ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ علىٰ استكباره لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ۝١٧٢﴾ [النساء: ١٧٢] ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا﴾ أي أجعلها مخصوصة يوم القيامة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ المعاصي ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝١٥٦﴾ إيماناً كاملاً ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من الذين يتقون ﴿يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ الذي لم يقرأ شيئاً هو محمد رسول الله ﷺ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝٤٨﴾ [العنكبوت: ٤٨] ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ﴾ أي سيجدونه[1] ﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ بإخبار موسى وعيسىٰ عليهما السلام إياهم بمجيئه كما هو مذكور[2] في الباب الثامن عشر من الثنيا والباب الرابع عشر والسادس عشر من إنجيل يوحنا علامته أنه ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً ﴿وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ الذي نهى الله عنه في الشرع الإلهي لقوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ

---

(١) لأن الخطاب مع الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام (منه).

(٢) يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي(*) له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فهو رب يوم الاجتماع قائلاً لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرىٰ هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت. قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه (الثنية المذكورة)
«لهذا كلمتكم وأنا عندكم وأما المعزي روح القدس الذي سيرسله الرب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلت لكم» (الباب الرابع عشر)
«ولكن إن ذهبت أرسله إليكم ومتىٰ جاء ذاك يبكت العالم خطيئته وعلىٰ بر وعلىٰ دينونة إلخ (الباب السادس عشر)
وتفصيل هذا البحث في التفسير الثنائي الهندي في المجلد الثالث (منه).
(*) أي مثل موسى - عليه السلام -.

﴿ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النحل: ٩٠] ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ أي يظهر حل ما أحل الله وحرمة ما حرم علىٰ لسان الأنبياء لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤] وقوله تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾ [الأنعام: ٩٠] ﴿وَيَضَعُ﴾ أي سيضع[1] ﴿عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ ثقلهم من الرسوم القومية والملكية ﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ﴾ الشدائد ﴿ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ في الشرائع[2] والأحكام لقوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي يؤمنون ﴿بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ أي القرآن لقوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ﴾ [الأعراف: ٣] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧﴾ الفائزون المرام لما تمهد هذا. ﴿قُلْ﴾ يا محمد للناس عامة ولأهل الكتاب خاصة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى﴾ أنا النبي الأمي ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ حال من الضمير المجرور ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ أي يوحده ﴿وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي أحكامه ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٨ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ۝١٥٩﴾ وهم الذين لا يتكبرون عن قبول الحق بل يسلمون لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ﴾ [الرعد: ٣٦] ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ أي جعلنا بني إسرائيل ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ﴾ جماعات وقبائل ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ انفجرت ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ علىٰ عدد قبائلهم ﴿قَدْ

---

(١) من أراد أن يرى الأغلال على أهل الكتاب مفصلة فليرجع إلىٰ كتابنا الموسوم بتقابل ثلاثة الهندية.

(٢) فيه إشارة إلىٰ ما ورد في التوراة الموجودة في معرفة النبي الصادق والكاذب من قوله: «إذا قام في وسطك نبي أو حالم وأعطاك آية أو أعجوبة ولو حدثت الآية والأعجوبة التي كلمك عنها قائلًا لنذهب وراء آلهة أخرىٰ لم تعرفها ونعبدها فلا تسمع لكلام ذٰلك النبي أو الحالم إلخ (الباب الثالث عشر من الثنية)
فالمختصر: يعرف الصادق بالتوحيد الخالص، والكاذب بالشرك الفاحش(منه).

عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾[1] قلنا لهم: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ الإضافة بيانية ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بالكفران ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ لوبال كفرانهم عليهم ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ مر في الجزء الأول ﴿وَسْئَلْهُمْ﴾ اليهود ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ قيل: هي أيلة ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ يتجاوزون ﴿فِي﴾ حكم ﴿السَّبْتِ﴾ بالاشتغال بصيد الحيتان ﴿إِذْ﴾ بدل من - إذْ قبلها - ﴿تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ كثيرة ظاهرة على الماء ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ أي في غير يوم السبت ﴿لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم﴾ نختبرهم ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ فيما سواه أي كان فسقهم سببا لهذا الاختبار كقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤] فصاروا ثلاث فرق فرقة فاسقة وفرقة ناصحة وفرقة ساكتة ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ﴾ ساكتة ﴿مِّنْهُمْ﴾ لناصحة ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ علىٰ عصيانهم ﴿قَالُوا﴾ الناصحون نعظهم ﴿مَعْذِرَةً﴾ أي للمعذرة ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ لأداء ما وجب علينا لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنعام: ٦٩] ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ المعاصي لقوله تعالىٰ: ﴿فَذَكِّرْ[2] إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾ [الأعلىٰ: ٩] ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي العاملين والساكتين[3] ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ شديد ﴿بِمَا

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين» (البخاري: ٤٤٧٨، ٤٦٣٩، ٥٧٠٨ ومسلم: ٢٠٤٩).

(٢) لأن لفظة «إن» للشك أي لتساوي الطرفين فما دام حال المخاطب يرجىٰ صلاحها يوعظ ويذكر (منه).

(٣) «والساكتين» فيه نظر لأنهم لم يرتكبوا الإثم كما ارتكب الذين صادوا - فتفكر وتدبر - =

﴿كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ بالصيد وترك الأمر بالمعروف لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا﴾ [هود: ١١٦] ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ تجاوزوا ﴿عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ ذليلين (مر مثله) اسمعوا ما أخبرهم الله بوقوعه ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ تَأَذَّنَ﴾ أعلم ﴿رَبُّكَ﴾ بني إسرائيل علىٰ لسان موسىٰ عليه السلام ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾ أي ليرسلن ﴿عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ علىٰ فسادهم لقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾ [الإسراء: ٤، ٥] ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ على ظلمهم ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ علىٰ طاعتهم لقوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [المائدة: ١٢] ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ متفرقين في ممالك مختلفة ﴿مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي فاسقون ﴿وَبَلَوْنَاهُم﴾ مرة ﴿بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ أخرىٰ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ السماوي أي علماءهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ﴾ أي حطام الحياة الدنيا رشوة علىٰ كتمان الحق لقوله تعالىٰ: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤] ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ بل ليس علينا ذنب لقوله تعالىٰ حاكيا عنهم: ﴿قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥] ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ﴾ أي مثل ما أخذوه من الفريق الأول يصل إليهم من الثاني رشىٰ ﴿يَأْخُذُوهُ﴾ أيضاً لزعمهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨] ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ أي في التوراة ﴿أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ﴾ في أمور الدين ﴿إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا﴾ علموا ﴿مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ المعاصي ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ والحاصل أنهم تعلموا علم الدين فلم يعملوا بعلمهم فمثلهم: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]

= (عبد الجبار).

﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي يعملون بما فيه ﴿ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ هؤلاء لقوله تعالىٰ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٤] ﴿ وَ ﴾ اذكروا واقعة من وقائع أهل الكتاب ﴿ إِذْ نَتَقْنَا ﴾[1] حركنا ﴿ ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ ﴾ أي علىٰ بني إسرائيل ﴿ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ ﴾ يظلهم ﴿ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ﴾ لتحركه علىٰ رءوسهم لقوله تعالىٰ: ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾ [البقرة: ٦٣] قلنا لهم: ﴿ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ أي كي تصيروا متقين ﴿ وَ ﴾ مثل ما ذكر من أخذ العهد من بني إسرائيل ما وقع من أبيكم آدم وبنيه فاذكروا ﴿ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ أي من آدم وذريته علىٰ ترتيب توالدهم في الدنيا لقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤] وقوله عليه السلام حين سئل عن هذه الآية قال: «**إن الله خلق آدم، ثم مسح ظهره [بيمينه] فاستخرج منه ذريته**»[2] الحديث. ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي على الإقرار بهذا المضمون ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾ إنك ربنا وإلٰهنا لا رب لنا سواك ﴿ أَن تَقُولُوا۟ ﴾ أي ذكّرناكم بهذا الإقرار علىٰ لسان محمد عليه السلام كي لا تقولوا: ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ إذا عرضتم علىٰ ربكم ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ ما كنا نذكر العهد ولا ذكرتنا به في الدنيا ﴿ أَوْ ﴾ لا ﴿ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً ﴾ أولاداً صغاراً في تربيتهم فتبعناهم ﴿ مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ ﴾ تفعل بنا كذا ﴿ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ الكاذبون المفترون عليك، أي ذكرناكم بالقرآن وإرسال الرسول عليه السلام إليكم كي لا يكون لكم عذر في العذاب لقوله تعالىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ

---

(١) نتق زعزع أي حرك (قاموس).

(٢) رواه مالك في الموطأ (٢/٨٩٨ و٨٩٩) في القدر باب النهي عن القول بالقدر. وابن حبان رقم (٦١٦٦) ذكر إخراج الله عز وجل من ظهر آدم ذريته. ومن طريق مالك أخرجه أحمد (١/ ٤٤ و٤٥) وأبو داود (٤٧٠٣) في السنن باب في القدر، والترمذي (٣٠٧٥) في التفسير باب ومن سورة الأعراف، والبغوي في شرح السنة (٧٧) وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: هذا حديث حسن من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

﴿لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ ليتدبروا ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ عن الكفر والعصيان ﴿وَ﴾ لأجل هداية أهل العلم ﴿ٱتْلُ﴾ اذكر ﴿عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ أي علمناه علم الدين ﴿فَٱنسَلَخَ﴾ أي خرج ﴿مِنْهَا﴾ بعدم العمل علىٰ مقتضاها ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بالإضلال والإغواء ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ الضالين ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ أي بالآيات مشية الإجبار لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس: ٩٩] ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ﴾ مال ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي إلىٰ حطام الدنيا ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ فضلَّ ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ شيئاً ﴿يَلْهَث﴾ يخرج لسانه ﴿أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ هذا تمثيل[1] لعلماء أهل الكتاب اليهود والنصارىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الجمعة: ٥] وعلماء السوء من هذه الأمة مثلهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٨] ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ بالمعاصي ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ يوفقه ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ﴾ اللام[2] للعاقبة لا للعلة لقوله تعالىٰ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ [الروم: ٣٠] وقوله عليه السلام: «**كل مولود يولد على الإسلام فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[3] أي صاروا بعد ذلك كذٰلك لقوله

---

(١) وما يروىٰ أن هذه الآية حاكية حال بلعم بن باعوراء كان رجلاً صالحاً مستجاب الدعوات دعا علىٰ موسىٰ وبني إسرائيل فاندلع لسانه إلىٰ آخره ليس عندي بصحيح لأن حاله مذكورة في الباب الثاني والعشرين من الكتاب الرابع من التوراة أنه كان رجلاً صالحاً مستجاب الدعوة التمس منه مخالفو بني إسرائيل أن يدعو عليهم لكنه ما دعا عليهم بل دعا لهم. وقال: إني مضطر للدعاء لهم من الله حتى إن الملتمسين غضبوا عليه وودعوه. والعلم عند الله. (منه).

(٢) مثال لام العاقبة قوله تعالىٰ: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ﴾ [القصص: ٨].

(٣) رواه البخاري (١٣٥٨) في الجنائز باب: إذا أسلم الصبي، وأحمد (٢/ ٣٩٣) ومسلم رقم =

تعالىٰ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ [التين: ٥] ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ دين الله ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ آيات الله ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ أحكام الله أي أضاعوا هذه القوىٰ بالاشتغال بأمور الدنيا عن الآخرة لقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٠٧ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٠٨﴾ [النحل: ١٠٧، ١٠٨] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ حيث تهتدي الأنعام إلىٰ بيوتها وهم لا يهتدون إلىٰ معادهم لقوله تعالىٰ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧﴾ [الأعلىٰ: ١٦، ١٧] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٧٩﴾ عما يليق بهم ﴿وَ﴾ من كان يريد ألا يكون من الغافلين فينبغي أن يذكر اسم الله كل حين ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي الأسماء الحسنىٰ كلها من أي لسان[1] كانت صادقة على الله لا علىٰ غيره لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ قولوا: يا الله! يا رحمٰن! يا سلام! ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ يميلون عن الصراط ﴿فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ حيث يسمون غير الله باسم الله لقوله تعالىٰ حاكيا عنهم: ﴿ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ [الزخرف: ٥٨] أو يفهمون من تعدد الأسماء تعدد المسمىٰ والأمر ليس كذلك لقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ[2] ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ من الاستهزاء والتكذيب

= (٢٦٥٨) في القدر وابن حبان (١٢٨، ١٢٩، ١٣٠) بلفظ: «**كل مولود يولد على الفطرة**» ورواه الترمذي رقم (٢١٣٨) بلفظ: «**كل مولود يولد على الملة**»، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) قال الإمام النووي بعد ذكر حديث إحصاء أسمائه سبحانه: اتفق العلماء علىٰ أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين وإنما المقصود أن من أحصاها دخل الجنة فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء انتهىٰ. فاندفع ما كاد يرد علينا فافهم (منه).

(٢) نزلت حين قال المشركون لما سمعوا رسول الله ﷺ يقول في دعائه: يا الله! يا رحمن! انظروا إلىٰ هذا الرجل ينهانا عن عبادة الآلهة المتعددة ويدعو اثنين الله والرحمن فهذا هو إلحادهم في أسمائه تعالىٰ (منه).

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ ﴾ مسلمة ﴿ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ ﴾ من الله ﴿ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴾ بين الناس ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ نأخذهم شيئاً فشيئاً لقوله تعالىٰ: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ [النحل: ٤٥ـ٤٧] ﴿ وَأُمْلِى ﴾ أمهل ﴿ لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى ﴾ تدبيري ﴿ مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَ ﴾ كفروا ﴿ وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم ﴾ محمد عليه السلام ﴿ مِّن جِنَّةٍ ۚ ﴾ جنون لقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ [سبأ: ٤٦] ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَ ﴾ جحدوا الله ﴿ وَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ من أشياء العالم ليعتبروا بها فيؤمنوا لقوله تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٥] ﴿ وَ ﴾ في ﴿ أَنْ عَسَىٰٓ يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ ﴾ أي بعد مجيء الأجل ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ حيث ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام: ١٥٨] ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ ﴾ علىٰ غوائته ﴿ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ يتحيرون ما يفعلون متىٰ يسمعون اقتراب أجلهم ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ ﴾ ظهورها وقيامها ﴿ قُلْ ﴾ ما أدري ﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ أي عظمت علىٰ أهلهما ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ ﴾ بلا شعور منكم لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ ﴾ [لقمان: ٣٤] ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ ﴾ خبير ﴿ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ أن من سأل محمداً عليه السلام هل هو مخاطب بهذا السؤال أم لا ﴿ قُل ﴾ لهم كيف أخبركم بقيام الساعة والحال أني لا أعلم الغيب ولا أقدر علىٰ خلق شيء فلذا أقول: ﴿ لَآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ أي لاأدفع ضرًّا كالحمىٰ وغيرها ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ الاستثناء منقطع أي ما شاء الله وقدر فكان لقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ ﴾ [يونس: ١٠٧] ﴿ وَلَوْ

﴿كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ فإني بعد علمي بضرر شيء أحترز منه كما يحترز العقلاء من المضار ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ على المعاصي ﴿وَبَشِيرٌ﴾ على الطاعة بإعلام الله لا من عند نفسي لقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ نَرَىٰ[1] تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة: ١٤٤] ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ واحسرتا على الذين يعتقدون أن الأنبياء والأولياء عليهم السلام يعلمون الغيب[2] والأمر ليس كذلك لقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

اسمعوا إنكم أنتم بنو آدم كلكم في الخلقة والحقيقة سواء.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي آدم ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾ أي من جنسها ﴿زَوْجَهَا﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الشورىٰ: ١١] ﴿لِيَسْكُنَ﴾ الإنسان ﴿إِلَيْهَا﴾ أي معها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ أفضىٰ إليها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ﴾ إلىٰ خمسة أو ستة أشهر ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا﴾ ولداً ﴿صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾ لأنعمك ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ﴾ كلاهما ﴿شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ حيث ينسبون أولادهم إلىٰ غيره سبحانه لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [النحل: ٥٦] ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ هذا تصوير[3] لأولاد آدم المشركين كقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٥، ٦٦] ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ

---

(١) لأن الآية الكريمة تدل علىٰ أن الرسول عليه السلام كان ينظر حكم الله فما لم يؤمر من عند الله لم يأمر. (منه).

(٢) القضية المصدرة بلو شرطية والقياس استثنائي، المقدم منه مذكور والتالي محذوف أي لكني لم أستكثر ومسني السوء فالنتيجة أني لا أعلم الغيب فاندفع ما قيل: إن في الآية نفي العلم الذاتي للنبي عليه السلام لا للعلم الوهبي لأن القضية مسوقة لبيان أني لم أستكثر من الخير وقد مسني السوء والاستكثار من الخير وعدم مس السوء كما هو متفرع على العلم الذاتي متفرع على الوهبي أيضاً وسلبهما يستلزم سلب العلم بنوعيه فافهم لعله دقيق ولذا اتفق الفقهاء علىٰ تكفير من اعتقد أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يعلمون الغيب (شرح الفقه الأكبر للقاري). (منه).

(٣) حديث قصة آدم المروي في الترمذي من تسمية ولده عبد الحارث ليس بصحيح فاندفع ما كان يرد علينا - فافهم ـ كذا قال الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله تعالىٰ.

﴿شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ صيغة الجمع ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ تدل دلالة صريحة على أن هذا تصوير لبني آدم لا لآدم لقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١٢٢] ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ أيها المشركون الذين تعبدون من دون الله كائنا من كان ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ أي إلىٰ أن يهدوكم أو يقضوا حاجاتكم ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ أي لا يهدوكم ولا يقضوا حاجاتكم لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يونس: ٣٥] ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾ عن دعائهم لعدم نفعهم إياكم لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ كائنا من كان ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ﴾ في عدم النفع والضرر وإن كانوا علىٰ مرتبة عند الله لقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧] ﴿فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ﴾ أي أنهم قد قضوا وطرهم فمضوا بسبيلهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: ٢٠، ٢١] ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ فإنكم لم تمكنوا من إيصال الضرر علي لأنه ﴿إِنَّ وَلِيِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ﴾ أي القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾﴾ [محمد: ٥] ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ لعدم قدرتهم علىٰ شيء لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ [الجن: ٢١] وقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ﴾ دعاءكم بالإجابة، مر آنفاً ﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾ المشركين ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ حق الإبصار لقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ

﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يونس: ٤٣] ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ الشرعي ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ بالوسواس ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ الخطاب للنبي والمراد به الأمة كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ﴾ شيء من النزغ ﴿مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ مآل النزغ فيتوبون إلى الله لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥] ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾ أي أصحابهم السوء ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾ يشيرون لهم بالمعاصي ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ أي يجهدون لهم جهدهم وهم لا يطيعونهم لقوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ﴾ مما اقترحوا بقولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ - إلى قوله - قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣] ﴿قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ﴾ اختلقتها من عند نفسك ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ﴾ أي ليس لي قدرة علىٰ إيجاد الآية لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [الرعد: ٣٨] ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَصَآئِرُ﴾ هدايات للناس، لا ضرورة إلىٰ سواه من المعجزات ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ خصهم بالذكر لأنهم هم المنتفعون به لقوله تعالىٰ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥] ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾[1] للوعظ والتذكير لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: ٢٦] ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ﴾ أي فأصغوا له سمعكم ﴿وَأَنصِتُوا۟﴾ لا تكلموا كلاما

---

(١) اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال قوم: نزلت في الخطبة. وقال الآخرون: نزلت في الصلاة. والصحيح أنها نزلت في استماع القرآن حين يقرأ للوعظ والتذكير، لما أن الكفار كانوا لا يستمعونه حين كان عليه السلام يقرأ عليهم، بل كانوا يلغون فيه لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] فقال سبحانه في جوابهم: ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. فتفكر.

فيما بينكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ كل حين، وإن كنت تسمع القرآن لقوله تعالىٰ: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣] ﴿تَضَرُّعًا﴾ بالتضرع ﴿وَخِيفَةً﴾ بالخوف ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ جهرًا شديدًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: ١١٠] خصوصاً ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠] ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ الذين ﴿لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي المقربين عند الله من الناس والملائكة لقوله تعالىٰ: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢] ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾ لا لغيره لقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧]. اللهم اجعلني منهم آمين.

سورة الأنفال مدنية وهي خمس وسبعون آية

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ﴾[1] أي الغنائم ﴿قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي في قبضته تعالىٰ وبإعطائه تعالىٰ في تقسيمه عليه السلام لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] يقسمه كيف يأمره سبحانه وقد بينه تعالىٰ بقوله: ﴿۞ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في النزاع ﴿وَأَصْلِحُوا﴾ أموراً ﴿ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي لا تنازعوا فيما بينكم ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ وحده ﴿وَجِلَتْ﴾ خافت وخشعت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ أي إذا قيل للمؤمنين: إن الأنفال لله انقادت نفوسهم بخلاف المشركين لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا

---

(١) نزلت حين اختلف كلام الشبان والشيوخ في غنائم بدر. والشبان ادعوا الأحقية بأنهم باشروا القتال. (جامع البيان ٦/ ١٧١، ١٧٢).

ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ [الزمر: ٤٥] ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أحكامه تعالى ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ لأنهم يستبشرون بها لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الرعد: ٣٦] ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ أي يهيئون الأسباب ثم يرجون النتيجة من الله بفضله لقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩] ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ نصب «حقًّا» على المصدر ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ عالية ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم الزلات لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ أي في الجنة لقوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس: ٢٦، ٢٧].

هذا الوعد حق وصدق ﴿كَمَآ﴾ أن وعد الله لكم في النصر على إحدى الطائفتين حق إذ ﴿أَخْرَجَكَ﴾[1] يا محمد ﴿رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ لغزوة بدر ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾﴾ لعدم التهيء في موضع الكاف أوجه كثيرة. والصحيح الراجح عندي أنه لتشبيه وعد الصدق السابق بما وعد سبحانه أصحاب بدر في القول الآتي ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ﴾ أي في الأمر الذي لا بد منه وهو المحاربة ﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ لهم ضرورته ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ لكراهتهم ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾﴾ الموت لتيقنهم الموت ثم فازوا مراما وأكرموا إكراما لقوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ من المشركين التاجرين والمحاربين على لسان رسوله عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣، ٤] ﴿أَنَّهَا

---

(١) عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة وبلغه أن عير أبي سفيان قد أقبلت فقال: «**ما ترون فيها لعل الله يغنمناها ويسلمنا**». فسرنا يوماً أو يومين فقال: «**ما ترون فيهم؟**» فقلنا: يا رسول الله! ليس لنا طاقة لقتال القوم، إنما خرجنا للعير. فقال المقداد: لا تقولوا كما قال قوم موسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢٤] فأنزل الله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾. (أسباب النزول).

﴿لَكُمْ﴾ ينصركم عليها ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾ غير المحاربين أي العير ﴿تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ﴾ أي يظهر الأمر الذي لا بد من إظهاره، وهو فتح الإسلام لقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣] ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ بإذنه ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ اذكروا ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾[1] على نحر العدو لقلتكم ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ يأتي بعضهم علىٰ إثر بعض ﴿وَمَا جَعَلَهُ﴾ أي الإعلام بالنصر بالملائكة ﴿اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ لكم ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ إلا ﴿مَا النَّصْرُ﴾ أي الفتح ﴿إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ أي ليس مدار الفتح والهزيمة على القلة والكثرة لقوله تعالىٰ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ اذكروا ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾ النوم ﴿أَمَنَةً﴾ مفعول له ﴿مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ﴾ السحاب ﴿مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ أي من الحدث الأصغر أو الأكبر وهو تطهير الظاهر ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ أي وسوسته وذلك لتطهير الباطن ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝١١﴾ في الحرب ومقابلة الكفار لقوله تعالىٰ: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد: ٧] ﴿إِذْ﴾ بدل ﴿يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ المرسلة إليك ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على الحرب بأثر صحبتكم لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧] ﴿سَأُلْقِي﴾ أنا الله ﴿فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران: ١٥١] ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝١٢﴾ مفصل الأنامل، والخطاب للمؤمنين لقوله تعالى الآتي: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾

---

(١) قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر دخل العريش هو وأبو بكر الصديق واستقبل القبلة ومد يديه فجعل يهتف بربه عز وجل: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**» فما زال يهتف بربه مادًا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأخذ أبو بكر رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يانبي الله! كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجزك ربك ما وعدك. فأنزل الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ﴾ الآية (معالم ٣/ ٣٣٢).

الضرب ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ﴾ خالفوا ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَ﴾ اعلموا ﴿أَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ بعد الموت. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾ جمعاً ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾ أي ينحرف عن قتالهم مبتدأ ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾ متفننا ﴿لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ جماعة له لطلب الغوث المستثنىٰ مقدم علىٰ جزاء المستثنىٰ منه فقد باء أي فليس عليهم ما علىٰ المولين لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[النساء: ١٠٠] وقوله عليه السلام: «**إنما الأعمال بالنيات**»[1] (الحديث) ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ خبر المبتدأ أي من يولهم فعليهم غضب إلا متحرفا. وغيره فهو معفو عنه ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ أيها المسلمون المشركين يوم بدر ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ﴾ حيث ألقىٰ في قلوبهم الرعب فانهزموا ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾[2] يا محمد ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ من الحصىٰ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾ حيث أوصلها في أعين المشركين لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ [غافر: ٧٨] ﴿وَ﴾ فعل ما فعل ﴿لِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي ليكرمهم ﴿مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ﴾ أي إكراماً حسناً بالفوز ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ الأمر ﴿ذَٰلِكُمْ وَ﴾ اعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ أي مضعف تدبيرهم فيكم ما دمتم على السنة لقوله تعالىٰ: ﴿أَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩] ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ﴾ أي إن كنتم تنتظرون غلبة الإسلام ﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُۖ﴾ يوم بدر فأسلموا ﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ عن الفساد والمحاربة بالمسلمين لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ تَعُودُوا﴾[3] الآية. ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ﴾

---

(١) رواه البخاري (١، ٥٤، ٢٥٢٩، ٣٨٩٨، ٥٠٧٠، ٦٦٨٩، ٦٩٥٣) ومسلم (١٩٠٧) وأبو داود (٢٢٠١) والترمذي (١٦٤٧) والنسائي (١/ ٥٨) وابن ماجه (٤٢٢٧).

(٢) ذلك أن رسول الله ﷺ أخذ قبضة من تراب بتعليم جبريل عليه السلام فرمىٰ بها وجوه الأعداء قائلاً: «**شاهت الوجوه**» فلم يبق مشرك إلا وامتلأت عينه منها. فاشتغلوا بأعينهم فَهَمَّ المؤمنون بالقتل والأسر (جامع البيان ٦/ ٢٠٣، ٢٠٤).

(٣) لأن العود يستلزم تقدم الترك وهو ليس إلا في الانتهاء عن الفساد لا في الانتهاء عن =

لحفظ أنفسكم وأموالكم بالأمان لقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٦١] ﴿ وَإِن تَعُودُوا۟ ﴾ إلى المقابلة ﴿ نَعُدْ ﴾ إلى الجزاء لقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ [الإسراء: ٨] ﴿ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۙ وَ ﴾ اعلموا ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ نصرا وعوناً. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ قد رأيتم ما رأيتم من نصر الله رسوله ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ فيما يأمركم من أمور الدين لقوله تعالىٰ: ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ ﴾ [الأنفال: ٢٤] ﴿ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ كلامه ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ أي لا يتأثرون بسمعهم ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ ﴾ كلها ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ﴾ عن استماع الحق ﴿ ٱلْبُكْمُ ﴾ عن النطق بالحق ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ أي لا يتدبرون في مآلهم أنهم أي منقلب ينقلبون لقوله تعالىٰ: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ ﴾ أي في الذين لا يسمعون ﴿ خَيْرًا ﴾ أي استعداداً لقبول الخير ﴿ لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ ﴾ أي أوصلهم إلى الحق لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق: ٣٧] ﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ ﴾ على الحال ﴿ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ لأنهم ضيعوا استعدادهم لقبول الخير لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر: ١٩] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا ﴾ أي لأمر ديني ﴿ يُحْيِيكُمْ ۖ ﴾ حياة روحانية لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ ﴾ [النمل: ٨٠] ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ عن فهم المسائل الدينية إذا جاوز الحد لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٥] ﴿ وَ ﴾ اعلموا ﴿ أَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ تجمعون فيجازيكم علىٰ أعمالكم ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً ﴾ عذابًا ﴿ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ ﴾ أي الذين باشروا المعاصي بل يصيبهم والذين سكتوا ولم يأمروهم بالمعروف أيضاً لقوله تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍ

= الكفر والشرك فافهم (منه).

﴿بِئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: ١٦٥] ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي في مكة المكرمة زادها الله شرفا وتعظيما ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ أي يقهروكم ﴿فَآوَاكُمْ﴾ في المدينة ﴿وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾ أي بالأنصار لقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا﴾ [الأنفال: ٧٢] ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ بالامتثال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ أماناتهما ﴿وَ﴾ لا ﴿تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أمانات الله أحكامه لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ [الأحزاب: ٧٢] وأمانات المخلوق الحقوق لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣] ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي ملهية لكم عن ذكر الله لقوله تعالىٰ: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩] وإن استعملتموها في الخير فهي خير لكم لقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ أي فصلًا بينكم وبين مخالفيكم بتغليبكم عليهم لقوله تعالىٰ: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد: ٧] ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ الصغائر لقوله تعالىٰ: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1] أي يشاور مشركو مكة في حقك ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ يحبسوك في مكة المكرمة ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ مكرهم المشاورة خفية، ومكره تعالىٰ إجراء الحكم من غير علم من المخلوق، لقوله تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩] ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ لأنه غالب على المخلوقين كلهم لقوله

---

(١) اجتمعت قريش وشاور بعضهم بعضاً في شأن رسول الله ﷺ فقيل: قيدوه حتىٰ يموت. وقيل: أخرجوه فتستريحوا من أذاه. ثم اتفقوا علىٰ رأي أبي جهل وهو أن يؤخذ من كل بطن رجل، يضربونه ضربة رجل واحد، فلا يقوىٰ بنو هاشم على طلب قوده من جميع قريش. (جامع البيان ٦/ ٢٢٦-٢٢٨).

تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٨] ﴿وَ﴾ اسمعوا كفران الكافرين ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ ولا يعلمون أن ما قص الله عليهم في القرآن تذكرة لهم لا حكاية محضة لقوله تعالىٰ: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٦] ﴿ وَ﴾ اذكروا أيها المؤمنون حماقتهم وعنادهم ﴿إِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا﴾ القرآن ﴿ هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ يستدعون العذاب لنعلم صداقته. وكان ينبغي أن يسألوا الهداية لما أن مقدمة قضيتهم كون القرآن حقا كان يجب أن يأتوا في جزائه بسؤال الهداية لكنهم سألوا العذاب لعنادهم وبغضهم للحق لقوله تعالىٰ: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [البقرة: ٧] ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ أي المانع من العذاب أمران أحدهما وجودك فيهم. والثاني الاستغفار. وإن كان فيهم أمر واحد وهو وجود النبي عليه السلام لا استغفارهم لحبوط أعمالهم لقوله تعالىٰ: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ﴾ [إبراهيم: ١٨] ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ سوىٰ وجودك فيهم ﴿أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَ﴾ الحال أن ﴿هُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أن يصلي المؤمنون فيه لقوله تعالىٰ: ﴿ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [البقرة: ٢١٧] ﴿ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ﴾ أي ليس لهم حق عند الله في الدخول فيه لشركهم والمسجد الحرام مبني لنشر التوحيد لقوله تعالىٰ حاكياً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] وقوله تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ ﴾ [التوبة: ١٧] ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ ﴾ المستحقون للدخول للصلاة ﴿ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ الموحدون الذين لا يدعون مع الله إلٰها آخر لقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن: ١٨] ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ فيجهلون فيخرجون الموحد ويجيزون المشرك الذي يدعو غير الله في المساجد واحسرتا، قد رأينا ما سمعنا في زماننا هذا في المسلمين.

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ صفيرًا وتصفيقًا. لهوا ولعبا مرة وعبادة أخرىٰ. كما يفعله كفار الهند ﴿ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾ أي يقال لهم: ذوقوا ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ بإغواء المسلمين والمسلمات ﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ﴾ في المستقبل كما يفعله النصارىٰ والوثنيون في الهند ﴿ ثُمَّ ﴾ لا ينالون ما راموا و ﴿ تَكُونُ ﴾ أموالهم ﴿ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ إذا لم يفوزوا بمرامهم لقوله تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٤] ﴿ ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة: ٣٣] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾ أي في جهنم لقوله تعالىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ٣٨] ﴿ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ يجمعون ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ ﴾ المشرك لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة: ٢٨] ﴿ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ المسلم الموحد كقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [يس: ٥٩] ﴿ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ ﴾ التابع ﴿ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أي مع المتبوع ﴿ فَيَرْكُمَهُۥ ﴾ يجمعه ﴿ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ ﴾ الخبيث كله أي جنس الكفار ﴿ فِى جَهَنَّمَ ﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ لخسران عاقبتهم لقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر: ١٥].

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ ﴾ عن الكفر ﴿ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ من المعاصي الكفرية لقوله تعالىٰ: ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ [نوح: ٣، ٤] ﴿ وَإِن يَعُودُواْ ﴾ إلى الفساد والمقاتلة ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ من إهلاكهم ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ ﴾ أيها المسلمون الكفار ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أي صد عن سبيل الله بحيث صاروا مغلوبين لا يقاومون لمقابلتكم لقوله تعالىٰ: ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [محمد: ٤] ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ ﴾ أي القانون السياسي لقوله تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ ﴾ [يوسف: ٧٦] ﴿ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ بأن ينقادوا لأحكام الإسلام المتمدنة ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ ﴾ عن الفساد ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن

﴿تَوَلَّوْا﴾ عن الانتهاء ﴿فَاعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ أي أخذتم من الكفار بعد الحرب ﴿مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ عطف الرسول على الجلالة للتفسير لقوله تعالىٰ: ﴿مَّآ[1] أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الحشر: ٧] ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ اللام عوض عن المضاف إليه أي ذي قربىٰ الرسول وهم بنو هاشم وبنو المطلب أو ذي القربىٰ للمجاهدين عملًا بقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء: ٣٦] ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي المسافر المحتاج وأربعة أخماسه بين الغانمين للراجل سهم وللفارس ثلاثة أسهم. وقسَّم النبي عليه السلام هكذا كما هو في الصحيح لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧] ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد عليه السلام من الملائكة والمعجزات لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩] وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ الآية ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ أي يوم الفصل هو يوم بدر لقوله تعالىٰ: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩] ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ أي المؤمنون والكافرون للمحاربة ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الأولىٰ من الوادي ﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ الأخرىٰ ﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾ المشركين للحرب ﴿لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ﴾ لكثرتهم وقلتكم ﴿وَلَٰكِن﴾ جمع الله بينكم ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ في تقديره من غلبة المؤمنين على المشركين لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٤، ٥] ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ﴾ أي بعد ﴿بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ اذكر ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ﴾[2] لتجترؤوا ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ إياكم ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ

---

(١) لأن الله هو المفيء أي المعطي. فكيف يكون آخذاً له؟ فافهم.

(٢) كان عليه السلام رأى المشركين في منامه يوم بدر قليلًا (منه).

﴿ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ أي بأمور ذات الصدور لقوله تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩] ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾[1] أي ترونهم قليلا ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ أي يريهم أنفسكم قليلاً ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ من الكفار للمحاربة ﴿فَٱثْبُتُوا۟﴾ لمقابلتهم ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ لأنه ما النصر إلا من عند الله ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟﴾ بينكم ﴿فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ على المصائب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ فهو ناصرهم ومعينهم ﴿وَلَا تَكُونُوا۟﴾ وقت الخروج إلى الجهاد ﴿كَٱلَّذِينَ﴾ أي كفار مكة الذين ﴿خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا﴾ تكبراً ﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ اذكر ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ متمثلا لهم بشراً سوياً ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ من المحاربة للمسلمين وإيذائهم لخبث بواطنهم ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ﴾ أي عليكم ﴿ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي المسلمين لكثرتكم ﴿وَإِنِّى جَارٌ﴾ معين ﴿لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾ إحداهما الأخرىٰ ﴿نَكَصَ﴾ رجع ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ من الملائكة لقوله تعالىٰ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ﴾[2] [الأحزاب: ٩] ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ العطف للتفسير لقوله تعالىٰ: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ﴾[3] [البقرة: ١٠] ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المسلمين ﴿دِينُهُمْ﴾ أي وعد النبي إياهم بالفتح بقوله تعالىٰ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾

---

(١) قال مقاتل: وذلك أن النبي ﷺ رأى في المنام أن العدو قليل قبل لقاء العدو وأخبر أصحابه بما رأى فلما التقوا ببدر قلل الله المشركين في أعين المؤمنين. قال ابن مسعود: حتىٰ قلت لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين؟! قال: أراهم مائة. فأسرنا رجلا. فقلنا: كم كنتم؟ قال: ألفا (معالم ٣/ ٣٦٤).

(٢) الاية الكريمة وإن كانت في غزوة الخندق لكن لما كانت تشهد بنزول جنود لم يرها الناس وهم الملائكة استشهد بها(منه).

(٣) الاية الكريمة في حق المنافقين (منه).

[القمر: ٤٥] ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣﴾ وَلَوْ تَرَىٰ﴾ أيها الرائي ﴿إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ تذليلًا لهم لقوله[1] تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨] ﴿وَ﴾ يقولون لهم ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي عملتم من المعاصي ﴿وَ﴾ اعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾ والنفي في ظلَّام راجع إلى الظلم لا إلىٰ مبالغته لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٤٤] دأبهم ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ أي حالهم كحال آل فرعون في الكفر والطغيان ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ فكذا هٰؤلاء المشركون ﴿ذَٰلِكَ﴾ التشبيه ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ من الصلاح فهٰؤلاء غيروا نعمة الله محمداً عليه السلام كفرا لقوله تعالىٰ: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ يسمع ويعلم كل شيء ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ كرر تأكيداً ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾ أي الحيوانات كلها ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ خبر إنَّ والموصول الآتي بدل منه وجملة ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ كالنتيجة أي شر الدواب الكافرون المعاندون ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ النقض ومدار الذم على الكفر فقط ونقض العهد فرع منه لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة: ٦] ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ أي تجد الناقضين ﴿فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم﴾ أي فرق بقتلهم وشتت شمل ﴿مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ أي اجعلهم عبرة لمن خلفهم، لأن الكفار كلهم متفقون لمحاربتكم لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣] ﴿لَّعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ فلا يطمعون فيكم لِمَا يرون من قوتكم لقوله تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُوا۟

---

(١) هذا استدلال بالضد فافهم (منه).

﴿ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣] ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾ تعلمن ﴿مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ أي شيئاً من نقض العهد سرًّا أو عياناً ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ أي أعلمهم ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ حال من الفاعل والمفعول كليهما أي مستويين أنت وهم في العلم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ الناقضين العهود.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أنهم ﴿سَبَقُوٓا۟﴾ أي أعجزونا ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾ الله أي إذا أراد أخذهم وبطشهم أخذهم سرعة فلا يفوتونه لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨] ﴿وَأَعِدُّوا۟﴾ أيها المسلمون ﴿لَهُم﴾ للمحاربين ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ أي بالأشغال التي لا يعتري بسببها الضعف في المجاهدين من رمي[1] النشاب والبندقة وغير ذٰلك من فنون الحرب كائناً ما كان ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ أي حفاظتها وترتيبها للجهاد ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ﴾ أي بالإعداد ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ من المحاربين ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ هم المنافقون لقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤] ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لنفقة الجهاد ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ تنقصون ثوابكم ﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟﴾ أي مال المحاربون ﴿لِلسَّلْمِ﴾ للصلح ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ بنياتهم ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ﴾ بإظهار الصلح وإبطان الخِدَع لن يضروك ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ أي أنصار المدينة رضي الله عنهم ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ لتأليفهم ﴿مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ لنفرتهم وعداوتهم بينهم عداوة شديدة لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]

---

(١) قوله عليه السلام: «ألا إن القوة الرمي» لا ينفي كون غير الرمي [ليس] من القوة (فتح البيان ٥/ ٢٠١) أقول: قوله عليه السلام مبني علىٰ مقتضىٰ زمانه، واليوم آلات الحرب غير ذٰلك، فينبغي الإعداد بهذه لقوله تعالىٰ: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ الآية. والمراد الإرهاب بأي آلة يحصل. فافهم ولا تكن من القاصرين، الذين يرون القتال بالمدافع ومثلها بدعة. فنعوذ بالله من قلة العلم وزلة القلم (منه).

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ عطف على الكاف المنصوب[1] محلًّا لا على الجلالة لقوله تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ﴾ [الزمر: ٣٦] وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ﴾ الآية. مرت آنفاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ﴾ رغب ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ مآل فعلهم ويحاربون حمية. الشرطية خبر بمعنى الإنشاء. أي إن يكن المحاربة بهذا التعداد بشرط الصبر منكم على التكاليف الشاقة فاثبتوا، ولٰكن ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ﴾ المعطوف علة للمعطوف عليه، كما في قول أبي الطيب:

إذا غدرت حسناء أوفت بعهدها ومن عهدها ألا يدوم لها عهد[2]

أي أمركم بالتخفيف لأنه علم في الأزل أنكم لن تستطيعوا ذٰلك فالشرط[3] مفقود ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ نصرًا وعونًا ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾[4] أي لا يكون مطمح نظره الأسر فقط، بل غلبة الإسلام بالإثخان، ثم بعد الإثخان الأسر لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤] ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيها المسلمون ﴿عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي الفدية من الأسرى الذين أسرتموهم قبل الإثخان يوم بدر ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ﴾ أي عز

---

(١) لأن الإضافة اللفظية في حكم الانقطاع على أن العطف على الضمير المجرور موجود في كلام الله سبحانه كقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ [الحجر: ٢٠].

(٢) عدم الوفاء داخل في أدائها(منه).

(٣) فالآية ليست بمنسوخة لأن كون الحكم مشروطاً بشرط لا يوجد ينافي النسخ فافهم (منه).

(٤) روى أحمد وغيره عن أنس قال: استشار النبي ﷺ الناس في الأسارىٰ يوم بدر فقال: «إن الله قد أمكنكم منهم» فقام عمر بن الخطاب. فقال: يا رسول الله! اضرب أعناقهم. فأعرض عنه. فقام أبو بكر فقال: نرىٰ أن تعفو عنهم، وأن تقبل منهم الفداء. فعفا عنهم وقبل منهم الفداء. وقال ابن مسعود: فنزل القرآن بقول عمر (لباب النقول في أسباب النزول).

الإسلام ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾[1] [الأنفال: ٣٣] ﴿ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ ﴾ منهم الفداء ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ ﴾ أخذتم منهم ﴿ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا ﴾ أي إيمانًا لفظة «إنْ» باعتبار حال المخاطب لا المتكلم لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [لقمان: ٢٣] ﴿ يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ ﴾ فلا عجب ولا ضرر ﴿ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ ﴾ المهاجرين ﴿ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ أي المهاجرون والأنصار ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ بالنصرة والمعونة فينبغي لهم أن يتناصروا بينهم لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [المائدة: ٥٥] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ ﴾ إلى النبي عليه السلام ﴿ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ كما كان للمهاجرين والأنصار ﴿ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ أي لأجل ضرورة الدين ﴿ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ ﴾ أي يجب عليكم نصرهم ﴿ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾ معاهدة بالصلح فلا تنصروهم عليهم ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ فيجازيكم ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ في مقابلتكم لقوله تعالىٰ: ﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ [النساء: ٥١] ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ ﴾ أي نصر المؤمنين على الكفار ﴿ تَكُن فِتْنَةٌ ﴾ صَدٌّ ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ عن الدين ﴿ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ بغلبة الكفار ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ ﴾ أوطانهم لظلم الكفار لهم ﴿ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ ﴾ المهاجرين ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ أي المهاجرون والأنصار ﴿ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ ﴾ أي بعد شدة الضرر لقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾[2] [التوبة: ١٠٠] وقوله تعالىٰ: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى

---

(١) ابن جرير وفتح البيان وغيره (منه).

(٢) الآية الكريمة الأولىٰ تدل علىٰ كون المهاجرين صنفين. والثانية علىٰ مدح الأولين لقوله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ [التوبة: ١١٧] فحصل التطبيق فافهم (منه).

﴿ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ [التوبة: ١١٧] ﴿وَجَٰهِدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾ أي أولياء المسلمين ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي المسلمون المهاجرون والأنصار، وإن كانوا بعضهم أولياء بعض، إلا أن ذوي القرابة منهم أولىٰ بالإحسان[1] من غيرهم عند الله لقوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٢٦] وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١] وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١] وقوله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾ يا عليم علمنا ما ينفعنا واجعل ما علمتنا لنا لا علينا. آمين.

سورة التوبة مدنية وهي مائة وتسع وعشرون آية

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾[2] موصولة ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾﴾ ثم نقضوا العهود لقوله تعالى الآتي: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ - إلى قوله - فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾ الآية. قولوا لهم: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي أرض مكة المكرمة ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ ثم اخرجوا منها لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ [البقرة: ١٩١] ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ في إخراجكم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾﴾ حيث وعدنا بقوله ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [النساء: ٨٤] ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي سكناء مكة الناقضين العهود ﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ أي يوم عرفة ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ بل والمؤمنون بل والملائكة كلهم أجمعون لقوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ

---

(١) فليس فيها نسخ للآية السالفة كما توهم فافهم (منه).

(٢) قال المفسرون: لما خرج رسول الله ﷺ إلىٰ تبوك، كان المنافقون يرجفون الأراجيف. وجعل المشركون ينقضون عهودًا كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ. فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم (معالم ٤/٨).

﴿كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾ [التوبة: ١١٣] ﴿فَإِن تُبۡتُمۡ﴾ عن الكفر ﴿فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ أعرضتم عن القبول ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٨] ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ﴾ استثناء من قوله تعالىٰ: ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١﴾ ﴿عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ من الإيفاء ﴿وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا﴾ من أعدائكم. هذا قسم ثان من المشركين ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ﴾ كائنا ما كان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٤﴾ نقض العهود ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ المحاربين الناقضين العهود. هذا قسم ثالث منهم غير القسمين الأولين لتحديد القسم الأول بأربعة أشهر. والثاني بمدتهم، و[هؤلاء] هم غير المعاهدين ﴿حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ﴾ أي ضيقوا عليهم ﴿وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ﴾ أي لأخذهم ﴿كُلَّ مَرۡصَدٖۚ﴾ حتىٰ يضطروا إلىٰ ترك الفساد والمحاربة لقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾ [محمد: ٤] ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ عن الكفر ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾ هذا أحد قسمي ترك التعرض لهم. والثاني الميل منهم إلى الصلح مع ثباتهم علىٰ دينهم لقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٦١] فاندفع[1] ما توهم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦١ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ﴾ أي طلب الأمان ﴿فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ هذا مفاد للإجارة ليس بقيد لما أن الاستجارة مطلقة فافهم ﴿ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ﴾ أي مكانه الذي كان له فيه أمان من القتل والأسر ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإجارة ﴿بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ۝٦﴾ أي ليس لهم علم فلا بد من اختلاطهم بالمسلمين كي يرغبوا ولا يتنفروا عن الإسلام ثم شرع في بيان الناقضين.

﴿كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ الناقضين عهودهم لقوله تعالى الآتي: ﴿كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ﴾ الآية. ﴿عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾ بل وعند العقلاء كلهم، لأنهم الذين بدءوكم بالنقض أول مرة (تأتي) ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ﴾ أي لكن الذين ﴿عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ عهداً مطلقاً غير مقيد بمدة دون مدة لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَا

---

(١) من أن القرآن يجبر علىٰ الإسلام، فافهم (منه).

﴿ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ﴾ على العهد ﴿فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾ بالوفاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧﴾ ﴿كَيْفَ﴾ يكون لهم عهد ﴿وَ﴾ الحال أنهم ﴿إِن يَظْهَرُوا۟﴾ يغلبوا ﴿عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟﴾ يحفظوا ﴿فِيكُمْ﴾ أي في شأنكم ﴿إِلًّا﴾ قرابة ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ عهداً أي لا يبالون بقرابتكم ولا بعهودكم لقوله تعالىٰ: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢﴾ [الممتحنة: ٢] ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ الوفاء ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨﴾ خارجون من الطاعة الشرعية بل والعرفية ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي تمتعوا بترك آيات الله تمتعًا قليلًا ﴿فَصَدُّوا۟﴾ الناس أي التابعين لهم ﴿عَن سَبِيلِهِۦٓ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ كرر هذا لإثبات الدعوى المذكورة بقوله - ﴿كَيْفَ يَكُونُ﴾ - الآية. ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ۝١٠﴾ الحدود ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ مرت آنفاً ﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ الأحكام ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝١١﴾ خصهم بالذكر لأنهم هم المنتفعون بها لقوله تعالىٰ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات: ٥٥] ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟﴾ أي المعاهدون عموماً ﴿أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ عنادا لا مناظرة فإنها جائزة لقوله تعالىٰ: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1] [النحل: ١٢٥] ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾ بعد نكثهم أيمانهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ۝١٢﴾ عن النقض والكفر ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ﴾ أيها المسلمون ﴿قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ من مكة المكرمة ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ﴾ بالحرب ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ ليس ينبغي ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝١٤﴾ بخذلانهم ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي غيظ قلوب المؤمنين على المشركين ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ يوفقهم للإسلام بعد المحاربة ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٥﴾.

---

(١) المناظرة تقتضي سماع كلام الخصم خلاف الإسلام. (منه).

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَن تُتْرَكُوا﴾ سدىٰ من غير جهاد ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ﴾ أي يميز ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ أولياء لما منعوا من هذا من الله لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨] ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ أي ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [العنكبوت: ١٠].

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم﴾[١] ﴿بِٱلْكُفْرِ﴾ أي حال كونهم كافرين مشركين داعين لله أندادًا، لأنهم علىٰ مضادة من المقصود من المساجد، لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[٢] [الجن: ١٨] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الصالحة ﴿وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ بالعبادة الخالصة لله تعالى التي هي العمارة للمساجد حقًّا ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي المسلمون الموحدون ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] لأنهم هم أولياؤه لقوله تعالىٰ: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤] ﴿فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ الذين هداهم الله إليه هداية خاصة ﴿۞ أَجَعَلْتُمْ﴾ أيها المشركون ﴿سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ بالطين والآجر ﴿كَمَنْ﴾ أي كفعل من ﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ وحده ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي زعمتم أن كلا الفريقين سواء عند الله. كلا ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨] ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى

---

(١) قال ابن عباس: لما أسر العباس يوم بدر عيره المسلمون بالكفر وقطيعة الرحم وأغلظ علي رضي الله عنه له القول فقال العباس (وكان كافرًا): مالكم تذكرون مساوينا، ولا تذكرون محاسننا؟ فقال له علي رضي الله عنه: ألكم محاسن!! قال: نعم إنا لنعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقي الحجاج، فأنزل الله هذه الآية ردًّا على العباس (معالم ٤/ ١٩).

(٢) عمارة كل مكان حصول ما هو مقصود منه. والمسجد المقصود منه عبادة الله خالصة. فالمشرك لا يعمر المساجد وإن زينه. والموحد يعمره بعبادة الله. هذا معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ الآية (منه).

﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ ويهدي المؤمنين هداية خاصة لقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] فكيف الاستواء؟ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ من غيرهم من المؤمنين فكيف من غيرهم ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ حصر الفوز في المهاجرين إضافي بالنسبة إلى الكفار والمشركين أو ادعائي لا حقيقي لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنفال: ٧٤] ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[1] أي لا تزعموهم مخلصين ﴿إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ أي يتخذهم أولياء ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي لا تؤثروهم بالمحبة على الله ورسوله لقوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [المجادلة: ٢٢] ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ كسبتموها ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ خسارتها ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ﴾ خبر لـ -كان - ﴿إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾ فانتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ بإهلاككم لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨] ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ أي لايهدي الخارجين من حكم الله هداية خاصة بالمطيعين لقوله تعالىٰ: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: ١٦]. ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ بدر وغيره ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ كان الصحابة يومئذ اثني عشر ألفًا ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾

---

(١) لما نزلت الآية الأولىٰ ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ﴾ الآية. قال الذين آمنوا إن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا أرحامنا فنزلت (معالم ٤/ ٢٥).

لانهزامكم وعدم نصر الله إياكم ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ لفظة ما مصدرية أي برحبها ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ ليثبتوكم ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي مقابليكم بغلبتكم عليهم ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۝٢٦ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ﴾ يتوجه برحمته الخاصة ﴿مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٧﴾ يرحم عباده ما لم يصروا على الاستكبار ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ روحاني لخبث بواطنهم لقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾ [المطففين: ١٤] ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ لما حان خبره تعالىٰ بخروجهم لقوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ [البقرة: ١١٤] ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ فقرا بقطع التجارة معهم ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ﴾ بفتح الأمصار والبلاد ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٢٨ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ أي لا يقرون بوحدانيته تعالىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦] ﴿وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ محمد ﷺ ﴿وَلَا يَدِينُونَ﴾ ينقادون ﴿دِينَ الْحَقِّ﴾ الإسلام ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ بيان ﴿أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ۝٢٩﴾ هذا قسم ثالث لرفع المحاربة.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ حقيقة[1] ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي يكذبون ﴿يُضَاهِئُونَ﴾ يشابهون ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾ من علمائهم المتقدمين لقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ۝٧٧﴾ [المائدة: ٧٧] ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ لعنهم ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠﴾ يصرفون لا يعلمون حقيقة قولهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾ علماءهم ﴿وَرُهْبَانَهُمْ﴾ مشايخهم ﴿أَرْبَابًا﴾ مطاعة ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ ربًّا ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ في الباب الثاني عشر من إنجيل مرقس والسابع عشر من إنجيل

---

(١) كذا قال القسيس فندر في رسالته «مفتاح الأسرار» (منه).

يوحنا وغيره ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ وإنهم يشركون و ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ أي يمحوا القرآن الذي يأمرهم بالتوحيد لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤] ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بكذبهم وزورهم ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ أي لا يتركه إلا بالإتمام ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ لا يبالي بكراهتهم ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ محمدًا عليه السلام ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾ أي يغلبه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ دين اليهود والنصارىٰ والمشركين ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ إظهاره وإنزاله وكراهتهم مذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [الحج: ٧٢].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ اسمعوا أوجه كراهة أهل الكتاب ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ﴾ علماء اليهود والنصارىٰ ﴿وَٱلرُّهْبَانِ﴾ مشايخهم ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بكتمان الحق وإغوائهم على الباطل لقوله تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾ [الأعراف: ١٦٩] ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ﴾ يجمعون ﴿ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي منها لا كلها لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ أخبر ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾ أي الكنوز ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ﴾ تحرق ﴿بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ﴾ ويقال لهم: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي كنتم تحسبونه مفيدًا لأنفسكم لقوله تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾﴾ [الهمزة: ١-٣] ﴿فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي في علمه كما مر في الجزء السابع ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ﴾ أي محرم فيها القتال بدءًا ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الكف عن القتال ﴿ٱلدِّينُ﴾ الطريق ﴿ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾ أي إخوانكم بني آدم بالقتال

بدءًا لا مدافعة لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ [البقرة: ١٩٤] ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ المحاربين غير المصالحين لقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأنفال: ٦١] ﴿كَآفَّةً﴾ كلهم حال ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ كلكم لقوله تعالىٰ: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨] ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ نقض العهد علامة المحاربين النسيء ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾[1] أي تأخير التحريم كما يفعله المشركون ﴿زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي هو موجب لمزية ضلالهم كقوله تعالىٰ: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ﴾ [البقرة: ١٠] ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ آخر ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟﴾ ليطابقوا ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ﴾ من القتال ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ هداية خاصة لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟﴾[2] اخرجوا ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ للجهاد ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ قعدتم عن الحرب جبنًا ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ عوضًا ﴿مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى﴾ مقابلة ﴿ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ﴾ [النحل: ٩٦] ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟﴾ تخرجوا إلى الجهاد ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يسلط عليكم العدو لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال: ٧٣] ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا

---

(١) كان المشركون يجعلون المحرم صفرًا والصفر محرمًا لأجل ضرورة الحرب بينهم، فيستحلون في المحرم باسم الصفر وغير ذلك. فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾ إلخ (منه).

(٢) نزلت في الحث على غزوة تبوك. وذلك أن النبي عليه السلام لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم. وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر، حين طابت الثمار والظلال. ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورّىٰ بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد. واستقبل سفرًا بعيدًا فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا، فشق عليهم الخروج وتثاقلوا، فأنزل الله هذه الآية (معالم ٤/٤٨).

غَيْرَكُمْ ﴾ ﴿ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد: ٣٨] ﴿ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ ﴾ محمدًا ﷺ الجزاء محذوف أي فليس به ضرر والدال على الجزاء ﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا ﴾ أي الرسول والصديق مستوران ﴿ فِى ٱلْغَارِ ﴾ أي غار ثور ﴿ إِذْ يَقُولُ ﴾ الرسول ﴿ لِصَٰحِبِهِۦ ﴾ الصديق ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾ نصرًا وعونًا لقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٦] ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾ أي على الصديق[1] ﴿ وَأَيَّدَهُۥ ﴾ أي النبي عليه السلام ﴿ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[2] هم الملائكة لقوله تعالىٰ: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ ﴾ [الأحزاب: ٩] ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ دعواهم بأخذه عليه السلام بالتعاقب له ﴿ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ ﴾ حيث لم ينالوا ما راموا ﴿ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ ﴾ دائمًا لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ ﴾ [النحل: ٥٢] ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ أي متفرقين ومجتمعين لقوله تعالىٰ: ﴿ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾ [النساء: ٧١] ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ مآلاً ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ ﴾ أمر الواقع ﴿ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا ﴾ متوسطًا ﴿ لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ ﴾ المسافة ﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ لأن وبال حلفهم الكاذب عليهم لقوله تعالىٰ: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ﴾ في دعواهم الإخلاص ﴿ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ إعراضًا عن ﴿ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ أي في التخلف بأعذار باردة بل واهية، غير صحيحة، معرضين عن الجهاد، لا لقضاء الحاجة الضرورية لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ﴾ إلى قوله

---

(١) لأن النبي عليه السلام كان مطمئنًا. (منه).

(٢) لأن سياق الكلام في تأييده عليه السلام فلا ضرر في الانتشار فافهم (منه).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ[١] أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ ﴾ [النور: ٦٢] ﴿ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ بمنزلة العلة للحكم السابق ﴿ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ يتحيرون لا يهتدون ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ ﴾ إلى الجهاد ﴿ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً ﴾ أي هيؤوا الأسباب مما يناسبه ﴿ وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ لم يوفقهم لقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ[٢] نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٧٧] ﴿ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ أي المعذورين والحق أنهم ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾ فسادا ﴿ وَلَأَوْضَعُوا۟ ﴾ أسرعوا ﴿ خِلَـٰلَكُمْ ﴾ بينكم ﴿ يَبْغُونَكُمُ ﴾ أي فيكم ﴿ ٱلْفِتْنَةَ ﴾ بالنميمة وغيرها ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ﴾ أي لأجل المنافقين بالود والمحبة لهم يستمعون منكم ثم يبلغونه رؤساء المنافقين لقوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[٣] [آل عمران: ٧٢] ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٣﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ ﴾ قد أخفوا ما في أنفسهم من الفرار عن الحرب لقوله تعالىٰ: ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٣] ﴿ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ أي الفتح ﴿ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ﴾[٤] أي لا تكتبني في العسكر لقوله تعالىٰ: ﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٧] ﴿ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ ﴾ في الفضيحة ﴿ سَقَطُوا۟ ﴾ ألقوا بترك الإخلاص ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾

---

(١) هؤلاء المستأذنون الذين يستأذنون لأجل الضرورة الداعية (منه).

(٢) لأن الآية الكريمة تدل علىٰ أن بعض الذنوب موجب لسد باب الهداية، وهو عدم التوفيق (منه).

(٣) لأن الآية الكريمة تدل علىٰ أن أهل الكتاب والمنافقين كانوا يرسلون عيونهم. فافهم (منه).

(٤) نزلت في جد بن قيس المنافق. وذلك أن النبي ﷺ لما تجهز لغزوة تبوك، قال له: «**يا أبا وهب! هل لك في جهاد بني الأصفر**»؟ يعني الروم. فقال جد: يارسول الله! لقد عرف قومي أني رجل مغرم بالنساء، وإني أخشىٰ إن رأيت بنات بني الأصفر أن لا أصبر عنهن. ائذن لي في القعود ولا تفتني. قال ابن عباس: اعتل جد، ولم تكن له علة إلا النفاق. فأعرض عنه النبي ﷺ (معالم ٤/ ٥٦، ٥٧).

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ فتح وعافية ﴿تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ انهزام وغيره لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ أي تجنبناهم ﴿مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا﴾ إلى بيوتهم بعد سماع الخبر ﴿وَهُمْ فَرِحُونَ ۝٥٠﴾ بمصيبة المؤمنين ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ من الحسنة والمصيبة لقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢﴾ [الحديد: ٢٢] ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ متولي أمورنا يفعل بنا ما يشاء كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [تبارك: ٢٨] ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ الفاء للعطف على المحذوف أي ليتوكل فليتوكل.

﴿قُلْ﴾ يا محمد للمنافقين ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا﴾ تنتظرون في حقنا ﴿إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ الغنيمة أو الشهادة اللتان هما في الأصل حسنيان في حقنا لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٧٤﴾ [النساء: ٧٤] ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ إن تلاحقتم بالمحاربين لقوله تعالى: ﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ٨٨، ٨٩] ﴿فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ۝٥٢﴾ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ [الأنعام: ١٣٥] ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ۝٥٣ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ۝٥٤﴾ الإنفاق لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ [التوبة: ٩٨] ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ لكثرتها ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالنقصان مرة والهلاك أخرى لقوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦] ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ۝٥٥﴾ على غرور المال لقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣﴾ [الهمزة: ٣] ﴿وَيَحْلِفُونَ

﴿بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة: ٨] ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ منكم بجبنهم وضعف قلوبهم لقوله تعالىٰ: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: ٤] ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾ جمع مغار أي غار الجبل ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ يدخلون فيها ﴿لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ يسرعون لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٢٠].

﴿وَمِنْهُم﴾[1] أي المنافقين ﴿مَّن يَلْمِزُكَ﴾ يطعنك ﴿فِى﴾ تقسيم ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [النور: ٤٩] ﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ يغضبون لكونهم طامعين حريصين على المفادات الدنيوية لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [الأحزاب: ١٩] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ بإذنه سبحانه لقوله عليه السلام: «**الله المعطي، وأنا القاسم**»[2] (الحديث) ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ بإذنه لقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3] [الروم: ٣٧] وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ [الجن: ٢١] وقوله عليه السلام: «**اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت**»[4] (الحديث) ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ جواب لو محذوف أي لكان

---

(١) نزلت في الخويصرة وهو رجل من بني تميم. فقال: يا رسول الله! اعدل. فقال: «**ويلك فمن يعدل إذا لم أعدل**»؟ (معالم ٤/ ٦٠).

(٢) رواه البخاري (٣١١٦) في فرض الخمس. وفي العلم (٧١) باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، ومسلم رقم (١٠٣٧) في الزكاة باب النهي عن المسألة من حديث معاوية رضي الله عنه.

(٣) المقصود من هذا الاستدلال أن المعطي حقيقة هو الله لا غيره (منه).

(٤) رواه البخاري (٨٤٤) في الأذان باب الذكر بعد الصلاة. وفي القدر (٦٦١٥) باب: لا مانع لما أعطى الله. ومسلم رقم (٥٩٣) في المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة. وأبو داود رقم (١٥٠٥) في الوتر باب ما يقول الرجل إذا أسلم، من حديث المغيرة بن شعبة =

خيرًا لهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ [النساء: ٦٦].

﴿۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾ أي الزكاة ﴿لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ الفقير من ليس له شيء والمسكين من كان له شيء يسير لا يبلغ حد الزكاة لقوله تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ [الحشر: ٨] وقوله تعالىٰ: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ [الكهف: ٧٩] ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ أي الذين تآلفت قلوبهم بالإسلام، ولكن حاجاتهم مانعة ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ أي في إعتاق العبيد ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾ المقروضين ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لآلات الجهاد للمجاهدين ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ المنقطع الزاد. فرض ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ أي ليس لمن دون هؤلاء حق في الزكاة ﴿وَمِنْهُم﴾[1] أي من المنافقين ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ يسمع كلام كل أحد ويقبله لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤] مقصودهم من هذا الكلام أنا نرضيه بكلام نكلمه وإن كان ساخطًا علينا من قبل فإنه يقبل كلام كل واحد ﴿قُلْ﴾ هو ﴿أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ لأنه لا يتجسس لأحوالكم لقوله تعالىٰ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩] ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي يصدقهم وفيه إشارة إلىٰ أنه وإن كان يسمع كلام المنافقين لكن لا يصدقهم ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ لأنهم أطاعوه كقوله تعالىٰ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي يخالفون أمره لقوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣] ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ أي كل واحد بإطاعته ﴿إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ صادقين

= رضي الله عنه.

(١) نزلت في أناس من المنافقين كانوا يؤذون النبي ﷺ ويقولون ما لا ينبغي. فقال بعضهم: لا تفعلوا فإنا نخاف أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا. فقال الجلاس بن سويد منهم بل نقول ماشئنا، ثم نأتيه ننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول. فإنما محمد أذن (معالم ٤/ ٦٧).

في دعوى الإيمان ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ ﴾ يخالف الله ﴿ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء: ١١٥] ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٢] ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم ﴾ أي تظهر ﴿ بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ ﴾ من الاستهزاء ﴿ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ ﴾ الأمر للتهديد لا للإباحة لقوله تعالىٰ: ﴿ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (ستأتي) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ أي يظهر أسراركم فأظهر بقوله: ﴿ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾ [محمد: ٢٦] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ ﴾ ما يبيتون في شأن القرآن ومبلغه ﴿ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ ﴾ أي ما قلنا ما قلنا عامدين، بل لاعبين بلا قصد منا ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ۖ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ ﴾ أي بعد ما وصل إليكم الإيمان أي القرآن لا الإذعان القلبي، لأنه ما حصل لهم قط لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [البقرة: ٨] وقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المائدة: ٦١] ﴿ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ ﴾ بتوبتهم ﴿ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً ﴾ غيرها أي ليست توبة طائفة مستلزمة للعفو عن الأخرىٰ ﴿ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾. ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ ﴾ جنس ﴿ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ الشرعي ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ ﴾ عن الإنفاق في سبيل الله لقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ ﴾ [يس: ٤٧] ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ ﴾ أي أغفلهم عن الأعمال الصالحة لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر: ١٩] ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ دائم ﴿ كَٱلَّذِينَ ﴾ أي كالكافرين ﴿ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا ﴾ لقوله تعالىٰ:

﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [سبأ: ٤٥] ﴿ فَٱسْتَمْتَعُوا۟ ﴾ أي تمتعوا ﴿ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ ﴾ أي عاداتهم ﴿ وَخُضْتُمْ ﴾ في الباطل ﴿ كَٱلَّذِى ﴾ أي كالخوض الذي ﴿ خَاضُوٓا۟ ﴾ أي صرتم كمثلهم لقوله تعالىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [البقرة: ١١٨] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي لا يستحقون عليها المدح في الدنيا والآخرة لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ﴾ [البينة: ٦] ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ لخسران عاقبتهم لقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر: ١٥] ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ ﴾ قوم شعيب ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ﴾ أي قرىٰ قوم لوط المقلبة لقوله تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ [هود: ٨٢] ﴿ أَنَّهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٠] ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ شرعًا ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ الذي أنكره الشرع ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ أي جاهد الفريقين مجاهدة تناسب حالهم بالسنان أو باللسان لقوله تعالىٰ: ﴿ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٢]

﴿ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي ثبت[1] نفسك على مقابلتهم لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم: ٦٠] ﴿ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ ﴾ ما نسب إليهم ﴿ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ حيث ﴿ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ﴾ [محمد: ٢٦] ﴿ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾ أي أظهروا الكفر بعد ما أظهروا الإسلام وإسلامهم إظهار الإيمان بأفواههم لقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٤] ﴿ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ﴾[2] من قتل النبي ﷺ ﴿ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ أي أغنى الله من فضله ورسوله بحكمه تعالىٰ بإعطائهم لقوله تعالىٰ: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢] ﴿ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ ﴾ عن الإيمان ﴿ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ أي عادتهم الإعراض لقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾ [المعارج: ١٩ـ٢١] ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ أي طبع على قلوبهم ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر: ١٩].

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ المنافقون هم ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ يشيرونهم بالسمعة والرياء ﴿ وَ ﴾ يلمزون ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ مكتسبهم أي يستحقرونهم لقوله

---

(١) ليس المراد بالغلظة التغليظ بالقول لما أنه عليه السلام لم يكن يغلظ على المنافقين، بل ولا على أحد من الناس بالقول، لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤] فافهم (منه).

(٢) وقف المنافقون بعقبة ليفتكوا برسول الله ﷺ فجاء جبريل وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم فأرسل حذيفة (معالم ٤/ ٧٥). وكفرهم مذكور في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٤] (منه).

تعالى حاكيًا عنهم: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨] ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي يسخر المؤمنون منهم بأمره سبحانه لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين: ٣٤ـ٣٦] ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي استمروا على الكفر واستهزؤوا بالرسول وبالمؤمنين، فكيف يستحقون الغفران بالدعاء لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفرقان: ٩] ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ هداية خاصة بأوليائه كما مر مرارا.

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ﴾ بعد ﴿رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟﴾ بعضهم لبعض ﴿لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾ أي الصيف ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤] ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ ما تركوا الجهاد ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ خبر بصيغة الأمر كقوله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥] أي يكون ضحكهم في الدنيا قليلًا وبكاؤهم في الآخرة كثيرا لأن مدة الدنيا في الآخرة قليلة لقوله تعالىٰ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٦] أو علىٰ صورته أي ينبغي لهم أن يضحكوا قليلًا ويبكوا كثيرا لخسران عاقبتهم ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ بعد الفراغ من الغزوة ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ إخبار عن أسرارهم أي لن توفقوا لهذا الخير لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٨ـ١٠] ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ المعذورين تعيير بهم ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم﴾[1] أي من المنافقين ﴿مَّاتَ أَبَدًا﴾ متعلق بالنفي لا بالمنفي ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ

---

(١) روى الشيخان لما توفي عبدالله بن أبي المنافق جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي فقام ليصلي عليه فقام عمر بن الخطاب فأخذ=

﴿قَبْرِهِۦٓ﴾ للدعاء ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ خارجون من الطاعة، ولا ينبغي أن يرد دعاء الرسول لعدم استعداد المدعو له لقوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣] ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ مر آنفًا ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟﴾ أي مذكور فيها أن آمنوا ﴿بِٱللَّهِ﴾ وحده ﴿وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ أي أولو المال منهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [النساء: ٢٥] ﴿وَقَالُوا۟ ذَرْنَا﴾ أجزنا ﴿نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ بالعذر لأنهم ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ أي النساء ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟﴾ أي يجاهدون ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١] ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ المعتذرون ﴿مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ في القعود ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في التخلف عن الجهاد ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي كذبوا في دعواهم الإسلام حيث أظهروا الإخلاص من قبل لقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤] ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ

= ثوبه وقال: يارسول الله! أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي على المنافقين؟! قال: «إنما خيرني الله. فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة: ٨٠] وسأزيده على السبعين» فصلى عليه. فأنزل الله هذه الآية. [رواه البخاري: ٤٦٧٠ ومسلم: ٢٤٠٠].

﴿كَفَرُوا﴾ أي استمروا على الكفر حتى الموت ﴿مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ في حاجاتهم المتعلقة بالغزوة ﴿حَرَجٌ﴾ أي ليس على هؤلاء المذكورين ومن يأتي بعدهم من أصنافهم إثم في التخلف عن الجهاد لقوله تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢] ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ بالإخلاص، أي سلب الإثم عنهم مشروط بإخلاصهم لله ورسوله وللمؤمنين لقوله تعالى: ﴿أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم﴾[1] [البقرة: ٢٥٤] ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ أي المخلصين ﴿مِن سَبِيلٍ﴾ أي سبيل العذاب ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ يغفر لهم ويرحمهم ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ﴾ لفظة - ما - تزاد بعد - إذا - كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ [البقرة: ٢٨٢] ﴿لِتَحْمِلَهُمْ﴾ على المركب ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ لعدم الوسع ﴿تَوَلَّوا﴾ جواب لإذا ﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ حال ﴿حَزَنًا﴾ مفعول لأجله ﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ في التخلف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ يستطيعون الزاد والمركب والأسلحة ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ أي النساء ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

﴿يَعْتَذِرُونَ﴾ أي المنافقون ﴿إِلَيْكُمْ﴾ على تخلفهم ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ عن السفر ﴿إِلَيْهِمْ﴾ أي إلى المدينة ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ أنكم تسرون إلى الكفار بالمودة لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ [محمد: ٢٦] ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ أي غرضهم بالاعتذار دفع الملامة عن أنفسهم لا غير ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ لا يطهر لكفرهم على كفرهم لقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥] ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ

---

(١) إنفاق المال غير مقدور لهم. ولكن الإخلاص مقدور لهم. فهم مكلفون بما يتيسر لهم. فافهم (منه).

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ﴾ فلا[1] فائدة لهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزمر: ٧].

﴿ٱلْأَعْرَابُ﴾ أهل البدو ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ تمييزان من النسبة ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ لجهالتهم وبعدهم عن المآنسة ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ﴾ يحسب ﴿مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ﴾ أي دوائر السوء ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ﴾ أي يهلكون ويستأصلون لقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ٣] ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿قُرُبَـٰتٍ﴾ تقربات ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان: ٩] ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ﴾ أي موجبًا لدعائه لأنه عليه السلام كان مأمورًا بالدعاء لمؤتي الزكاة لقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ﴾ [التوبة: ١٠٣] ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ﴾ لإخلاصهم لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء: ٦٤] ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾.

﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾ كالصديق والفاروق وذي النورين والمرتضى وغيرهم رضي الله عنهم ﴿وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ أي المهاجرين والأنصار عمومًا والخلفاء[2] الراشدين خصوصًا لقوله تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] ﴿بِإِحْسَـٰنٍ﴾ أي بحسن الاتباع في أفعالهم - لا بالادعاء بلسانهم فقط - إلى يوم القيامة وعلامتهم مذكورة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠] السابقون مع

---

(١) فيه إشارة إلى حذف الجزاء (منه).

(٢) فيه إشارة فافهم.

الموصول المعطوف عليه مبتدأ ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أي ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٨] خبر المبتدأ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ ليت شعري ما يقول الذين يسبون المهاجرين والأنصار وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ﴾ أيضًا منافقون ﴿مَرَدُوا۟﴾ هلكوا ﴿عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ﴾ إلى[1] الآن علما قطعيًّا ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ أي مرارًا مرة بعد مرة[2] لقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: ١٢٦] فهي كقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [تبارك: ٤] ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ عذاب القيامة ﴿وَءَاخَرُونَ﴾[3] من المتخلفين ﴿ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾ في التخلف لأنهم كانوا مخلصين متخلفين بلا مانع ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ من الصوم والصلاة ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ من التخلف عن الجهاد ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ أي يقبل توبتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ﴾ أيها الرسول ﴿مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ أي تقبل منهم واجعلها في مصارف الزكاة المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ الآية [التوبة: ٦٠] ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم

---

(١) فيه إشارة إلىٰ أن ما يروىٰ أن حذيفة صاحب رسول الله ﷺ كان يعلم المنافقين بإعلامه عليه السلام فهو بعد هذه الآية. فلا تعارض لقوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١] (منه).

(٢) من فتح البيان للنواب البوفالي الملخص من فتح القدير للشوكاني رحمهما الله (منه).

(٣) عن ابن عباس قال: غزا رسول الله ﷺ فتخلف أبو لبابة وخمسة معه ثم إن أبا لبابة ورجلين معه تفكروا وندموا وأيقنوا بالهلاك وقالوا: نحن في الظلال والطمأنينة مع النساء ورسول الله ﷺ والمؤمنون معه في الجهاد والله لنوثقن أنفسنا بالسواري فلا نطلقها حتىٰ يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقنا وبقي ثلاثة نفر لم يوثقوا أنفسهم فرجع رسول الله ﷺ فقال: «**من هؤلاء الموثقون بالسواري**»؟! فقال رجل هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا، فعاهدوا أن لا يطلقوا أنفسهم حتىٰ تكون أنت الذي تطلقهم. فقال: «**لا أطلقهم حتىٰ أومر بإطلاقهم**» فأنزل الله ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟﴾ فأطلقهم وعذرهم وبقي الثلاثة الذين لم يوثقوا أنفسهم لم يذكروا بشيء وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٦] فجعل أناس يقولون: هلكوا إذ لم ينزل عذرهم حتىٰ نزلت ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨]. (أسباب النزول ص ٢١١).

﴿بِهَا﴾ أي يزكيهم الله بقبولك لقوله تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النساء ٤٩] ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ أي موجبة لسكينة قلوبهم، دعاء النبي عليه السلام[١] مفاد للزكاة (أي من فوائدها) ليس بشرط حتىٰ تجب الزكاة علىٰ من لا يحصل له دعاؤه عليه السلام لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي يقبلها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ أفلا يتوبون؟! ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ﴾ بعد الموت ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

﴿وَءَاخَرُونَ﴾ من المتخلفين المخلصين ﴿مُرْجَوْنَ﴾ مؤخرون بحكم النبي عليه السلام ﴿لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي إلىٰ نزول الحكم فيهم ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أي يرحمهم فأمرهم مفوض إليه تعالىٰ، يحكم فيهم ما يشاء. فحكم بقبول توبتهم بعد خمسين يومًا كما سيأتي ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَٱلَّذِينَ﴾ أي من[٢] المنافقين الذين ﴿ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ بالمسلمين بالمشي بالنميمة بينهم ﴿وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ أي خالف أمرهما. المنصوبات مفعولات لأجلها إلا أن الثاني من قبيل - قعدت عن الحرب جبنًا - والباقية من قبيل. ضربت تأديبًا. فافهم ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي الرفق بالمسلمين في المطر والطين حيث لا يستطيعون الوصول إلىٰ مسجد قباء ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

---

(١) فيه إشارة إلىٰ تزييف استدلال مانعي الزكاة زمن الصديق رضي الله عنه حيث فهموا أن دعاء النبي ﷺ لأخذ الزكاة شرط. وإذ ليس فليس. وتفصيل الآية التي استدللنا بها: أن أحكام الشرع عامة لكل مؤمن رأى النبي عليه السلام أو لا. والزكاة حكم شرعي، فكيف يشترط بدعائه إذ ليس من الممكن أن يصل كل مؤمن إلىٰ جنابه في حياته. فكيف بعد وفاته عليه السلام فافهم (منه).

(٢) نزلت هذه الآية في المنافقين بنوا مسجدًا ليضاروا به مسجد قباء. ولما فرغوا من بنائه أتوا الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يتجهز إلىٰ تبوك. فقالوا: يا رسول الله! إنا قد بنينا مسجدًا لذي العلة والحاجة والسيلة المطيرة والليلة الشاتية. وإنا نحب أن تأتينا وتصلي بنا فيه وتدعو لنا بالبركة. فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إني على جناح سفر ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم، فصلينا**» (معالم ٤/ ٩٣).

لأن مقصودهم سوى ذلك ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ﴾ أي في المسمىٰ بالمسجد ﴿أَبَدًا﴾ راجع إلىٰ النفي فإنه ليس بمسجد لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل: ١٩، ٢٠] ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ هو مسجد قباء لأنه ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ من كل دنس ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ﴾ أي إخلاص ﴿مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ﴾ أي طلب رضائه ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ﴾ طرف ﴿هَارٍ﴾ مشرف على السقوط ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾ أي سقط مع بانيه ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ لا شك أن من أسس بنيانه على تقوىٰ من الله خير لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٩-٢١] هذا كالدليل للحكم السابق من عدم القيام في المسجد المذكور والقيام في مسجد قباء ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ هداية خاصة مر مرارًا ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً﴾ أي موجب غيظ ﴿فِى قُلُوبِهِمْ﴾ لما لم ينالوا ما راموا ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [البقرة: ٧٧].

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ بأن أمرهم أن يبذلوها في سبيل الله لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٠] وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ أي بعوض الجنة لقوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢] ﴿يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لأن أنفسهم ما بقيت لهم بل صارت ملكا لله بوسيلة البيع. فلذا يحاربون الكافرين بأمر الله لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ [البقرة: ١٩٠] ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ أي وعد الله على الجهاد حقًّا ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ[1] وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ بمفاز المجاهدين ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ من إعطاء الأنفس

---

(١) في الباب الواحد والثلاثين من الكتاب الرابع والباب السابع والثاني عشر من الكتاب الخامس وغيره من التوراة والباب العاشر من إنجيل متىٰ والباب الثاني عشر من إنجيل لوقا.

والأموال التي هي أدنىٰ وأخذ الجنة التي هي أعلىٰ منها لقوله تعالىٰ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾.

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ أي الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله هم التائبون من الذنوب لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] ﴿ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ إياه وحده ﴿ٱلْحَٰمِدُونَ﴾ له في السراء والضراء ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ الضاربون في الأرض للجهاد ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ أي المصلون ﴿ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧] ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ أي كل ما أمر الله به ونهاهم عنه. هذا إجمال لأفعال الذين باعوا أنفسهم من الله. والتفصيل في قوله تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ -إلىٰ- ﴿يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾ [الفرقان: ٦٣ـ٧٥] والمراد بالشراء انقيادهم وإيمانهم ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ بأنهم فازوا وربحوا في بيعهم لحسن مآلهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠] ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[1] لأن الدعاء للمشرك عبث لا يرجىٰ قبوله لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ﴾ لهم ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾[2] أي بعد موتهم لأنه قبل الموت لا تتبين حالهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ﴾ [لقمان: ٣٤] ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ بقوله: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الشعراء: ٨٦] ﴿إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ بقوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧] أي كان استغفار إبراهيم لأبيه حسب موعده قبل موته، بأن

---

(١) لما مات أبو طالب على ملة عبد المطلب قال رسول الله ﷺ: «لأستغفر لك ما لم أنه» فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ﴾ الآية (معالم ٤/ ١٠٠).

(٢) دفع دخل كأنه قيل: ما وجه دعاء إبراهيم لأبيه المشرك؟ (منه).

يجعله[١] الله محلًّا للمغفرة بالتوفيق للإيمان ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ﴾ بعد موته ﴿أَنَّهُۥ﴾ أي أباه ﴿عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ لأنه مات مشركًا مصرًّا على الشرك لا يرجىٰ غفرانه ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُۚ﴾ بقوله: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ كثير التضرع إلى الله ﴿حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ على الأذىٰ. واسمعوا وجه ضلالة المنافقين ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾ أراهم الطريق بإرسال الرسل ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾ من الأوامر والمناهي أي ما كان الله ليحكم بإضلال قوم قبل إظهار الأحكام وإصرارهم على الكفر والإنكار لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ﴾ [إبراهيم: ٤] هذا حال المنافقين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ﴾ توجه بالرحمة والرأفة ﴿عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ أي غزوة تبوك لما أنها كانت في الحر الشديد وقلة المراكب والنفقات ﴿مِنۢ﴾ متعلق بـ-اتَّبَعُوا- ﴿بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ﴾ استمر التوجه عليهم ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ تاب أي توجه بقبول التوبة ﴿عَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾[٢] أي تركوا لأمر الله لقوله تعالىٰ: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْۗ﴾ (كما مر آنفًا) ﴿حَتَّىٰٓ﴾ متعلق بـ-خُلِّفُوا- ﴿إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ -مَا- مصدرية أي برحبها ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ

---

(١) كان يرد هاهنا سؤال هو أن استغفار إبراهيم لأبيه كان لأجل إيفاء الوعد. والوعد كان للأمر المنكر شرعًا، فكيف يجب عليه الوفاء؟! فدفع بأن استغفاره عليه السلام لم يكن بحط الذنب عنه، بل كان بجعل أبيه محلًّا للمغفرة بأن تاب عليه ووفقه للإسلام، كما يقول ابن مؤمن في حق أبيه المشرك: اللهم اغفر له أي وفقه للتوبة، لتغفر له (والله أعلم) (منه).

(٢) هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية، كلهم من الأنصار تخلفوا عن غزوة تبوك غير معذورين فمنع رسول الله ﷺ الناس من كلامهم. فلم يتكلموا معهم خمسين ليلة، حتىٰ أنزل الله فيهم ما أنزل. وقصتهم مذكورة في كتب الحديث والتفاسير (منه).

﴿أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ﴾ أيقنوا ﴿أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨] ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أي وفقهم للتوبة ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾ أي ليتوجهوا إليه لقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ كثير التوجه والرحمة علىٰ عباده لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة: ٢٠٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَ﴾ لا تتركوا المصاحبة للمجاهدين بل ﴿كُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ الأمر للاستمرار لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ المسلمين ﴿أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ أي لا ينبغي لهم أن يقصدوا التخلف عنه عليه السلام إذا استنفروا. وإن كان ببعض المسلمين كفاية، فلا بأس في التخلف بالإذن لقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ الآية. (ستأتي) ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ﴾ يعرضوا ﴿بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي ليس ينبغي أن يسلموه إلى مظنة الضرر لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكم ﴿بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ مجاعة ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في سفر الجهاد وسفر العلم وفي كل عمل صالح ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾ بغلبتهم ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ -مِنْ- داخلة على المفعول به بالقهر والغلبة أي لا يغلبون عدوًّا ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] وقوله عليه السلام: «**إنما الأعمال بالنيات**»[1] الحديث ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ في الخير ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ عمل صالح ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ اللام للعاقبة

---

(١) رواه البخاري رقم (١) في بدء الوحي و (٥٤) في الإيمان و (٢٥٢٩) في العتق و(٣٨٩٨) في مناقب الأنصار، ومسلم رقم (١٩٠٧) في الإمارة باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ أحسن صفة للمصدر أي جزاء أحسن من عملهم لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ [سبأ: ٣٧] ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟﴾ ليخرجوا للجهاد لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟[1] فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ - إلىٰ قوله - إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩] ﴿كَآفَّةً﴾ كلهم ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ بطن أو فخذ ﴿مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ جماعة كافية ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾ أي ليتمارسوا في المحاربة ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ أي يعلموهم ما تمارسوا ﴿إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ الأعداء بالإعداد للجهاد كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ المحاربين أي لا تجاوزوهم إلى غيرهم وهم أعداؤكم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[2] [البقرة: ١٩٥] ﴿وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ ثباتا على الجهادلقوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [محمد: ٣٥] ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ -مَآ- زائدة ﴿فَمِنْهُم﴾ أي المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ﴾ السورة ﴿إِيمَٰنًا﴾ لما أنهم سمعوا قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ- إلى قوله - وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ أي بشاشة ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ بنزول آية ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ كفر ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾ أي كفرا ﴿إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ أي هم يموتون على الكفر ﴿أَ﴾ ينكرون صداقة النبي عليه السلام ﴿وَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بالقحط والأمراض وغير ذلك ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ عن نفاقهم ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ يكون فيها ذكر الإنفاق ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ مشيرين ﴿هَلْ

---

(١) استشهاد على أن النفر يطلق في القرآن على الخروج للجهاد فافهم (منه).

(٢) لأن التجاوز من العدو القريب إلى البعيد هلكة فافهم (منه).

﴿يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ إن انصرفتم وخرجتم أي يكرهون الإنفاق في سبيل الله لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ- إلىٰ قوله - وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ من المجلس الشريف خفية ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ من الخير ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ أي لا يتدبرون مآلهم لقوله تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. أيها الناس ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي من قومكم ﴿عَزِيزٌ﴾ شديد ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ لفظة -مَا- مصدرية أي مشقتكم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ بالخير و ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ لأنهم بمثابة أولاده لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ مع هذا الإحسان والإكرام ﴿فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ وحده ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

﴿الٓر﴾ أنا الله أرىٰ ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ أي القرآن المحكم لقوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود: ١] ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ خبر مقدم لِـ-كَانَ- ﴿أَنْ﴾ مصدرية أي الإيحاء اسم لِـ-كَانَ- ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ محمد عليه السلام ﴿أَنْ﴾ بأن ﴿أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ ثم استمروا علىٰ إيمانهم ومقتضاه لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠] ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي مآلا مرضيًّا بحسن الجزاء لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الكهف: ٨٨] وقول الشاعر:

فبات وإن أسرىٰ من الليل عقبة بليلة صدق غاب عنها شرورها

﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ أي يسحرنا بقراءة القرآن لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ (١) ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] ﴿إِنَّ

(١) لأن الآية الكريمة تدل علىٰ أن الكفار كانوا يحذرون تأثير القرآن في قلوبهم. فلهذا يسمون =

﴿رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواء يليق بشأنه ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ أي يجري الأمر ويقضي كيفما شاء لقوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ أي لا يملك هو بنفسه ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أي وعد وعدًا ﴿حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي يبعثه ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي كان عدله مقتضيا لجزائهم لقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ۝٢٨﴾ [ص: ٢٨] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۝٤ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ أي منيرًا ﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾ أي للقمر ﴿مَنَازِلَ﴾ بحسب البعد والقرب من الشمس، لفوائد لا تحصىٰ، منها ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ بالإهلال وغيبوبته لقوله تعالىٰ: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ النظام المنظم ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي بالنتيجة لا باللغو والعبث لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ۝٢٧﴾ [ص: ٢٧] ﴿يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ الدلائل علىٰ هذا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥﴾ أي يعلمون الحركات الشمسية وكيفيتها والقمرية ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي تعاقبهما لقوله تعالىٰ: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] ﴿وَ﴾ في ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَٰتٍ﴾ من العجائب ﴿لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦﴾ خصهم بالذكر لأنهم هم المنتفعون لقوله تعالىٰ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات: ٥٥].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ أي أنكروا الحياة الآخرة لقوله تعالىٰ حكاية عنهم: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٣٧﴾ [المؤمنون: ٣٧] ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي آثروها ﴿وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ أي يهتمون لها ولا يعتنون بالآخرة لقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۝٢١﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ

= القرآن سحرًا فافهم (منه).

﴿ءَايَـٰتِنَا﴾ أي دلائل قدرتنا لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥] ﴿غَـٰفِلُونَ ۝٧﴾ لا يبالون بها. الموصول الأول مع المعطوف اسم إن ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ خبر لإن. اللهم لا تجعلنا من الذين يرضون بالحياة الدنيا ويطمئنون بها آمين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ﴾ هداية خاصة لقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] أي يوفقهم للأعمال الصالحة لقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ـ٧] ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعْوَىٰهُمْ﴾ نداؤهم ﴿فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ من الله ﴿فِيهَا سَلَـٰمٌ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٠﴾ أي حين يقومون من مجالسهم يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣] والعجب من المشركين أنهم يستعجلون الخير لأنفسهم. والحال أنهم مستحقون للشر.

﴿۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾ أي العذاب كما يستعجلونه لقوله تعالىٰ: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٤] ﴿ٱسْتِعْجَالَهُم﴾ أي مثل استعجالهم ﴿بِٱلْخَيْرِ﴾ أي كما يطلبون الخير مستعجلين ﴿لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ بالإهلاك لأنهم هم المستحقون لهذا ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١١﴾ حال أي يترددون كما فصله سبحانه بقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ أي على جنبه ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ الترديد للتنويع أي مرة قائمًا ومرة قاعدًا ومرة كذا ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ أي نكشف ﴿عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾ يمشي مستغنيًا ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ [الزمر: ٨] ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ المعتدين حدود العبودية ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٢﴾ من السيئات لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ

﴿يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ﴾ الإهلاك ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ﴾ أي أنشأناكم ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي المشركون ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا﴾ كله ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ أي غير منه المقامات المبينة للتوحيد لأنه يمنعنا عما كان يعبد آباؤنا لقوله تعالىٰ: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ - إلى قوله - ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾﴾ [ص: ٥-٧] ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ﴾ عند ﴿نَفْسِي﴾ لأني ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣، ٤] ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ يوم القيامة ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ﴾ هو لقوله تعالىٰ: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢] ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ طويلاً أربعين سنة ﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ فما ادعيت شيئًا وما قلت لكم قولًا ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ تتدبرون في شأني وتفكرون لقوله تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ: ٤٦] ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن ادعىٰ نبوة كاذبة ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ أحكامه ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا﴾ أي مخلوقًا ﴿لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ كائنًا من كان لا يضرهم ولا ينفعهم فيما في يديه سبحانه خاصة لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾[1] [الجن: ٢١] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ معتذرين ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ أي لا نقول هم آلهة مستقلة بأنفسهم لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٨، ٨٩] بل هم يقربوننا بعبادتنا

---

(١) لما كان سيد الأنبياء عليهم السلام لا يملك لنا ضرًا ولا نفعًا فكيف من دونه؟ فتفكر (منه).

إياهم إلىٰ جنابه سبحانه لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي تخبرون الله بما ليس بكائن في الواقع إذ هو سبحانه يعلم كل ما هو كائن في السمٰوات والأرض ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦] لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١] ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ﴾ من حيث الدين ﴿إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ علىٰ دين الحق ﴿فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ فكفر بعض منهم وثبت البعض على الإيمان ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بالفصل بينهم يوم القيامة لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [السجدة: ٢٥] ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ بأي وجه يشاء ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي كفار مكة ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾ معجزة ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ مما اقترحنا لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ - إلى قوله تعالى - وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣] وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً[1] يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾ [القمر: ٢] مر مثله مرارا ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ أي الآيات والمعجزات من المغيبات كلها عند الله ليس عندي علمها ولا وجودها لقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾ أي ليس في وسعي ما تطلبون مني لقوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٣٨].

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ﴾ صفة لضراء ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾ إذا فجائية جزاء للشرط أي إذا لهم احتيال في إنكار نعمائنا لقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ [النحل: ٥٤، ٥٥]

---

(١) الآية الكريمة الأولىٰ تدل على اقتراحهم. والثانية على وقوع الآيات من الله، والإعراض منهم. فلا بد حمل المنكرة على الآية المقترحة لهم فافهم (منه).

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ أي عقوبة خفية من أعين الناس لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ١٤] ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي الملائكة يكتبون لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ توافق الفلك بجريانها ﴿وَفَرِحُوا۟ بِهَا﴾ أي بالريح ﴿جَآءَتْهَا﴾ أي الفلك ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ مخالفة ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ مما حول الفلك ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي الدعاء ويتركون سواه قائلين ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ البلاء ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ لنعمائك ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي ينسبون نعمة الله إلىٰ غيره لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾ أي عصيانكم لله وبال ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ لا علىٰ غيركم لقوله تعالىٰ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي تمتعون متاعًا قليلًا في الحياة الدنيا لقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٢٦] ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في سرعة الزوال ﴿كَمَآءٍ﴾ المضاف محذوف أي كمنبت ماء ﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي السحاب ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ بهجتها بالنبات ﴿وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾ بالإهلاك ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ تصوير لسرعة زوال نعماء الدنيا وراحاتها لقوله تعالىٰ: ﴿أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠] ما أصدق ما قال أبو العتاهية:

ألا نحن في دار قليل بقاؤها ... سريع تداعيها وشيك فناؤها

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ خصوا بالذكر لأنهم هم المنتفعون ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي دار يحصل فيه السلامة وهي الجنة لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٨] ﴿وَيَهْدِى﴾ هداية خاصة ﴿مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ وهو التوحيد لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [آل عمران: ٥١].

﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ أي للمحسنين ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي الجزاء الحسنىٰ ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ علىٰ قدر[1] أعمالهم لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧] ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ سواد ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ كما يرهق الكفار ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ يعصمهم من عذاب الله ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ أي سوادا وهم الكفار لقوله تعالىٰ: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس: ٤٠ـ٤٢] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ واذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ أي الناس ﴿جَمِيعًا﴾ حال ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ﴾ أي الزموا مكانكم ﴿أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ كي نسألكم عن أحوالكم لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠] ﴿فَزَيَّلْنَا﴾ أي ميزنا ﴿بَيْنَهُمْ﴾ أي بين المشركين وشركائهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩] ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم﴾ أي عباد الله الصالحون الذين اتخذهم المشركون شركاء ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ بل كنتم تعبدون الشيطان لقوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ [سبأ: ٤١] لأنه أمركم بهذا ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ فإنه يعلم سرنا وسركم ﴿إِن﴾ مخففة أي إنا

---

(١) يشمل رؤية الله يوم القيامة لقوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] عن ابن عباس رضي الله عنه هو مثل قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله (الدر المنثور ٣/ ٥٤٩). وأولى الأقوال بالصواب أن يعم كما عمه عن ذكره (تفسير ابن جرير ٦/ ٥٥٢).

﴿ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤] ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ ﴾ تعلم ﴿ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ ﴾ من العمل ﴿ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ بقولهم: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [يونس: ١٨] ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ بإنزال الماء ﴿ وَٱلْأَرْضِ ﴾ بإنبات الحبوب والثمار ﴿ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ بإماته ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ ﴾ يجري الأحكام بين الخلق لقوله تعالىٰ: ﴿ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ١٢] ﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ وحده ﴿ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ الشرك ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ بترك التوحيد وأخذ الشرك ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ ﴾ خرجوا من طاعته عنادًا ﴿ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أن بتأويل المفرد بدل من الكلمة أي حق من الله أنه لا يوفقهم للإيمان مر مثله في قوله: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [البقرة: ٧] ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ ﴾ إلى الفناء[1] أي لا ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٦] ﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ تصرفون ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ ﴾ أي يوفق بقبول الحق لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ[2] لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورىٰ: ٥٢] ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ ﴾ لا غير لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦] ﴿ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ ﴾ أي لا يهتدي هو نفسه ﴿ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ ﴾ من الله. أقول هذا شأن المخلوقين كلهم كائنًا من كان لقوله تعالىٰ: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ ﴾ [الشورىٰ: ٥٢] ﴿ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ تدعون من ليس له دعوة ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ ﴾ غير[3] مطابق للواقع ﴿ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ الواقع ﴿ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) لأن القوم كانوا مقرين بهذه الإعادة ولم يكونوا قائلين بالحشر فكيف السؤال. فافهم.

(٢) لأن الكريمة تدل علىٰ أن الهداية بمعنى الإراءة من الخلق ممكن فالسؤال ليس إلا عن التوفيق فافهم (منه).

(٣) إشارة إلىٰ أن الظن هاهنا ليس بمعنى الغلبة بل بمعنىٰ خلاف الواقع فافهم (منه).

عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي ليس شأنه كذلك لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾ [الشعراء: ٢١٠، ٢١١] وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾ [الجن: ٢٧] ﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ من مضامين التوراة والإنجيل وغيره الحقة ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ محمد ﷺ ﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ في إخبار الغيب والتأثير والفصاحة مر مثله في الجزء الأول ﴿وَٱدۡعُواْ﴾ أنصاركم ﴿مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ لأنه سبحانه لا ينصركم علىٰ هذا لقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾﴾ [محمد: ١١] ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ في دعواكم ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ﴾ أي مآل ما أخبر به في القرآن وهو يوم القيامة لقوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ﴾ [الأعراف: ٥٣] ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾ أي بالقرآن ﴿وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ﴾ وهم الكافرون والمنافقون ﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ﴾ في زعمكم وإن لم يكن لكم عند الله شيء لقوله تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨] ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ أي ليس لي بكم تعرض لقوله تعالىٰ: ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٖ﴾ [الغاشية: ٢٢] ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ﴾ أي يصغون إليك بحيث يرىٰ أنهم يسمعون ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ أي من لا يكون حاضر القلب ﴿وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ﴾ ﴿نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ [محمد: ٢٠] ﴿أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ﴾ أي غافل القلب ﴿وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ ببصيرة القلب لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾ أن يضلهم بلا تفريط منهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ بارتكاب المعاصي لقوله تعالىٰ:

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ لشدة هوله لقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢] ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أي يعرف بعضهم بعضا لقوله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الصافات: ٢٨، ٢٩] ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٠﴾﴾ في الدنيا ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ﴾ العذاب ﴿ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ فالأمر سواء ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ أي ليس علىٰ حياتك أو مماتك[1] وقوف أمر بل لله الأمر جميعًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ فيجازيهم بأعمالهم ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ خلت ﴿رَّسُولٌ﴾ أرسل إليهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ يوم القيامة ليشهد عليهم ﴿قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء: ٤١، ٤٢] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي كفار مكة ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يوم الجزاء أخبرونا ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي لا أعلم في أي شيء ضرر نفسي ولا نفعي لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩] فكيف أعلم تاريخ القيامة وهو مفوض إلى الله لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مقرر عند الله للزوال وللفناء ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ فكذا هؤلاء مشركو مكة لقوله تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا﴾ أي ليلاً ﴿أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ﴾ به ﴿مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ أي بأي حيلة يخلص المجرمون من العذاب، لا. لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ

---

(١) فأو للتنويع لا للترديد (فافهم).

﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٧] ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ هناك يقال لكم: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ من قبل بقولكم: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦] كما قيل لفرعون: لما غشيه الغرق وأظهر الإيمان ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١] ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي الوعد المذكور ﴿قُلْ إِى﴾ نعم ﴿وَرَبِّىٓ﴾ الواو قسمية ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ كائن آت لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَـَٔاتٍ﴾ [الأنعام: ١٣٤] ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ الله ﴿وَلَوْ﴾ فرض ﴿أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كله من الذهب والفضة بل ومثله معه لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر: ٤٧] ﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ لينجيه من النار لقوله تعالىٰ: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ﴾ [المعارج: ١١ـ١٥] ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ هو القرآن لقوله تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ أي القرآن ليفرحوا ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ تأكيد للسابق ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي علمه مع عمله خير من الدنيا وما فيها لحسن مآله وسرعة زوالها لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦] ولنعم ما قيل:

رضينا قسمة الجبار فينا ... لنا علم وللجهال مال

فإن المال يفنىٰ عن قريب ... وإن العلم باق لا يزال

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي خلق ﴿لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَـٰلًا﴾ برأيكم لقوله تعالىٰ حاكيًا: ﴿هَـٰذِهِۦٓ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَـٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ [الأنعام: ١٣٨] ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾

والواقع الشق الثاني لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ بإرسال الرسل إليهم لقوله تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٤] ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ هذه النعمة بل يكفرون لقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم: ٢٨] ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ ﴾ شغل ﴿ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ ﴾ أي من الله آية ﴿ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ ﴾ أيها الناس ﴿ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا ﴾ فيه التفات ﴿ عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ ﴾ تشرعون ﴿ فِيهِ ﴾ أي في العمل والمعنىٰ أنا كنا شهودًا عليكم حين تشرعون في أمر وحين تفرغون منه بل كل وقت لقوله تعالىٰ: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ [المجادلة: ٧] ﴿ وَمَا يَعْزُبُ ﴾ يغيب ﴿ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ أي كل شيء في علمه مر في الجزء السادس. هل تعلمون من المؤمنون الذين يستفيدون من كلام الله؟ هم أولياء الله ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ﴾ صفة كاشفة لأولياء الله ﴿ ءَامَنُوا۟ ﴾ بالله وحده ﴿ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ الشرك لقوله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢] ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ بالرؤيا الصالحة واطمئنان القلب ﴿ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١] ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي لمواعيده لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ٩] ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ فيك ساحر، مجنون، كاهن، وأبتر. لا تبال ﴿ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ أي في قبضته يعز من يشاء ويذل من يشاء ﴿ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾ فسوف يرون من تكون له عاقبة الدار ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي المخلوقات كلهم عبيد لله سبحانه فكيف يشركونهم لقوله تعالىٰ:

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [النحل: ٧١] ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي ما يتبع المشركون ﴿ شُرَكَآءَ ﴾ مفعول به. إذ لم يأمروهم بهذا لقوله تعالىٰ: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ ﴾ [الشورىٰ: ٢١] ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ ﴾ في الحقيقة ﴿ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ اسمعوا أيهاالمشركون! معبودكم ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ ﴾ من التعب ﴿ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ ﴾ ذا ضياء لكسب معاشكم لقوله تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ [النبأ: ١١] ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ بالقلب لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧] ﴿ قَالُوا۟ ﴾ أي النصارىٰ وإخوانهم من المشركين القائلين إن الملائكة بنات الله ﴿ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ملكا وخلقا ﴿ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۖ ﴾ أي ليس لكم حجة علىٰ هذه الدعوىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ لهم ﴿ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ قليل ﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ ﴾ [البقرة: ١٢٦] ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ للتنبيه علىٰ عاقبة المنكرين ﴿ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى ﴾ فيكم ﴿ وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ الدالة علىٰ كمال قدرته لقوله تعالىٰ حاكيا عنه عليه السلام: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ [نوح: ١٥، ١٦] ﴿ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ ﴾ كيدكم ﴿ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴾ مجهولاً ﴿ ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ ﴾ ما شئتم ﴿ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾ تمهلون ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ عما ذكرتكم فليس[1] لي حرج ﴿ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ لله ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ

---

(١) إشارة إلىٰ حذف الجزاء (منه).

فِي ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ للهالكين ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ لا كل من كان على وجه الأرض يومئذ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩] ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ الذين أنذرهم نوح من نزول المطر الشديد عليهم ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا﴾ كثيرًا في أوقات مختلفة ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ حدود العبودية ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي معجزات موسىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١١٨] ﴿مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ أي يظهر أمرهم وتخييلهم آخرا للناس لقوله تعالىٰ: ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٤٦] ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تزلنا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ أي الحكومة ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ بعد المشورة بملائه لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾ [الأعراف: ١١٠، ١١١] ﴿ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ﴾ بعد سؤالهم ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف: ١١٥] ﴿أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟﴾ ﴿حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤] ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ لأنه معنا لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ يجعل عملهم غير مؤثر ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾ بعد رؤية المعجزات القاهرة ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ أي بنو إسرائيل فقط إلا رجلًا واحدًا من آل فرعون لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ [غافر: ٢٨] ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ يعذبهم على الإيمان لأجل ظلمه ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا

﴿فِتْنَةً﴾ أي اختبارًا لهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ﴾ [الأنعام: ٥٣] ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٩﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ﴾ لما آذاهم فرعون ومنعهم من عبادة الله منعًا شديدًا لقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩] ﴿أَن تَبَوَّءَا﴾ تبنيا ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ﴾ أي في بيوتكم ﴿قِبْلَةً﴾ مسجدًا ومصلىٰ أي صلوا في بيوتكم ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ﴾ كما استطعتم ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]. ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ﴾ اللام للعاقبة لا للعلة لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ[1] وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ﴾ [الإسراء: ٨٣] ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ لأنهم بلغوا أقصىٰ غايات الضلال لقوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر: ٣٥] ﴿فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ أي أمتهم وأهلكهم كافرين كقوله تعالىٰ حاكيًا عن نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: ٢٦] ﴿قَالَ﴾ الله ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ أي يجهلون، النهي للاستمرار لا للإنشاء كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨]. ﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ أي كادوا أن يعبروا لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء: ٦١-٦٣] ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًاۖ﴾ مفعول له من قبيل قعدت عن الحرب جبنًا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ﴾ أي فرعون ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ فقيل له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ أي ليست توبتك مقبولة عند الله في هذه الآونة لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ

---

(١) الإعراض والإضلال منشأهما واحد وهو الاستغناء عن الله لقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق: ٦، ٧] (منه).

لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨] ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ أي نلقي جسدك على شط البحر ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ يعتبرون بك ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ لا يهتدون بل يصرون على الحنث العظيم لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨] ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ مبوأ مرضيًّا لقوله تعالىٰ: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٢] أي ملكناهم ملك آبائهم وما حوله من الكنعان وغيره لقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء: ٥٤] ﴿وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾ في قبول الإسلام ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ أي الرسول محمد ﷺ لقوله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾ [البينة: ١-٣] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [السجدة: ٢٥] ﴿فَإِن كُنتَ﴾ فرضًا ﴿فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ﴾ عن التصديق برسالتك ﴿ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ بالعلم والفهم لا بالجهل وطمع المال لقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧] فيشهدوا علىٰ صحة دينك وكتابك لقوله تعالىٰ: ﴿أَوَ لَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء: ١٩٧] ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ الشاكين ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾ النهي للاستمرار لا للإنشاء لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بضلالتهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء: ١٤٣] ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ الواو وصلية ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ فيتوبون ولم تقبل توبتهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء: ١٨]. ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ ممن أهلكناهم ﴿ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ﴾ أي ما نفع قومًا ممن

أهلكنا إيمانهم لأنهم لم يؤمنوا ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا﴾ قبل رؤية العذاب لقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ[1] إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ- إلىٰ قوله - ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩٠، ٩١] مر آنفًا ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2] أي أمسكناه قبل نزوله لا بعد نزوله لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الأنعام: ١٤٧] ﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ أي أيام حياتهم ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ بإجبارهم، لأنه المسيطر عليهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي بتوفيقه، وهو يوفق كل من يميل إليه مخلصًا لله لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧] ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾ أي الكفر ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ أي لا يعرفون حقيقتهم من الاحتياج إلى الله فيستغنون عن الله لقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق: ٦، ٧] ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فتعتبروا بها لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام: ٧٥] ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ بالعناد والاستكبار لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [البقرة: ٦] ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من إهلاك الكفار ﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ أن ﴿نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾ فاسمعوا ما أقول لكم ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مسيحًا كان أو غيره ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ أي بيده الموت والحياة ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَ﴾ قال الله لي: ﴿أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ للاستمداد في قضاء الحاجات ﴿مَا لَا

---

(١) لأن عدم قبول توبة فرعون كان لأجل أنه تاب بعد رؤية العذاب فافهم.

(٢) روي أن يونس عليه السلام أوعدهم بالعذاب علىٰ كفرهم وغاب عنهم، فلما فقدوه خافوا على أنفسهم وخرجوا عن آخرهم في البيداء وتابوا فتاب الله عليهم. والله أعلم.

﴿يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ كائنًا من كان لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ [الجن: ٢١] ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ وكيف تدعو غير الله ﴿وَ﴾ الحال أنه ﴿إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ الخطاب كله للنبي والمراد به كل من كان علىٰ وجه الأرض ومن يكون لقوله تعالىٰ: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ﴾ [فاطر: ٢] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ أي قبل التوحيد وترك الشرك لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ﴾ لأن وباله عليها لقوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ أي لا أؤاخذ بأعمالكم لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة: ١١٩] ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ أي لا تلتفت إلىٰ غيره لقوله تعالىٰ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ﴾ [الأعراف: ٣] ﴿وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ وقد حكم بغلبة الإسلام على الكفر وأهله. اللهم أيد الإسلام وأهله.

سورة هود مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

﴿الر﴾ أنا الله أرىٰ، هذا ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ أحكامه وأخباره من عند الله لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢] ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ لكم[1] ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ من أحكامه ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ﴾ قل لهم: ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ الأمر بالاستغفار للإنشاء وبالتوبة للاستمرار أي استغفروا ثم توجهوا

---

(١) إشارة إلىٰ أن إيراد «ثم» المستلزمة للتراخي بالنسبة إلى المخاطبين (منه).

إليه دائمًا لا عند الحاجة إليه لقوله تعالىٰ: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾ [المزمل: ٨] ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ عافية ورزقًا واسعًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي إلى الموت ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ أي أجره ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣﴾ يوم القيامة ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ﴾ يلوون ﴿صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾ أي من الله لا يمكن ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ أي يستترون في الثياب وقت النوم ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥﴾ أي بالأمور التي تخفيها الصدور وهذا وسعة علمه، وأما وسعة رزقه فاسمعوا.

﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ أي خلق رزقها على الله لقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٣﴾ [فاطر: ٣] ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ أي ما يستقر عليها وما يدفن فيها لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٣٦﴾ [البقرة: ٣٦] ﴿كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ أي في علمه تعالىٰ، مر مثله مرارا ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي في مدتها ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ﴾ قبل خلق السماء والأرض على هيئتهما المرئية ﴿عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ وكان هناك وخلقكم ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي ليجزيكم علىٰ حسن أعمالكم لقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ۝٢٨﴾ [ص: ٢٨] ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ يسحر الناس ويسفههم لقوله تعالىٰ: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣] ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ أي وقت يسير ﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ أي لم لا يأتينا لقوله تعالىٰ حاكيًا عنهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٢﴾ [الأنفال: ٣٢] ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ العذاب ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٤٧﴾ [الأنعام: ١٤٧].

﴿وَحَاقَ﴾ ينزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨﴾ من مواعيده تعالىٰ ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا

﴿ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا﴾ أي سلبناها ﴿مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾ من رحمتنا ﴿كَفُورٌ ۝٩﴾ لنعمائنا ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾ بنفسها بدوران الزمان لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٢٤﴾ [الجاثية: ٢٤] ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠﴾ القضية مهملة كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٤] فالاستثناء الآتي منقطع أو كلية فالاستثناء متصل ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ أي ثبتوا أنفسهم علىٰ الطاعات ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١﴾ فلا تحزن علىٰ ما يقول المشركون فيك ولا تهتم ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟﴾ أي بأن يقول الكفار: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ ينذر الناس على مخالفته لقوله تعالىٰ: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الفرقان: ٧، ٨] ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾ أي ليس لك قدرة علىٰ هذه الأمور لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٣﴾ [الإسراء: ٩٣] ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝٦١﴾: ﴿يَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝٢٧﴾ [إبراهيم: ٢٧] ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي القرآن ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾[1] وإن لم تستطيعوا العشر فواحدة لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ علىٰ حمايتكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٣﴾ في دعواكم أن محمدًا افتراه ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ أي لم يأتوا بما طلبتم منهم من الإتيان بسورة واحدة ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ﴾ القرآن ﴿بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ بمعرفته سبحانه أي يوصلكم إلى الله تعالىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣] ﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٤﴾ أي أسلموا له أيها الكفار.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ أي آثرها وترك الآخرة كقوله تعالىٰ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ الآية. [الإسراء: ١٨] ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ أي نخلق نتائج

---

(١) وجه المماثلة مر في الجزء الأول [البقرة: ٢٣].

أعمالهم لقوله تعالىٰ: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: ٢٠] ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ إن وافق سعيهم الأسباب الطبيعية لمرادهم لقوله تعالىٰ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] ولنعم ما قيل: عرفت ربي بفسخ العزائم. وقول الشاعر:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾ آثروا الحياة الدنيا ﴿لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠] ﴿وَحَبِطَ﴾ ضاع ولم يفد ﴿مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا﴾ أي في الدنيا من جمع المال وغيره لقوله تعالىٰ حاكيا عن الكافر: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩] ﴿وَبَٰطِلٌ﴾ ضائع ﴿مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠]. ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي علىٰ هداية منزلة من الله لقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾﴾ [طه: ١٣٣] ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ أي يؤيده ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ أي ملك يسدده من الله لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١] ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ إمامًا مع معطوفه حال من كتاب. أي يؤيده علىٰ ما هو عليه من الكتب السابقة لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلىٰ: ١٨، ١٩] والخبر محذوف أي من كان طالبا للآخرة عاملاً علىٰ هداية ربه كمن هو طالب للدنيا لا لقوله تعالىٰ: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد: ١٩] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي بالقرآن حقيقة لقوله تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ٥] ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ ﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ أي من القرآن ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾

بل ينسبون الصادقين إلى الافتراء.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ بادعاء الإلهام والوحي أو الرؤيا ﴿ أُولَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ أي على عذاب ربهم لا علىٰ ربهم نفسه لقوله تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [الأحقاف: ٢٠] وقوله تعالىٰ: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المطففين: ١٥] ﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ أي الملائكة لقوله تعالىٰ: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [ق: ٢١] ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ ﴾ الناس ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا ﴾ أي يطلبون فيها ﴿ عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ ينصرونهم ويحفظونهم من عذاب الله لقوله تعالىٰ: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ [غافر: ١٨] ﴿ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ لضلالتهم لأجل أنه ﴿ مَا كَانُوا۟ ﴾ أي لم يكونوا ﴿ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ ﴾ في الدنيا ﴿ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ لفرط غباوتهم لقوله تعالىٰ: ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٨].

﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ أي انقطعوا إليه من الدنيا وما فيها لقوله تعالىٰ: ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾ [المزمل: ٨] ﴿ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ ﴾ المهتدي والمعتدي ﴿ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ﴾ نشر علىٰ ترتيب اللف ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ لا لقوله تعالىٰ: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾ [السجدة: ١٨] ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ فترغبوا في الآخرة، لأنها خير وأبقىٰ.

﴿ وَ ﴾ لتمييز الأعمىٰ والبصير ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾ قائلًا ﴿ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ والرسول ينبغي أن يكون ملكًا لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٤، ٩٥] ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ خدامنا ﴿ بَادِىَ

﴿ٱلرَّأْيِ﴾ ليس لهم خوض ولا فكر في أمر من الأمور ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ صرتم مستحقين به لشرف الإيمان لقوله تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١] ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ هداية ﴿مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ أي صرتم عميانًا عنها ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ والحال أنه: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي على التبليغ ﴿مَالًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾ الذين تكرهون مجالستهم ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ لإخلاصهم وإن كانوا قليلي ذات اليد لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ﴿وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ في هذا الإصرار علىٰ طردهم من عندي.

﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ﴾ وهم مخلصون لله فصرت مُعَاتبًا من الله لقوله تعالىٰ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾﴾ [عبس: ١، ٢] ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ بل ما أنا: ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: ١١] ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ﴾ تحقر ﴿أَعْيُنُكُمْ﴾ أنه ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾ كما تزعمون لقوله تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١] ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا﴾ إن فعلت ما تأمروني ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾ إياه ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ بأن كنتم بلغتم أقصىٰ درجات الضلالة بحيث يختم الله على القلوب لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٩] ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ يفعل بكم ما يشاء ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣١﴾ أَمْ يَقُولُونَ﴾ مشركو مكة ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ محمد ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥].

ورد هذا الكلام معترضًا للمناسبة ثم شرع في أصل الكلام.

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ لا تحزن ﴿بِمَا كَانُوا۟

﴿يَفْعَلُونَ ﴿٣٧﴾﴾ من الكفر والشرك ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي نراك حيثما كنت ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أي كما أوحينا إليك ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ بالدعاء لهم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ في علم الله وتقديره ﴿وَيَصْنَعُ﴾ نوح ﴿ٱلْفُلْكَ﴾ بإلهام الله ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾ لأنه عليه السلام كان قد أخبرهم بغرقهم بالمطر ﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية أي و ﴿إِذَا﴾ أي إذ ﴿جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ أي فار وجه[1] الأرض ماء لقوله تعالىٰ: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [القمر: ١٢] وقوله تعالىٰ: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ [هود: ٤٤] ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ﴾ مما حولك ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ عيالك المؤمنين ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ أي حكم بغرقه لكفره ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ عطف علىٰ أَهْلَكَ ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴿وَقَالَ﴾ نوح ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ يحبسها حيث يشاء ﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ﴾ أي الراكبين ﴿فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ الفلك ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ لأنه أرفع ﴿قَالَ﴾ نوح ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ لا الجبال ولا الأشجار ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ الله فهو مرحوم ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ﴾ بعد إهلاك الكافرين ﴿يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى﴾ اشربي ﴿مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ أمسكي ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ يبس ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ أمر إهلاك الكفار ﴿وَٱسْتَوَتْ﴾ الفلك ﴿عَلَى﴾ جبل ﴿ٱلْجُودِىِّ[2]﴾ ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ عن رحمة الله ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾ قبل هلاكهم ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ فهم عليه السلام من قوله تعالىٰ: ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ نجاة كل واحد

---

(١) قال عكرمة والزهري: هو وجه الأرض (معالم ٤/١٧٦). تنور في قوله تعالىٰ: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ قال علي رضي الله عنه: هو وجه الأرض (صراح).

(٢) جبل الجودي بين الموصل والجزيرة (المفردات في غريب القرآن ص ١٠٢ للراغب الأصفهاني) (منه).

من أهله ولم يبادر ذهنه إلىٰ المستثنىٰ بقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ لعدم التصريح بأسمائهم ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ تفعل ما تشاء وتحكم ما تريد ﴿قَالَ﴾ الله ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الموعود بنجاتهم ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي إن عمله ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ فهو في المستثنىٰ ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ بصحته ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ الغافلين بقيود الأحكام والأخبار ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ بصحته وجوازه ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى﴾ هذا الذنب ﴿وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ﴾ بعد هلاك الكفار من الله ﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ﴾ أخرىٰ في أقطاع العالم لقوله تعالىٰ[1]: ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ﴾ [يونس: ٧٢] ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ علىٰ كفرهم.

﴿تِلْكَ﴾ الأخبار من أحوال الرسل ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۛ﴾ القرآن ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ﴾ أي مآل الأمر ﴿لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ﴾ [المجادلة: ٢١].

﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ إِنْ أَنتُمْ﴾ في هذا الشأن ﴿إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ حيث تعبدون وتدعون غير الله ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى﴾ الله ﴿ٱلَّذِى فَطَرَنِى ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ أن من كان غير طامع في شيء فهو أحق بالاتباع لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يس: ٢٠، ٢١] ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ علىٰ ذنوبكم ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ الأمر الثاني للاستمرار مر مثله آنفًا ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ أي المطر ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً﴾ منضمة ﴿إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ السابقة ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ أي بقولك فقط ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ﴾ نظن ﴿إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ﴾ مسك ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا﴾ أي سريعة الغضب من آلهتنا ﴿بِسُوٓءٍ﴾ علىٰ سوء أدبك ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ﴾ علىٰ

---

(١) فيه إشارة إلىٰ أن الطوفان لم يأت علىٰ جميع أقطاع العالم. (منه). [الظاهر أنه إخبار عن أمم قادمة في المستقبل فلا مانع من عموم الطوفان لجميع أقطاع العالم].

تبليغي إياكم ﴿وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ﴾ أي من عبادتكم غيره ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ أخذ الناصية كناية عن القبض التام أي كل ما يدب على الأرض ففي قبضته سبحانه لقوله تعالىٰ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يس: ٨٣] فكيف تضرونني ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ أي الصراط المستقيم وهو التوحيد يوصل إليه لقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ فليس بي ضرر فالجزاء محذوف والدليل على الجزاء قائم مقامه وهو ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ﴾ من الأحكام ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨] ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْـًٔا﴾ بل تضرون أنفسكم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ شهيد ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾ شديد ﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ قوم هود ﴿جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾ معاند للحق وهم رؤساؤهم لقوله تعالىٰ حاكيًا عن الكفار: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ [الأحزاب: ٦٧] ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أيضًا ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا﴾ هلاكًا ﴿لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾ ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ﴾ أيضًا ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ بتكثيركم ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ علىٰ ذنوبكم ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ مر مثله ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ للدعوات ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ نرجو خيرك لصلاحك ﴿قَبْلَ هَٰذَآ﴾ قبل ما تقول ﴿أَتَنْهَىٰنَآ﴾ عن ﴿أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ﴾ خلاف ﴿مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾ صفة لشك أي خلاف شديد ﴿قَالَ﴾ صالح ﴿يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي من عذاب الله ﴿إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾ كما تريدون مني من ترك التبليغ ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾ أي تصيرون سببا لخسران عاقبتي كقوله تعالىٰ: ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ [الحج: ١٣] ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ حصتها لقوله تعالىٰ: ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾ [الشعراء: ١٥٥] ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ سريع ﴿فَعَقَرُوهَا﴾

قتلوها ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثم بعد ذلك تهلكون ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بالإهلاك ﴿نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ من عذاب الدنيا ﴿وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ لا يغالبه أحد ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ باركين على ركبهم ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ﴾ لأجل ذلك أهلكوا ﴿أَلَا بُعْدًا﴾ هلاكة ﴿لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ ستأتي.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾ الملائكة ﴿إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ أي ببشارة الولد إسحاق ﴿قَالُوا۟﴾ متمثلين بشرًا ﴿سَلَٰمًا﴾ أي السلام عليكم ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ أي السلام عليكم ﴿فَمَا لَبِثَ﴾ إبراهيم ﴿أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ مشوي أي ما أبطأ في إتيان اللحم المشوي لظنه أنهم ضيف ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ أي العجل ﴿نَكِرَهُمْ﴾ أي لم يألف بهم ﴿وَأَوْجَسَ﴾ وجد ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ لما أنهم لم يأكلوا مأدبته وحسب أنهم مبغضون عليه وأظهر حاله عليهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الحجر: ٥٢] ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ لإهلاكهم ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ﴾ مسرورة على سوء مآل قوم لوط ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا﴾ أي ملائكتنا ﴿بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ﴾ مستعجبة ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ حال ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟﴾ أي الملائكة ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ و ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢] ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ يا ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ أي زوجة إبراهيم ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾ أي الخوف ﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى﴾ شأن ﴿قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾ لا يرضى بهلاكهم ويترحم عليهم ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ﴾ كثير التأوه ﴿مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ إلى الله قالت الملائكة المرسلة: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ﴾ بإهلاكهم ﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿لَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الأنعام: ١٤٧].

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ متمثلين بشرًا ﴿سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدرًا لما أنهم جاؤوا على هيئة المرد ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾ شديد على ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ

﴿يُهْرَعُونَ﴾ يسرعون ﴿إِلَيْهِ﴾ لأخذهم بإرادة فاسدة ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي اللواطة ﴿قَالَ﴾ لوط لما رآهم ﴿يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ منهم بالنكاح فانكحوهن لقوله تعالىٰ: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ[1] مِن نِّسَائِكُمْ﴾ [النساء: ١٥] خاطب بهذا الكلام رؤساءهم كقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣] فاندفع ما توهم من لزوم كون بناته مشتركة بينهم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في هذا الشأن ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ بهتك عزتهم (أي عرضهم) ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ مهتد ذو عقل سليم يمنعكم ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ رغبة ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾﴾ من الإتيان في أدبار الرجال. (نعوذ بالله). ﴿قَالَ﴾ آيسًا منهم للتمني ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ فأقابلكم ﴿أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ حام وناصر ينصرني لقوله تعالىٰ: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ﴾ [الذاريات: ٣٩] ﴿قَالُوا﴾ أي الملائكة ﴿يَا لُوطُ﴾ لا تحزن ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ لأخذنا ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾ بحصة ﴿مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ على عقبه ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ طلب عليه السلام العجلة فقالوا: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ أي وقت أمرنا بإهلاكهم ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ أي أسقطنا[2] سقف بيوتهم عليهم لقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [النحل: ٢٦] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين مطبوخ ﴿مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾ متتابع ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معينة ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ للمسرفين ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ أي هم كانوا يستحقونها والمعنىٰ أن من كان منهم تحت السقف أسقطنا عليهم سقفهم ومن كان في البيداء إذ ذلك أسقطنا عليهم حجارة منضودة فاندفع ما توهم من كون إرسال الحجارة بعد موتهم عبثًا. ﴿وَ﴾ أرسلنا

---

(١) لما سمى الله الزنا فاحشة كيف تكون المزنية أطهر؟ فلهذا قيدنا بالنكاح، وثبت ما قيدنا. فالحمد لله.

(٢) انظر تفصيلها في تفسير الآية رقم ٧٤ من سورة الحجر.

﴿ إِلَىٰ ﴾ أهل ﴿ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ وحده ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ ﴾ [المطففين: ١ـ٣] ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ ﴾ أي عندكم مال كثير ﴿ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ۝٨٤ ﴾ الذي يحيطكم بالعذاب إن أصررتم علىٰ هذا ﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ ﴾ بالعدل ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٨٥ ﴾ بالمعاصي ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ ﴾ أي ما آتاكم الله من الربح الحلال لقوله تعالى: ﴿ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[1] [النحل: ١٤] ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ ﴾ بالله فاقنعوا ﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ۝٨٦ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢ ﴾ [الغاشية: ٢٢]. ﴿ قَالُوا۟ ﴾ مستهزئين به عليه السلام ﴿ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ ﴾ في الكيل والميزان ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ۝٨٧ ﴾ استهزءوا به عليه السلام ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ ﴾ أخبروني ﴿ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ ﴾ حلالا طيبًا ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ ﴾ ذاهبا ﴿ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف: ٢، ٣] ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ ﴾ لما أفسدتم بالمعاصي ﴿ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ ﴾ استطاعتي ﴿ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٧] ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝٨٨ ﴾ أرجع في الأمور كلها إليه لقوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٣ ﴾ [يس: ٨٣] ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ ﴾ خلافي وعنادي على ﴿ أَن يُصِيبَكُم ﴾ أي على أن تخالفوا ما آمركم فيصيبكم ﴿ مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ۝٨٩ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٥ ﴾ [الزخرف: ٢٥] ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ ﴾ أمر التوبة للاستمرار مر مثله ﴿ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠ ﴾ كثير المحبة لكم كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ

---

(١) الفضل هاهنا ربح التجارة، فالمراد به وبالبقية واحد. قال بعض علماء الشيعة: إن المراد بالبقية الإمام المهدي المعهود. ياللعجب! (منه).

رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣] ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ ﴾ نفهم ﴿ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ ﴾ أي مايتعلق بالدين ﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ ﴾ عشيرتك ﴿ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ ﴾ شعيب ﴿ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾ منبوذا متروكًا أي أعرضتم عنه كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ٧٤] ﴿ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ ﴾ طريقتكم ﴿ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الزمر: ٣٩، ٤٠] ﴿ وَارْتَقِبُوا ﴾ انتظروا العذاب ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ ﴾ عليكم. كقوله تعالى: ﴿ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [السجدة: ٣٠] ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ بإهلاكهم ﴿ نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ باركين على الركب ميتين ﴿ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ﴾ هلكت ﴿ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾ بعذاب الله.

﴿ وَ ﴾ في جملة الرسل ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٩٦﴾ ﴾ معجزات قاهرة لقوله تعالى: ﴿ فَغُلِبُوا[1] هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١١٩] ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاتَّبَعُوا ﴾ أي ملاءه ﴿ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ ﴾ ذي هداية ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ﴾ أي يورد ﴿ هُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ ﴾ أي دخولهم ﴿ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾ أي هم أنفسهم لقوله تعالى: ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ ﴾ [ص: ٥٩] ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ ﴾ الدنيا ﴿ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ ﴾ أي التابع بهم اللعنة ﴿ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ﴾ أي هم أنفسهم ﴿ ذَلِكَ ﴾ الخبر ﴿ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ ﴾ وأهلك أهلها مثل مصر ﴿ وَ ﴾ منها ﴿ حَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ ﴾ خراب لا يرى مساكنها كقرى عاد وثمود لقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الحاقة: ٨] ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ بل ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ ﴾

---

(١) لأن السلطان الغلبة، ومغلوبية آل فرعون كان بالمعجزة فتم التقريب. فافهم.

تخسير لقوله تعالى: ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾ [الحج: ١٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ لايستطيع أحد رده لقوله تعالى: ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرعد: ٤١] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧] خصوا بالذكر لانتفاعهم بها لقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥] ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ أي فيه ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ يشهده الأولون والآخرون لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠] ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾ أي اليوم المشهود ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ أي إلى أجل معلوم عندنا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ذاك اليوم ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾ فضلا أن تشفع ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ لقوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه: ١٠٨] ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ﴾ ومنهم ﴿وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ كافر ومؤمن لقوله تعالى: ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ أعلى صوت الحمار ﴿وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾ أخفضها ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ المتبدلة ﴿وَٱلْأَرْضُ﴾ المتغيرة لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨] ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ﴾ فيخرجهم ويعفوا عنهم إن شاء لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ﴾ أي آمنوا وعملوا الصالحات ﴿فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ هذه المشيئة ممكنة عامة لا تحقق لها لقوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين: ٦] لما كان هذا عاقبتهم ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ﴾ أي في شك من كون عبادتهم افتراء على الله موجبة لخسران عاقبتهم ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ﴾ بالجهالة والضلالة لقوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٧٠] ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ﴾ كلا الفريقين ﴿نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾ من غير نقصان.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ﴾ ثبت البعض على الإيمان

وكفر البعض لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بالفصل بعد الموت يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [السجدة: ٢٥] ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾ أي كفار مكة في خلاف شديد من القرآن ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ -لَمَّا- مزيدة ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ من المسلمين ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟﴾ فيه أي لا تغلوا فيه بإبداع الشركات أو المبدعات لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١] ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي عدلوا عن الحق في أمر الدين ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ﴾ الصبح والظهر والعصر والمغرب كما أقام ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤] ﴿وَزُلَفًا﴾ أي في وقت قليل ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ أي العشاء لقوله تعالى: ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾ [النور: ٥٨] ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ﴾ يغلبن ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ إن فعل الحسنات نادمًا على السيئات لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥] أو كانت السيئات أصغر لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١] أو تاب مخلصا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨] فهذه ثلاث خصال لتكفير السيئات والتوبة أعلاها وأفضلها لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] وقوله عليه السلام: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**» (الحديث)[1] ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ المتعظين ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه رقم (٤٢٥٠) في الزهد، باب ذكر التوبة، والبيهقي (١٠/ ١٥٤) =

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٤٤] ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ﴾ ذوو عقل ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟﴾ انعموا ﴿فِيهِ﴾ من النعماء أي أنهمكوا في نعمائهم ﴿وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ عطف على -ظَلَمُوا- لقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [فصلت: ٥١ و الإسراء: ٨٣] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ أي بلا ذنب ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء: ١٤٧] ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ جعلهم على وحدة الخيال في الدين والدنيا لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣] ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ في أمر الدين بل وفي أمر الدنيا أيضًا كما هو مشاهد ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ﴾ أي من يوفقه فهو يأخذ الحق لقوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ﴾ [الكهف: ١٧] ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾ أي على اختلاف الطبائع ﴿خَلَقَهُمْ ۗ﴾ فمنهم حليم ومنهم بغيض ومنهم سعيد ومنهم شقي لقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٣] ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ أي صدق ما أخبر الله من ملأ جهنم أني ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ أي من النوعين كليهما لا من كلِّهم لقوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ﴾ [الإسراء: ٦٥].

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ﴾ وقت الاضطراب لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۛ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: ٤٩] وقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ﴾ السورة ﴿ٱلْحَقُّ﴾ أيضًا ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ لأنهم المنتفعون بها ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾

= وقد ذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٠٠) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وإسناده ضعيف، ولكن له شاهد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، فهو حسن وقد حسنه الحافظ ابن حجر العسقلاني.

طريقتكم ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ ماتوعدون ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ ليس في وسعنا أن نأتي به لقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٨] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا يعلمه أحد إلا بإلقائه لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ أي بيده اختيار كل شيء ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يس: ٨٣] ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ وحده ولا تشرك به ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ لا على غيره لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [إبراهيم: ١١] ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾ [هود: ١١١].

سورة يوسف مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية

﴿الٓر﴾ أنا الله أرىٰ ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾﴾ الذي منه يتبين كل شيء وهو علم الله لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف: ٤]. ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي الكتاب السماوي حال كونه ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ لكونكم عرب العرباء ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ عبرة وتبصرة ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ -مَا- مصدرية أي بوحينا ﴿وَإِن﴾ مخففة أي إنك ﴿كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ من أمر الدين لقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] اذكر ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾ وهو مراهق ﴿لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ﴾ أي في المنام لقوله تعالى: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ﴾ كما سيأتي ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ﴾ أبوه يعقوب عليه السلام ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ﴾ تذكر ﴿رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ فيفهموها ويحسدوك عليها ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ﴾ في إضرارك ﴿كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ يأمر بالفحشاء والمنكر والبغي ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي كما أراك هذه الرؤيا ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ أي التفكر في الأمور الواقعة والآتية من

الملكية والسياسية لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩] فيشمل تعبير الرؤيا ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ يعلم قابلها لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ﴿حَكِيمٌ ۝٦﴾ يتم أمره بالحكمة كيف يشاء كما فعل ﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾[1] آيات مانعة عن الحسد فكيف يحسدونك لقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

اذكروا ﴿إِذْ قَالُوا۟﴾ أي إخوة يوسف بعد ما رأوا وُدَّ أبيهم ليوسف ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ بنيامين ﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعة قوية ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾ حيث يعرض عمن يفيد إلىٰ من لايفيد ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ أي اتركوه في أرض ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ حيث لا يكون له مواجها ﴿وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩﴾ بالتوبة والاستغفار لأن الله ﴿هُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥] ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ﴾ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٢] ﴿وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ أي ظلمات البئر ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ المسافرين الواردين عليها حيًّا ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝١٠﴾ فسلموا واجمعوا على هذا الرأي فاتفقوا عليه و ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۝١١﴾ أي مخلصون. قال: ماذا؟ قالوا: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ﴾ يأكل الثمرات ﴿وَيَلْعَبْ﴾ مع الصبيان ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝١٢﴾ أن يصيبه شيء ﴿قَالَ﴾ يعقوب ﴿إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ﴾ أي إذهابكم إياه ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۝١٣﴾ مشغولون بأشغالكم ﴿قَالُوا۟﴾ وقد تلقوا من أبيهم إمكان أمر الذئب ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝١٤﴾ بل أخسرون فأجازهم يعقوب لإذهابه ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ فعلوا ما راموا ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ أي ألهمنا إلىٰ يوسف ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا

---

(١) وذلك أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف وسألوا عن انتقال ولد يعقوب من كنعان إلى مصر، فذكر الله لهم قصة يوسف جميعها (معالم ٤/ ٢١٧).

يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ بك قبل إخبارك إياهم. ﴿وَجَآءُوٓ﴾ بعد ما فعلوا ما فعلوا ﴿أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾﴾ بل يتباكون ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ أي نسابق بيننا ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ أظهروا ما تلقوا من قول أبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ لأنك سيء الظن فينا ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ مصنوع من عندهم بذبح الشاة ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زينت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي أمري وشأني صبر جميل لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٦] ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣].

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ مسافرون كما حسب إخوة يوسف ﴿فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ﴾ للماء ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ فرأى يوسف في البئر لعله كان قاعدًا علىٰ حجر كان هناك ﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ﴾ أي وقت سرور وبشارة ﴿هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ﴾ أي السيارة ﴿بِضَٰعَةً﴾ أرادوا أن يبيعوه بثمن غال ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ﴾ أي باع[1] السيارة يوسف لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ﴾ الآية ﴿بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ ناقص ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ ثلاثة أو أربعة ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ غير الراغبين لظنهم أنه عبد ابق ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن﴾ أهل ﴿مِّصْرَ﴾ هو العزيز ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ زليخا ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ أي إقامته ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ أي كما بلغناه إلىٰ بيت العزيز في عزة وإكرام ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي وضعنا قبوله في أرض مصر وفعلنا به ما فعلنا ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ أي نجربه التفكر في الأمور الآتية لما مر ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ فيظنون أنهم معجزو الله ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ عقلا ﴿وَعِلْمًا﴾ بالكتب السماوية ومعرفة بالله ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ أي نهديهم هداية خاصة لقوله تعالىٰ: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾

---

(١) وقول من قال: البائعون كانوا إخوة يوسف ليس بصحيح لأن الله سبحانه ذكر شراء واحدًا ولاشك أن المشتري كان من أهل مصر فكيف يكون البائعون إخوة يوسف وهم لم يذهبوا إلىٰ مصر فافهم.

[المائدة: ١٦] ﴿وَرَٰوَدَتْهُ﴾ أي أزلته ﴿ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي اشتهت زليخا منه نفسه ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ أي ائت إلىٰ مفسدة النية ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ أي أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين الزانين ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي الشان ﴿رَبِّىٓ﴾ الله ﴿أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ بالحكم والعلم ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ المضيعون مناصبهم بالمعاصي لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾ [التين: ٤، ٥] ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ﴾ قصدت زليخا بالفحشاء ﴿بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ أي لولا أن تفكر في مرتبته من العلم[1] والنبوة لقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ[2] مِّن رَّبِّى﴾ [هود: ٢٨] وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧] وجملة «هَمّ بِهَا» جزاء مقدم ولولا أن رأى شرط مؤخر أي لولا أن تفكر في شأنه ومرتبته لقصد بها ماقصدت به لقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أريناه برهانه ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا[3] ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ كلاهما ﴿ٱلْبَابَ﴾ أي باب البيت ﴿وَقَدَّتْ﴾ زليخا آخذةً ﴿قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا﴾ وجدا ﴿سَيِّدَهَا﴾ العزيز ﴿لَدَا ٱلْبَابِ﴾ قائما يستفتح ﴿قَالَتْ﴾ مستقدمة ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ سوى السجن ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ طلبت مني ما اشتهت ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ صبي[4] (للحديث) ﴿مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ أي أظهر رأيه هكذا ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ﴾ شق ﴿مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ فإنه يظهر بهذا أنه أرادها وهي دافعة له ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ لأنه يظهر حينئذ أنها أخذته مدبرًا.

﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ العزيز ﴿قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ﴾ أيتها النساء ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ خاطبها مع من تتعلق بها من الخدمة ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾

---

(١) قال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه: البرهان النبوة التي أودعها الله في صدره حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل (معالم ٤/ ٢٣٣).

(٢) البينة والبرهان واحد (منه).

(٣) هذا تعليل لصرف السوء عن يوسف يدل على أنه عليه السلام لم يرد بها سوءًا لقوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠ و ص: ٨٣] (منه).

(٤) رواه الطبري (٧/ ١٩١).

أي لا تبال به ﴿وَٱسْتَغْفِرِى﴾ يازليخا ﴿لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾ ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا﴾ غلبها ﴿حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ حيث تريد خادمها وهي أشرف منه لقوله تعالى: ﴿﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ﴾ [النحل: ٧٥] ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ﴾ زليخا ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾ أي تعييبهن ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ أي دعتهن ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ لأن أهل مصر كانوا يومئذ يأكلون بالسكين كما يأكل أهل أوروبا ومن دان عادتهم اليوم ﴿وَقَالَتِ﴾ ليوسف ﴿ٱخْرُجْ﴾ مواجهًا ﴿عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ أي وجدنه ذا كبرياء وعظمة ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ مشتاقات إليه ﴿وَقُلْنَ﴾ متعجبات ﴿حَٰشَ﴾ العظمة ﴿لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ مع هذا الحسن والعظمة ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ في بيوتكن بلا رؤيته ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ﴾ وأنا معذورة كما رأيتن ﴿عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ أي لم يمل إليّ ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ﴾ بتهمة كاذبة ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ الأذلين فلما سمعن كلامها رغبنه في إجابتها ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ من الفحشاء ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ﴾ أمل ﴿إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ الذين يعصون أمر ربهم لقوله تعالى: ﴿﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء: ١٧] ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ كما دعاه ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُم﴾ أي لعزيز ومن معه ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ الدالات على غلبة حبها إياه ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾ لكي تسكن إلىٰ غيره.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ من خدمة السلطان ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ﴾ في المنام ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ ﴿وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ﴾ يوسف ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾ اسمعا أني أذكر لكما ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ أي ما ملت إليها قط ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ تعليمه تعالى التوحيد بل يكفرونه لقوله

تعالى: ﴿۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨] ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ أي كثيرون ﴿خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ لا شك أن الله الواحد خير لقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٣٠] وقول الشاعر:

أربًّا واحدًا أم ألف رب أدين إذا تقاسمت الأمور

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ لا مسمى لها كما زعمتم من أنها قاضية لحاجاتكم لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٨] ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي بعبادتها ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾ حكم ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ لا عوج له لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ فيجهلون ويكفرون ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ﴾ مالكه ﴿خَمْرًا وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء: ٤٧] ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ السلطان أني محبوس بغير جرم ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ أي تذكيره حال يوسف ﴿فَلَبِثَ﴾ يوسف ﴿فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾ بعد بضع سنين ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾ في المنام ﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ هزلات ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ﴾ أي عبروا هذه الرؤيا ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟﴾ هي ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ أي مخلوطة بالوهم ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾ ۞ أي من الذين دخلا معه السجن ﴿وَٱدَّكَرَ﴾ ذكر ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ مدة مديدة ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ فأجازوه فذهب إلى يوسف فقال يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى﴾ رؤيا ﴿سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ الذين أرسلوني ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ فإنهم متحيرون في هذه الرؤيا فعبرها ثم دبرها ﴿قَالَ

﴿تَزْرَعُونَ﴾ أي ازرعو ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ متواليا ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ لأنه يكون زائدًا على حاجتكم جدًّا ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ﴾ بالجدب ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ تحفظون للبذر ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي بعد سبع سنين ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ بالماء والزرع ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ الأعناب لكثرتها فلما سمع الملك قبل قلبه هذا التعبير.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾ قال ليوسف أن الملك يدعوك ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي الملك ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ بالسكين لا أفتش هذا الأمر لأجل البراءة عند الله لأنه ﴿إِنَّ رَبِّي﴾ أي الله ﴿بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ بل أفتش لأجل أن يظهر للناس أصل الأمر لئلا يتهموني لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان: ٧٢] وقوله عليه السلام: «اتقوا مواضع التهم»[1] ﴿قَالَ﴾ الملك للنساء ﴿مَا خَطْبُكُنَّ﴾ أي علمكن بحاله ﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ أي سبحان الله ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ زليخا ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ أي ظهر أصل الحقيقة أني ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ قال يوسف وهو في السجن ﴿ذَٰلِكَ﴾ التفتيش ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ لا يستر ﴿كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس: ٨١] ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ طبعًا لقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [آل عمران: ١٤] ﴿إِلَّا مَا﴾ أي من ﴿رَّحِمَ رَبِّيٓ ۚ﴾ إيّاه رحمة خاصة فهو يكون محفوظا لقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩] ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ﴾ أي أجعله مقربًا عندي لكمال علمه فجاء يوسف ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ يوسف وعرفه الملك بلياقته ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ﴾ يوسف ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي

---

(١) ذكره الغزالي في (إحياء علوم الدين) (٣/ ٤٨) وقال الحافظ العراقي في تخريجه: لم أجد له أصلًا، وذكره الحافظ العجلوني في (كشف الخفاء) (١/ ٤٥) وقال: لكنه بمعنى قول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: من سلك مسالك الظن اتهم. ورواه الخرائطي في (مكارم الأخلاق) مرفوعًا بلفظ: «من أقام نفسه مقام التهم فلا يلومن من أساء الظن به».

حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ﴾ أي كما بلغناه بحضرة الملك ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي في أرض مصر بالحكومة ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ الذين يحسنون الظن بالله حين البأساء والضراء لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ كقوله تعالى: ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى: ١٧] ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ زمن القحط ﴿فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ لا يعرفونه ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى[1] بِأَخٍ لَّكُم﴾ بنيامين ﴿مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ إما متعلق بالفعل أو مستقر صفة للأخ ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾ للضيف ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ﴾ ميرة ﴿لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ فعلنا به قبل مثل ذلك ﴿وَقَالَ﴾ يوسف ﴿لِفِتْيَٰنِهِ﴾ غلمانه ﴿ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ﴾ دراهمهم ﴿فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ إلينا. قال هذا القول في نفسه، لأنه لا حاجة له في الإظهار للغلمان ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ﴾ يعقوب ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ إن لم ترسل معنا بنيامين ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ﴾ أي لا ﴿ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ وستفعلون به كما فعلتم بأخيه يوسف فحفاظتكم ليس بشيء ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ قد رضي بإرساله ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ﴾ سواها ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ أي لأهلنا ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾ لن يكفي عيالنا ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا﴾ موعدًا ﴿مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ﴾ لا محالة ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ﴾ فيخرج الأمر من وسعكم، فلا ضير عليكم ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ كما طلب منهم ﴿قَالَ﴾ يعقوب ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ

---

(١) لعله عليه السلام كان سألهم عن أحوال أهل البيت فأخبروه: بأن لهم أخًا آخر عند أبيهم، فطلب منهم أن يجيئوا به (منه).

﴿وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾ شهيد يسأل الناقض وعده لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦] ﴿وَقَالَ﴾ ناصحًا لهم ﴿يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟﴾ مصر ﴿مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ ﴿وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧] ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ من أبواب متفرقة ﴿مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم﴾ يعقوب ﴿مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً﴾ مشتهاة ﴿فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ بإظهارها فالاستثناء منقطع ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ لا لغيره لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ فيعتقدون في المشايخ ما ليس من شأنهم من علم الغيب والقدرة علىٰ إمضاء الأمور.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ﴾ ضم ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ أي أظهر حاله عليه خفية ﴿قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ العيني ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ بك من عدم المحبة وقلة الاعتناء ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾ أي أمر بإخفائها ﴿فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ باسترضائه فأمر[1] بالتماسها ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ من عنده، ولايقول يوسف عليه السلام: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟﴾ أي إخوة يوسف ﴿وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ تجسسون ﴿قَالُوا۟﴾ أي الحراس ﴿نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾ لأن السقاية كانت من بيت المال، وإلا فيوسف لم يكن بعد ملكًا، ولا بعد ذلك قط، لقوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ (ستأتي) ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ إنعامًا ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾ ضامن ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾ قط ﴿قَالُوا۟﴾ أي الحراس ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ﴾ الصواع ﴿فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ لعلهم قالوه من عند أنفسهم، لأنه ليس بموجود في التوراة ولا

---

(١) دفع دخل يرد هٰهنا: وهو أن يوسف لِمَ نسب إليهم السرقة والحال أنهم ليسوا بسارقين؟! والدفع بأن يوسف ما نسب إليهم السرقة، بل أمر بالتماسها.. فأذن مؤذن من الحراس بما أذن، كما يفعل الحراس من تحريف الكلام في زماننا. من شاء فليجرب.

في القرآن ﴿فَبَدَأَ﴾ يوسف أي أمر ﴿بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ دفعًا للاشتباه ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ علمنا الحيلة وإلا ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ﴾ أي قانون ﴿الْمَلِكِ﴾ السلطان، لأنه ما كان جزاء السرقة هذا ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ فيلقي في قلبه أن يبدل قانونه إلىٰ هذا ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ بالفهم والذكاء ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ أي من كان علمه ذاتيًا وهو الله لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ﴾ بنيامين فلا عجب ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ﴾ يوسف ﴿مِن قَبْلُ﴾ كذبوا[1] ترفعًا عنهما لقوله تعالىٰ حاكيا عنه: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ أي لم يظهر الغضب على هذه المقالة صراحة ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾ من سرقة يوسف ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ خاطبوا بلقب يوسف عليه السلام من حيث العهدة في الحكومة ﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ لا يستطيع فراقه ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ عوضه من تشاء ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ فأحسن إلينا إن الله يحب المحسنين ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أي نعوذ بالله من ﴿أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ﴾ لم يقل من سرق متاعنا لأنه ما كان أخوه سارقًا ﴿إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا﴾ يئسوا ﴿مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ حال أي يناجون بينهم ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ يهودا ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ بتخليص بنيامين ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ بالمشاهدة ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ أي مصر ﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ فيما قلنا، فلما أخبروا أباهم ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ أي أنكرت قلوبكم نسبة السرقة إلىٰ بنيامين بالقرائن. ومع هذا فرحتم بهذا شماتة عليه ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ خبر المبتدأ أي أمري وشأني لقوله

---

(١) قد أوّل بعض المفسرين كلامهم هذا بتأويلات باردة. والحق أنه تكلف وتجشم محض (منه).

تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٦] ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا﴾ يوسف وبنيامين ويهودا كبيرهم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ في كل ما يفعله حكمة بالغة ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ يعقوب ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ مغموم مكروب ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ﴾ أي لا تزال ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ قريب الموت ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى﴾ شكايتي ﴿وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لا إليكم ولا إلىٰ غيركم من المخلوق لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧] ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ من رؤيا[1] يوسف ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ لقوله عليه السلام: «**اتقوا فراسة المؤمن! فإنه ينظر بنور الله**»[2] (الحديث).

﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ أي رحمته ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ [فصلت: ٤٩] ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ أي علىٰ يوسف ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ بالقحط والجدب ﴿وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ غير مقبولة ﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾ ولا تلتفت إلى أن أخطأ منا أحد ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ من عندك زائدًا علىٰ ما عندنا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ﴾ مترحمًا عليهم لما رأىٰ من سوء حالهم ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾ من إلقائه في غيابة الجب ﴿وَأَخِيهِ﴾ من عدم الالتفات إليه وإيذائه ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾ لا تعلمون مآل فعلكم ﴿قَالُوٓاْ﴾ بعدما تفكروا ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ فلم يستطع يوسف أن يكذب في جواب هذا السؤال فلذا ﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ بفضله بإعلاء درجتنا في الدين والدنيا ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾ المعاصي كما اتقيت الزنا والفحشاء

---

(١) إذ لو كان بإلهام الله إياه لم يحزن فافهم.

(٢) رواه الترمذي رقم (٣١٢٧) في التفسير باب (ومن سورة الحجر) وفي سنده عطية العوفي وهو ضعيف. وأورده السيوطي في الدر المنثور (٤/١٠٣) وزاد نسبته لابن جرير وابن أبي حاتم والبخاري في التاريخ وابن السني وأبي نعيم معًا في الطب وابن مردويه والخطيب، وهو ضعيف عندهم جميعًا.

﴿وَيَصْبِرْ﴾ على المصائب كما صبرت علىٰ مصائب السجن يفز[1] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ الذين لا يفزعون على التكاليف بل يرجون من الله الخير ويتقون ما نهاهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح: ٦]. ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالنبوة والحكومة ﴿وَإِن﴾ مخففة ﴿كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾ مذنبين لما خافوا علىٰ أنفسهم من يوسف ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿لَا تَثْرِيبَ﴾ زجر ﴿عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ﴾ يصر ﴿بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ من مصر ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ يعقوب ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ﴾ بإعلام الله تعالىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾ تنسبونني إلى الجنون ﴿قَالُوا۟﴾ أهل بيته ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ﴾ أي سهوك ﴿ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ لتصور عودة المعدوم ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ أن صلة ﴿أَلْقَىٰهُ﴾ كما أمر يوسف ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ﴾ صار ﴿بَصِيرًا ۖ قَالَ﴾ يعقوب ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾ يا بني ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ﴾ توفيق ﴿ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ﴾ في الخلوة ومواقيت الإجابة لقوله تعالىٰ: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٨] ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ لمن تاب وآمن وعمل صالحًا فانطلقوا كلهم كما أمرهم يوسف ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ وهو كان قد خرج مستقبلًا لهم ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ من كل فزع وجزع ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أي على المكان المرتفع ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ﴾ أي قاموا وجاهه خاضعين[2] ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ

---

(١) إشارة إلىٰ حذف الجزاء (منه).

(٢) لأن يوسف كان قد رأىٰ أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر، وهما أبواه، له ساجدين. والحال أن أبويه علىٰ العرش، فلا بد أن يؤول السجدة بالتعظيم كقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ=

﴿هَٰذَا﴾ أي ما ترىٰ من مقامكم ومقام إخوتي ﴿تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ﴾ ما قد قصصت عليك ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ مرة ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَ﴾ أخرىٰ إذ ﴿جَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ بإغوائهم علىٰ ما فعلوا ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ أي يفعل ما يشاء بلا كلفة مانع ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ ثم توجه إلى الله وقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ أي من الحكومة تحت السلطان ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ لك ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ﴾ أي ما ذكر من قصة يوسف ﴿مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ علىٰ إلقاء يوسف في غيابة الجب ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ يدبرون لإلقائه ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي السائلين عن قصة يوسف ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ لعنادهم وإصرارهم على الكفر ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ﴾ أي ما يوحىٰ إليك ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ لا يلتفتون إليها ولا يعتبرون بها لقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ في العبادة أو المحبة أو الاتباع في غير الحق لقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] وقوله تعالىٰ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] ﴿أَفَأَمِنُوا﴾ أأشركوا فأمنوا علىٰ الشرك من ﴿أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ﴾ تغشاهم ﴿مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ ظرف مستقر صفة لغاشية ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ أي الموت ﴿بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَٰذِهِ﴾ العبادة الخالصة لله تعالىٰ ﴿سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ بعلم لا يزول لقوله تعالىٰ: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [النجم: ١٢] ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ من المؤمنين يدعو علىٰ بصيرة لقوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ

= عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: ٥٨] فافهم (منه). [كان السجود في تلك الحال ممكنا فلا حاجة إلى هذا التأويل].

صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢] لارتفاعهم إلىٰ مرتبة الكمال لقوله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيهًا له من الشرك ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

انظر كيف يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ﴿وَ﴾ الحال أنا ﴿مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ لا نساءً ولا ملائكةً ﴿نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾ أي المشركون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الهلاك والعذاب ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ التجاوز عن حدود العبودية لقوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣] ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ إن الله لا يضيع أجر المحسنين لقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨] ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية ﴿إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ من إيمان القوم لقوله تعالىٰ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [هود: ٣٦] ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ أي من المؤمنين أي ظنوا أن المؤمنين لا يوفون بعهدهم منا لما أصيبوا من الكفار غاية وسعهم ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤] ﴿فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ﴾ من المؤمنين ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ﴾ أي في قصة يوسف وإخوته ﴿عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ حيث لم ينالوا ما راموا. ولم يضروا من حسدوا لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧] ﴿مَا كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن﴾ كان القرآن ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب السماوية ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من أمور الدين ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ لأنهم هم المنتفعون به لقوله تعالىٰ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥].

سورة الرعد مدنية وهي ثلاث وأربعون آية

﴿الٓمٓرٰ﴾ أنا الله أعلم وأرىٰ ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ السماوي ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ الجملة مستأنفة ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواء يليق بشأنه ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لا يتجاوزه لقوله تعالىٰ: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس: ٤٠] ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ يمضي الحكم لقوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤] ﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي يبين الأحكام ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ أي دحاها لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠﴾ [النازعات: ٣٠] ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً مرتفعات ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ بحارًا ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ صنفين الأعلىٰ والأدنىٰ ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ﴾ مختلفة ﴿مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾ مجتمعة في الأصل ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ يتفهمون أن المادة واحدة والماء واحد، فإن لم يكن له علة فاعلية فكيف التفريق لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ [النجم: ٤٢].

﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ﴾ يا محمد من إنكارهم ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ في الواقع يقولون: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي كيف يجمع الله عظامنا وترابنا لقوله تعالىٰ: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾ [ق: ٣] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ لاعتقادهم نفي صفاته الكاملة عنه، وإن أقروا بوجوده ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ أي يسألون العذاب ولا يسألون العافية لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ- إلىٰ قوله تعالىٰ - أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٢] ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ أي

أمثالهم لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [القمر: ٥١] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ ﴾ وإنَّ لكلا صفتيه متعلقًا به خاصًّا لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء: ٤٨] وقوله تعالىٰ: ﴿ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ﴾ [الزمر: ٥٣] ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ ﴾ أي لم يعط تصرفا في المعجزات كيفما نشاء لقوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ - إلىٰ قوله - وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣] ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ﴾ أي ليس لك تصرف في خلق الآيات لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ ﴾ [الرعد: ٣٨] ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾ مر قبلك لقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [فاطر: ٢٤]. ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ من ذكر أو أنثىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ ﴾ [لقمان: ٣٤] ﴿ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ ﴾ في أيام الحمل، أي يعلم أي قدر تنقص بعد الوضع وأي قدر تزداد قبل الوضع. قال الحكماء: الرحم تزداد إلىٰ خمسمائة أضعاف ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ لا يتجاوزه لقوله تعالىٰ: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢] ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ لايساويه في رتبته أحد لقوله تعالىٰ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورىٰ: ١١] ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ ﴾ ماش ﴿ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ ﴾ أي ملائكة يتعاقب بعضهم بعضًا ﴿ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ ﴾ أي يكتبون أعمال الإنسان ويحفظونها لقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢] وقوله تعالىٰ: ﴿ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الزخرف: ٨٠] ﴿ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ أي بأمره ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ ﴾ من نعمة ﴿ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ ﴾ من الخصلة الحسنة المستلزمة لها لقوله تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ ﴾ [الأنفال: ٥٣] ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٧] ﴿ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ ولي يتولىٰ أمورهم لقوله تعالىٰ: ﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ ﴾ [الشورىٰ: ٩] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي بالخوف وبالطمع ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾ ثقل السحاب لأجل الماء ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ﴾ أي الصوت الخارج من السحاب ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ لكن لا يفهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ حال أي خائفين ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ﴾ أي المشركون ﴿يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾[1] أي في ذاته وتوحيده وأحكامه ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾.

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ أي يجيب من دعاه لقوله تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢] ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ كائنًا من كان مسيحًا كان أو غيره ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ أي لا يقضون لهم بشيء لعدم قدرتهم لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ [الجن: ٢١] فليس حالهم ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ﴾ الماء ﴿فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ أي الذي يدعو من دون الله ليس شأنه في سوء العاقبة والخسران إلا كمثل هذا الرجل بل أقبح منه لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١] ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ من غير الله ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ لعدم الإجابة لهم ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾ ينقاد لله تعالىٰ ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الملائكة ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ من الإنس والجن ﴿طَوْعًا﴾ رغبة وهم المؤمنون لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠] ﴿وَكَرْهًا﴾ حال الإكراه بلا نشاط من القلب وهم الكفار ومشابهوهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ [فصلت: ٥١] ﴿وَ﴾ يسجد ﴿ظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿١٥﴾﴾ أي تنقاد له وتتأثر من أثره لقوله تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢].

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يربيهما ويمسكهما عن الزوال لقوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ﴾ [فاطر: ٤١] ﴿قُلِ ٱللَّهُ ۚ﴾ فإنهم مقرون بهذا لقوله

---

(١) نزلت في شأن أربد بن ربيعة، حيث قال للنبي ﷺ: مم ربك أمن درٍّ أم من ياقوت أم من ذهب؟ فنزلت صاعقة من السماء فأحرقته (معالم ٤/ ٣٠٤).

تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٨، ٨٩] ﴿قُلْ أَ﴾ أقررتم بتصرفه تعالىٰ ﴿فَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ ترجونهم خيرًا وهم من القدرة بمعزل ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ والمخلوقون كلهم فيه سواء لقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ في أمر الرؤية ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ أي الضدان متساويان. لا. كذلك الخالق والمخلوق. والقادر والعاجز. ضدان لا يتساويان لقوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٧] ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ أي إن كان لهم خلق فالتشابه لازم ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ وحده ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ يضبط كل مخلوق لا يخرج عن حكمه وإحاطته شيء لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرحمن: ٣٣] من كمال قدرته أنه ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ أي ينزل دائمًا لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: ٣١] ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ﴾ عاليًا ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ﴾ لأجل ﴿حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ﴾ يعلو عليه ﴿مِّثْلُهُۥ﴾ هذا مثل التوحيد والبر والشرك والفجور أي كما أن الزبد غير النافع يكون عاليًا على الماء النافع لكثرته كذلك التوحيد والإصلاح مغلوب بالشرك والفساد لقلة أهلهما وكثرة أهلهما لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣] ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ﴾ يبين ﴿ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ﴾ أي يكون الحق مختفيًا لضعف ناصريه ابتداء ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ ضائعًا لا يفيد ولا يلتفت إليه أحد ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من الماء الخالص ﴿فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ أي الشرك والأعمال المتعلقة بأمور الدنيا منتهية إلى الموت والأعمال الصالحة ثابتة لأهلها لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٦] ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ﴾ بالإيمان والثبات عليه لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ الآية. [فصلت: ٣٠] ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي العاقبة الحسنىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣] ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ

﴿يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ أي لم يؤمنوا به كما أمر ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ ليتخلصوا من العذاب ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾ قلبا لا يتذكر ولا يتعظ لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦] ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾﴾ هم ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ أي ما عاهدوه سبحانه ﴿وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾﴾ بينهم ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ من التعلقات فيما بينهم، وبينهم وبين الله لقوله تعالىٰ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦] ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ﴾ أي لأجل ابتغاء ﴿وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا﴾ في سبيل الله ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ بالإخلاص ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ فالجملة أن الذين لا يتجاوزون حدود العبودية لهم العاقبة الحسنىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣] ما عقبىٰ الدار؟ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ هم ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ كائنًا من كان بشرط الصلاح ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ يقولون: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ أي أثبتم أنفسكم على الطاعات ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ لكم ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ توثيقه وقت المصائب لقوله تعالىٰ حاكيًا عنهم: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يونس: ٢٢] ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي﴾ مقابلة ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾﴾ شيء قليل لقوله تعالىٰ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ أي علىٰ محمد ﷺ ﴿آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ مما اقترحنا لقوله تعالىٰ حاكيًا عنهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ . .﴾ الآية [الإسراء: ٩٠، ٩١] ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ بعد

رؤية الآيات لعنادهم واستكبارهم، كما ضلوا بعد رؤية الآيات لقوله تعالىٰ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ [القمر: ١، ٢] وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ [الأنعام: ٢٥] ﴿وَهَدَىٰ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ۝٢٧﴾ إليه أي خاف عقابه وخشي عذابه لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الموصول مبتدأ أي الذين لا يذكرون الله مضطربين بأفكارهم، ولا يحضرون مجالس ذكر الله متفكرين بأشغالهم بل متوجهين بقلوبهم لقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١، ٢] وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ السليمة من الأمراض أي من شأن القلوب السليمة أن تطمئن بذكر الله لا القلوب المريضة لقوله تعالىٰ: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۝٤٦﴾ [الحج: ٤٦] الجملة معترضة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ ثان ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ۝٢٩﴾ خبر للموصول الثاني والجملة خبر للموصول الأول ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما أرسلنا رسلًا قبلك ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ أي بلا نذير ونبي لقوله تعالىٰ: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ۝٦﴾ [يس: ٦] ﴿لِتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ من القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ أي يكفرون - بالذي عمتهم رحمته - لعنادهم لك وتعنتهم على الله لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۝٦٠﴾ [الفرقان: ٦٠].

﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۝٣٠﴾ رجوعي ورجوع كل شيء لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۝٨﴾ [العلق: ٨] ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ﴾[1] أي بتلاوته ﴿الْجِبَالُ﴾ عن أماكنها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ﴾ ﴿مَّا كَانُوا﴾[2]

---

(١) نزلت في نفر من مشركي مكة فيهم أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية جلسوا خلف الكعبة فأرسلوا إلى النبي ﷺ إن سرك أن نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فأذهبها عنا واجعل لنا فيها عيونا وأنهارًا لنغرس فيها الأشجار ونزرع ونتخذ البساتين (معالم ٤/ ٣١٩).

(٢) إشارة إلىٰ حذف الجزاء وتعيينه فافهم.

﴿لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١] ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أي لم يعلموا ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ هو تحت قدرته لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣] فلم تضطرب علىٰ كفرهم لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾ من الكفر والشرك والعناد للحق ﴿قَارِعَةٌ﴾ مصيبة علىٰ أنفسهم ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ أي علىٰ حلفائهم ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ بالفتح للمسلمين لقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ﴾ [النصر: ١، ٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٣١﴾ ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بغتة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٣٢ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ﴾ محافظ ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي من كان قادرًا علىٰ إعطاء أجر على الأعمال وهو الله كمن ليس كذلك وهو غيره تعالىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [يونس: ١٨] ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ﴾ لهم ﴿سَمُّوهُمْ﴾ من هم؟ وما خلقوا لكم؟ لقوله تعالىٰ: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الأحقاف: ٤] ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي بما ليس هو في الوجود إذ ما كان في الوجود فهو يعلمه لقوله تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠١﴾ [الأنعام: ١٠١] ﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي تقولون بأفواهكم ما ليس في قلوبكم لقوله تعالىٰ حاكيًا عنهم: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥] ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ﴾ أي أعمالهم السوء ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المستقيم ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ يطرده عن جنابه ويحرمه عن هدايته على عناده ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٣ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بما شاء الله من الهزيمة وغيرها لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢١﴾ [السجدة: ٢١] ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ من عذاب الدنيا لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١] ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ۝٣٤﴾ يقيهم عذاب الله.

﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ أي نعماؤها

ولذاتها دائمة لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾[1] [الإنسان: ١٣] ﴿تِلْكَ﴾ الجنة ﴿عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي فهم الكتاب السماوي وعلم معانيه لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧] ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن لما يعرفونه الحق لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾ [سبأ: ٦] ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ المنكرين ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ﴾ وهو المتعلق بالتوحيد والمعاد لقوله تعالىٰ: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾﴾ [ص: ٥-٧] وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾ [سبأ: ٧، ٨] ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ﴾ كما أنزلنا قبلك من الكتاب ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ أي القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ يقيك عذاب الله ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا﴾ يسكنون إليهن لقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] ﴿وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ أيّة آية كانت ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ليس له دخل في إيجاد الآية لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ أي لكل أمر وقت مؤقت عند الله لا يتجاوزه ولا يتقدم ﴿يَمْحُو اللَّهُ﴾ أي يعدم بعد الوجود ويفني ﴿مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ أي يديمه زمانًا طويلًا لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾ أصل الكتاب الذي يؤخذ منه العلم وهو صفة علم الله لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] كما مر مرارا أي هو يعلم كل موجود ومعدوم ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من الفتوح وغلبة الإسلام ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبله فالأمر سواء ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ لأن الدين

---

(١) الظل المعروف موقوف على الشمس. وإذ ليست فليس، فالظل كناية عن النعماء فافهم (منه).

دين الله سبحانه لا غير لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ﴿أَ﴾ يقولون كذا وكذا ﴿وَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾ أرض الكفر ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ﴾ بنشر الإسلام حوالي مكة المكرمة زادها الله شرفًا وتعظيمًا. وقد حان أن يعدم الكفر بالكلية لقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ [النصر: ١، ٢] ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ﴾ ما يشاء ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ بنسخه لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣] ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝١١﴾ يستطيع أن يأخذهم في ساعة بل في لمحة لقوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝١٧﴾ [تبارك: ١٦، ١٧]. ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ في مقابلة الأنبياء فلا تحزن ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ﴾ أي في قبضته فلا يفوزون فيه بلا مشيئته سبحانه لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩] ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ﴾ من الخير والشر فيجازيهم ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٤٢﴾ وهم المؤمنون لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٨٣﴾ [القصص: ٨٣] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ﴾ يا محمد ﴿مُرْسَلًا ۚ﴾ من الله ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ يشهد هو بنفسه علىٰ نبوتي بإظهار الغلبة إن شاء الله كما فعل سبحانه فالحمد لله ﴿وَ﴾ كفىٰ شهيدًا ﴿مَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ۝٤٣﴾ أي من يعلم معاني الكتب السماوية وأسرارها لقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝١٩٧﴾ [الشعراء: ١٩٧].

سورة إبراهيم مكية وهي اثنتان وخمسون آية

﴿الٓر ۚ﴾ أنا الله أرىٰ ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي لتريهم طريق الحق ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ ففيه أيضًا تربيته تعالىٰ للناس لقوله تعالىٰ:

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فهو مالكهم ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ﴾ [القصص: ٦٨] ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢﴾ من هم؟ ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي يفعلون ما يفيدهم في الدنيا ويتركون ما ينفعهم في الآخرة لقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ۝٢١﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١] ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ﴾ بسؤالات واهية واعتراضات باردة كما يفعله فوادر (قساوسة) النصارىٰ والكفار جميعًا عليهم ما يستحقونه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٣﴾ عن طريق الحق لضلالهم وإضلالهم ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ﴾ لتفهيمهم علىٰ محاوراتهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ﴾ [فصلت: ٤٤] ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ أي يكون نتيجة الإرسال الهداية للطائعين والإضلال للغاوين لقوله تعالىٰ: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧٠﴾ [يس: ٧٠] ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ يحكم بما تقتضي حكمته القاهرة ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي بانقلاب الأيام[1] ليلًا ونهارًا وسعة وضيقا لقوله تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي ما وقع لهم من أيام الله ﴿لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على البلاء ﴿شَكُورٍ ۝٥﴾ على النعماء ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ كما أمره الله ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ﴾ لئلا تكثروا ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ الإنجاء ﴿بَلَآءٌ﴾ نعمة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦﴾ ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ تَأَذَّنَ﴾ أعلم بني إسرائيل ﴿رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ﴾[2] علىٰ نعمائي ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧﴾

---

(١) الثورة الأفغانية التي حدثت في شهر رجب سنة ١٣٢٤هـ داخلة في أيام الله أيضاً (منه).

(٢) الباب السادس والعشرون من الكتاب الثالث من التوراة (منه).

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ يا بني إسرائيل ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ فلن تضروا الله شيئًا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن العالمين ﴿حَمِيدٌ ۝٨﴾ بذاته.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أهلكهم الله ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ﴾ أحد ﴿إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي تعجبوا من تعليمهم لقوله تعالىٰ: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٩] ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩﴾ الشك بمعنى الإنكار أي في تكذيب شديد يتردد من يستمع دلائلنا لقوله تعالىٰ: (إنا كفرنا) الآية بالتأكيد ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ﴾ أي في عبادة الله وحده ﴿شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وكل ما فيهما ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ باقتضاء رحمته ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ بالخير والعافية أي يعافيكم إلىٰ آجالكم لقوله تعالىٰ: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾ [نوح: ١١، ١٢] لا بتأخير الأجل لقوله تعالىٰ: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤] ﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ دليل واضح هو المعجزة ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ لا شك ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ بالنبوة لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وماطلبتم من سلطان فليس في وسعنا ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فهو يظهره حيث يشاء ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١١ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ ليتوكل ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝١٢﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٣ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ أي أرضهم ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ﴾ الإنعام والإكرام ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ۝١٤﴾ أي من كان مؤمنًا لقوله تعالىٰ:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور: ٥٥] ﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ ﴾ أي طلب المؤمنون الفتح لقوله تعالىٰ: ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٩] ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ من الكفار الذين آذوهم ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾ يلقون فيها ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ ﴾ ما يسيل من جوف أهل النار ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ ﴾ شيئًا فشيئًا ﴿ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾ في الحلق ﴿ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ ﴾ أي العذاب مثل الموت ﴿ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ جانب ﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ ﴾ [طه: ٧٤] ﴿ وَمِن وَرَآئِهِۦ ﴾ سواه ﴿ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾ شديد ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ المعروفة ﴿ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ حار أي حبطت أعمالهم لقوله تعالىٰ: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥] ﴿ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ أي لا يصل إليهم شيء منه لقوله تعالىٰ: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٥] ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ أي أثر الضلال ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ يهلككم ﴿ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ ﴾ أي قومًا آخرين من نوع الإنسان لقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد: ٣٨] ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ ﴾ الخلق ﴿ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ مشكل ﴿ وَبَرَزُوا۟ ﴾ أي يبرز الناس يوم القيامة ﴿ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ حال من الفاعل أي كلهم لقوله تعالىٰ: ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الكهف: ٤٧] ﴿ فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ ﴾ أي يقول الأتباع ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ ﴾ أي لمتبوعيهم ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ﴾ في الدنيا ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ ﴾ ما قلتم من أمر الاتباع فجوابه أنه ﴿ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ﴾ أي ما كان في وسعنا هدايتكم لقوله تعالىٰ حاكيا عنهم: ﴿ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾ [القصص: ٦٣] ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا ﴾ أي سواء جزعنا وصبرنا ﴿ مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ ﴾.

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ في جوابهم لما استنصروه ﴿ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ بالقضاء بين الخلق ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾ كما رأيتم ﴿ وَوَعَدتُّكُمْ ﴾ على الشرك بنجاتكم ﴿ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ قوة ﴿ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ ﴾ فقط إلىٰ المعاصي بإلقاء الشبهات والوساوس في قلوبكم ﴿ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ ﴾

مغيثكم ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ ﴾ أي تبرأت ﴿ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾ أي أشركتم بالله غيره بإغوائي لقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ ﴾ [النساء: ١١٧] كيف لا أتبرأ والحال ﴿ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَأُدْخِلَ ﴾ أي يدخل ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ من الله لقوله تعالىٰ: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس: ٥٨].

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ منصوب بنزع الخافض أي لكلمة طيبة هي كلمة التوحيد لا إله إلا الله لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾[1] [التوبة: ٢٨] ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ راسخ ﴿ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ أي لا يضره من هو أسفل منه ولا من هو فوقه لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فصلت: ٣٠] ﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا ﴾ ثمرها ﴿ كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ ﴾ كذلك المخلص الموحد يؤتيه توحيده وإخلاصه ثمره كل حين لقوله تعالىٰ: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [النور: ٣٧] وقوله عليه السلام في الحديث القدسي: **«ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتىٰ أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها»**[2] (الحديث) ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ أي كلمة الشرك والكفر لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ﴾ [البينة: ٦] ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ ﴾ أقلعت ﴿ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي ﴿ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ أي ليس لها من دليل ولا برهان لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ

---

(١) استدلال بالضد أي لما كانت كلمة الشرك نجاسة والمشركون نجس بنجاستها كانت كلمة التوحيد طيبة فافهم (منه).

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٥٠٢) في الرقاق، وهو من الأحاديث التي انتقدها العلماء على البخاري رحمه الله، ومنهم الحافظ ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم وقال: هو من غرائب الصحيح ولكن للحديث طرق يرتقىٰ. بمجموعها إلىٰ درجة الصحيح وقد صححه بعض العلماء.

﴿ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧] ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ أي ببركة التوحيد ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ لا يزيغون بإغواء المغوي ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ بعد الموت من القبر إلى المحشر وهم الذين يسمعون سماع القبول لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ [الفرقان: ٧٣] وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١] ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي يخلق الضلال على الذين لا يبالون بأحوالهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٩] ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ أي لا مانع لحكمه لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرعد: ٤١].

﴿۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾[1] أي محمدًا رسول الله ﷺ ﴿كُفْرًا﴾ بتكذيبه لقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] ﴿وَأَحَلُّوا۟﴾ أنزلوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ قريشا ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ أي دار الهلاك ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان لدار البوار ﴿يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ أي المستقر ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ تعالىٰ. اللام للعاقبة لا للغاية كما لا يخفىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ[2] إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟﴾ في الدنيا قليلا ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ هو يوم القيامة ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ مفيد ﴿وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ خلة لقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ﴾ أي ينزل ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي من السحاب لما مرّ في الجزء الأول ﴿مَآءً فَأَخْرَجَ﴾ أي

---

(١) نزلت في كفار مكة.

(٢) فإنهم يظهرون غاية فعلهم التقرب إلى الله لا الإضلال فافهم.

يخرج ﴿بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ﴾ ذلل ﴿لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ أي لمنافعكم لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة: ١٦٤] ﴿لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ جاريين علىٰ نهج مستقيم لقوله تعالىٰ: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٤٠] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الروم: ٢٣] ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ أي احتجتم إليه من حيث النوعية لقوله تعالىٰ: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [تبارك: ٣] وما أحسن ما قال الشيخ السعدي في الفارسي:

أبروباد ومه وخورشيد وفلك دركارند تاتونانى بكف آرى وبغفلت نخوري
اين همه بهرتوسرگشته وفرمانبردار شرط إنصاف نباشدكه توفرمان نبري

[السحاب والهواء والقمر والشمس والفلك كلها تعمل لتحصل أنت على رغيف ولا تأكله بغفلة، إن هذه كلها مسخرة وتابعة لك، فليس من العدل أن لا تكون أنت مطيعًا].

﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ عليكم ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾ لكثرتها وعدم إحاطة علمكم بها ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ القضية مهملة في حكم الجزئية لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣].

﴿وَ﴾ اذكروا دعاء إبراهيم بعد ما أريناه ما سخرنا له ولكم لقوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام: ٧٥] ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا﴾ مكة المكرمة ﴿ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ﴾ من ﴿أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾ أي الأصنام ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ النسبة مجازية أي صرن سببا لضلالهم ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ أي من جماعتي ﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ إسماعيل ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا﴾ وفقهم ﴿لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ ليهتدوا[1] منهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤] ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ

---

(١) قد يتوهم من دعاء الخليل جلب منافع الدنيا وشتان بين الخليل وهذا الخيال (منه).

يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾(١) من ليس للتبعيض لقوله تعالىٰ: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ الآية. [الفرقان: ٧٤] ﴿ رَبَّنَا ﴾ افعل كذا ﴿ وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾ كانا حينئذ حيين يرجىٰ إسلامهما لقوله تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة: ١١٤] ﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ كلهم ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ ولكن أهل مكة تركوا اتباع إبراهيم ولجوا في طغيانهم ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ ﴾ يا محمد ﴿ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ المشركون لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣] ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ ﴾ تفتح ﴿ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ ﴾ مسرعين بالمشي ﴿ مُقْنِعِي ﴾ رافعي ﴿ رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ نظرهم ﴿ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ خالية عن الفهم والعقل هذا كله كناية عن شدة الخوف لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الحج: ٢] ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ أي عذاب الموت لقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [المنافقون: ١٠] ﴿ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ﴾ أتقولون كذا ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم ﴾ تيقنتم ﴿ مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ أي تعيشون في الدنيا كأنكم تخلدون لقوله تعالىٰ: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ ﴾ [الهمزة: ١-٣] ﴿ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ من قبلكم ﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾ من الإهلاك والمسخ والخسف لقوله تعالىٰ: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] ﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ﴾ لتفهيمكم

---

(١) قد ترك الخليل عليه السلام هاجر وابنها إسماعيل بمكة ثم جاءهم لما بلغ النكاح وتزوج وقد ولد للخليل إسحاق فهذا وقت هذا الدعاء فافهم.

﴿ٱلْأَمْثَالَ ﴿٢٥﴾﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ﴾ لكم ﴿مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ الآية وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ﴾ [الروم: ٢٨] ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي جزاء مكرهم ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ إن نافية. والجبال: المؤمنون الصادقون الراسخون لقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤] ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ بل كل وَعْدٍ وَعَدَ لكل إنسان لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران: ٩] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾ فكيف يعجز عن إيفاء العهد لا سيما ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ﴾ هذه ﴿غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ صفة وهيئة والظرف متعلق بذو انتقام ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ غير السماوات وصفًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧] وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ [الرحمن: ٣٧] ﴿وَبَرَزُوا۟﴾ أي يبرزون كلهم ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٩٥] ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾﴾ أي القيود ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ﴾ من الخير والشر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ لينتفعوا ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ وخلاصة هذا البلاغ تعليم التوحيد والتقوىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ [النساء: ١٣١] وقوله تعالىٰ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

﴿الٓر ۚ﴾ أنا الله أرىٰ ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾ عطف

تفسير ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ حين يرون العذاب لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان: ٢٧] ﴿ذَرْهُمْ﴾ أي ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ [المزمل: ١٠] ﴿يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ﴾ الذي يأملونه من خسران عاقبة الإسلام ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ عاقبة أمرهم ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾﴾ أي وقت معين لقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف: ٥٩] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ القرآن علىٰ زعمك ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾﴾ لما تخبرنا من الحشر والنشر لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾ [سبأ: ٧، ٨] ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ﴾ كما نطلب منك لقوله تعالىٰ حاكيا عنهم: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الفرقان: ٧] ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨﴾﴾ في دعوىٰ أن الملائكة تنزل عليك ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ علىٰ عامة الناس ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ للفصل والقضاء ﴿وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٢٢] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ أي القرآن لقوله تعالىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ [التكوير: ٢٧، ٢٨] ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ عن التغير والتبدل في الألفاظ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٧-١٩] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ رسلا ﴿فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾﴾ أي الأقوام السابقة ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ﴾ الاستهزاء ﴿نَسْلُكُهُ﴾ ندخله ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ لعنادهم وتكبرهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ أي الهلاكة على عدم الإيمان ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ لارتقائهم إلىٰ السماء ﴿فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾﴾ يرتفعون كما يطلبون منك ارتقاءك لقوله تعالىٰ حاكيا عنهم: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي

﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء: ٩٣] ﴿لَقَالُوٓا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ أي لسنا نعرج حقيقة ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ قد سحرنا محمد ﷺ.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ منازل للنجوم لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٩، ٤٠] ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ أي السماء ﴿لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾ أي لمن أتىٰ منه النظر ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ وستأتي في سورة الصافات ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ دحوناها لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات: ٣٠] ﴿وَأَلْقَيْنَا﴾ أنشأنا ﴿فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾ محدود في قدر لا يتجاوز عنه لقوله تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢] ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ من أسباب العيش يخدم بعضكم بعضا لقوله تعالىٰ: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] ﴿وَمَن﴾ أي لما ﴿لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾ من الحيوانات أي الله رازقكم وإياها لقوله تعالىٰ: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾- إلىٰ قوله سبحانه - وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: ٢٥-٣٢] ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ كثيرة لا تحصىٰ ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ﴾ نخرجه من العدم إلى الوجود ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ معين عندنا ﴿وَأَرْسَلْنَا﴾ أي نرسل ﴿ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ حوامل الماء ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ جامعين عندكم لقضاء حاجاتكم أبدًا لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [تبارك: ٣٠] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ المالكون لكل شيء لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم: ٤٠] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ إلىٰ الخير ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ أي المتأخرين عن الجهاد وغيره لقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ [النور: ٦٣] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ﴾ أي خلقنا آدم من طين يابس لقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ

﴿نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ[1] مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [المرسلات: ٢٠] ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ طين متغير بدل من السابق ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ أي شديد الحرارة لقوله تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن: ١٥] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا﴾ آدم ﴿مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ تعظيمًا له ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ﴾ الله ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ﴾ أي مانع لك ﴿أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾﴾ وقد أمرتك به لقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢] فلا صلة ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾ يعني كيف يسجد الفاضل للمفضول لقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢] ﴿قَالَ﴾ الله ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾ يوم القيامة ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ المعين عند الله تعالىٰ وهو يوم القيامة لقوله تعالىٰ حاكيًا عنه: ﴿أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأعراف: ١٤، ١٥] ﴿قَالَ﴾ إبليس ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ أي حكمت بغوائي ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ سوء أعمالهم لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٩] ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ فإنهم لا يضلون بإضلالي ﴿قَالَ﴾ الله ﴿هَٰذَا﴾ الإخلاص ﴿صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ أي الإخلاص موصل للمخلص إلىٰ مراتب الكمال لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠] لا شك ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ المخلصين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ غلبة لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ١٠٠] ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ الاستثناء منقطع ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ﴾ نصيب ﴿مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ علىٰ حسب أعمالهم كافر ومشرك ومبتدع وغير ذلك.

---

(١) الآية الكريمة تخبر بتخليق بني آدم من الماء (منه).

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ يقال لهم: ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ﴾ من الله ﴿ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ حال مقدرة لقوله تعالىٰ: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ ستأتي ﴿ وَنَزَعْنَا ﴾ ننزع ﴿ مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ أي مادة الغل والحقد التي تكون في الإنسان فطرة لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا[1] لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ ﴾ الآية. [الحشر: ١٠] ﴿ إِخْوَٰنًا ﴾ حال من المفعول به أي ندخلهم جنات حال كونهم إخواناً ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾ تعب ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ لمن أطاعني ﴿ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ لمن عصاني ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ ﴾ أي الملائكة ﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ ﴾ علىٰ هيئة الأضياف ﴿ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ أي السلام عليكم ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم بعد ما: ﴿ رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ﴾ [هود: ٧٠] ﴿ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ خائفون ﴿ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ ﴾ لا تخف ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ إسحاق ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم ﴿ أَبَشَّرْتُمُونِى ﴾ بولد ﴿ عَلَىٰٓ ﴾ أي مع ﴿ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ أي ما معنىٰ بشارتكم لعلها مؤولة ﴿ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ الثابت عند الله بالحقيقة ﴿ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ الآيسين ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف: ٨٧] ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ ﴾ شأنكم ﴿ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ أي لم جئتم على الأرض علىٰ هذه الهيئة ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ قوم لوط ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا ﴾ بإذن الله ﴿ لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ﴾ أي قدر الله ﴿ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الباقين في العذاب.

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ الذين جاؤوا إبراهيم لم يعرفهم ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ لا أعرفكم من أين أنتم ﴿ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ ﴾ بالحق ﴿ بِمَا كَانُوا۟ ﴾ هؤلاء ﴿ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ يشكون في العذاب ﴿ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ الثابت من عند الله ﴿ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾ ممن تبعك ﴿ بِقِطْعٍ ﴾ بحصة ﴿ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ ﴾ أنت

---

(١) الدعاء يدل علىٰ كون مادة الغل موجودة في الإنسان وإلا فالدعاء في غير محله (منه).

﴿أَدْبَرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ﴾ بدل من الإشارة ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ حال أي يهلكون وقت الصباح هذا البيان بالإجمال.

﴿وَ﴾ تفصيل ذلك أنه ﴿جَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ لما رأوا الملائكة مردًا ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾﴾ بهتك حرمتهم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا﴾ تقول كذا وكذا ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾﴾ أي عن إيواء الضيوف ﴿قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ فانكحوهن لقوله تعالىٰ: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨] ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾﴾ ما تريدون ﴿لَعَمْرُكَ﴾ يا محمد ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ يتحيرون ولا يعلمون عاقبة أمرهم ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾ أي مصبحين كما مر آنفاً ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ أسقطنا[1] سقفها مر في هود ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾ طين مطبوخ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الإهلاك ﴿لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ المتفكرين ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي قريتهم ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ يسلكونها إيابا وذهابا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن﴾ أي إنه ﴿كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ أي قوم شعيب ﴿لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بتعذيبهم ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ قوم لوط وأصحاب الأيكة ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ وسط الطريق.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾ أي ثمود قوم صالح ﴿الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾ معجزات واضحات ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾ من الخوف والعدو ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ أي صفحا لا يكون فيه جزع ولا فزع علىٰ عدم إيمانهم لقوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الشعراء: ٣] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ

---

(١) لا يرد علىٰ هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ [النجم: ٥٣] لأن معنى الائتفاك سقوط السقف كما قال الحافظ ابن جرير رحمه الله (تساقطت عليهم سقوف بيوتهم إذ أتىٰ أصولها وقواعدها أمر الله فأتفكت بهم منازلهم. (تفسير ابن جرير الجزء ١٤) فثبت أن المؤتفكة هي التي سقطت سقوفها فافهم.

﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿سَبْعًا﴾ سبع آيات ﴿مِّنَ الْمَثَانِي﴾ أي من القرآن. المثاني: أوتار العود (من المزامير) وصف بها القرآن لتأثيره في القلوب لقوله تعالىٰ: ﴿مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] وهي الفاتحة لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤] وقوله عليه السلام: «**الحمدلله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم**»(١) ﴿وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ عطف تفسير لما مر من الحديث نتيجة هذا الإيتاء أنك ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ حسرةً عليهم ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾ من حطام الدنيا ﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافًا ﴿مِّنْهُمْ﴾ أي الناس طلبا لزينة الحياة الدنيا لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١] ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ وإن كانوا فقراء لقوله تعالىٰ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨] ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ بين الإنذار لا أخفى مما يوحىٰ إلي شيئًا لقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧] ﴿كَمَا أَنزَلْنَا﴾ الكاف صفة لمحذوف أي أنذرهم عذابا مثل عذاب أنزلناه ﴿عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ أي على الذين تقاسموا علىٰ مخالفة أنبيائهم لقوله تعالىٰ: ﴿فَقُلْ(٢) أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: ١٣] وقوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ [النمل: ٤٩] ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ حصصا متفرقة بأن آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه لقوله تعالىٰ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥] الموصول مبتدأ خبره ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا

---

(١) رواه البخاري (٤٤٧٤) في تفسير فاتحة الكتاب وفي تفسير سورة الحجر (٤٧٠٣) باب: ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم. وأبو داوود رقم (١٤٥٨) في الوتر باب فاتحة الكتاب. والنسائي (٢/ ١٣٩) في الافتتاح باب تأويل قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] عن أبي سعيد بن المعلىٰ رضي الله عنه.

(٢) نشر على ترتيب اللف فافهم.

﴿يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦] ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي إذ كنت نذيرًا مبينا فأظهر ما يوحىٰ إليك من ربك لقوله تعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ الآية. [المائدة: ٦٧] ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ إعراضًا لا جزع فيه ولا جدال لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ [المزمل: ١٠] ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ بإعلاء كلمتك ﴿ٱلَّذِينَ﴾ صفة للمستهزئين ﴿يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ أي المشركين ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ كيف نكفيك فقد كفاه سبحانه كما رأوا لقوله تعالىٰ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾ [التوبة: ١] وقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ [النصر: ١، ٢] ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾ أي بسبب أنهم يقولون في شأنك ما يقولون لقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الإسراء: ٤٧] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾ أي فوض أمرك إلىٰ الله سبحانه ولا تضيع أوقاتك بهمهم لقوله تعالىٰ: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ [المدثر: ١١] وقوله تعالىٰ: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ [القلم: ٤٤] ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ أي الموت لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢].

سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون آية

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي يأتي أمر الله بإهلاك الكفار لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [العنكبوت: ٥٤] ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ أي بالوحي لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ أي من هو مستعد وقابل لهذا الأمر الجليل لقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ﴿أَنْ أَنذِرُوٓا۟﴾ الناس علىٰ مخالفته ﴿أَنَّهُۥ﴾ الضمير للشأن ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي بني آدم لا آدم لقوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١﴾ [ص: ٧١] ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤﴾ يخاصم الله لقوله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ۝١٣﴾ [الرعد: ١٣] ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ﴾ نصب علىٰ شريطة التفسير ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ﴾ كثيرة بشرب ألبانها وبالتجارة بها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥﴾ أي ما تذكىٰ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ زينة ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ ترجعون بها من المسرح ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾ حين تخرجون بها إلى المسارح ﴿وَتَحْمِلُ﴾ أي الإبل ﴿أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾ حيث أتاكم من كل ما سألتموه ﴿وَ﴾ خلق ﴿ٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ وقت الحاجة ﴿وَزِينَةً﴾ عطف علىٰ محل اللام فهو مفعول له ﴿وَيَخْلُقُ﴾ أي سيخلق[1] لركوبكم ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ الآن ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي كل الناس يقصدون بأفعالهم الوصول إلى الله تعالىٰ لقوله تعالىٰ حاكيًا عن المشركين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] وقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾ [المؤمنون: ٥٣] ولنعم ما قيل:

وكل يدعي وصلا لليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاكا

﴿وَمِنْهَا﴾ أي من السبل ﴿جَآئِرٌ﴾ لا يصل من يسلكه علىٰ مفازة لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾ إلىٰ سبيله مر مرارا.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ تشربونه ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ أي ينبت به شجر ﴿فِيهِ﴾ في منابت الشجر ﴿تُسِيمُونَ ۝١٠﴾ ترعون دوابكم لقوله تعالىٰ: ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٣﴾ [النازعات: ٣٣] ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ﴾ كلها ﴿مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ

---

(١) إشارة إلى القطار والباخرات والسيارات [والطائرات] وغيرها (منه).

﴿يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَ﴾ سخر ﴿مَا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا﴾ حال من المفعول به لذرأ ﴿أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ﴾ الله ﴿الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ حوتا وغيره ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً﴾ اللؤلؤ والمرجان لقوله تعالىٰ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمن: ٢٢] ﴿تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ تشق الماء بجريها لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرحمن: ٢٤] ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ بِكُمْ﴾ تحرككم بكثرة الماء ﴿وَ﴾ أجرىٰ ﴿أَنْهَارًا وَسُبُلًا﴾ في البر والجبال ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ إلىٰ مطالبكم ﴿وَ﴾ جعل ﴿عَلَامَاتٍ﴾ عديدة ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ في سفر البحر.

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ أي الذين تدعون من دون الله ماخلقوا شيئا لقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ (كما سيأتي) ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ وذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ لمن تاب إليه فتوبوا إليه ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ من الأعمال ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾ هذه صفات الله ما سمعتم ﴿وَ﴾ صفات ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ كائنًا من كان مسيحا كان أو غيره نبيًّا كان أو وليًّا لقوله تعالىٰ: ﴿مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ بل ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ من الله ﴿أَمْوَاتٌ﴾ محال للموت لقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [العنكبوت: ٥٧] ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ أي ليسوا بذوي الحياة لقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ يحشرون لعدم علمهم بالغيب لقوله تعالىٰ: ﴿مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩].

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ لهذا الأمر ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أي مستعلون في زعمهم لقوله تعالىٰ حاكيا عنهم: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١] ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَ﴾ من تكبرهم أنه ﴿إِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ من القرآن ﴿قَالُوا﴾

هو ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ أي ليس فيه شيء إلا الأكاذيب ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ﴾ اللام للعاقبة لا للعلة ﴿كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الظرف مستقر حال إما من الفاعل أو من المفعول ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مثل هؤلاء بل أزيد منه ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ﴾ أي أمره ﴿بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ فكانوا صرعىٰ ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الأحقاف: ٢٤] ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ الله ﴿وَ﴾ تفسير الخزي أنه ﴿يَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ﴾ أي تخاصمون الموحدين لأجلهم ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ من علماء الأمة ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ﴾ بالكفر والشرك أي الذين ماتوا على الكفر ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ الاستسلام لله ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ﴾ أنكروا كفرهم وشركهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣] ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ فلا فائدة لكم في الإنكار ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ أي المتجاوزين عن حدودهم ﴿۞ وَقِيلَ﴾ عطف علىٰ قيل السابق ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ أي المؤمنين ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ﴾ من القرآن ﴿قَالُوا۟﴾ أنزل ﴿خَيْرًا ۗ﴾ لنا الحمد لله لقوله تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ العمل ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ في متعلقة بالنسبة لقوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١] ﴿حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ﴾ مما هم فيه ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ﴾ من النعماء ﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ﴾ من دنس الشرك أي موحدين ﴿يَقُولُونَ﴾ أي الملائكة أدبا وتعظيمًا لهم ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي ينتظر المشركون ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ﴾ بإهلاكهم لقوله تعالىٰ حاكيًا عنهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ

عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال: ٣٢] ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الكفار ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾ من العذاب.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ﴾ أي من دون أمره ﴿مِن شَىْءٍ﴾ يريدون أن الله راض بهذه الأمور منا زعمًا منهم أن المشيئة مستلزمة للرضاء وهو ليس بصحيح فلا شك أن كفر الكافر بمشيئته سبحانه لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢] ولكن مشيئته غير مستلزمة لرضاه لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ زعموا ما زعموا ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية: ٢٢] ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ أي بأن ﴿وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ أي اتركوا كل ما يعبد من دون الله لقوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥] ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾ هداية خاصة لقوله تعالىٰ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: ٦] ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ أي لزمتهم الضلالة لما عارضوا الهدىٰ بالضلال لقوله تعالىٰ: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾ [الكهف: ٥٦] ﴿فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ﴾ فلن يهتدوا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر: ٣٦] ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ﴾ وعد ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ بلىٰ يبعثهم ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من أمر الدين ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾ لما يرون من سواد وجوههم لقوله تعالىٰ: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس: ٤٠-٤٢] ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ فلا إشكال في إحياء الأموات لقوله تعالىٰ: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ

وَٰحِدَةٌ﴾ [لقمان: ٢٨].

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ من الكفار ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي لنؤتينهم ملكا وحكومة لقوله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥] وقد صدق الله وعده هذا في زمن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وأرضاهم فافهم وكن من الشاكرين ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ للمذكورين ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم درجة من الحكومة في الدنيا لقوله تعالىٰ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ لو للتمني ﴿ٱلَّذِينَ﴾ صفة للموصول ﴿صَبَرُوا۟﴾ علىٰ إيذاء المشركين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ ملخص الكلام أن المهاجرين الموصوفين كاملون في الإيمان لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢].

والعجب من هؤلاء كيف يتعجبون من كون البشر رسولاً ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ أي اليهود والنصارى الذين يعلمون كيف كان يأتي الأنبياء من الإنس أم من الملائكة؟ ﴿إِن كُنتُمْ﴾ أيها المشركون ﴿لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ حقيقة الحال أرسلناهم ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي المعجزات ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ المسائل الشرعية ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلذِّكْرَ﴾ أي القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي إجماله وإبهامه لقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١] ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ فيما نزل إليهم ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي ارتكبوها عن ﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ كما خسف من كان قبلهم لقوله تعالىٰ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١] ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ إتيانه ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ﴾ إيابهم وذهابهم سالمين ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾﴾ الله ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ أي بالتخويف قبل العذاب لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾

[السجدة: ٢١] لكن لا يأخذهم ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ دليل علىٰ عدم الأخذ ﴿أَ﴾ ينكرون ﴿وَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا﴾ كائنا ما كان ﴿ظِلَالُهُ﴾ يميل ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ أي ذوو الظلال ينقادون لأمر الله سبحانه ﴿وَهُمْ﴾ أي ذوو الظلال ﴿دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ متذللون يظهرون أنهم متأثرون بتأثيره جل مجده ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾ ينقاد لأمره القهري والتكويني ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم وغيرها ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ﴾ وغيرها ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ أي ينقادون كلهم لأمره سبحانه القهري لقوله تعالىٰ: ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [البقرة: ١١٦] ﴿وَهُمْ﴾ أي الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ عما يؤمرون ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ ظرف مستقر حال من المفعول به أي غالبًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ٦١] ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿۞ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي لا تجاوزوا واحدا إلىٰ شيء غيره من ثان أو ثالث أو غيره لقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ﴾ الطاعة ﴿وَاصِبًا﴾ دائمًا لأن ذاته دائم لقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ وحده ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ تستغيثون ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ ينسبون ما أوتوا من العافية إلىٰ غيره سبحانه ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ اللام للعاقبة لا للعلة ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ أيها المشركون فيه التفات ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ سوء عاقبتكم ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقته ما هو لأنه لا شيء لقوله تعالىٰ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾ [النجم: ٢٣] ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من فضلنا لقوله تعالىٰ: ﴿فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦] ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ من نسبته إلىٰ غيره سبحانه ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾ من البنين لقوله تعالىٰ: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم: ٢١، ٢٢] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ﴾ أخبر ﴿أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ﴾ صار

﴿وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ شديد السواد ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ مملوء غما وغيظًا ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾ يتردد فيه ﴿أَيُمْسِكُهُۥ﴾ أي ما ولد له ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾ ذلة من القوم ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ﴾ يدفنه ﴿فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ من نسبة ما يكرهونه لأنفسهم إليه سبحانه ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي المشركين القائلين بأن الملائكة بنات الله ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ﴾ أي للمشركين مثل سوء لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١] ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣] ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ فكيف يناسبه ما لا يناسبهم.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ أي بمعاصيهم ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ أي علىٰ الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ أي أهلك الناس بظلمهم والدواب لأنها محتاجة إلىٰ ما يزرع الناس فمتىٰ هلكوا هلكت لقوله تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١] ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ﴾ أي يمهلهم ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ عنده ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ يتقدمون أجلهم بل يفنون لوقتهم ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۖ﴾ لأنفسهم من البنات ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ﴾ بدل من الكذب ﴿لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ [مريم: ٧٧] ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾ يفرط عليهم العذاب لقوله تعالىٰ: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾﴾ [الهمزة: ٦، ٧] ﴿تَٱللَّهِ﴾ ليست رسالتك بدعا عجيبًا لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَآ﴾ رسلًا ﴿إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ ليهتدوا بهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [النساء: ٦٤] ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي ما هم كانوا فيه ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ﴾ قرينهم في العذاب ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ أي يوم الجزاء لقوله تعالىٰ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٥]

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ أي الكفار المشركون واليهود والنصارىٰ فيما بينهم ﴿ فِيهِ ﴾ من التوحيد والشرائع ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ عطف علىٰ محل اللام مفعول لأجله ﴿ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ أي يبسها ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ سماع تدبر لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق: ٣٧].

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا ﴾ لا يشوبه شيء منهما ﴿ سَآئِغًا ﴾ سهل المرور ﴿ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا ﴾ تزعمونه[1] نعمة ﴿ وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ أي عصيرتها تشربونها بلا سكر ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ أي ألقىٰ في طبيعتها ﴿ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ أي علىٰ سقفهم ﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ حال من المفعول به أي سهلة لا حجر عليك في سلوكها ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ ﴾ عسل ﴿ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ﴾ من أبيض وأحمر وغير ذلك ﴿ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ لأمراضهم ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ الخلق ﴿ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ الطبعي أي نهاية تسعين أو مائة ﴿ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ ﴾ اللام للعاقبة ﴿ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ أي يذهل بعد ما علم لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يس: ٦٨] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ لا يذهل عن شيء ولا ينسىٰ لقوله تعالىٰ حاكيًا عن موسى عليه السلام: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢] ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ ﴾ أي ليس المالكون ﴿ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ أي علىٰ مماليكهم ﴿ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ﴾ أي فكان المالك والمملوك في إيصال النفع سواء لا ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ حيث لم يؤكل أحدًا من مماليكه علىٰ رزقكم إذا تحرجتم لقوله تعالىٰ: ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ

---

(١) فلا ينافي حرمتها فافهم.

﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠].

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي من جنسكم ﴿أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ أولاد الأولاد ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾ أى دون الله الذي لا أصل له لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢] ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يقرون ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ بتوحيده الخالص ينكرون لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [فاطر: ٣] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ أي لا يمكن أن يملكوا المخلوق كلهم بهذه المثابة لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ﴾ بالملوك الذين يتوصل إليهم بوزرائهم لقوله تعالىٰ حاكيًا عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[الزمر: ٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ فيتوصل إليه ويسأل بلا وزير لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

اسمعوا ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ﴾ أي بين لكم ﴿مَثَلًا﴾ مركبا من اثنين يعني ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ﴾ أي أفراد هذا النوع وذلك النوع - لا - الثاني أي المنفق كيف يشاء الله والأول غير الله كائنا من كان لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة: ٦٤] وقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ فبجهالتهم يشركون لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ يعني ﴿رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ لا يتكلم و ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ﴾ ثقيل ﴿عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ لأجل نفقته وحاجاته ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ يرسله ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن﴾ كان عالمًا فاضلًا ﴿يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ﴾ أي وضع كل شيء في مقره أعني

تأدية الحقوق إلىٰ أهلها لقوله تعالىٰ: ﴿ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨] ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ أي يعمل علىٰ مقتضىٰ علمه لقوله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ [الجمعة: ٥] المثال لله ولغيره من المعبودين والثاني للكافر والمؤمن لقوله تعالىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١].

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ تقديم الخبر للحصر لقوله تعالىٰ: ﴿ لَا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥] وهؤلاء يتعجبون من قيام الساعة لقوله تعالىٰ: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴾ [ق: ٣] ﴿ وَ ﴾ الحال أنه ﴿ مَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ أسهل لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النحل: ٤٠] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ اسمعوا كمال قدرته ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ طفلا ﴿ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ نعماءه ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ ﴾ أي كمال قدرته سبحانه ﴿ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ ﴾ كيف يطرن يبسطن أجنحتهن ويقبضن ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ لا ريب ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾ [فاطر: ٤١] ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ فإنهم يعتبرون به ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ تسكنون فيها من الحر والبرد ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا ﴾ خياما ﴿ تَسْتَخِفُّونَهَا ﴾ أي تجدونها خفيفة ﴿ يَوْمَ ظَعْنِكُمْ ﴾ سفركم ﴿ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ ﴾ من الغنم والإبل والمعز ﴿ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا ﴾ لكم لتبيعوها وتتمتعوا بها ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ أي في الدنيا إلى انقطاع آجالكم ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ﴾ من الأشجار ﴿ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا ﴾ تستترون فيها ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ ﴾ قمصا ﴿ تَقِيكُمُ ﴾ أهل العرب ﴿ ٱلْحَرَّ ﴾ وغيركم البرد أيضًا ﴿ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾ أي تلبسونها وقت الحرب كالدروع والجوشن كل ذلك بإلهام الله

لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ أي يرتقي بكم إلىٰ مراتب الكمال من فنون الحرب والصنائع كما هو مشاهد اليوم ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ أي تفوضون أمركم إلى الله لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾ أي ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢] ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ من كمال قدرته وعلمه ورحمته ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ للعذر لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٦] لأنهم يعرفون بعلاماتهم لقوله تعالىٰ: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمن: ٤١] ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ أي لا يطلب منهم الرجوع إلى الدنيا للعمل الصالح لقوله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٧] ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي أشركوا ﴿ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ يمهلون للمعذرة لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ: ٣٠] ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ﴾ من الأنبياء والأولياء الذين كانوا يدعونهم ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ﴾ لقضاء حاجاتنا ﴿فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾ أي يجيب لهم شركاءهم عباد الله الصلحاء ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾ ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يونس: ٢٨، ٢٩] ﴿وَأَلْقَوْا۟﴾ أي المشركون ﴿إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ﴾ الانقياد ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ في الدنيا بقولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [يونس: ١٨] ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ بالمعاصي ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ﴾ أي الأنبياء ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ﴾ الظرف أي يوم متعلق بمحذوف أي نقضي

بينهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: ٦٩] ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ من أحكام الدين لا كل[1] كائن من كائنات الدنيا لقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠] وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ﴾ [لقمان: ٣٤] ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ أي الإنصاف في كل أمر ﴿وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ إلىٰ كل ذي حياة خصوصًا إلى بني الإنسان لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [القصص: ٧٧] وقوله تعالىٰ: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ﴾ [النساء: ٣٦] ﴿وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ حقوقهم من المواساة وغيرها لقوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٢٦] ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ من الزنا ودواعيه لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ﴾ [الإسراء: ٣٢] ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ الذي ينكره الشرع والعرف لقوله تعالىٰ: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ﴿وَٱلْبَغْىِ﴾ أي التباغي بينكم أن يظلم أحد علىٰ الآخر لقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩] ﴿يَعِظُكُمْ﴾ الله ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ أي العهد الذي ﴿إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ بينكم باسمه ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ﴾ رقيبا لقوله: ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾ [يوسف: ٦٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟﴾ في نقض العهد ﴿كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ إحكام ﴿أَنكَٰثًا﴾ قطعًا منقوضة ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا﴾ خدعة وحيلة ﴿بَيْنَكُمْ أَن﴾ أي لأن ﴿تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ﴾ أنفع بأن تكون أكثر عددا أو مالاً ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ عاهدتموها والحاصل لا تنقضوا المعاهدة بينكم بسبب أن يكون قوم عاهدتموهم

---

(١) استدل بها القائلون بعلم الغيب لرسول الله ﷺ فرددنا عليهم فافهم (منه).

أقل عددًا ومالاً من قوم آخرين فتميلوا[1] إليهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤] ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ﴾ أي يأمر بالإيفاء بالعهود لقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤] أي أمركم به لتهتدوا ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أجبركم على الإيمان ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ﴾ مشيئته تعالىٰ قانونه الرائج بين العباد أي من أعرض عن ذكره فإنه يضله ومن استهدىٰ منه هداه إليه لقوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر: ٣٥] وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ فيجازيكم ﴿وَ﴾ اسمعوا ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا﴾ حيلة وخدعا ﴿بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ أي فيزول الاعتبار من كلا الفريقين بعد التوثيق ﴿وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ﴾ منعتم الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أحكامه أي إن نقضتم أيمانكم وعهودكم فيزول اعتباركم بين الأقوام ويحل عليكم غضب الله لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۖ﴾ [النساء: ٧٩] ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟﴾ تأخذوا ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ﴾ أي لا تنقضوا العهود بطمع حطام الدنيا ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ على الإيفاء ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ﴾ من حطام الدنيا ﴿يَنفَدُ ۖ﴾ يفنىٰ ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الأجر ﴿بَاقٍ ۗ﴾ دائمًا ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟﴾ أي ثبتوا أنفسهم على تعميل الأوامر واجتناب النواهي ﴿أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ من الأعمال الصالحة «الباء» على العوض الأحسن أن تزاد حسنة ويضاعف أجرها لقوله تعالىٰ: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ﴾ [البقرة: ٢٤٥] ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ كائنًا من كان من أي قوم كان ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ مخلص يؤمن بالله أي أجره ولا يلتفت في عمله إلىٰ ما سواه لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ

---

(١) أقول دُوَل الزمان هكذا فافهم.

رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] ﴿ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ ﴾ لا حزن ولا غم ولا هم فيها لقوله تعالىٰ: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يونس: ٦٢] ﴿ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ أي نعطيهم أجراً أحسن من أعمالهم ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ الفاء للتعقيب علىٰ بيان الإخلاص السابق أي إذا أردت أن تشرع في قراءة القرآن ﴿ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ لئلا يوسوس أثناء القراءة ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بالله وحده ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ لقوله تعالىٰ حاكيا عنه: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ [الحجر: ٤٠] ﴿ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ ﴾ تسلطه ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ ﴾ يطيعونه فيما يأمرهم ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ ﴾ أي بسببه ﴿ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴾ [مريم: ٨٣] ﴿ وَ ﴾ علامة المشركين الإيراد على الحق كهؤلاء ﴿ إِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ ﴾ حكما ﴿ مَّكَانَ ءَايَةٖ ﴾ حكم سابق بالرفع أو بالتخفيف كقوله تعالىٰ: ﴿ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا ﴾ [النساء: ٤٣] وكقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ [النساء: ١٠١] أي سهلنا الأمر علىٰ عبادنا ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ من الأحكام المتضمنة لمصالح العباد. الجملة اعتراض جواب إذا ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ ﴾ يا محمد ﴿ مُفۡتَرِۭ ﴾ تفتري على الله لا ﴿ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ أي ليس لهم علم ولا شعور ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ ﴾ أي جبريل لقوله تعالىٰ: ﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٩٧] ﴿ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ بالحكمة البالغة ﴿ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ علىٰ نور الإيمان لقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤] ﴿ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ

﴿يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ(١) لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلْحِدُونَ﴾ ينسبون ﴿إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ هداية خاصة لقوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨] ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ هذا جواب ثان عن شبهتهم المذكورة أي إن كان مرادهم أن البشر يعلمه منظوما كما هو فجوابه المذكور أولا. وإن كان مرادهم أن البشر يخبره بالواقعات والحكايات فجوابه هذا يعني الافتراء على الله لا يتأتىٰ إلا ممن لا يؤمن بالله ﴿وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ أي كان عادتهم الكذب لقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢]. ﴿مَن كَفَرَ(٢) بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾ أي بعد ما وصله حكم الله بالإيمان لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [البينة: ٦] ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ أجبر ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ بالله وحده فهو معفو عنه لأن محل الإيمان مملوء به لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] المستثنىٰ مقدم علىٰ جزاء المستثنىٰ منه بإلا ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ أي كفر برضاه ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ والاستدراك على الاستثناء الأول معترضة ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي تركوا الإيمان وما يتعلق به خوفًا من الكفار ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي بسبب أن الله ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ هداية خاصة يخرجون بها من الظلمات إلى النور لقوله تعالىٰ:

---

(١) قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يعلم فتى بمكة يُسمىٰ بلعام وكان نصرانيا أعجمي اللسان فكان المشركون يقولون: إنما يعلمه بلعام (معالم ٥/ ٤٤).

(٢) قال ابن عباس: نزلت في عمار وذلك أن المشركين أخذوه وأباه وأمه وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم أما أمه فربطت بين بعيرين ووجى قُبُلها بحربة فقتلت وقتل زوجها وأما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها فأخبر رسول الله ﷺ بأن عمارًا كفر فقال: كلا فنزلت هذه الآية (معالم ملخصًا ٥/ ٤٥، ٤٦).

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ أي لا يفقهون ولا يسمعون ولا يبصرون لقوله تعالىٰ: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة: ١٨] ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ عما سيقع عليهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٩] ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ﴾ تأخير في البيان فقط ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟﴾ عذبوا من الكفار ﴿ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟﴾ على المصائب ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ تأكيد لما قبله ﴿مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي الأعمال المذكورة ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ يغفر لهم ويرحمهم رحمة خاصة.

اذكروا ﴿﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ أي تدافع عن عينها لا عن غيرها لقوله تعالىٰ: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧] ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ من تنقيص الحسنات وزيادة السيئات لقوله تعالىٰ: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ٤٠] ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ أي يبين حال قرية تمثيلًا[1] هي مكة ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ من خوف ﴿مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ واسعا ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ التي كانت عليها ومنها إرسال الرسول إليهم لقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ من الكفر والشرك ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الدخان: ١٠، ١١] ﴿فَكُلُوا۟﴾ أيها المؤمنون خائفين العذاب على الكفران ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ بالقلب والجوارح ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ

---

(١) تمثيل لا ينحصر في فرد واحد فافهم.

﴿ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ مر مرارا ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ أعني ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ مقولة للقول ﴿لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ اللام للعاقبة لا للعلة كقوله تعالىٰ: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ [القصص: ٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بادعاء النبوة أو بنسبة المسائل غير الصحيحة إلى الله ﴿لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ لهم ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ بعد الموت ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ بقوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ [الأنعام: ١٤٦] ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾ بالمعاصي لقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ أي بغلبة النفس والشيطان لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] ﴿ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟﴾ أي صاروا صالحين ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي التوبة ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ في حقهم لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧].

أتعرفون أشكر الناس لله ؟ ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ إمامًا لقوله تعالىٰ: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] ﴿قَانِتًا﴾ مطيعًا ﴿لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ غير مائل إلى الشرك ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ هداية خاصة لقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ﴾ تعريفًا وتوصيفًا علىٰ ألسنة الناس لقوله تعالىٰ حاكيًا عنه عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [البقرة: ١٣٠] ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ﴾ في أصول الدين لقوله تعالىٰ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ

﴿إِلَيْهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣] ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ واختيار الجمعة مقام السبت لا ينافي اتباع إبراهيم عليه السلام لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾ أي احترامه فرضا ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ هم اليهود والنصارىٰ أي خالفوا ما أمر الله فيه لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ [البقرة: ٦٥] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ من أمر الدين.

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾ أي بقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا- إلىٰ قوله -ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ﴾ [الإسراء: ٢٣ـ٣٩] يعني استعمل نفسك في هذه الأحكام قبل التذكير للغير لقوله تعالىٰ: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢، ٣] ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ﴾ أي بالقول اللين المؤثر لقوله تعالىٰ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] وقوله تعالىٰ: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣] ﴿وَجَٰدِلْهُم﴾ باحثهم ﴿بِٱلَّتِى﴾ بالطريقة التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ هي التي لا تكون مهيجة للخصم على السب والشتم لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ﴾ [الأنعام: ١٠٨] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ أي لا تبال بهم ولا تضطرب عليهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩] ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ أيها المسلمون الكفار أي جازيتموهم علىٰ ما فعلوا بكم ﴿فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ١٩٤] ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ مآلا ﴿وَٱصْبِرْ﴾ علىٰ أذاهم ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ أي بتوفيقه فهو يجازيك علىٰ هذا لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣] ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ أي يخفون الحيل فيك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ في أعمالهم. اللهم اجعلني منهم، وكاتبه أيضًا.

سورة بني إسرائيل مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي الكعبة ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ أي بيت المقدس ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بكثرة الأشجار والأنوار ومنه إلىٰ سدرة المنتهىٰ لقوله عليه السلام: «**فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم**» إلىٰ قوله عليه السلام: «**ثم انطلق بي حتى انتهىٰ بي إلىٰ سدرة المنتهىٰ**»(١) ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ﴾ أي ذاتنا ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ كان مضمونه ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ۝٢﴾ وليًّا لقوله تعالىٰ: ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ [الشورى: ٩] كما هو مذكور في التوراة في الباب الثالث من الكتاب الثاني والباب السادس من الكتاب الخامس ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة عند الغرق ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣ وَقَضَيْنَا﴾ أرسلنا ﴿إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ أي في الباب السادس والعشرين(٢) من الكتاب الثالث والباب الثامن والعشرين(٣) من الكتاب الخامس من التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤﴾ أي تأخذون ملكًا كثيرًا لقوله تعالىٰ: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۝٥٤﴾ [النساء: ٥٤] ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ إذا أفسدتم أول مرّة ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ محاربين ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ أي دخلوا ملككم وقبضوا عليه لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ

---

(١) رواه البخاري (٣٤٩) في الصلاة باب: كيف فرضت الصلوات في الإسراء، وفي الأنبياء (٣٣٤٢) باب ذكر إدريس عليه السلام، ومسلم رقم (١٦٣) في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) شروع هذا النص إن لم تطيعوني ولم تعملوا بجميع وصاياي، إلخ.

(٣) شروع هذا النص فإن لم ترد تسمع صوت الرب، إلخ (النسخة العربية المطبوعة سنة ١٨٥٧م في لندن)

﴿يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] ﴿وَكَانَ﴾ هذا الأمر ﴿وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ﴾ أي الغلبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي علىٰ مخالفيكم ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾ أي كثرنا عددكم ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ في تلك الحال ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ أي فعليها لا علىٰ غيرها لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥] ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي إذا أفسدتم مرة ثانية قبضوا أملاككم ﴿لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ بالتعذيب ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ﴾ أي بيت القدس ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾ يهلكوا ﴿مَا عَلَوْا۟﴾ غلبوا ﴿تَتْبِيرًا ۝٧ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ﴾ أي ترجون رحمه ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ إلى الفساد ﴿عُدْنَا﴾ إلى التعذيب لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ۝٨﴾ محيطًا لقوله تعالىٰ: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ﴾ [الكهف: ٢٩] ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى﴾ أي للطريقة التي ﴿هِىَ أَقْوَمُ﴾ أي لا تبطل في وقت ما لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢] ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ﴾ أي بأن ﴿لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي الكفار المنكرين النبوة والآخرة ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠﴾.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ وقتًا ما ﴿بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ﴾ مثل دعائه ﴿بِٱلْخَيْرِ﴾ لقوله تعالىٰ حاكيًا عنهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٢﴾ [الأنفال: ٣٢] ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ۝١١﴾ يعجل في الشر لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [العنكبوت: ٥٣] ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ دالتين علىٰ كمال قدرتنا لقوله تعالىٰ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝٣٧﴾ [يس: ٣٧] ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بالكسب والتجارة ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ﴾

[يونس: ٥] ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ من أصول الدين ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ في القرآن ﴿تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١] ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾ أي عمله لقوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس: ١٩] ﴿فِى عُنُقِهِۦ﴾ أي لا يتجاوزه لقوله تعالىٰ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾ يقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ أعمالك المكتوبة ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ فيقر علىٰ نفسه لقوله تعالىٰ حاكيًا عنهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف: ٤٩] ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ هذا تفسير لما قبله ورد على النصارىٰ حيث زعموا أن المسيح صلب كفارة لذنوبهم ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ يهديهم إلىٰ صراط الله المستقيم ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ بسبب ظلمها ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ أي كثرناهم[1] عددًا وأنزلنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴿فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ أي بالعذاب ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ يعلم من كان مستحقًّا للرحمة أو العذاب ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ أي يسعى لمنافع الدنيا فقط ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ لا لكل من يريد ولنعم ما قيل:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ مطرودًا لقوله تعالىٰ: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠] ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ مناسبًا لها ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ لا مراء ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ

---

(١) البخاري (٤٧١١) والقاموس.

سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ عند الله لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف: ٣٠] ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ ﴾ نعطي الرزق ﴿ هَٰؤُلَاءِ ﴾ المسلمين ﴿ وَهَٰؤُلَاءِ ﴾ المشركين ﴿ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ أي ليس رزق ربك مسدودًا على أحد لقوله تعالىٰ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾[1] ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾ في الرزق والعز في الدنيا ﴿ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ ﴾ لمن عمل لها ﴿ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرعد: ٢٦] ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ في أي صفة من صفاته المخصوصة به ﴿ فَتَقْعُدَ ﴾ في جهنم ﴿ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ يذمك ويخذلك كل شيء.

﴿ ۞ وَقَضَىٰ ﴾ أمر ﴿ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ أن تحسنوا ﴿ بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾ دائمًا ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ أي خاطبهما بخطاب العزة ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ أي لا تتكبر عليهما ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ بالرأفة والرحمة قيد بالصغر لأنه محل الرحمة الخاصة ﴿ رَّبُّكُمْ ﴾ أيها الناس ﴿ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ ﴾ من الإخلاص أو الرياء في حق الآباء والأمهات ﴿ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ من النفقة والنصح ﴿ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المسافر ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ إسرافًا لا محل له عند الشرع والعقل ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ ﴾ أي مثلهم في الطغيان ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا ﴾ أي لا يكون في يديك شيء تعطيهم وتنتظره آتيًا ﴿ فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ ﴾ تلطف بهم مثل: إخواني أعطيكم حين يعطيني الله ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ لا تنفق شيئًا بل تبخل ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ أي لا تنفق كل ما عندك بل أنفق شيئًا مما في يديك لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾

---

(١) لأن الآية الكريمة تدل علىٰ أنه تعالىٰ يربي كل إنسان بل كل شيء (منه).

[البقرة: ٣] ﴿فَتَقْعُدَ(١) مَلُومًا﴾ عند الناس ﴿مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ محبوسًا لحاجتك ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ لا يخفى عليه شيء.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ﴾ خوف فقر كما يفعله المشركون من وأد البنات لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير: ٨، ٩] ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ فضلًا عن أن تفعلوا ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي ما أجاز به الشرع ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾ أي تحكمًا علىٰ قاتله بإذن الحاكم ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ﴾ أي لا يعجل ولا يقدم مستعجلًا على القتل بل يتفكر في آجل أمره فيعفو عنه لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ﴾ [المائدة: ٤٥] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ معانًا من الحكام ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى﴾ بالطريقة التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ في جر المنافع من التجارة والإجارة ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ﴾ أي وقت النكاح لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾ [النساء: ٦] وقوله عليه السلام: «**لايُتْمَ بعد البلوغ**»(٢) (الحديث) ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ منك لِمَ لَمْ توفه؟! ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ لكم في الدنيا لترويج سلعتكم ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾ في الآخرة لقوله تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾﴾ [المطففين: ١ـ٥] ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ لا تتبع ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ﴾ أي لا تصدق كل خبر لا تتيقن ولا ترو كل ما سمعت لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ

---

(١) منصوب بتقدير أن أي فيكون البسط سبب أن تقعد إلخ. (منه).

(٢) رواه أبو داود رقم (٢٨٧٣) في الوصايا باب ما جاء متى ينقطع اليتم بلفظ: «**لا يتم بعد احتلام**» وإسناده ضعيف ولكن رواه الطبراني في الصغير من وجه آخر عن علي رضي الله عنه كما قال السخاوي في المقاصد الحسنة بل له شواهد عن جابر وأنس وغيرهما.
أقول: فالحديث حسن بشواهده. أقول: بل يصل إلىٰ درجة الصحيح لغيره.

﴿قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ [النور: ١٦] وقوله عليه السلام: «كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع»[1] (الحديث) ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ فيما استعملتها ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ تبخترًا مرائيًا بثيابك وجمالك ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ غير مرضي لقوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ [النحل: ٩٠] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أحكام التوحيد والتمدن ﴿مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ التي من شأنها أنه ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ وإلا ﴿فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾ يلومك الأنبياء والصلحاء لقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النحل: ٢٧] ﴿مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ مطرودًا من رحمة الله لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] اسمعوا: إن الشرك قسمان: قسم أن تدعوا مع الله إلهًا آخر وقسم أن تدعوا لله الأولاد ﴿أ﴾ تقولون: أن الملائكة بنات الله ﴿فَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾ بنات كما هو زعمكم لقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الطور: ٣٩] ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ [مريم: ٩٠، ٩١].

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ من كل مثل ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ لأن شأن الألوهية يأبى إطاعة الغير لقوله تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ﴾ كيف يسبحون بالقهر أو بالاختيار لا تدرون ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ حيث لا يعجل لهم العذاب ﴿غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ لمن استغفره ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ للتذكير ﴿جَعَلْنَا

---

(١) رواه مسلم في المقدمة رقم (٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ عن أعين الناس لأجله لا يفهمون ما تقول لهم لأنهم لا يحضرون للفهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ [الأعراف: ١٩٨] وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧] ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ من ﴿أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ لما ذكر ﴿وَ﴾ لأنه ﴿إِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ لقوله تعالىٰ حاكيًا عنهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾ [ص: ٥، ٦] ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا﴾ أي بنية ﴿يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ يسرون بينهم بالمخالفة ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ مختل الدماغ حيث يخالف جميع من تقدم من آبائنا لقوله تعالىٰ: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾ [ص: ٧] ولقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ۢ﴾ [سبأ: ٧، ٨] ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ من اختلال الدماغ وغيره ﴿فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ إلى الهداية ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ موردين متحيرين ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ﴾ من بيانية جواب إذا إنكم لمبعوثون ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ﴾ في الحياة الثانية ونحن في هذه الحالة ﴿قُلِ﴾ يعيدكم ﴿ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ﴾ ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس: ٧٩] ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ يحركون ﴿إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ متحيرين مترددين لا يستطيعون رده ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾ لا أعلم متى يكون لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لـ-يَكُونَ- أي يكون بعثكم يوم ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ لبعثكم ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي بأمره لا أنهم يقولون سبحان الله وبحمده لقوله تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ [يس: ٥١، ٥٢] ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ لهول القيامة لقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٦].

﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾ كلهم ﴿يَقُولُوا۟﴾ الكلمة ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي يخالطوا الناس بخلق حسن لقوله تعالىٰ: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ﴾ يلقي العداوة بكلام غليظ ﴿بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ﴾ كلاهما بيده أي ليس له مانع لشيء منهما إلا أن مشيئته تعلق بلا موجب لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٤٤] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾ أي ذا ذمة تسأل عنهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة: ١١٩] ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ أي بحالاتهم وحاجاتهم الجسمانية والروحانية ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ﴾ أي محمدًا ﷺ على سائر الأنبياء لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣] وقوله عليه السلام: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**» (الحديث في البخاري)[1] ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ أي كتابًا قابل القراءة ﴿قُلِ﴾ أيها المشركون ﴿ٱدْعُوا۟﴾ لقضاء الحاجة لكم ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ أولياء لقوله تعالىٰ: ﴿أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الرعد: ١٦] ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾ أي إعدامه ﴿وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ إلىٰ أعدائكم لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ [الأنعام: ١٧] بل ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ المشركون إياهم مبتدأ ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ أي القربة جملة -يبتغون- خبر أي كانوا مخلصين فيما كانوا يفعلون لقوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الفرقان: ١٨] ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ أي كان مقصودهم التقرب إلى الله ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ﴾ أي المدعوون راجون خائفون لله لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠] ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ قابل الحذر لما لا

---

(١) قال المؤلف رحمه الله: الحديث في البخاري، ولكن ليس في الصحيح بل في التاريخ (٤/١/٤٠٠)، والحديث رواه الترمذي في سننه رقم (٣٦١٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفي رواية عند أحمد (٣/١٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه وهو حديث صحيح.

يجير منه أحد لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [المؤمنون: ٨٨] ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ﴾ عاصية طاغية لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص: ٥٩] ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بأعمالها ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾ أي في علم الله ثابتًا مقررًا ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ﴾ التي اقترحوها لقوله تعالىٰ حاكيًا عنهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾ إلىٰ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣] ﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ أي لم يؤمنوا بها وهؤلاء أيضاً لن يؤمنوا لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟﴾ [الأنعام: ١١١] ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ حجة واضحة ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ كفروا بها ﴿وَمَا نُرْسِلُ﴾ أي سنرسل ﴿بِٱلْـَٔايَٰتِ[1] إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾ للكفار يتعظ بها المؤمنون ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ أي لن يصلوا إليك لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ في المنام بدخولك مكة المكرمة ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ في بدء الحال حيث أوردوا عليها وترددوا في صدقها وتصديقها للرسول في المآل لقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الفتح: ٢٧] ﴿وَٱلشَّجَرَةَ﴾ عطف على الرؤيا ﴿ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ المكروهة المذكورة ﴿فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ أي جعلنا الرؤيا والشجرة فتنة لما أنكروهما وهي شجرة الزقوم لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦] إنهم قالوا: كيف تبقى الشجرة في النار سالمة وخاصية النار الإحراق. والجعل المذكور بمعنى الغاية والحصر إضافي بالنسبة إلى الكفار ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ لعنادهم وجهلهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ

---

(١) المراد بالآيات: الآيات القهرية لا الآيات القرآنية فافهم.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾[1]

أي من طين ﴿قَالَ﴾ إبليس ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ بالتعظيم له ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ أستأصلن بالإضلال ﴿ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ أي لا يدينون دينك إلا قليل لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣] ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾﴾ كاملًا ﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾ استزل ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ أي لا وقوع له لقوله تعالىٰ حاكيًا عنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ﴾ [إبراهيم: ٢٢] ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ المخلصين لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: ٤٠] ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ تسلط ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ يكفي من يكل أمره إليه لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ﴾ [الطلاق: ٣] ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى﴾ يجري ﴿لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ﴾ بالتجارة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾ يرحمكم بقبول التوبة في الآخرة بالمغفرة ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ﴾ أي لا تدعون من دونه لقوله تعالىٰ: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام: ٤١] ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ﴾ أشركتم لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٥، ٦٦] ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ لنعماء ربه ـ القضية مهملة لا كلية ـ لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣] ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ بعد أن نجاكم من البحر ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ حيثما كنتم ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾ يحفظكم من عذاب الله لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ [يونس: ١٠٧] ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ أي في البحر ﴿تَارَةً

---

(١) الغرض من هذه القصة ههنا والله أعلم إظهار أن الحاسد لا يضر المحسود. فافهم (منه).

أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ناصرًا لكم ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ على الدواب كلها ﴿ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ ﴾ على المراكب ﴿ وَٱلْبَحْرِ ﴾ في السفن ﴿ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾.

اذكروا ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ أي بمن يقتدون في الدنيا من هاد أو مضل لقوله تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ﴾ [السجدة: ٢٤] وقوله تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ [القصص: ٤١] فيقال: يا أمة محمد ويا أمة ديانند وغيره فيستجيبون ويرجون الخير فيفصل بينهم بإيمانهم الصادق وأعمالهم الصالحة ﴿ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾ كان ذلك علامة لفلاحه ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ ﴾ فرحين مستبشرين لقوله تعالىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحاقة: ١٩، ٢٠] ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ ﴾ أي شيئًا قليلًا ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ ﴾ الدنيا ﴿ أَعْمَىٰ ﴾ لا يعتبر بآيات الله لقوله تعالىٰ: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: ٤٦] ﴿ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾ لا يبصر لقوله تعالىٰ: ﴿ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [طه: ١٢٥] ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن ﴾ أي إنهم ﴿ كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ ليضلونك ﴿ عَنِ ﴾ القرآن ﴿ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ﴾ من ترك التوحيد وإباحة الشرك لقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [يونس: ١٥] ﴿ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ ﴾ لعدم الخلاف بينك وبينهم ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾ من جنس المداهنة لقوله تعالىٰ: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [القلم: ٩] ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾ أي مثلي ما يعذب به غيرك لعلو درجتك لقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٠] ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ ينصرك ويحفظك من الله لقوله

تعالىٰ: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٧] ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ أي من أرض مكة المكرمة لقوله تعالىٰ: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [الممتحنة: ١] ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ﴾ بعدك ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ ثماني سنين أو تسع سنين لقوله تعالىٰ: ﴿بَرَآءَةٌ[1] مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾﴾ [التوبة: ١] التزم ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ من العزم والصبر على المصائب لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا﴾ من النصرة والتأييد ﴿تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ تبديلًا لقوله تعالىٰ: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥] ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ﴾ أي وقت زوال ﴿ٱلشَّمْسِ﴾ نصف النهار ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ أي اجتماع الظلام وهو وقت العشاء ثلاث صلوات من العصر والمغرب والعشاء ﴿وَ﴾ اقرأ ﴿قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ أي اقرأ القرآن بعد صلاة الفجر لقوله تعالىٰ: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ أي يقرأ المؤمن القرآن بعد صلاة الفجر مطمئنًا به قلبه لقوله تعالىٰ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الروم: ١٧] ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾ أي بالقرآن لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [المزمل: ٢٠] ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ زائدة لك على الفرائض الخمس لقوله تعالىٰ: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ [المزمل: ٢] وقوله عليه السلام: «**ثلاث هن عليَّ فرائض وعليكم سنة: الوتر والسواك وقيام الليل**»[2] ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ لشفاعة أمتك لقوله تعالىٰ: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤] وقوله عليه السلام: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت**

---

(١) نودي بها في السنة التاسعة بعد فتح مكة المكرمة (منه).

(٢) ذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٤٧٣) من حديث عائشة رضي الله عنها وقال في آخره: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه موسى بن عبد الرحمن الصنعاني، وهو كذاب.

محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة»[١] ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى﴾ المدينة ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ أي إدخالاً مرضيًا ﴿وَأَخْرِجْنِى﴾ من مكة ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ مرضيًا بحفاظتك ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ على أعدائي ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ التوحيد ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾ الشرك ﴿إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ بيان لِـ-مَا- مقدم ﴿مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ مبين خص المؤمنون بالرحمة لأنهم هم المنتفعون به لقوله تعالىٰ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥] ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ المعاندين ﴿إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠] ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾ مهملة ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ تبختر وتكبر ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ لا يرجو من الله شيئًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ [فصلت: ٤٩] ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ طريقته المختارة عنده لقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون: ٥٣] ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ[٢]﴾ أي الوحي الذي يوحى إليك من القرآن ما هو وممن هو لقوله تعالىٰ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢] ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي القرآن من فضل الله لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: ١١]

---

(١) رواه البخاري (٦١٤) في الأذان باب الدعاء عند النداء وفي تفسير (٤٧١٨) سورة بني إسرائيل باب: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾، وأبو داود رقم (٥٢٩) في الصلاة باب ما جاء في الدعاء عند الأذان والترمذي رقم (٢١١) في الصلاة باب ما يقول الرجل إذا أذن المؤذن من الدعاء والنسائي (٢/٢٧) في الأذان باب الدعاء عند الأذان من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) سأل بعض اليهود رسول الله ﷺ عن الروح فنزلت هذه الآية.
أقول: كان مرادهم بالروح الوحي، كانوا سألوا عن كيفية نزول الوحي كيف ينزل؟ لسياق الآية لقوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا﴾ الآية (منه).

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي المعرفة ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ لا تفهمون ولا تعقلون حقيقة الحال لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [النساء: ٧٨] ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القرآن ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾ يشفع لك عندنا ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ مستثنى مفرغ أي لا يكون لك ناصر إلا رحمة ﴿مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ نصيرًا ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ الاستثناء مفرغ من المفعول به أي ما اختاروا إلا الكفر ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا﴾ وسطها ﴿تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ قطعًا كما وعدتنا بقولك: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [سبأ: ٩] ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ ذهب ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا﴾ من الله ﴿نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى﴾ تنزيهًا له عن العجز عن الإتيان بهذه الأمثال لكن ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ أي ليس في وسعي شيء مما قلتم لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [الرعد: ٣٨] ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ أي صار تكبرهم موجبًا لضلالهم لقوله تعالىٰ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفرقان: ٩] ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ لتجانسهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩] ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ﴾ يشهد على صحة ما قلت لكم لقوله تعالىٰ: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ﴾ الواصل إلى مراده ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ﴾ يتولون أمورهم ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ﴾ يحشرون من القبور مقلوبين علىٰ وجوههم يبصرون ويسمعون ويتكلمون لقوله تعالىٰ:

﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الصافات: ١٩، ٢٠] وقوله تعالىٰ: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَٰقِعُوهَا ﴾ [الكهف: ٥٣] ثم إذا أدخلوا في جهنم جعلهم الله بعد مدة عميًا وصمًّا وبكمًا لقوله تعالىٰ: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠٧، ١٠٨] وقوله تعالىٰ: ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [يس: ٦٣ـ٦٥] وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [طه: ١٢٤، ١٢٥] ﴿ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء: ٥٦] ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أي الموت ﴿ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ استثناء مفرغ أي ما اختاروا إلا الكفر ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ ﴾ من رزق العباد ﴿ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ بخيلًا ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ معجزات ظاهرات مذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٠ـ١٣٣] ﴿ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ ﴾ موسى بالبينات ﴿ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ ﴾ موسى ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ الآيات ﴿ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ نسب عليه السلام إلىٰ فرعون العلم وهو جاحد لقوله تعالىٰ: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [النمل: ١٤] ﴿ بَصَآئِرَ ﴾ حال أي مواعظ لمن اتعظ وتذكر ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ هالكًا ﴿ فَأَرَادَ ﴾ فرعون ﴿ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي يعدمهم لقوله تعالىٰ حاكيًا عنه: ﴿ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

[الأعراف: ١٢٧] ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ أي الأرض المقدسة لا أرض مصر لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ [المائدة: ٢١] ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ جميعًا ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي القرآن ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين ﴿وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ للكافرين ﴿وَقُرْءَانًا﴾ منصوب على شريطة التفسير ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾ أنزلناه متفرقًا ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ يومًا فيومًا كي يتحملوا ويتعلموا بقدر حاجاتهم ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ أي فهم الكتب السماوية ﴿مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ أي يخضعون وينقادون لما سمعوا لقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: ٨٣] ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ﴾ أي إنه كان ﴿وَعْدُ رَبِّنَا﴾ عباده على الإيمان والكفر ﴿لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ ليس له مانع عن تنفيذ الأحكام ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ يهيئون أنفسهم على الامتثال لأمر الله ﴿يَبْكُونَ﴾ حال ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ القرآن ﴿خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ لله لقوله تعالىٰ: ﴿نَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر: ٢٣] ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ﴾ مصداقهما واحد ﴿أَيًّا مَّا﴾ أي أي اسم من أسماء الله تعالى ﴿تَدْعُوا۟﴾ الله به مثل: يا الله! يا رحمن! يا رحيم! وغير ذلك فالأمر سواء ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ دليل على الجزاء أي الأسماء الحسنى المظهرة لصفات الكمال لله وحده لا لغيره من أي لسان كانت لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ﴾ [إبراهيم: ٤] ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ بدعائك جهرًا عنيفًا ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ خفاء لا تسمعه ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ أي لأجل الذل لأنه لا ذل له سبحانه لقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ[1] مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ

---

(١) لأن الآية الكريمة تدل على أن شأن الإله يأبى الانقياد وهو نوع من الذل فافهم.

﴿كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسراء: ٤٢] ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ أظهر كبرياءه أي قل: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد.

سورة الكهف مكية وهي مائة وعشر آيات

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ﴿١﴾﴾ حال كون الكتاب قيما لا يرد عليه إيراد لا دفع له لقوله تعالىٰ: ﴿لَّكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢] ﴿قَيِّمًا﴾ حال من الكتاب ﴿لِّيُنذِرَ﴾ الله ﴿بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ ظرف مستقر حال من الكتاب أي كائنًا من عند الله لقوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود: ١] ﴿وَيُبَشِّرَ﴾ على لسان رسوله لقوله تعالىٰ: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ [مريم: ٩٧] ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ أي الجنة ورضاه سبحانه لقوله تعالىٰ: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ [الكهف: ٣١] ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٨] ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ تمييز من ضمير -كبرت- في المعنى فاعل ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ لا احتمال لصدقها لقوله تعالىٰ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ [مريم: ٩٠، ٩١] ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ﴾ مهلك ﴿نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ أي القرآن حزنًا متعلق بـ-بَاخِعٌ- ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ من النباتات وغيرها ﴿زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾ أي نظهر المكلفين لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران: ١١٩]

﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾ يابسًا تذروه الرياح لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧] ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ أيها السامع ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ أي اللوح المرقوم فيه أسماؤهم وأسماء آبائهم ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾ لا يماثلهم شيء من آياتنا -لا- اذكر إجمالهم ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ﴾[1] الموحدة ﴿إِلَى الْكَهْفِ﴾ من الجبل ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ نهتدي به ولا نضل السبيل ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾ أي أنمناهم ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ تعيينها سيأتي ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ من النوم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ لنظهر ﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ من أصحاب الكهف والمختلفين في عددهم ﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾ مدة والتفصيل إنا ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم﴾ خبرهم ﴿بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ وحده ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي ثبتناهم على الهدى لقوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧] ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا﴾ إن دعونا غيره ﴿شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ كذبًا لا دليل عليه لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ﴿هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾ أي علىٰ عبادة الآلهة ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ يثبت به دعواهم ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾ بلا برهان ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ أي تركتموهم ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ الذي دعوا فيه ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ رفقًا أي يقضي حاجاتكم لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] ﴿وَ﴾ هيئة الكهف كذا

---

(١) كان ملك من ملوك الروم يعبد الأصنام يقال له: دقيانوس كان يأمر من تحته بعبادة الأصنام وكان في رعيته فئة موحدة فلما أجبرهم هربوا فهذه قصتهم والله أعلم (ملخص من تفسير الخازن).

﴿تَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ﴾ تميل ﴿عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾ تتركهم ﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي متسع من الكهف ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي حفاظتهم من الأعداء ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ يوصله على مراده ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ يرشدهم إلى الهدى لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ [الشورى: ٩] ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ إن رأيتهم ﴿أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم﴾ الذي ذهبوا به معهم ﴿بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ لرعبهم وهيبتهم ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي كما أنمناهم كذلك ﴿بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟﴾ بعضهم ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قال الآخرون: هيئاتكم قد تغيرت ثم ﴿قَالُوا۟﴾ متفقين ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ اتركوا البحث عنه لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون: ٣] وقوله عليه السلام: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[1] ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ فضتكم ﴿هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ البلد ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أي أيهم طعامه أطيب ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ أي لا يجادلهم ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ﴾ أي علىٰ حالكم ﴿أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟﴾ يطلعوا ﴿عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ إن لم تعبدوا ما يعبدون ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا﴾ إن عدتم في ملتهم ﴿أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي كما بعثناهم ﴿أَعْثَرْنَا﴾ أطلعنا القوم ﴿عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أي إحياء الموتى ﴿حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ تفسير

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٣١٨) وابن ماجه رقم (٣٩٧٦) وابن حبان رقم (٢٢٩) من حديث أبي هريرة، وله شاهد من حديث الحسين بن علي عند أحمد والطبراني، ومن حديث أبي بكر عند الحاكم في الكنى، ومن حديث أبي ذر عند الشيرازي، ومن حديث علي ابن أبي طالب عند الحاكم في تاريخه، ومن حديث زيد بن ثابت عند الطبراني في الأوسط، وغيرها وهو حديث صحيح بهذه الشواهد. وانظر فيض القدير (٦/ ١٢) ومجمع الزوائد (٨/ ١٨).

لـ-وَعْدَ اللهِ- اذكر ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ المتعلق بهم ﴿فَقَالُوا۟﴾ أي القوم ﴿ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم﴾ على كهفهم ﴿بُنْيَٰنًا﴾ جدارًا ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ أي بنياتهم ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ أي أولو الأمر والحكومة منهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [يوسف: ٢١] ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ لعبادة الله فيه على حسب مرامهم ثم ما فعلوا؟ الله أعلم ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي أهل الكتاب عددهم ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ لا علم لهم به ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قل هذا العدد صحيح كذا قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ﴾ لا تجادل ﴿فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ أي كل أمرهم إلى الله لما لا فائدة معتدًّا بها في البحث عنهم لقوله عليه السلام: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ أي لا تسأل عن أحوالهم لما علمهم عند الله ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ﴾ أي هذا الأمر مثلاً ﴿غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[1] أي قل متصلاً إن شاء الله لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الدهر: ٣٠] ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ قول إن شاء الله ثم ذكرت بعده فقل لقوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ﴾ إذا ذكرت ﴿هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ هو تفويض الأمور كلها إلى الله لقوله تعالىٰ تعليمًا: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤] وقوله تعالىٰ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: ٩] ﴿وَلَبِثُوا۟﴾ أصحاب الكهف ﴿فِى كَهْفِهِمْ﴾ قبل البحث المذكور ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ﴾ لا نسلم ما تقولون فيهم لأنه ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ فهو أخبرنا بما أخبر لأنه ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا يبلغ أحد علمه سبحانه لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ صيغتا

---

(١) ذلك أن أهل مكة سألوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال عليه السلام: أخبركم غدًا ولم يقل: إن شاء الله، فلبث الوحي أيامًا فنزلت هذه الآية (معالم ٥/ ١٦٢).

تعجب أي ما أبصره وما أسمعه ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾[1] أي لا يستمد ولا يشاور أحدًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠١] ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ أي القرآن ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي معلوماته ومقدوراته سبحانه لقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩] ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ ملجأ لقوله تعالىٰ: ﴿مَّنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٨] ﴿وَٱصْبِرْ﴾ أي قيد ﴿نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ من أصحابك ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ حال أي مخلصين ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي لا تتركهم ولا تتجاوزهم لكونهم قليلي ذات اليد لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الجملة حال ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ أي لا تتبع أمر من كان مفرطًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ [لقمان: ١٥] النهي إن كان المخاطب به النبي ﷺ فهو للاستمرار لا للإنشاء لقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ[2] كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] وإن كان غيره فهو للإنشاء فافهم أي لا تميلوا بالمحبة والموالاة إلى الفساق لقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣] ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ الأمر للتهديد ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ أي هي محيطة بهم كلهم لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٥٤] ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ﴾ يطلبوا الماء في جهنم ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى﴾ أي يحرق ﴿ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾

---

(١) فالخالق كيف يستمد من المخلوق فافهم.

(٢) لأن الآية الكريمة تدل على أن الرسول عليه السلام في كل أفعاله مطاع فكيف يميل إلى الكفار وهو ذنب فافهم.

لقوله تعالىٰ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۝٣١ ﴾ ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا ﴾ مفعول له للذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ﴿ رَّجُلَيْنِ ﴾ مفعول به لِـ-اضربْ- ﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا ﴾ أي أحطنا بهما ﴿ بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝٣٢ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا ﴾ ثمرها ﴿ وَلَمْ تَظْلِم ﴾ تنقص ﴿ مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ۝٣٣ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾ أي حظ من جميع الأموال ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ ﴾ المؤمن ﴿ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ يكلمه ويعظه ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝٣٤ ﴾ فكيف يكون ما أنا عليه من الدين غير مرضي عند الله لقوله تعالىٰ حاكيًا عن المشركين: ﴿ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴾ [الأحقاف: ١١] ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ بالتكبر والغرور ﴿ قَالَ ﴾ مخاطبًا للمؤمن ﴿ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ ﴾ تهلك ﴿ هَٰذِهِ أَبَدًا ۝٣٥ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣ ﴾ [الهمزة: ٣] ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ قاله استغناء لقوله تعالىٰ: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۝٨ ﴾ [العلق: ٦-٨] ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۝٣٦ ﴾ لزعمه أن من كان متسع الرزق في الدنيا يكون كذلك في الآخرة لقوله تعالىٰ: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ ﴾ [مريم: ٧٧] ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ ﴾ المؤمن ﴿ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ يكلمه ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ ﴾ أي أباك آدم ﴿ مِن تُرَابٍ ثُمَّ ﴾ إياك ﴿ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ۝٣٧ ﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٦ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾ [الانفطار: ٦-٨] ﴿ لَّٰكِنَّا ﴾ أي لكن أنا أعتقد الله ﴿ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝٣٨ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝٣٩ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ۝٤٦ ﴾ [الرحمن: ٤٦] ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا ﴾ عذاباً ﴿ مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝٤٠ ﴾ أرضًا أملس لا يثبت عليها قدم هذا الرجاء منه لأجل سوء أعماله لقوله تعالىٰ: ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ

﴿يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [النحل: ٤٥، ٤٦] ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾ غائرًا في الأرض ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الملك: ٣٠] ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي منقلعة أشجارها من منابتها ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ تحسر وتندم على فعله ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ﴾ جماعة غلمانه ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ﴾ هو بنفسه ﴿مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨] ﴿هُنَالِكَ﴾ ثبت ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ الحكومة ﴿لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ أي في إيتاء الثواب ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ أي من تبتل إليه كانت عاقبته محمودة لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [البقرة: ١٠٣] وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: ١٢٨] ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم﴾ أي للذين يؤثرون الحياة الدنيا ﴿مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ﴾ أي كأثر ماء ﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ﴾ تكاثف وغلظ ﴿بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ﴾ أي ثم صار بعد مدة ﴿هَشِيمًا﴾ يابسًا ﴿تَذْرُوهُ﴾ أي تنثره ﴿ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ قادرًا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي ليس بشيء في الآخرة لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ [سبأ: ٣٧] ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ أي الأعمال الحسنة ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ أي رجاء لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ظاهرة مستوية لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٥ـ١٠٧] ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ جمعناهم ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ نترك ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠] ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ جماعة جماعة علىٰ حدة يقال لهم: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ أي

فُرادىٰ فُرادىٰ ليس معكم شفعآء ولا حماة لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ﴾ [الأنعام: ٩٤] ﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾ أي حسبتم أن لا جزاء لأعمالكم لقوله تعالىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الجاثية: ٢١] ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ أي يوضع كتاب أعمالهم ﴿ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ ﴾ خائفين ﴿ مِمَّا فِيهِ ﴾ حين يقال لهم: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء: ١٤] ﴿ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا ﴾ هلاكتنا ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ أي ما ارتكبنا من صغير أو كبير مكتوب فيه لقوله تعالىٰ: ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣] ﴿ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ أي لا يؤاخذ أحدًا بغير ذنب فيجب عليكم أن تجتنبوا إغراء الشيطان لأنه عدو لكم ﴿ وَ ﴾ اذكروا ﴿ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ ﴾ خلقته ﴿ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ ﴾ خرج ﴿ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ فقال: ﴿ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الإسراء: ٦١] ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى ﴾ أي تطيعونهم خلاف ما آمركم لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٨] ﴿ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ تمييز عن ضمير الفاعل والمخصوص بالذم إبليس أي ساء لهم البدل من الله إبليس لقوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ ﴾ [الحج: ٤] ﴿ ﴾ ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ ﴾ أي ذرية الشيطان ﴿ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي ما شاركتهم في أمر من الأمور ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾ نصيرًا ذكر المضلين ليس بقيد أي ما أنا متخذ أحد عضدًا لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الكهف: ٢٦] ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ يَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ ﴾ إلى ما دعوا إليه من كشف الغم ودفع الألم لأنهم

لا يجيبون لهم شيئًا لقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم: ٨٢] ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾ إن كان الشركاء غير راضين بعبادتهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١] وإن كانوا راضين بعبادتهم فهم في النار معهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨] ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ لما يعرفون مناسبة لها لقوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمن: ٤١] ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ مفرًّا ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ مهملة صادقة في عادة الكفار. أي يجادلون في آيات الله لقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد: ١٣] ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ من ﴿أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ ﴿وَ﴾ أن ﴿يَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا﴾ انتظار ﴿أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ بالإهلاك لقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: ٥٣] ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾ مواجهًا لقوله تعالىٰ حاكيًا عنهم: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال: ٣٢] ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ أي ليس في خلق الآيات لهم قدرة لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٣٨] ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ الظرف متعلق بيجادل ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ أي يريدون به الغلبة على الحق لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: ٢٦] ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا﴾ به ﴿هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾ مهزوءًا به لا يبالون بها ولا يلتفتون إليها لقوله تعالىٰ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٢، ٣] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ أي آيات القرآن لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [لقمان: ٧] أو آيات الآفاق لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يوسف: ١٠٥] ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي

أعماله السيئة ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ عن ﴿أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ لإعراضهم وعنادهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠] ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾ [النساء: ٨٨] ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ على ما ارتكبوا ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ لإهلاكهم ﴿لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾ ملجأ يلجأون فيه لقوله تعالىٰ حاكياً عن الجن: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ [الجن: ١٢] ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ﴾ قرى عاد وثمود وغيرهم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم﴾ أي كفار مكة ﴿مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ لا يعدونه وهو بعد فتح مكة المكرمة لقوله تعالىٰ: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾﴾ [التوبة: ١، ٢] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾[1] عليه السلام ﴿لِفَتَاهُ﴾ لخادمه يوشع ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ لا أزال ﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ زمانًا طويلًا ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ الذي أخذاه لعلامة المقام لقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ الآية ﴿فَاتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ شقا كما يسبح الحوت سبحًا طبيعيًّا ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ المقام المطلوب ﴿قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ ما يؤكل أول النهار ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ تعبًا ﴿قَالَ﴾ الخادم وقد أتى بغدائه[2] ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ أي ذكر الحوت ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ بدل اشتمال أي ما أنساني ذكره لك إلا الشيطان ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ تعجب يوشع من سرعته ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَٰلِكَ﴾ المقام ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ نبتغي ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا

---

(١) فيه إشارة إلىٰ أن موسىٰ كان موسى بني إسرائيل كما ورد في الحديث في البخاري (٤٧٢٥) لا، كما توهم (الحديث).

(٢) فيه إشارة إلى أن الحوت لم يكن غداء بل كانت علامة للقاء العبد الصالح لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ إذ لو كان الحوت غداء لاختتم وقتًا فلا يبقى علامة (منه).

قَصَصًا ﴿٦٤﴾ حال أي متتبعين ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ هو الخضر عليه السلام كان إذ ذاك حيًّا[1] ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ أي من غير واسطة المعلم من الإنس لقوله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ [طه: ٩٩] ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ﴾ شرط ﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ أي هل تأذن أن أسترشد برشدك وبتعليمك وبأثر صحبتك لقوله تعالىٰ: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٩] وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾[2] [آل عمران: ١٠١] ﴿قَالَ﴾ الخضر يا موسى ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ أي لم تعرف كنهه بل ترى ظاهره فتتعرض له تعميلاً لأحكام الله سبحانه لقوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] وقوله عليه السلام: «من رأى [منكم] منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه»[3] ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ أي لا أخالف أمرك ولا أسبق لك بالسؤال لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١] ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ أي حتى أذكر سره ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ الخضر وموسى ومن معه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ﴾

---

(١) فيه إشارة إلىٰ أن الخضر قد مات في وقته لقوله عليه السلام: لو كان الخضر حيًّا لزارني كذا قيل.

(٢) لأن الآية الكريمة تدل علىٰ أن الصحبة مؤثرة فإن الله سبحانه استبعد الكفر من المؤمنين لأمرين كون القرآن يتلىٰ عليهم وكون الرسول عليه السلام موجودًا فيهم. فافهم (منه).

(٣) رواه مسلم رقم (٤٩) في الإيمان باب كون النهي عن المنكر من الإيمان والترمذي رقم (٢١٧٢) في الفتن باب ما جاء في تغيير المنكر باليد وأبو داود رقم (١١٤٠) في الصلاة باب الخطبة يوم العيد والنسائي (٨/١١١) في الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان وابن ماجه رقم (٤٠١٣) في الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

موسى ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾ أي فعلت فعلًا غير مرضي لله ﴿ قَالَ ﴾ خضر ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ ﴾ موسى ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي ﴾ لا تغشني ﴿ مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾ فعفا عنه ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ ﴾ موسى ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ قتلتها ﴿ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾ منكرًا لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام: ١٥١].

﴿ ۞ قَالَ ﴾ خضر ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ ﴾ موسى نعم ﴿ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾ في ترك مصاحبتي ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا ﴾ حق الضيافة لقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [النساء: ٣٦] ﴿ فَأَبَوْا۟ ﴾ أنكروا ﴿ أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ لبخلهم ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ أي كاد أن يسقط ﴿ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ ﴾ موسى ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴾ نطعمه ﴿ قَالَ ﴾ خضر ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ﴾ كما هو متقرر بيننا ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ لأنهم مساكين ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم ﴾ أمامهم ﴿ مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ ﴾ صحيحة ﴿ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا ﴾ يغلبهما ﴿ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [المنافقون: ٩] ﴿ فَأَرَدْنَآ ﴾ أي فشئنا ﴿ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾ ففيه فلاح الولد وصلاح أبويه ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ تركه أبوهما ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ لعله إشارة إلى أن أباهما كان دعا لهما فقبل دعاؤه فهذا أثره ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا ﴾ أي حد النكاح لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٥٢] وقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [النساء: ٦] ﴿ وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا ﴾ كان هذا ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ على كلهم وإن كان ظاهره غير مرضي في نظرك لقوله تعالىٰ: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟

﴿شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ عن هوى نفسي بل بإلهام الله لقوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ ولنعم ما قيل:

گفتـــه أو گفتـــه الله بـــود گرجه أزحلقوم عبدالله بود

(كـــان قـــولـــه قـــول الله وإن كان من حلقوم عبدالله)

﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ لأجل قبحه ظاهرًا ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن﴾ الملك ﴿ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ الذي قيل له: سكندر [والصواب أنه خورس] ﴿قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالحكومة كقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ٤١] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه في سياسة الملك ﴿سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾ طريقًا يوصل إلى المطلوب ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ طريقًا نحو الغرب كان يدور في مملكته لينظر حال الرعية بعينيه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ أي شط البحر حيث يرى أن الشمس قد غربت في البحر ﴿وَجَدَهَا﴾[1] أي ظنها ﴿تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ ذات طين ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا﴾ أي ألقينا في قلبه كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾ [المائدة: ١١١] ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ هؤلاء على ظلمهم ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ أي لك الاختيار في تعذيبهم على فسادهم ومعافاتهم افعل ما ترى المصلحة فيه ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾[2] أي أفسد بقتل الغير والسرقة وقطع الطريق ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾ لا يرى مثله في الدنيا لقوله تعالىٰ: ﴿لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الفجر: ٢٥، ٢٦] ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ أي آمن غيره من أذاه لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣] وقول أبي الطيب:

وكلمـــا آمـــن البـــلاد ســـرى وكلمـــا خيـف منـزل نـزلـه

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بترك الفساد والعناد والانقياد لأمر الحكومة ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الحسنى مبتدأ مؤخر وجزاء تمييز عن النسبة أي له الحسنى جزاء وهو الإعزاز من

---

(١) لأن الوجدان من أفعال القلوب.

(٢) معنى ظلم أشرك غير صحيح لأنهم كانوا معاهدين.

جهة الحكام ﴿وَسَنَقُولُ﴾ لعمالنا ﴿لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ أي نسهل أمره في تحصيل العشر والجزية ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ دائرًا في ملكه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ أي شط البحر من جهة المشرق حيث ترى الشمس طالعة ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ من جبل يحول بينهم وبينها حين تطلع، الأمر ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾ أي كنا بحاله عالمين ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾﴾ طريقًا آخر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ من الجبلين ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾ لجهالتهم وغباوتهم لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [النساء: ٧٨] ﴿قَالُوا﴾ بعد مدة ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾[1] قومان ﴿مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يفسدون في ملكنا بالقتل والإغارة ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ خراجًا ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ بين الجبلين ليسد سبيلهم إلينا ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين ﴿مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى﴾ من الدولة والحكومة ﴿خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ سدًّا ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ أي قطع الحديد فأتوا بها فبنى جدارًا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ﴾ الجدار ﴿بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ أي جانبي الجبلين ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ أي استوقدوا فيها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ أي كأنه نار تشتعل ﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوا۟﴾ أي يأجوج ومأجوج ﴿أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ فسدوا ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾ أمر ربي ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ مدكوكًا مسقوطًا على الأرض لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾ [الكهف: ٨] ولنعم ما قيل:

لـه ملـك ينـادي كـل يـوم لدوا للموت وابنوا للخراب

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى﴾ أي أمر ربي ﴿حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ لا مانع له لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ [الرعد: ٤١] ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم خروج المفسدين ﴿يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾ أي يخرجون على كثرة بحيث يسقط البعض

---

(١) قال المرزا القادياني المدعي المسيحية والمهدوية: إن يأجوج ومأجوج أقوام النصارى من الروس والبرطانية (حمامة البشرى ص٢٨) وهو تحت حكومتهم فيا للعجب! (منه).

على البعض قرب زمان الساعة ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ أي ينفخ في الصور ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ﴾ أي المفسدين كلهم ﴿جَمْعًا ﴿٤٩﴾﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠] ﴿وَعَرَضْنَا﴾ أي نعرض ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾ أي نعرض الكافرين على جهنم للإدخال فيها لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأحقاف: ٢٠] ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بيان للكافرين ﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ﴾ غفلة ﴿عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾ لكراهتهم الحق لقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الزمر: ٤٥] ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ متولية لأمر من الأمور التي هي في قبضته تعالىٰ من دفع البلاء والشقاء وتوسيع الرزق وإعطاء الولد وغيره. أَوْلِيَآءَ: مفعول ثان لِـ-يَتَّخِذُوا و-أن- المصدرية مفعول أول لِـ-حَسِبَ- والثاني محذوف أي أفحسبوا اتخاذ العباد موجبًا للفلاح والنجاح لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾ [مريم: ٨١] وقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾ تمييز، هم ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الظرف متعلق بِـ-ضَلَّ- أي سترى سعيهم لأجل منافع الحياة الدنيا فقط لقوله تعالىٰ: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النجم: ٢٩، ٣٠] وقول امرىء القيس: تضل العقاص في مثنى ومرسل.

﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ لما أنهم يحبون العاجلة ويذرون الآخرة لقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [النحل: ١٠٧] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ﴾ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٧، ٨] ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ التي ترى صالحة لقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ

أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ [محمد: ٩] ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ أي لا نجعل لهم عزًا ووقارًا لقوله تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة: ٦] ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ بيان لـ-ذَلكَ- ﴿بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ لم يبالوا بها ولم يعتنوا لها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ خروجًا لملال طبائعهم لأنهم لا يملون فيها لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٨] ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ أي لكتابة معلوماته ومقدوراته سبحانه ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ بل بأمثاله لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧] ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ في البشرية والعبودية لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨] ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ ما أحسنه الشرع ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ أي لا يرائي في عمله الصالح وإلا فهو شرك لا يجدي لقوله تعالىٰ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

اللهم اجعلني من الموحدين ولا تجعلني من المرائين المشركين.

سورة مريم مكية وهي ثمان وتسعون آية

﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾﴾ أنا الكافي الهادي الآمين العالم الصادق (رواه في الإتقان) هذا ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ﴾ مفعول به للرحمة ﴿زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾﴾ بدل من عبده ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾ دون الجهر العنيف لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: ١١٠] ﴿قَالَ﴾ بيان للدعاء ﴿رَبِّ إِنِّى

﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ أي ضعفت قواي ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ أي شبت ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ﴾ العصبات ﴿مِن وَرَآءِى﴾ في الدين أن يتركوا خدمة الدين ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ أي ليس له ذريعة لنيل المرام إلا رحمتك فقط وهي مرجوة عندي لقوله تعالى: ﴿لَا يَأْيَسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٧﴾ [يوسف: ٨٧] ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ علمهم لما مر في آل عمران ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ مرضيًّا عندك نودي من الله ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾ ولد ﴿ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ﴾ زكريا دفعاً لما خلج في صدره من كون الولد مع كونه على هذه الصفة ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ انتهاء ﴿قَالَ﴾ جبريل الأمر ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾ يذكر لقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الدهر: ١] ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً﴾ أطمئن بها[1] لقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠] ﴿قَالَ﴾ جبريل ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠﴾ صحيحًا من غير بأس حال ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ من الحجرة ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ أشار ﴿إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾ حتى مرت الأيام الثلاث ثم ولد يحيى بعد مدة قلنا: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾ أي الفهم ﴿صَبِيًّا ۝١٢﴾ حال ﴿وَحَنَانًا﴾ عطف على الحكم أي رأفة على الناس ﴿مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةًۖ﴾ طهارة من الذنوب وسوء الأخلاق لقوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾ [فصلت: ٦، ٧] ﴿وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣﴾ لله ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾ متكبرًا عنيدًا ﴿عَصِيًّا ۝١٤ وَ﴾ قلنا له ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝١٥﴾ يوم القيامة ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ الصديقة

---

(١) لأن الأنبياء كانوا موقنين علىٰ ما أخبرهم الله تعالىٰ فالمقصود من هذا التشبيه دفع توهم يرد ههنا فافهم.

﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾ تنحت ﴿مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾ لأجل الحاجة ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ يسترها منهم ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ أي ملكًا مرسلًا لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ الآية ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ فظنت أنه بشر يراني خالية ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ فاستر عني وإن كنت فاجرًا فأغيب أنا عنك لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩] ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ أي أخبرك بهبة الله لك ولدًا لقوله تعالىٰ: ﴿يَهَبُ[1] لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [شورى: ٤٩، ٥٠] ﴿قَالَتْ﴾ مريم ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ بالنكاح ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾ رانية ﴿قَالَ﴾ الملك الأمر ﴿كَذَٰلِكِ﴾ ولكن ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ ﴿وَ﴾ نخلقه ﴿لِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ على كمال قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ للناس لهدايته إياهم ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ عند الله ﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾ بعيدًا من القرية ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ﴾ متوجعة ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ لا أذكر بالقبح ﴿فَنَادَىٰهَا﴾ الملك ﴿مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ عينًا ﴿وَهُزِّىٓ﴾ حركي ﴿إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ يجنى ﴿فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا﴾ بالولد ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ يسبك على الولد ﴿فَقُولِىٓ﴾ أشيري ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ سكوتًا ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ إنسانًا قالت هذا القول بالإشارة لقوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ الآية ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾ يفترى على صاحبه هو الولد بلا والد ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ شبهوها بأخت هارون[2] لما كانت صالحة عندهم قبل هذا ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ زانية ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أي إلى ولدها المسيح ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ

---

(١) الآية الكريمة تدل على أن واهب الولد الله وحده فنسبة الهبة إلى جبريل مجاز (منه).

(٢) كان اسم أخت هارون مريم، كذا هو مذكور في الباب الخامس عشر من الكتاب الثاني من التوراة (منه).

﴿ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ ﴾ كان لنسبة الحال لا للماضي كقوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ [النساء: ١٧] ﴿ قَالَ ﴾ المسيح ﴿ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الإنجيل ﴿ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ صرح بنبوته لما هو مذكور في التوراة[1] من أن ولد الحرام لا يستحق الإمامة فدعوى النبوة أقطع لاتهامهم على مريم ﴿ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ قلت: ﴿ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ من كون المسيح بشرًا ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَ ﴾ قال المسيح: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [المائدة: ٧٢] قد مرت النقول الإنجيلية هناك ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ ﴾ ثبت بعضهم على الإيمان والتوحيد ورجع البعض إلى الكفر والتثليث ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ صيغتا تعجب أي ما أسمعهم وما أبصرهم ﴿ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ الظرف متعلق بصيغتي التعجب لقوله تعالىٰ: ﴿ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ق: ٢٢] ﴿ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ حيث لا يصغون الآذان إلى كلام الله وأحكامه لقوله تعالى ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ ﴾ يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ ﴾ [البقرة: ١٦٧] ﴿ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ۖ ﴾ بين المخلوق ﴿ وَهُمْ ﴾ أي والحال أنهم ﴿ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ لغفلتهم عن الأحوال الآتية فاسمعهم ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ بحيث لا يدعي أحد ملكه لقوله تعالى: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [غافر: ١٦] وإلا فهو اليوم أيضًا مالك الملك لقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٢] ﴿ وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ فنجازيهم أعمالهم ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ ﴾ القرآن قصة ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ﴾ آزر ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ ﴾ دعاءك ﴿ وَلَا يُبْصِرُ ﴾

---

(١) الباب الثالث والعشرين من الاستثناء.

حالك ﴿وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ هذا شأن الخلق كلهم لقوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤] وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ [الجن: ٢١] ﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي النبوة ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ﴾ أي لا تطع الشيطان في عبادة غير الله لقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤١] ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النحل: ٦٣] ﴿قَالَ﴾ آزر ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عما تقول: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى﴾ اتركني ﴿مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ أي كن مني على بعد بعيد ﴿قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ رؤوفًا ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى﴾ وحده ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٤] ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ يثني عليهم أهل الملل كلهم لقوله تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[1] [الأنعام: ٩٠] ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ وقت إعطاء النبوة ﴿وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ حال من المفعول به أي مناجيًا ربه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ على سؤاله لقوله تعالى حاكيًا عنه: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: ٢٩ـ٣٦] ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ عملًا بأمره سبحانه لقوله تعالى: ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ أي في درجة عالية لقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ

---

(١) الاقتداء في الدين بأحد يقتضي ثناءه (منه).

﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ من المؤمنين زمن الطوفان لقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء: ٣] ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝٥٨﴾ أي انقادوا لأوامره سبحانه لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ عذابًا ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ۝٦٠ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ۝٦١﴾ يأتيه أي يصل إليه الموعود له لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٣١﴾ [الرعد: ٣١] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾ من الله والملائكة لقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [يس: ٥٨] وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤] ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝٦٢ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ۝٦٣﴾ أي من يتقي ما نهى الله عنه في غالب أحواله لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ [القارعة: ٦، ٧] أنزلت الآية الآتية على لسان جبريل ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾[1] بالوحي على أحد ﴿إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ لقوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢] ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤﴾ لا ينسى أحدًا في وقت من الأوقات انتهى كلام جبريل وما بعده دمج من كلامه سبحانه كقوله تعالى في قول موسى: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [طه: ٥٢، ٥٣] الآية ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ لا تمل إلى غيره لقوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾ [المزمل: ٨] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝٦٦﴾ أي لا أخرج لقوله

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا» فنزلت. (معالم ٥/ ٢٤٣).

تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣﴾ [ق: ٣] ﴿أَ﴾ يقول كذا ﴿وَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا﴾ أي الله ﴿خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ۝٦٧ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ الذين يضلونهم ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝٦٨﴾ لقوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۝٢٣﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣] ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ جماعة ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۝٦٩﴾ أي من هو أشد تكبرًا ليقدم من أضلهم لقوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ۝٩٨﴾ [هود: ٩٨] ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝٧٠﴾ دخولاً وخلودًا ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أي عابرها لقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ [يوسف: ١٩] ﴿كَانَ﴾ هذا الأمر ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ من غير مس العذاب ﴿وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ المشركين ﴿فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات توضح أن الموحدين فائزون والمشركين في النار خالدون ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ منا ومنكم ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۝٧٣﴾ مصاحبة في الدنيا لزعمهم أن من كان معززًا موقرًا في الدنيا كان أحق بالإكرام في الآخرة لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا﴾ مالاً ومتاعًا ﴿وَرِءْيًا ۝٧٤﴾ صورة، عاد وثمود والذين جاؤوا من بعدهم لقوله تعالى: ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨﴾ [الفجر: ٨] ﴿قُلْ مَن كَانَ﴾ مستمرًا ﴿فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ صيغة الأمر بمعنى الخبر أي ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥﴾ [البقرة: ١٥] ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا﴾ أي يمهلهم إلى أن رأوا ﴿مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ﴾ في الدنيا ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ بعد الموت لقوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢١﴾ [السجدة: ٢١] ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ۝٧٥﴾ جواب لقولهم: أي الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًا ﴿وَيَزِيدُ

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ أي يديمهم على هداهم ويوفقهم لأعمالهم لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ﴾ أي الأعمال ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾ مآلاً ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ زعمًا منه أن من كان أنعم في الدنيا كان أنعم في العقبى لقوله تعالى حاكيًا عن الكافر: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: ٣٦] ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ بأن يعطيه كذا ـ كلا ـ لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [البقرة: ٨٠] ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ أي نجازيه على قوله هذا: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ: ٣٠] ﴿وَنَرِثُهُ﴾ نملك منه ﴿مَا يَقُولُ﴾ أي ما اغتر به من الأملاك بحيث لا يكون عليه دعوى مدع لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم: ٤٠] ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾ لا يكون معه ناصر ولا شفيع لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾ [الأنعام: ٩٤] ﴿وَٱتَّخَذُوا۟﴾ أي مشركو مكة ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾ شفعاء يقربونهم إلى الله لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ مخالفين لقوله تعالى حاكيًا عن آلهتهم: ﴿سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤١].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا﴾ أي سلطنا ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الذين تولوهم ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ تحركهم وترغمهم على مخالفة الحق لقوله تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٩] وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ [الحج: ٤] ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ أي على إيمانهم[1] لقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ [الكهف: ٦] ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ الأيام أي نؤخرهم

---

(١) لأنه عليه السلام ما استعجل هلاك الكفار بل استعجل هدايتهم -فافهم- (منه).

إلى أجل ليزدادوا إثمًا ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ كأنهم أضياف لقوله تعالى: ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٢] ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ عطشىٰ متفرقين لقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١] ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ أي استحق للإجازة بإذنه سبحانه لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ: ٣٨] ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ﴾ قلتم: ﴿شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾ منكرًا ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ شقًّا ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ أي لأجل ادعائهم للرحمن ولدًا تكاد تفسد السموات والأرض لقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١] ﴿وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ لأن الولد سر لأبيه ومثيل له ولا مثل له سبحانه لقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤] كيف يكون له الولد ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ ذليلًا خاضعًا لقوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١] ﴿لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ لا يخرجون عن عده وحده ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ لا يكون معه شفيع ولا حميم مر مثله مرارًا ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ في الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وقوله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧] ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ أي القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ العربي ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ معاندين للحق ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ صوت الرجل حين المشي أي لم يبق منهم أحد لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾﴾ إلى قوله عز من قائل: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الحاقة: ٨].

سورة طه مكية وهي مائة وخمس وثلاثون آية

﴿طه ۝١﴾ يا رجل[1] أي يامحمد ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ تتعب على الكفار لقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾ [الكهف: ٦] ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣﴾ فإنه ينتفع به لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾ [ق: ٣٧] نزل ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤﴾ هو ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ استواء يليق بشأنه ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾ فلا ينفع زائدًا ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ كلها التي تظهر كمال قدرته سبحانه من أي لسان كانت لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝٢٤﴾ [فاطر: ٢٤] ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا﴾ على الطور ﴿نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾ هنا ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ﴾ رأيت ﴿نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠﴾ هاد يهديني ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ﴾ نداءً لا يسمعه غيره ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ اسمه ﴿طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ على الناس ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣﴾ إليك ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ أي أظهرها للجزاء لقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٨ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [النحل: ٣٨، ٣٩] وقول الشاعر:

خفاهن من إنفاقهن كأنما ... خفاهن ودق من عشي مجلب

(جمهرة أشعار العرب)

---

(١) هذا قول مجاهد والحسن وعطاء والضحاك رضي الله عنهم (معالم ٥/ ٢٦٢).

﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ من الخير أو الشر ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ في ترك الإيمان بها ﴿ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ تهلك أنت لسوء اعتقادك ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا ﴾ عند التعب ﴿ وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ ﴾ منافع ﴿ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ لا تعد ولا تحصى ﴿ قَالَ ﴾ الله ﴿ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ تتحرك ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ أي نجعلها عصا كما كانت قبل هذا ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ مرض ﴿ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ تجاوز حد العبودية وادعى الألوهية.

﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ ﴾ لا يضيق على تكذيبهم لقوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ ﴾ [هود: ١٢] ﴿ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ ﴾ أي تبليغ رسالتي ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ ﴾ ظهري ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ ﴾ التبليغ ﴿ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ ﴾ الله تعالى ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ ﴾ أي ما سألتني من نبوة هارون ﴿ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ قبل هذا ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ ﴾ لحياتك ﴿ إِلَىٰٓ أُمِّكَ ﴾ أي ألقينا في قلبها كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى ﴾ [المائدة: ١١١] ﴿ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ ﴾ بيانه ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ﴾ أي فرعون ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى ﴾ يحبك كل من يراك وفهمت أمك هذا التدبير ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ أي لتحفظ بحفاظتي وقع هذا ﴿ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ ﴾ فوصلت دار فرعون ﴿ فَتَقُولُ ﴾ لأهل بيت فرعون ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ﴾ قالوا: نعم ﴿ فَرَجَعْنَـٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ فأرضعتك وربتك كيفما شآءت ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا ﴾ قبطية ﴿ فَنَجَّيْنَـٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾ بإذهابك إلى مدين ﴿ وَفَتَنَّـٰكَ فُتُونًا ﴾ أي جربناك تجربات كثيرة ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ عند شعيب عليه السلام ﴿ ثُمَّ جِئْتَ ﴾ على الطور ﴿ عَلَىٰ قَدَرٍ ﴾ مدة معينة ﴿ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ ﴾ اخترتك

﴿لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾ لتبليغ أحكامي ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا﴾ تفترا ﴿فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾﴾ كما وعدتني بقولك: كي نسبحك كثيرًا ونذكرك كثيرًا ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾ فينقاد ﴿أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ في قلبه أي ذكراه راجين تذكرته أو خشيته باللين لا بالغلظة لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] ﴿قَالَا﴾ أي موسى وهارون بعد ما لقي موسى في مصر ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾ بالعقوبة ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ يستحقرنا ﴿قَالَ﴾ الله ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ﴾ قولكما ﴿وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ حالكما ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ﴾ فرعون ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا﴾ الله ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ أي أراه الخير والشر لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد: ٨-١٠] ﴿قَالَ﴾ إن كنت على الحق ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾﴾ التي مرت منكرة لما تقول ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ فيه التفات ﴿أَزْوَاجًا﴾ أقسامًا عديدة ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾ ذوي العقول ﴿﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ﴾ أي فرعون ﴿آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾ أنكر تسليمه ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾ بدل من - مَوْعِدًا - ﴿قَالَ﴾ موسىٰ ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ يوم العيد ﴿وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾ عطف للتفسير ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ سحرته ﴿ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم﴾ أي لأركان فرعون ﴿مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة[1] الألوهية إلى فرعون ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ يهلككم ﴿بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا﴾ أي أركان فرعون ﴿أَمْرَهُم﴾ في أمرهم ﴿بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾﴾ ما نفعل وما نقول ﴿قَالُوا﴾ بعد

---

(١) لأنهم لا ينسبون سحرهم إلى الله فافهم (منه).

المشاورة ﴿إِنْ هَٰذَانِ﴾ إن مخففة وضمير الشأن محذوف أي إنه ﴿لَسَٰحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾ الفضلى من سائر الطرق سبحان الله ما أصدق قوله عز من قائل: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣٢] وقول الشاعر:

وكل يدعي وصلًا لليلى وليلىٰ لا تقربهم بذاكا

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾ غلب على مخاصمه ﴿قَالُوا﴾ أي السحرة ﴿يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ﴾ أولاً ﴿وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ﴾ موسى ﴿بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ تتحرك ولكن ما كانت لها حركة لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [الأعراف: ١١٦] ﴿فَأَوْجَسَ﴾ وجد ﴿فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ لأنه ما كان يعلم أسرار الغيب لقوله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [هود: ٣١] ﴿قُلْنَا﴾ أوحينا إلى موسى ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ الغالب عليهم ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ بمقابلة أهل الإعجاز لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧] ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ﴾ فرعون ﴿آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ﴾ أي موسى ﴿لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ أيها السحرة ﴿أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا﴾ أي السحرة ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا﴾ من عند الله ﴿مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي﴾ عطف على - مَا - ﴿فَطَرَنَا﴾ أي لا نخاف عذابك ولا نخشى عقابك لقوله تعالى في المؤمن: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨] ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾ لا نبالي ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾﴾ أي في هذه وهذه الحياة مستعارة لا دائمة لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن: ٢٦] ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا﴾ أي الذنب الذي ﴿أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ﴾ بمقابلة موسى ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾﴾ جواب لما قال أينا أشد عذابًا وأبقى أي ثواب الله خير وعذابه أدوم لقوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾

﴿وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧] وقوله تعالى: ﴿لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الفجر: ٢٥] ﴿إِنَّهُۥ﴾ الضمير للشان ﴿مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ كافرًا حال ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيقبض روحه ﴿وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ فيستريح لقوله تعالى: ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ: ٣٠] ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا﴾ معتقد التوحيد و ﴿قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ من الشرك والكفر والكبائر.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ﴾ بعد مدة مديدة بعد ما رأى فرعون المعجزات القاهرة ﴿إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ أي اذهب ببني إسرائيل ليلًا ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ من فرعون ﴿وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ غرقًا لوعدنا إياكم السلامة ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فرعون ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ لإيتاء الكتاب ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾﴾ قلنا لكم: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾ مما أمرتم به من الشكر عليها لقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود: ١١٢] ﴿فَيَحِلَّ﴾ فينزل ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ هلك ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ استمر على الهداية إلى الموت لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢] ذهب موسى عليه السلام مستعجلًا على الطور فقال الله: ﴿﴾ ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ أي لم جئت مستعجلًا عنهم ﴿قَالَ هُمْ﴾ بنو إسرائيل ﴿أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ يأتون على عقبي ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ﴾ الله بعد مضي مدة أربعين يومًا ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ أي ألقيناهم في البلاء من الضلال ﴿مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾﴾ باتخاذ العجل إلهًا ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ محزونًا ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ بإعطاء الكتاب للهداية ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ منذ فارقتكم ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾ وصيتي لاتباع هارون لقوله تعالى حاكيًا عنه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا

﴿تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف: ١٤٢] ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ باختيارنا الباطل ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ﴾ أي لكن الأمر ما نقص عليك أنا حملنا ﴿أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ أي جمعناها من بيوتنا ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ فيما يحمى عليها ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾ هذا من كلام الله سبحانه ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ أي لا يكون له إلا الصوت ﴿فَقَالُوا۟﴾ أي السامري وأتباعه ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ لما أنه يصوت ﴿فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾﴾ موسى فإنه ذهب إلى الطور طالبًا لله تعالى قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا﴾ أي أنه لا ﴿يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ جوابًا ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ ولابد لإله منهما لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٧١].

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ ألقيتم في البلاء ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾ مقيمين ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ فنرى ما يأمرنا ﴿قَالَ﴾ موسى بعد ما خاطب القوم ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ أي لم تركت ما أمرتك من الإصلاح بالسياسة لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف: ١٤٢] ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ﴾ هارون وقد أخذه موسى برأسه وبلحيته غضبان لقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: ١٥٠] ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ واستمع لعذري على ترك السياسة ﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بتعذيب المجرمين ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ﴾ تنتظر ﴿قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾ أمري على أن ﴿ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾ [الأعراف: ١٥٠] ﴿قَالَ﴾ موسى نعم ما قلت: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾﴾ لم فعلت ما فعلت من إغوائهم ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي فهمت ما لم يفهموا من أمر الفتنة والإضلال ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي وقت ذهابك إلى الطور قبضت التراب من أثرك لاعتقاد الناس فيك ﴿فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾ أي زينت لي نفسي الفتنة بين بني إسرائيل للتفريح ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى﴾ مدة ﴿ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ أي لا يماسني أحد ولا يخالطني ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾

للعذاب بعد الموت ﴿ لَن تُخْلَفَهُۥ ﴾ من الله ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ ﴾ لا نستعمل ذهبه ولا فضته ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ ﴾ قرآنًا يذكر الناس كلهم ﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ إثم كسبه ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهِ ﴾ أي في جزائه ﴿ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ ﴾ بدل من يوم القيامة ﴿ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ لوناً وعمياناً لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه: ١٢٤] ﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي يسرون النجوى بينهم يقول بعضهم لبعض ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ ﴾ في الدنيا ﴿ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ أي عشر ليال ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ﴾ أي أحسنهم رأيًا في هذا الشأن ﴿ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ بل أقل منه لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [النازعات: ٤٦].

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ ﴾ أي مشركو مكة ﴿ عَنِ ٱلْجِبَالِ ﴾ ما تصير عند النفخ ﴿ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا ﴾ أي يترك الأرض ﴿ قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا ﴾ انخفاضًا ﴿ وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ ارتفاعًا ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ ﴾ من الله. الأموات ﴿ لَا عِوَجَ لَهُۥ ﴾ أي ما لقبول دعوته تأخر لقوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [المعارج: ٤٣] ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ أي يسكت الناس كلهم لهيبة جلاله تعالى ﴿ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ أي صوت الأرجل ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ ﴾ أحدًا ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ أي أذن في حقه ﴿ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ بأن شكر الله لقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر: ٧] ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ من أي وجه لا بالحس ولا بالقلب لقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ ﴾ أي تنقاد ذوو الوجوه يوم القيامة لله لقوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ﴾ [النحل: ٨٧] ﴿ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ ﴾ خسر ﴿ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ لا مراء في أعماله ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ﴾ تلفًا لأعماله ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ أي مثل ما أنزلنا قبلك الكتاب على الأنبياء ﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ أي هذا الكتاب ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ ﴾ على الذنوب

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فينقادون ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾ تأملًا في أحوالهم الآتية ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ أي بقراءته لقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾﴾ [القيامة: ١٦] ﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ معرفة لك والنسيان بعد المعرفة لا ينافي المعرفة كما صدر من آدم ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ﴾ أن لا تأكل من الشجرة الممنوعة ﴿فَنَسِيَ﴾ أي أول نهي التحريم بالتنزيه ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ قصدًا على ترك ما نهاه الله عنه جحودًا بل تأويلًا لقوله تعالى: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ﴾ [الأعراف: ٢٢].

﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾﴾ أي تصير شقيًّا ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ أي تأكل منها حيث شئت متى جعت لقوله تعالى: ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [الأعراف: ١٩] ﴿وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾﴾ أي لا تصير عريانًا ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا﴾ لا تعطش ﴿فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ في حرارة الشمس ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ إن تأكل منها تكن خالدًا فيها ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ لا يقبل الزوال لقوله تعالى: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٠] ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ أي نزع عنهما لباسهما لقوله تعالى: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٧] ﴿وَطَفِقَا﴾ شرعا ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ﴾ ليسترا سوآتهما ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ﴾ بغير العزم ﴿فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ أي فحكم عليه بالغواية ﴿ثُمَّ﴾ لما تابا ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] ﴿اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ تفسير للاجتباء ﴿قَالَ﴾ الله ﴿اهْبِطَا﴾ الأمر للاستمرار لا للإنشاء كما مر ﴿مِنْهَا جَمِيعًا ۖ﴾ أي بمن اشتملتما من أولادكما ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ الذي أنزله للناس على الأنبياء ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي حياة شقاء[1] لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ

---

(١) قاله ابن عباس (رواه البخاري في تفسير سورة طه).

قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٩] لا قلة المال في الدنيا لقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزخرف: ٣٣] ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ قد مر في الجزء: ١٥ [الإسراء: ٧٢] ﴿قَالَ﴾ أي يقول: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ في الدنيا ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ أي لم تلتفت إليها لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ الآية لا نسيان الحفظ ﴿وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ أي تطرح في جهنم كأنك منسي لقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر: ١٨] لا حقيقة النسيان لأنه مستحيل في الله سبحانه لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤] ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾ تجاوز حد العبودية ﴿وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾﴾ تأكيد لما قبله ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ أي كفار مكة ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾ ذوي العقول الذين يتفكرون في الأحوال الآتية.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بالفصل بعد الموت لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [السجدة: ٢٥] ﴿لَكَانَ﴾ العذاب ﴿لِزَامًا﴾ أي ملصقًا بهم في الدنيا ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾ عطف على كلمة أي لولا أن يكون وقت الموت أو يوم القيامة مقررًا عند الله لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾ [الأنعام: ٢] ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فيك من ساحر وكاهن ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ أي اعمل هذه راجيًا رضاك من الله لا مرائيًا ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ حسرة وتمنيًا ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾ أقسامًا ﴿مِّنْهُمْ﴾ من الكفار من الأموال والأولاد ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي طلب[1] زينة الحياة الدنيا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢] ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي لنصيبهم به لقوله تعالى:

---

(١) إشارة إلى أن المضاف المحذوف مفعول له (منه).

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [التوبة: ٥٥] ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ ﴾ الذي أعطاك من العلم والمعرفة لقوله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٨] ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ﴾ أن ترزقنا لقوله تعالى: ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٧] ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ ﴾ أي والدار الآخرة ﴿ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ أي لأرباب التقوى لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [القمر: ٥٤] ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا ﴾ هذا الرسول ﴿ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾ مما اقترحنا ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ ﴾ من أخبار الرسل له لقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٧] ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ ﴾ أي من قبل الرسول ﴿ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾ بعذابك ﴿ قُلْ كُلٌّ ﴾ منا ومنكم ﴿ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَـٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ﴾ المستقيم ﴿ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾ عطف تفسير أي سيظهر أمر المهتدي والمعتدي فأظهر سبحانه كما ينبغي لقوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ ﴾ [النصر: ١، ٢].

سورة الأنبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ بعد الموت ﴿ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾ عما ينذرون ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ جديد بتجدد الزمان لقوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ [الإسراء: ١٠٦] ﴿ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ ﴾ لا يلتفتون إليه ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ ﴾ حال. غافلة ﴿ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ﴾ على مخالفة النبي عليه السلام ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ الموصول فاعل أو بدل من ضمير أسروا قالوا: ﴿ هَلْ هَـٰذَآ ﴾ الرسول ﴿ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ ﴾ صدقوا في هذا القول لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الكهف: ١١٠] ولكن ما تأملوا أن أوصاف البشر مختلفة لقوله تعالى: ﴿ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ ﴾ [إبراهيم: ١١] ﴿ أَفَتَأْتُونَ

﴿ٱلسِّحْرَ﴾ أي الساحر ﴿وَأَنتُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿تُبْصِرُونَ ۝٣﴾ تعقلون فكيف يتأتى منكم هذا؟ ﴿قَالَ﴾ الرسول أي حين سمع هذه المقالة ﴿رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ﴾ الكائن ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤﴾ بأحوالنا وأحوالكم وهو عليم بذات الصدور ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ﴾ أي كلام الرسول لغو لا اعتداد له لمخالفته سائر الناس لقوله تعالى: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ۝٧﴾ [ص: ٧].

﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ على الله ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ لا اعتبار له ولكلامه لقوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝٢٢٤ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝٢٢٥﴾ [الشعراء: ٢٢٤، ٢٢٥] ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥﴾ من الآيات التي اقترحناها لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠﴾ [الإسراء: ٩٠] ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ﴾ على عنادهم للحق ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ لا- لقوله تعالى: ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ۝١١١﴾ [الأنعام: ١١١] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ لا نساء ولا ملائكة ﴿نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ أي أهل الكتاب وهم فريق ثالث بيننا ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾ أيها القريشيون ﴿وَمَا جَعَلْنَـٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ جواب لقولهم: ﴿مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] ﴿وَمَا كَانُوا۟ خَـٰلِدِينَ ۝٨﴾ لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [العنكبوت: ٥٧] ﴿ثُمَّ صَدَقْنَـٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ أي بعد الإرسال وإيذاء الكفار ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ﴾ من المؤمنين ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩﴾ المعاندين للحق ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا﴾ قرآنًا ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أهل العرب ومن تبعكم لقوله تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾ مصلحتكم ومآلكم لا لقوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ۝٧٩﴾ [الأعراف: ٧٩].

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ تمييز لِكَمْ ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا﴾ خلقنا ﴿بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝١١ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ﴾ عذابنا ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا﴾ أي من القرية ﴿يَرْكُضُونَ ۝١٢﴾ يسرعون. قيل لهم: ﴿لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ من النعماء ﴿وَمَسَـٰكِنِكُمْ

﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ أي يسألكم المحتاجون كما كان زعمكم لقوله تعالى: ﴿ مَا نَرَىٰكَ (١) إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ [هود: ٢٧] ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١١﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ ﴾ المقولة ﴿ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ نداءهم ﴿ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ أي لا شيء يذكر لقوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [مريم: ٩٨] ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ لا نتيجة لها بل ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [ص: ٢٧] ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ ﴾ مستورًا عن أعين المخلوق ﴿ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ ﴾ يفنيه أي بل نرسل الرسل بتعليم التوحيد وجميل الأخلاق فيغلب الشرك والكفر لقوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الرعد: ١٧] ﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ ذاهب ﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ من أن لا نتيجة للخلق لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ٣٧] ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ أي مقربون عند الله من الأنبياء والأولياء لا يفترون عن دعائه وعبادته لقوله تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ ﴾ [النساء: ١٧٢] ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ بل يديمون لقوله تعالى: ﴿ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [النور: ٣٧] ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي كائنة من جنس الأرض ﴿ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ إياهم بعد النوم(٢) لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٧] ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ﴾ أي في السماء والأرض ﴿ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ غير الله

---

(١) إن الآية الكريمة تدل على أن الكفار يستعلون على المؤمنين ويستحقرونهم فلهذا استدل بها. فافهم (منه).

(٢) وتفسير الإنشار ههنا بالبعث والحشر لعله ليس بصحيح لأن القوم لم يقروا به فكيف السؤال؟ فافهم (منه).

﴿لَفَسَدَتَا﴾ خرجتا عن النظام لأنهم لا يصطلحون بينهم لأن المصالحة لا تخلو عن الانقياد من أحد لأحد منهما أو لثالث فوقهما وشأن الألوهية يأبى الانقياد لقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الإسراء: ٤٢] ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ من تعدد الآلهة شأنه إنه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ﴾ أي المخلوقون كلهم ﴿يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ عن أفعالهم لما أنهم عبيد له لقوله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦] ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ دلائلكم على هذه الدعوى ﴿هَٰذَا﴾ التوحيد ﴿ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾ من المسلمين ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ من الأنبياء لقوله تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣] ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟﴾ أي المشركون وأهل الكتاب ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ الملائكة والمسيح وعزيرًا ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ أن يكون له ولد ﴿بَلْ﴾ هم ﴿عِبَادٌ﴾ له ﴿مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ لتقواهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أي لا يعصون الله ما أمرهم ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ أي أذن له لقوله تعالى: ﴿مَّن أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩] ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ على سبيل الفرض ﴿إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ أي سوى الله ﴿فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ولكن لم يقل أحد قط ولن يقول لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ متلاصقة لا تمطر السماء ولا تنبت الأرض ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ﴾ أي أنزلنا من السماء ماء وأنبتنا من الأرض نباتًا لقوله

تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [الروم: ٤٨] وقوله تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾ [عبس: ٢٥، ٢٦] ﴿وَجَعَلْنَا﴾(١) خلقنا ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ أي رطب لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [السجدة: ٢٧] ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً راسيات ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ أي لا تضطرب بهم لقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ [تبارك: ١٦] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾ عطف بيان لما قبله ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ في البر والجبال ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ﴾ من خلل النظام والفطور لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ [تبارك: ٣] ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ لا يعتبرون بها لقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يوسف: ١٠٥] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ﴾ له ﴿يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يجرون لا في غيره لقوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ﴾ [يس: ٤٠] ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ أي لايموتون لا- لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ﴾ اختبارًا ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ يقولون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ بسوء وليس له وجاهة ولا مال كثير لقوله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١] ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ لأجل ذلك لا يقرون بتوحيده لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٠] فلذا يستعجلونك بالعذاب ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أي كأن العجلة في طينته لقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩-٢١]

---

(١) الآية قرينة على ما أولناه فافهم.

﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ العذاب لقوله تعالى حاكيًا عن المشركين: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ [ص: ١٦] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ أي وعد الحشر ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ فأخبرونا ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وقت الوعد أي ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾ أي لا ينتصرون ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ من غيرهم لانتهوا[1] عما يقولون: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ الساعة ﴿بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ تحيرهم لقوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [يس: ٥٠] ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الأنعام: ١٤٧] ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ يمهلون ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾ من العذاب.

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي من يحفظكم من عذاب الله إن أتاكم لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [يونس: ٥٠] ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم﴾ أي تحفظهم ﴿مِّن دُونِنَا﴾ لا بل آلهتهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يجارون لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٨] ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ بالنعماء فقست قلوبهم لقوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦] ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾ أي أرض الكفر ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بنشر الإسلام فيها لقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ [النصر: ١، ٢] ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ لا، بل نحن الغالبون لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف: ٩] ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ﴾ المعاند ﴿ٱلدُّعَآءَ﴾ الوعظ ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ شيء ﴿مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ يعترفون بذنوبهم

---

(١) إشارة إلى حذف الجزاء (منه).

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ ﴾ أي نزن أعمالهم بالعدل ﴿ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ ﴾ عملها ﴿ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ﴾ لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ﴾ [الكهف: ٤٩] ﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ لا نحتاج إلى من يعلمنا أحوال الناس لقوله تعالى: ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الأعراف: ٧] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ أي معجزة العصا الفارقة بين الحق والباطل لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١١٧ـ١١٩] ﴿ وَضِيَآءً ﴾ أي معجزة اليد البيضاء لقوله تعالى: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٠٨] ﴿ وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ أي التوراة لقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٤] ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ بيان للمتقين ﴿ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ خائفون لأنهم هم المنتفعون لقوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿ وَهَٰذَا ﴾ القرآن ﴿ ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ إليكم ﴿ أَفَأَنتُمْ ﴾ أيها القريشيون ﴿ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ أي لا ينبغي لكم الإنكار لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢].

اسمعوا: تعليم أبيكم إبراهيم ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ أي كنا نعلم أنه قابل لهذه النعمة لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ﴾ آزر ﴿ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ عابدون ﴿ قَالُوا۟ ﴾ لا دليل لنا على هذا لكن ﴿ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ ﴾ إبراهيم: هذا ليس بدليل لأنه يعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال لقوله تعالى: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٠] والله ﴿ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ تلعب بنا ﴿ قَالَ ﴾ لاألعب بكم ﴿ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذين يشهدون بتوحيد الله لقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

﴿هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ من ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ﴾ إلى دوركم ﴿مُدْبِرِينَ ۝٥٧﴾ حال ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ قطعًا ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾ يسألونه ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩ قَالُواْ﴾ أي بعضهم ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ بالسوء ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠ قَالُواْ﴾ أي رؤساؤهم ﴿فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۝٦١﴾ على إقراره ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢ قَالَ﴾ لا ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ السالم، النسبة إلى الكبير مجاز كقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦] أي هو صار سببًا بغيظي عليهم ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۝٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي تأملوا في الجواب ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ أي رؤساؤهم والكيس منهم ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٦٤﴾ حيث جئتم بفتى لا نريد المجادلة معه ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أي تفكروا في أمرهم هذا ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الأصنام ﴿يَنطِقُونَ ۝٦٥﴾ فكيف تحيل السؤال إليهم ﴿قَالَ﴾ الأمر كذا ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦﴾ إذ الكلام مبدأ للنفع والضرر وإذ ليس فليس لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۝٨٩﴾ [طه: ٨٩] ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾ قبح أعمالكم ﴿قَالُواْ﴾ لا جواب له عندنا ﴿حَرِّقُوهُ﴾ بالنار ﴿وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨﴾ ولنعم ما قيل:

جوحجت نماند جفاجوئي را ببيكار كردن كشد روئي را

(إذا لم يبق للظالم حجة يكشف وجهه للحرب)

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ أي لا يتضرر بحرك ولا ببردك فصارت كذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس: ٨٢] ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠﴾ لم ينالوا ما راموا ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ۝٧١﴾ أي الشام لقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي زائداً على سؤاله ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ۝٧١﴾ [هود: ٧١] ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ۝٧٢ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ فهمًا لقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ [مريم: ١٢] ﴿وَعِلْمًا﴾ عطف تفسير ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ أي اللواطة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ الخاصة ﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾. ﴿وَ﴾ اذكر ﴿نُوحًا إِذْ نَادَىٰ﴾ ربه ﴿مِن قَبْلُ﴾ بقوله: ﴿أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ [القمر: ١٠] ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ﴾ أي على ﴿ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ عطف على نوحًا ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ حكمًا مختلفًا بينهما ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ فأكلته كله ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا﴾ أي الحكومة ﴿سُلَيْمَٰنَ ۚ﴾ فحكم بها ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ﴾ تذكره حين غفلة بلسان القال أو بلسان الحال. الله أعلم لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ﴾ [الإسراء: ٤٤] ﴿وَكُنَّا﴾ نحن ﴿فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ﴾ أي داود ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ أي الدروع ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ﴾ حربكم ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَ﴾ سخرنا ﴿لِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ حال ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بتدبيره[1] وإجرائه ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ﴾ بل إلى أي جهة شاء لقوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ﴾ [سبأ: ١٢] ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أي الجن ﴿مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ في الماء ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ﴾ لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ﴾ [سبأ: ١٢] ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ ألا يزيغوا عن أمر سليمان لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [سبأ: ١٢] ﴿وَأَيُّوبَ﴾ عطف على (نوحًا) ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ ارحمني بدفع الأذى عني ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا﴾ أي دفعنا ﴿مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾ الذين ماتوا أو غابوا عنه ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ

---

(١) كالطيارة في زماننا هذا (منه).

﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾[1] ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ الخاصة لقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى[2] وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ عطف على المنصوب قبله أي اذكر يونس ذا الحوت ﴿إِذ ذَّهَبَ﴾ بغير صريح الإذن منا ﴿مُغَـٰضِبًا﴾ من القوم على كفرهم لقوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ[3] مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا﴾ [طه: ٨٦] ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي لن نضيق عليه ولا نؤاخذه على فعله هذا لما أنه كان صالح النية تحت قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] فركب على الفلك فسقط في بطن الحوت لقوله تعالى: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الصافات: ١٤٠-١٤٢] ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ أي ما أصابني فمني لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠] ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ ما دعانا إليه ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ الذين يدعوننا رغبًا ورهبًا لقوله تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الحجر: ٤٩] ﴿وَزَكَرِيَّآ﴾ أي اذكر ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ بلا ولد ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ ترث كل من على الأرض وأنت مالك الكل لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم: ٤٠] ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ دعاءه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ لأنها كانت عاقرًا لقوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾﴾ [مريم: ٨] المعطوف مقدم على المعطوف عليه في الواقع ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي كل من ذكر ﴿كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَ﴾ اذكر فيهم الامرأة ﴿ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ﴾ حفظت ﴿فَرْجَهَا﴾ عن الزنا أي مريم الصدِّيقة

---

(١) كان رجلًا صالحًا لعله نبي (منه).

(٢) الرحمة العامة شاملة لكل شيء والخاصة للخاصة فافهم (منه).

(٣) الآية الكريمة تدل على جواز الغضب على الأمور القبيحة فتدبر (منه).

رد على اليهود حيث رموها لقوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء: ١٥٦] ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أي من نوع الروح المخلوق لنا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩] ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ على كمال قدرتنا لقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢١] ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ الجماعة المذكورة ﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ حال من المشار إليه أي كان دينهم واحدًا لقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾ [الأنعام: ٩٠] ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ لا غيري ﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ﴾ ثبت على الإيمان بعضهم وكفر البعض لقوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [مريم: ٣٧] ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ۖ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ أي الملائكة رسلنا يكتبون أعمالهم لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١٢] ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ إلينا أي كل من مات[1] فهو راجع إلى الله البتة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ [العلق: ٨] وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠] ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية لا غائية ﴿إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ يسرعون ﴿وَٱقْتَرَبَ﴾ جاء ﴿ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ يوم القيامة عطف على فتحت ﴿فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يقولون: ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ نعمل خلاف مقتضاه. فتح يأجوج ومأجوج يكون قبل القيامة والمراد باقتراب الوعد قيام الساعة أي إذا انتهى أمر الدنيا وجاء الوعد الحق وهو يوم القيامة فكان كذا وكذا لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢] ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ برضاهم لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ

---

(١) لأن حرمة عدم الرجوع في معنى وجوب الرجوع فافهم.

﴿قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ﴾ [المائدة: ١١٦ـ١١٩] ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ أي وقودها ﴿أَنتُمْ لَهَا﴾ أي فيها ﴿وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الذين تدعونهم ﴿ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ﴾ لقوله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣] ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ وقتًا ما ـ لا دائمًا لقوله تعالى: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ بإخلاصهم كالمسيح ومثله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ﴾ زفيرها بحيث تؤذيهم لا مطلقًا لقوله تعالى: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الصافات: ٥٥] ﴿وَهُمْ﴾ أي الصلحاء ﴿فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ وقت الحشر لقوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ٢] ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قائلين ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ من الله ﴿يَوْمَ﴾ متعلق بـ لا يَحْزُنُهُمْ ﴿نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ﴾ أي كما تطوى الصحيفة المكتوبة في يد الكاتب وطي السماء كناية عن القبضة لقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ﴾ [الزمر: ٦٧] ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ﴾ بلا مال ولا حميم مر مثله مرارًا لقوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٩٥] ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ﴾ مصدر مؤكد ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾ الذي آتينا داود ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ أي التذكير ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ أي أرض الجنة لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۚ﴾ [الزمر: ٧٤] ﴿يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ هذه الكتابة كما كتب الله في القرآن بقوله عز من قائل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١ـ١١] وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى

﴿نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٣] ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ أي ما كتب في الزبور ﴿لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ ليعبدوا الله ويدخلوا الجنة لقوله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٦١] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ (رَحْمَةً) مفعول لأجله أي لنرحم من أطاعك لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ منقادون لما أقول ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ حال أي أنا وأنتم مستوون في العلم لقوله تعالى: ﴿مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ [الأحقاف: ٩] ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ﴾ أي كتمانه ﴿فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ لتصلحوا أو تغتروا ﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ﴾ الرسول محمد ﷺ حين آذاه قومه ﴿رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ تقولون في شأني من ساحر أو كاهن أو شاعر أو غير ذلك لقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥].

سورة الحج مدنية وهي ثمان وسبعون آية

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ أي اضطراب يوم القيامة ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ أي تغفل الأم عن ولدها لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤-٣٧] ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ وضع الحمل كناية عن شدة الوجع إذ ليس هناك حمل ولا وضع لقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ [القمر: ٧، ٨] ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ يدهش قلوبهم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي﴾ شأن ﴿اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ أي حكم عليه الشيطان ﴿أَنَّهُ

﴿مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يس: ٦٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ أنا كيف نجمع صوركم وعظامكم لقوله تعالى: ﴿قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس: ٧٨] ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم﴾ أي فتفكروا أنا خلقناكم ﴿مِّن تُرَابٍ﴾ أي أباكم آدم ﴿ثُمَّ﴾ إياكم ﴿مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ﴾ تامة ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ ثم لتراخي الكيفيات الواردة على النطفة ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أي نذكر لكم لنظهر عليكم قدرتنا ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ تسعة أشهر أو أقل أو أزيد منها ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨] ﴿ثُمَّ﴾ نربيكم ﴿لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ قوتكم ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ قبل ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا﴾ اللام للعاقبة ﴿يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ أي تجهلون بعد أن كنتم تعلمون لقوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يس: ٦٨].

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ يابسة ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ تحركت ﴿وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ﴾ الذكر مفض بكم ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي على أن الله ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت المستحق للعبادة لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٧] ﴿وَ﴾ موصل بكم إلى ﴿أَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ كل ذلك بطريق الإن كقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة: ٣٦ـ٤٠] فافهم ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى﴾ شأن ﴿ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾﴾ مبين أي ليس له علم ولا خلق جميل وعمل صالح ولا علم شرعي ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ حال أي متكبر غير مبال بعقاب الله سبحانه ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي الإسلام ﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ يصيبه إن شاء الله ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾﴾ يقال له: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ اعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾ يعذبهم بغير ذنوبهم.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ ﴾ أي طرف تفصيله ما ذكر بقوله جل مجده ﴿ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ﴾ فائدة وراحة ﴿ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ ﴾ ارتد عن الإسلام ﴿ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ﴿ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ ﴾ أي ضر دعائه من الله ﴿ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾ ﴾ [الحج: ٣١] ﴿ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ ﴾ أي المعبود ﴿ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾ المصاحب هو العابد لقوله تعالى: ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الحج: ٧٣].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ ﴾ جواب لقولهم: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ ﴾ [الأنعام: ٥٣] أي لا مانع لحكمه وقضائه ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ ﴾ محمدًا رسول الله ﷺ ﴿ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ حيث يزعم أنه سيهلك لقوله تعالى: ﴿ وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ ﴾ [التوبة: ٩٨] ﴿ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ ﴾ حبل ﴿ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي السقف ﴿ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ ﴾ أي ليختنق ﴿ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾ - مَنْ - شرطية وجزاؤه محذوف أي فيرى ما يكره والباقي دال على الجزآء أي إذا نصر الله نبيه وأظهره على أعدائه فليمدد هذا الظان بحبل إلى السقف وليختنق به ثم لينظر هل يذهب تدبيره بنصره عليه السلام لا لقوله تعالى: ﴿ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الصف: ٩] وقوله تعالى: ﴿ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٩] ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ أي كما أنزلنا ما ذكر ﴿ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾ أي القرآن كله ﴿ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ وَ ﴾ اعلموا ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ لا مانع لأمره.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ ﴾ عبدوا الأوثان ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ ﴾ يطيع ﴿ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي ما فيهما ﴿ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ

وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ﴾ لا مانع لحكمه ﴿ ۞ هَٰذَانِ ﴾ الفريقان من المؤمنين والكافرين ﴿ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى ﴾ شأن ﴿ رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ ﴾ [الأعراف: ٤١] ﴿ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ ﴾ يذاب ﴿ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ ﴾ ثم بعد ذلك تعاد مثلها لقوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ ﴾ [النساء: ٥٦] ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ ﴾ أي يريدون ﴿ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ ﴾ لأجل الغم ﴿ أُعِيدُوا۟ فِيهَا ۖ ﴾ قيل لهم: ﴿ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ ﴾ [السجدة: ٢٠] الآية.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ ﴾ في الحياة الدنيا ﴿ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ أي كلمة التوحيد ولين الكلام لقوله تعالى: ﴿ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٤] وقوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣] ﴿ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ أي كانوا يعملون على هداية الله هاتان الجملتان بمنزلة العلة لدخول الجنة لقوله تعالى: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحاقة: ٢٤] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ ﴾ المقيم ﴿ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ الذي يجيء فيه من البدو أي ليس فيه حق للمقيم سوى البادي لقوله تعالى: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ ﴾ [آل عمران: ٩٧] ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ ﴾ بدل من بإلحاد أي من يرد فيه بالكفر والشرك لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣] ﴿ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٦].

﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾ العتيق أمرناه ﴿ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ أي المصلين ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ

﴿بِٱلْحَجِّ﴾ بفريضة الحج لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] ﴿يَأْتُوكَ﴾ أي بيتك الذي بنيت لعبادة الله ﴿رِجَالًا﴾ ماشين على الأرجل ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ أي يأتي الحجاج من الجهات كلها لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ بالتجارة ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ معينة أي أيام الحج ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ عند الذبح ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ فيه التفات من الغائب ﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ عطف بيان للبائس ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ﴾ أي بعد الفراغ من الحج يزيلوا أوساخهم ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ ما نذروا أداءه في الحرم ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ أي القديم الأول أي الكعبة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: ٩٦] الأمر ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي يجتنب ما نهى الله عنه ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ كلها ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ فهو حرام لقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣] ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ﴾ الحاصل ﴿مِنَ﴾ عبادة ﴿ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ المراد بالأوثان كل ما يعبد من دون الله لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨] ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ أي الكذب لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [المجادلة: ٢].

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ حال من الفاعل قبلها ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ تأكيد أي افعلوا ما ذكر مريدين وجه الله لا مرائين لقوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٩-٢١] ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ بعيد عن الصراط لأنه لا يرجى حياته كما لا يرجى فلاح المشرك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] الأمر ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ أي أعلام دينه سبحانه لقوله

تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٥٨] ﴿ فَإِنَّهَا ﴾ أي تعظيمها ﴿ مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ دال على الجزآء أي من أطاع ما أمره الله فقد فاز فإنه متق لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الرعد: ٢٠-٢٢] ﴿ لَكُمْ فِيهَا ﴾ أي في الأنعام ﴿ مَنَٰفِعُ ﴾ من اللبن وغيره ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ لتذبح. ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ لله وحده ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ لا تنذروا ولا تذبحوا لأحد من دون الله ﴿ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ المنيبين إلى الله ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ بيان للمخبتين ﴿ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ خاشعة لله ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ أي راضين بقضائه مفوضين أمرهم إلى جنابه سبحانه لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٦] ﴿ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ بالإضافة من قبيل الضارب الرجل أي كما أقامها رسول الله ﷺ لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ في سبيل الخير عطف على صلة اللام تقدير الكلام الذين يقيمون الصلاة وينفقون مما رزقناهم الآية ﴿ وَٱلْبُدْنَ ﴾ أي القربان بالبدن ﴿ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾ أحكام دينه وعلاماته ﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ ﴾ حال أي قائمات على ثلاث قوائم ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ ﴾ سقطت ﴿ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ ﴾ الذي لا يأتيكم سائلًا ﴿ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ ﴾ الذي يعتري عليكم سائلًا ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ ﴾ وإلا لم تكونوا مقرنين لها لقوله تعالى: ﴿ وَتَقُولُواْ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الزخرف: ١٣] وأمرناكم بالقربان ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ بأداء ما آمركم وإلا ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا ﴾ أي لا يأكل هو لأنه هو يطعم ولا يطعم ﴿ وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ أي الإخلاص ﴿ مِنكُمْ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الليل: ١٩، ٢٠] ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ ﴾ طريقة ﴿ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ ﴾ على لسان نبيكم لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ المطيعين لله بأن الله هو ناصرهم ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ

﴿ءَامَنُوٓاْ﴾(١) أعداءهم بالغلبة أو بالمحبة لقوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [الممتحنة: ٧] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ لأحكامه ﴿كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ لنعمائه لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧].

لأجل ذلك ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ من الكفار للجهاد ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ مكة وغيرها ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ سبب موجب للإخراج ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ الاستثناء منقطع ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم﴾ الظلمة ﴿بِبَعْضٍ﴾ مصلحين ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ خربت ﴿صَوَٰمِعُ﴾ مجالس الرهبان ﴿وَبِيَعٌ﴾ معابدهم ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ معابد اليهود ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ للمسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ أي من يغلب منهم على غيره يهدم معابدهم كما فعل أهل الهند بأهل الهند(٢) ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ أي دينه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ لا مانع لأمره ولا راد لقضائه ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بيان للموصول السابق ﴿إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي ملكناهم وسلطناهم ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ أي يطيعون(٣) الله ولا يعصونه لقوله تعالى: ﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥] ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ يعز من يشآء ويذل من يشآء ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ فلا حرج ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ من آل فرعون ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾ عذابي ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي مع سقوفها لقوله تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦] ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ عطف على قرية ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ﴾ هؤلاء المشركون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ

---

(١) نزلت للحث على الجهاد (منه).

(٢) من أتباع بوذة والبراهمة (منه).

(٣) في الآية دلالة على حقية الخلافة الراشدة فافهم.

﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أي ليس لهم قلوب ولا آذان ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ عن رؤية الآيات الكاملة ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ بل تعمى القوة التي في القلوب لقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ على ترك الإيمان ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ إياك وإياهم ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ المقصود العكس أي مدة ألف سنة عند الله كيوم واحد لأجل حلمه فلا يغتروا بتأجيله لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ [المعارج: ٦، ٧] ﴿وَ﴾ لأجل ذلك ﴿كَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ أي مرجع كل أمر بحيث علة العلل.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ في الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ تكذيب ﴿ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ في زعمهم إيانا لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: ٢٦] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾[1] أي هوى شيئًا من هداية القوم وترقي الإسلام ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ بأن حرش الكافرين والمعاندين على مخالفته لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ [مريم: ٨٣، ٨٤] ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي يمحو الله ما يلقي الشيطان في قلوب المشركين لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧] ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم ﴿حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ في صنعه ﴿لِّيَجْعَلَ﴾ الله ﴿مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ اللام للغاية لا للعلة ﴿فِتْنَةً﴾ سدًّا عن الهداية ﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ﴾ حيث يقولون ما فاز الرسول في

---

(١) وما يروى من أنه عليه السلام قرأ: ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ فلما بلغ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ أجرى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلا إن شفاعتهن لترتجى ليس بصحيح لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الإسراء: ٦٥] وقوله عليه السلام: «لكن الله أعانني على الشيطان فأسلم» الحديث [مسلم: ٢٨١٤، ٢٨١٥ والترمذي: ١١٧٢]. (تفصيل البحث مذكور في الكبير ٨/ ٢٣٧ وفتح البيان ٩/ ٦٦، ٦٧ وغيره).

أمره ولا يرون أن العاقبة للمتقين ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ حيث يستدلون بكثرة المال على الاستحقاق بالهداية وليس كذلك لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢] ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ بالكتب السماوية ﴿أَنَّهُ﴾ أي ما وعد الله للرسول ﴿ٱلْحَقُّ﴾ النازل ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ لما أن كل نبي كان شأنه كذلك ﴿فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ﴾ أي لهذا الكلام المنزل من الله ﴿قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ هداية خاصة ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: ١٦] ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي استمروا على الكفر عنادًا ﴿فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ أي من القرآن ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي الموت ﴿بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ ليس فيه نفع لهم من أي جهة ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده لقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦] ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟﴾ في سبيل الله ﴿أَوْ مَاتُوا۟﴾ حتف أنفهم ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ﴾ في الجنة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ بالأمر ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾[1] من القتل أو السب ﴿ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ﴾ من الظالم البادىء ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ﴾ بالغلبة على الظالم كما نصر المسلمين المهاجرين على المشركين المعاندين لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ﴾[النور: ٥٥] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ﴾ النصر ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ له كمال القدرة بحيث

---

(١) هذه الآية الكريمة متعلقة بابتداء الآية أي ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ﴾ [الحج: ٣٩] الآية فتدبر.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ يتعاقبان لقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: ٣٧، ٣٨] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿بَصِيرٌ ﴿٦١﴾﴾ بأحوالهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي إيلاج الليل في النهار والنهار في الليل ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ القادر القيوم ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ أي ليس له وجود بنفسه بل يخلق الله إياه لقوله تعالى: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [النحل: ٢٠] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ بذاته ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ كمال قدرته سبحانه ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي السحاب لما مر في الجزء الأول ﴿مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بالنبات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَ﴾ سخر ﴿ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ أي يخلقها كذا ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾ من ﴿أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾[1] أي لا تقع بغير إذنه سبحانه لقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر: ٤١] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ أعطاكم الحياة ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ للنعماء ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ طريق العبادة ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ في أزمنتهم لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر: ٢٤] ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي في أمر القربان ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ﴾ سبيل ﴿رَبِّكَ﴾ ﴿بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ أي أعلم بنياتكم ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ كله ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ أي في علمه ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ لكمال علمه ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ إجازة أي لم ينزل على

---

(١) الآية الكريمة ترد على من أنكر كون السماء جسمانيا - كائنا من كان من المسلمين أو غيرهم - فافهم.

الإشراك من حجة لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ﴿وَ﴾ يعبدون ﴿مَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ قطعي بكونه شريكًا لله ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ متعلقة بالتوحيد ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾ أي الإنكار لقوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٤، ٥] ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ يقعون ﴿بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ لغضبهم عليهم لقوله تعالى: ﴿لَّمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجن: ١٩] ﴿قُلْ﴾ تفعلون كذا ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ الذي زعمتم في المسلمين هو ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾ المرجع لكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ المغضبون على المسلمين لا بل على التوحيد لأجل ذلك ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ لتفهيمكم قبح الشرك وحسن التوحيد ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ كائنًا من كان ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾ العابد في العقل ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ في القدرة ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ حيث زعموا أن الله مثل الملوك لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ لا يُغلب ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى الأنبياء ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ رسلًا إلى الخلق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾ كلها لا ينشاء الأمر إلا بإذنه لقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بعد اختيار التوحيد ﴿ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ لله وحده ﴿وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ كله من الأعمال الصالحة ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ أي أنفقوا ما عندكم من المال والعلم والجاه والأنفس في نشر دينه وإعلاء كلمته كيفما كان مهما يكن في وسعكم لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ اصطفاكم على سائر الناس لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ ضيق لا تستطيعونه

لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] التزموا ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ﴾ أي الله ﴿سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ القرآن ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا﴾ حاكمًا وسلطانًا ﴿عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ﴾ حكامًا ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي أن تكونوا مسلمين لله منقادين لأمره سبحانه تغلبوا على الناس لقوله تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ كما أمرتم ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ في الأحوال كلها ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ اللهم انصرنا..

سورة المؤمنون مكية وهي مائة وثمان عشرة آية

﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ أي يفلح ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ أي متيقنون بلقاء الله سبحانه في صلاتهم كأنهم يرونه لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦] وقوله عليه السلام: «[أن] تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (١) الحديث ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ﴾ أي ما لا يفيدهم في الدنيا والدين ﴿مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ تاركون لقوله عليه السلام: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» (٢) الحديث ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ أي يزكون أنفسهم من الكفر والشرك وسوء الأخلاق وأموالهم من حصة

---

(١) رواه البخاري رقم (٥٠، ٤٧٧٧) ورواه مسلم رقم (٨) ورواه أحمد (١/ ٢٧، ٥١، ٥٣) وأبو داود (٤٦٩٥) والترمذي رقم (٢٦١٠) والنسائي (٨/ ٩٩) وابن ماجه (٦٣) وابن منده في الإيمان (١-١٤) والطيالسي (ص٢٤) وابن حبان (١٦٨، ١٧٣) والآجري في الشريعة (ص١٨٨، ١٨٩) وأبو يعلى (٢٤٢) والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٦٩، ٧٠) والبغوي في شرح السنة (٢) والمروزي في تعظيم قدر العبد (٣٦٣، ٣٦٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٣١٧) وابن ماجه (٣٩٧٦) وابن حبان (٢٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وله شاهد من حديث الحسين بن علي عند أحمد والطبراني، ومن حديث أبي بكر الشيرازي عند الحاكم في (الكنى) ومن حديث زيد بن ثابت عند الطبراني في الأوسط ومن حديث الحارث بن هشام عند ابن عساكر، فهو حديث صحيح بطرقه وشواهده.

الفقراء لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩-١٠] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ عن غير الموضع أي لا يزنون ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ من الإماء ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ في الإفضاء إليهن لقوله تعالى: ﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ المتجاوزون الحدود عند الله ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾ لاحظون عن النقض لقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ۝٣٤﴾ [الإسراء: ٣٤] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ أن تفوت عن الأوقات لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ۝١٠٣﴾ [النساء: ١٠٣] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ وهم المتقون لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ۝٦٣﴾ [مريم: ٦٣] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي آدم ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً﴾ أي سلسلته من نطفة مستقرة ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣﴾ أي الرحم ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ أي نفخنا فيه روحنا ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾ أي أحسن المصورين لقول المسيح ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ [آل عمران: ٤٩] ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ سموات ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ۝١٧﴾ أي عن أحوالهم وأرزاقهم لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤﴾ [مريم: ٦٤] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ في علمنا ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ۝١٨﴾ لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ۝٣٠﴾ [تبارك: ٣٠] ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝١٩﴾ وأنشأنا به ﴿شَجَرَةً﴾ للزيتون ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ أي مع الدهن ﴿وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ۝٢٠ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ نصيحة انظروا إنا ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا﴾ ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٦٦﴾ [النحل: ٦٦] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾ لا تحصى ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٢١ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ۝٢٢﴾ وقت السفر والسير.

﴿وَ﴾ لهذا التعليم ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ المعاصي ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ﴾ نوح ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لا يوحى إليه ولكن ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ بادعاء النبوة ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ إرسال الرسل ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ لتبليغ أحكامه ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ التوحيد ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ﴾ أي نوح ﴿إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ أي سفاهة لأجلها يخالف جميع الملل ويخبر الأخبار الآتية لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ [سبأ: ٧، ٨] ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ﴾ أي هلاكه ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ﴾ نوح بعد ما لبث فيهم مدة طويلة لقوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤] ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ عليهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي بحفاظتنا لن يصلوا إليك ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أي بتعليمنا ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ أي فار وجه الأرض ماء ـ مر في الجزء ١٢ ـ ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ﴾ أي كل نوع ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ أي عددين ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي متبعيك لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: ٤٦] ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ بالعذاب لكفرهم فالاستثناء منقطع ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى﴾ بالدعاء ﴿فِى﴾ حق ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ كفروا. لا جرم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى﴾ من الفلك ﴿مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن﴾ مخففة ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾ أي إنا لنحن المكلفون للناس بأحكامنا لأن لا يعتذروا وقت العذاب بالغفلة لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ [طه: ١٣٤] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ أنعمناهم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ﴾ الرسول ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ﴾ يخوفكم ﴿أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾ من القبر ﴿﴾ ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ بعد بعدًا ﴿لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ

بَعِيدٌ ﴿٣﴾ ﴾ [ق: ٣] ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ للحساب ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ أي الرسول ﴿ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ بادعاء النبوة ﴿ وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ ﴾ الرسول ﴿ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ ﴾ الله ﴿ عَمَّا قَلِيلٍ ﴾ أي بعد مدة قليلة ﴿ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ على ما فعلوا ، يقول الكافر: ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٨] ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ﴾ أي لا شيء لقوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ [سبأ: ١٩] ﴿ فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ فهلكوا في أوقاتها لأنه ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ فاعل ومن مزيدة للتعميم ﴿ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ متواترًا واحدًا بعد واحد إلى أممهم ﴿ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا ﴾ في الإهلاك ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ تذكر لقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الحاقة: ٨] ﴿ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ ﴾ غلبة ﴿ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ قاهرين بالظلم لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٧] ﴿ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾ في البشرية ﴿ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ خادمون ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ ﴾ أي بني إسرائيل لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [البقرة: ٥٣] ﴿ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ على كمال قدرتنا ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ﴾ أرض لينة ﴿ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ أي كانت الأرض ذات زراعة وذات عين لأجل الغذاء والشرب.

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِ ﴾ الرسل ﴿ أُمَّتُكُمْ ﴾ جماعتكم أيها المسلمون ﴿ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ حال ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ معترضة ﴿ فَتَقَطَّعُوا ﴾ أي أخلافهم ﴿ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ﴾ حال أي متخالفين لقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ ﴾ ضلالتهم وتحيرهم ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ أي إلى مدة قليلة عندنا لقوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ ﴾

[المعارج: ٥ـ٧] ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ لا ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾ ما عليهم من الوبال لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟﴾ أنفقوا مما رزقهم الله ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ حال أي خائفة من ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا﴾ أي إليها ﴿سَٰبِقُونَ ۝٦١ وَ﴾ المراد بالمسارعة ما في وسعهم لأنا ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ﴾ أي كتاب أعمالهم ﴿يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ أي يظهر حالهم بحيث يقرون بما في كتابهم لقوله تعالى: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١﴾ [الحاقة: ١٩ـ٢١] ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٦٢﴾ من أي وجه وهؤلاء المشركون لا يعملون الخير ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ﴾ ضلالة ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ الخير ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ من الاستهزاء بالمؤمنين وغيره ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ۝٦٣ حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية ﴿إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ۝٦٤﴾ يضجون. يقال لهم: ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ۝٦٥ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ۝٦٦﴾ ترجعون معرضين لقوله تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ﴾ [ص: ٦] ﴿مُّسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا﴾ تتحدثون بالليل خلافًا للرسول لقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ﴾ [النساء: ٨١] ﴿تَهْجُرُونَ ۝٦٧﴾ تهذون من ساحر أو شاعر أو غير ذلك ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ أي القرآن ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦٨﴾ من الهداية من لدن آدم لا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩] ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾ محمدًا بأخلاقه ومعجزاته ﴿فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٦٩ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ۝٧٠ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ﴾ لقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: ٧] ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ أي بتذكيرهم لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾ [عبس: ١١، ١٢] ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ۝٧١﴾ لا يلتفتون إليه ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا﴾ أجرًا - لا-

﴿ فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ [يونس: ٧٢] ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ ﴾ المستقيم ﴿ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ معرضون ﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ ﴾ من الجدب والقحط، وكان المشركون قد قُحطوا بعد خروج النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال: ٣٣] ﴿ لَّلَجُّوا ﴾ أصروا ﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ يتحيرون ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ ﴾ المذكور ﴿ فَمَا اسْتَكَانُوا ﴾ أي ما خضعوا ﴿ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ بل أصروا على كفرهم ﴿ حَتَّىٰ ﴾ ابتدائية أي و ﴿ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ بعد تخفيف ما لقوله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾ [السجدة: ٢١] ﴿ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ يائسون لا يرجون فيه الخير.

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ قليلًا صفة مفعول مطلق وما مزيدة للتأكيد ﴿ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ ﴾ أي بثكم ﴿ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ يوم القيامة ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ أي بأمره ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ بل ﴿ قَالُوا ﴾ جهالة ﴿ مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ المكذبون ﴿ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ أي - لا - ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ ﴾ هذا القول للأولين لا للمشركين لقوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [يس: ٦] وقوله تعالى: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ ﴾ [ص: ٧] ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا ﴾ من بمعنى ما أي الأشياء كلها لله لقوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٢٨٤] ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ [مريم: ٦٤] ﴿ قُلْ ﴾ مع ذلك تشركون به ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ مخالفته ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ أي من هرب عنه لا يجار عند أحد لقوله تعالى حاكيًا عن الجن: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الجن: ١٢] ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ ﴾ هذا الشأن ﴿ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ

﴿تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ تصرفون كأنكم مسحورون ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾ من التوحيد ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾ في دعوى الشرك ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ وإلا ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ لأن شأن الإله أن لا ينقاد لغيره لقوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣] ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾﴾ من العذاب ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ قد أرى نبيه ﷺ ما وعده من نصرته عليه السلام لقوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف: ٩] وقوله تعالى: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١] وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ [النصر: ١، ٢] ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي﴾ أي بالطريقة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ هذا على الاستحباب وليس على الوجوب لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل: ١٢٦] ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾ من نسبة الشرك والولد إليه سبحانه ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ للتحريش وبالوسواس لقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] ﴿حَتَّىٰ﴾ ابتدائية أي و ﴿إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ أيها الملائكة ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ من المال أي أنفقه في سبيل الله وأؤمن به لقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون: ١٠] ﴿كَلَّا﴾ لن يعمل صالحًا بل ﴿إِنَّهَا﴾ أي هذه المقولة ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ فقط صدق الله العلي العظيم قد رأينا أمثال هؤلاء قد تابوا حين أخذوا ثم رجعوا حين تركوا ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ﴾ حاجز مانع من الرجوع إلى الدنيا لقوله تعالى: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢] ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ أي إلى يوم القيامة ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ أي لا تنفع الأنساب ﴿يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ بينهم عن أحوالهم لقوله

تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤ـ٣٧] ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي تكون أعماله الصالحة أكثر كمًّا وكيفاً ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [القارعة: ٦ـ٩] ﴿تَلْفَحُ﴾ أي تحرق ﴿وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ أي عابسون يقال لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أي لذاتنا وشهواتنا لقوله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠] ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾ يقرون بذنوبهم لقوله تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك: ١١] ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ أي من جهنم أي أرجعنا إلى الدنيا ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى الكفر والمعصية ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ أي لا نعود إلى الكفر والشرك والمعصية ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [قّ: ٢٩] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ هزوًا لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤] ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ أي صرتم منهمكين بهم حتى نسيتم ذكري ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المطففين: ٢٩ـ٣١] ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ المرام لقوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين: ٣٤ـ٣٦] ﴿قَٰلَ﴾ أي يقول الله ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ يذهلون لهول المحشر لقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٦] ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ المحاسبين ﴿قَٰلَ﴾ أي يقول الله: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ عاقبة أمركم لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ كلا لا ينبغي لقوله تعالى:

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ [القيامة: ٣٦، ٣٧] ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ اللهم ارحمني يا أرحم الراحمين.

سورة النور مدنية وهي أربع وستون آية

﴿سُورَةٌ﴾ أي هذه سورة ﴿أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا﴾ أي أحكامها ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أحكامًا واضحة ﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ إن كانا باكرين وإلا فالرجم للثيب لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤] وقوله وفعله عليه السلام بالرجم للثيب الحديث ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ أي لا ترحموا عليهم في إجراء أحكامه تعالى ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ ليشهروا حالهما في الناس ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ مشروطة عامة أي الزاني ما دام راغبًا في الزنا لا ينكح بطيب الخاطر إلا زانية أو مشركة تاركة للستر ﴿وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ بطيب الخاطر ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ أي نكاح الزانية والمشركة ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ أي حرام على المؤمن أن ينكح زانية حال كونها زانية وحرام على المؤمنة أن تنكح زانيًا حال كونه زانيًا لما فيه من إشاعة الفاحشة وهو غير مرضي عند الله لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩] أما بعد التوبة فجائز لقوله تعالى: ﴿إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] وقوله عليه السلام: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[1] الحديث

---

(١) أورده الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٨، ٣٣٠) وقال: رواه الطبراني وفيه من لم =

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ﴾ بالزنا المحصنين و ﴿ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ﴾ العفيفات ﴿ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ﴾ في أي حكم لثبوت كذبهم ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ عند الله ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ ﴾ أي صاروا صالحين فتقبل شهادتهم لقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ يغفر لمن تاب ويرحم من أناب وقوله عليه السلام: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» الحديث ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ ﴾ بالزنا ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ في هذا الرمي ﴿ وَيَدْرَؤُا۟ ﴾ يدفع ﴿ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ ﴾ ما كان على ثبوت الزنا ﴿ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ ﴾ في الرمي عليّ ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ لهلكتم بالذنوب.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ ﴾[1] على أزواج النبي ﷺ ﴿ عُصْبَةٌ ﴾ جماعة ﴿ مِّنكُمْ ﴾ أي من قائلي الكلمة بأفواههم ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ لصلاح مآلكم ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ أشاعه في المجالس ﴿ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ١٩] كما سيأتي ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ أي الإفك ﴿ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ لقوله تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦] ﴿ وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ لا غبار عليه لطهارة أزواج النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ ﴾ أي أهل الإفك ﴿ عَلَيْهِ ﴾ أي على هذا القول ﴿ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ ﴾ كما هو الحكم الشرعي ليثبت ما ادعوه ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا

= أعرفهم وهو حديث حسن. ورواه ابن ماجه رقم (٤٢٥٠) في الزهد باب ذكر التوبة، وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (صفحة ٢٣٩) فهو حديث حسن.

(١) نزلت حين رمى المنافقون ومن تبعهم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فبرأها الله مما قالوا وقصتها مفصلة مذكورة في البخاري وغيره (منه).

فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ أي قلتم ما قلتم ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ أي الإفك ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ذنب ﴿عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ لما فيه من هتك الرسول عليه السلام ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ لكذبه ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ اللهم ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي ينهاكم عن ﴿أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الأحكام ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ أي الزنا وذِكْرُهُ ﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بما يشآء الله ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ لمسكم[1] عذاب عظيم لما مر آنفًا.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ فيما يأمر به ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ فقد خسر خسرانًا مبينًا ﴿فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم﴾ أي من القائلين والناقلين هذا الإفك ﴿مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨] ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ برحمته بأن يوفقه للتوبة ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾[2] أي الصديق رضي الله عنه عن ﴿أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُوا۟﴾ ما قالوا في شأن الصديقة رضي الله عنها ﴿وَلْيَصْفَحُوٓا۟﴾ أي يعرضوا ولا ينتقموا ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ فاغفروا لمن آذاكم لقوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣] ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ إن لم يتوبوا لقوله تعالى: ﴿إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾

---

(١) إشارة إلى تقدير الجزاء.

(٢) نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف ألا ينفق على مسطح وكان مهاجرًا فتكلم في عائشة رضي الله عنها.

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ أي جزاءهم ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾ علم اليقين ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ أي ما وعد الله من العذاب والثواب حق لا شك فيه لقوله تعالى: ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ٢٢] ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ والنبي ﷺ طيب بل أطيب فكيف يليق به الخبيثة - لا- ﴿أُولَئِكَ﴾ أي أزواج النبي ﷺ ومن اتهمت به ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ أي ينسبون إليهم أهل الإفك ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ لسد باب الفاحشة ﴿حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ تستأذنوا ﴿وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ يأذن لكم بالدخول ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ من أهل البيت ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ﴾ أي الرجوع ﴿أَزْكَى لَكُمْ﴾ لعله يكون لهم شغل ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ من أعمال الجوارح والقلوب لقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩] ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا﴾ بلا إذن ﴿بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ لأحد خاصة ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾ كدكانات التجار والحمامات وغيرها من هذا القبيل ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ من الأقوال والنيات ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ ماشين في الطرق والأسواق ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ عن غير الأزواج ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أي الثياب الظاهرة التي لا تخفى من النقاب وغيره لقوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ أي يسترن وجوههن وصدورهن بالنقاب وقت الذهاب وليس المراد بما ظهر الوجه واليدان لقوله تعالى: ﴿قُلْ[1] لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ الآية ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا

---

(١) إذ الأمر بغض الأبصار ليس إلا لأجل أن لا ينظر الرجل وجه المرأة لسد باب الفواحش لقوله عليه السلام: «**لا تتبع النظرة النظرة: الأولى لك والثانية عليك**» الحديث. فكيف كان المراد بما ظهر الوجه؟ على أنه لا شك أن الاستثناء بإلا ما ظهر منها، متصل بالزينة كما ينبىء عنه لفظ منها، والوجه محل الزينة لا الزينة فبان أن تفسير ما ظهر منها بالوجه ليس كما ينبغي (منه).

﴿لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ أي عند أزواجهن ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ من غيرهن ﴿أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ أي نساء بني آدم كلهن لقوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ[1] غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ الآية ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ من العبيد ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ﴾ القانعين بأهل البيت ﴿غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ﴾ من أهل الشهوة ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟﴾ لم يطلعوا ﴿عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ داخل البيت ﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ من الوسوسات ﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ من النساء ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ﴾ بعد النكاح ﴿مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ عن الزنا ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ ثروة وقدرة مهر ونفقة من الأحرار ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي يعطيهم قدرة المهر وما يحتاج إليه في عقد النكاح غير مسرف ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي معاهدة الإعتاق بعد إيتاء عوض معين ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ أي مماليككم ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي صلاحًا ﴿وَءَاتُوهُم﴾ إعانة من عندكم ﴿مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ ليتجروا ويربحوا ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ أي الزنا كما كانت العرب تكرههن ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ عفافًا هذا الشرط لبيان الواقع لا للاحتراز فلا مفهوم له لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢] ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي مهورهن عن الزنا ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ في حقهن أي لا يؤاخذهن بالعقوبة لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا﴾ قصصًا ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ﴾ لقوله تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٦] ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ لأنهم هم المنتفعون لقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا

---

(١) لأن الآية الكريمة تدل على أن الستر لسد باب الزنا والمرأة لا تزني [بالمرأة] فكيف تفسر الآية بالنساء المسلمات كما فسر فافهم.

خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

﴿ ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي مقصود أهل السموات والأرض لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ ينور قلب من يقصده ويحبه لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩] ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ طاق ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ سراج ﴿ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ﴾ قارورة ﴿ ٱلزُّجَاجَةُ ﴾ تكون في الصفاء ﴿ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾ أي كأنه لؤلؤ ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ على الجبل بل متوسطة ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ ﴾ بنفسه ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ أي تمثيل لحب الله ومحبته بالمصباح في الزجاجة المنورة للبيوت يعلو الظلمات كلها بغلبة نوره وشفافه كذلك محبة الله في قلوب عباده تعلو كل شيء يحاذيها كما يقال: العشق نار تحرق ما سوى الله لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] اللهم اجعلني منهم ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ ﴾ لمحبته ﴿ مَن يَشَآءُ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى: ١٣] ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ ﴾ أي الزجاجة في بيوت أي المساجد ﴿ أَذِنَ ٱللَّهُ ﴾ أي حكم ﴿ أَن تُرْفَعَ ﴾ تعظم لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج: ٣٢] ﴿ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ ﴾ فاعل للتسبيح الموصوف صفته ﴿ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ لأنهم ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ لشدة الهول لقوله تعالى: ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الحج: ٢] فقوله سبحانه (رجال) الآية إشارة إلى أصحاب النور لقوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ إلى قوله عز من قائل: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣ـ٧٦] ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ اللام للعاقبة أي يكون مآل أعمالهم الصالحة أن الله يجزيهم ﴿ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ ﴾ أي أفضل من أعمالهم ﴿ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ لخلوص نياتهم ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟

﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الصالحة ﴿كَسَرَابٍ﴾ يتوهم ماء بلمعان الشمس ﴿بِقِيعَةٍ﴾ ببيداء ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ﴾ العطشان ﴿مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ كذلك أعمال الكفار يوم الجزاء لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩﴾ [الحاقة: ٢٥ـ٢٩] كذلك لا يجد الكافر شيئًا من أعماله ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أي وجد نفسه حاضرة عند الله ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ أي ما يستحقه من حبط الأعمال لقوله تعالى: ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٥] ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٣٩﴾ أو﴾ مثال أعمال الكفرة ﴿كَظُلُمَٰتٍ﴾ أي كشيء في ظلمات ﴿فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ عميق ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ كذلك كانت أعمال الكفار في ظلمات الكفر والشرك وغيرهما لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ لاستغنائه ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٦﴾ [الزمر: ٣٦].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لكن أهل الأرض شتى من طائع وكاره لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ۝١٥﴾ [الرعد: ١٥] ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ حال من الفاعل ﴿كُلٌّ﴾ من الطير ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ بإلهام من الله ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٤١ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٤٢﴾ أي رجوع كل شيء لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ [النجم: ٤٢] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ متراكبًا بعضها فوق بعض ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ أي الماء ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ بإنزال الله ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي السحاب ﴿مِن جِبَالٍ﴾ من واردة على المفعول به أي كالجبال في الطول والعظم ﴿فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ من زائدة على المبتدأ أي فيها برد شديد ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا﴾ ضياء ﴿بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٣﴾ للمعانه ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٤ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ أي للماء دخل في خلق كل دابة لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ كالحية وغيرها ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسان والحمام وغيرهما ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى

عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ﴾ كالبقرة وغيرها ﴿يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٤٥ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤٦ وَيَقُولُونَ﴾ أي المنافقون ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٤٧﴾ كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة: ٨] ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٤٨﴾ لما في قلوبهم من الكفر ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ۝٤٩﴾ مسرعين طامعين للخير لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ﴾ [الأحزاب: ١٩] ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ استفهام تقرير من الكفر لقوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾ [البقرة: ١٠] ﴿أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ﴾ شكوا بعد الإيمان ﴿أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ﴾ يظلم ﴿ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ في الحكم ﴿بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٥٠﴾ العادلون عن الحق.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قدم الخبر على اسم كان لقصد الحصر ﴿إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ﴾ ما أمرنا ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥١﴾ الناجون لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ۝٦٥﴾ [النساء: ٦٥] ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾ المرام ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ﴾ إلى الجهاد ﴿قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ﴾ المطلوب ﴿طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ﴾ لا الأيمان الكاذبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٥٣ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عنه ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ﴾ من التبليغ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ۝٤٠﴾ [الرعد: ٤٠] ﴿وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ﴾ من الطاعة لقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب: ٢١] ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝٥٤﴾ هؤلاء المنافقون يتأسفون حين يترقى المسلمون إلى أوج الكمال لأنه ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي استمروا على الإيمان ﴿مِنكُمۡ﴾ أيها السامعون ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ﴾ أي ليجعلنهم خلفاء ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ من أتباع الأنبياء لقوله تعالى: ﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ۝٥٤﴾ [النساء: ٥٤] ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ﴾ هو الإسلام لقوله

تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ﴾ [المائدة: ٣] ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ لقد صدق الله تعالى وعده هذا بالصديق والفاروق وذي النورين والمرتضى رضي الله تعالى عنهم لقوله تعالى: منكم[1] وقوله تعالى: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ الآية.

﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي لم يشكر هذه النعمة ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ اللهم لا تجعل أحدًا من المسلمين من الفاسقين فافهم ولا تكن من القاصرين ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ تفوزون الخلافة ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالهرب في إيفاء الوعد المذكور لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة: ٢٠] ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لا تكونوا مثل الإفرنج في دفع الستر عن النساء حين تفوزون بالحكومة بل ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ أي عبيدكم ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ أي الأطفال ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾ حين تكشفون أجسامكم ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾ لأن هذه الأوقات ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ﴾ في الطواف عليكم لأنهم ﴿طَوَّٰفُونَ﴾ أي مترددون ﴿عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ للحاجة ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي الأحكام ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من البالغين ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي ﴿ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لطول عمرهن ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ من الجلابيب عند المشي في الطرق والأسواق ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ﴾ حال أي غير مظهرات ﴿بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ عن وضع الجلابيب ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ لأنه لكل ساقطة لاقطة ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ

---

(١) لأن لفظة «منكم» تدل على أن الموعود لهم أولاً هم الصحابة رضي الله عنهم «وليبدلنهم» يدل على أن الموعود لهم كانوا خائفين وقت نزول الآية الكريمة فهم المهاجرون لقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩-٤٠] فافهم وللتفصيل مقام آخر.

﴿حَرَجٌ﴾ جناح ﴿وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ في ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ أي كنتم منتظمين لبيته ﴿أَوْ﴾ بيوت ﴿صَدِيقِكُمْ﴾ أي كما ليس على الأعمى وغيره من المعذورين جناح في الأكل من بيوت هؤلاء المتعلقين ليس عليكم أيها الأصحاء أيضًا جناح في أن تأكلوا من بيوتهم ما لم يظهر سخطهم ومن بيوت غير هؤلاء حرام حتى يظهر إذنهم فهذا هو الفرق فافهم لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً . .﴾ الآية [النساء: ٢٩] ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ متفرقين ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي على إخوانكم ممن كان هناك يكون هذا السلام ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ عليكم ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الموعود لهم بالخلافة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي بجميع ما جاء به ﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ﴾ عليه السلام ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ جهاد أو غيره ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ حاجتهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ إن رأيت عدم الحرج في إذنه ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾ لأنه لا يخلو عن تقصير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ﴾ أي حكمه ﴿كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ إن شاء أطاعه وإلا فلا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ أي يخرجون خفية من مجلسكم ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ أي أمر الرسول لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ مصيبة ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ في الآخرة أو في الدنيا فأو لمنع الخلو ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ من الكفر

والإسلام ﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٩﴾ ﴾ ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر: ١٩].

سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ أي أنزل القرآن على محمد ﷺ ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿ لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا ﴾ [الكهف: ١، ٢] ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ لا يتجاوزه شيء ﴿ وَ ﴾ العجب من المشركين أنهم ﴿ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾ بعد النوم في الليل لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٧] هذا شأن المخلوقين كلهم لقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف: ١٨٨] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ ﴾ أي القرآن المشتمل على تعليم التوحيد ﴿ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ﴾ من أهل الكتاب ﴿ فَقَدْ جَآءُو ﴾ أي ارتكبوا ﴿ ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ ﴾ لا دليل عليه ﴿ وَقَالُوٓاْ ﴾ القرآن ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ ﴾ أي على محمد ﷺ ﴿ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ أي يعلمه أحد من أهل الكتاب لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النحل: ١٠٣] ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾ وهذا من مقتضى رحمته لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ طاعنين على الرسالة ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ لزعم الكفار أن البشر لا يليق بمنصب الرسالة لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٤] ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ ﴾

ينذر الناس على ترك الإيمان ﴿ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ ﴾ لزعمهم أن منصب الرسالة يليق به ذو مال لقوله تعالى: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزخرف: ٣١] ﴿ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ﴾ أي مخبوطًا في تعليمه لا في أصله[1] لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ﴾ [سبأ: ٧، ٨] وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجر: ٦] ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ نسبوا إليك الجنة والسحر ﴿ فَضَلُّوا۟ ﴾ عن السبيل ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ إلى الهداية لعنادهم للحق لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ[2] وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ ﴾ عالية أي لا مانع له لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٧] لكن ليس هو علامة الحقية لقوله تعالى: ﴿ لَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٣ - ٣٥] ﴿ بَلْ ﴾ أصل وجه عنادهم أنهم ﴿ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ﴾ أي يوم الجزاء ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا ﴾ غيظًا ﴿ وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ صوتًا مثل صوت الحمار ﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ موتًا لقوله تعالى: ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ [الزخرف: ٧٧] قيل لهم: ﴿ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ ﴾ العذاب ﴿ خَيْرٌ ﴾ على الكفر ﴿ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ

---

(١) فلا يرد الحديث المروي في البخاري من كونه عليه السلام مسحورًا وقتا ما فافهم.

(٢) لأن الآية الكريمة تدل على أن من كان معاندًا ومصرًّا على الاستكبار يسد عليه طريق الهداية (منه).

جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ﴾ فيها ﴿كَانَ﴾ هذا الجزاء ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ يسأله الصلحاء في الحياة الدنيا بقولهم: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٩٤] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من المسيح وغيره كائنًا من كان ﴿فَيَقُولُ﴾ للمعبودين ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي أمرتموهم بعبادتكم لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ أي نحن عبيدك وأنت ولينا فكيف يتصور منا أن نقول لهم اعبدونا لقوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧] ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾ بالنعماء فاغتروا وفرحوا ﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ هلكى بذنوبهم ثم قيل للمشركين العابدين إياهم: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا﴾ كنتم ﴿تَقُولُونَ﴾ في الدنيا من أن ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا﴾ للعذاب ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ لأنفسكم ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ أي من كان قد ظلم في الحياة الدنيا على نفسه بالكفر والشرك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣] ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَ﴾ ما طعنوا في أكل الرسول والمشي فجوابه: ﴿مَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ﴾ كانوا ﴿لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ لكونهم بشرًا ﴿وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ لحاجاتهم، فالإجمال أنهم كانوا من نوع الإنسان كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾ [الأنبياء: ٧] ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ سدًّا عن الهداية لاستعلائهم أنفسهم على فقراء المسلمين لقوله تعالى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام: ٥٣] ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ أم لا أي ينبغي أن تصبروا لقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]. ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ أي المشركون ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لينذرونا على ترك الإيمان لقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾

[الفرقان: ٧] ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فنؤمن به ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ﴾ تكبروا ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾ لأنهم تجاوزوا حد العبودية لأن العبد ليس من شأنه أن يرى ربه بهذه الأبصار لقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ أي يوم القيامة ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ لأنهم يعذبون بأعمالهم لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ [الواقعة: ٩٢ـ٩٤] ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ أي سترًا مانعًا من رؤية الأعمال السيئة لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠] ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾ أي قصدنا إلى أعمالهم ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [آل عمران: ٢١، ٢٢] ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ أي مع الغمام لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ من مقرهم لقوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة: ١٦، ١٧] ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ صفة للملك ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾ لا لغيره بوجه من الوجوه لقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦] ﴿وَكَانَ﴾ اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ في الدين ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ أي القرآن لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩] ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ يخذل الإنسان لأنه عدو بالطبع لقوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يس: ٦٠] فيضل بأي حيلة استطاع ﴿وَقَالَ﴾ أي يقول: ﴿ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ أي يشهد على الكفار بترك القرآن لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ

﴿ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء: ٤١، ٤٢] ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي تقتضي طبيعتهم الثانية عداوة الحق ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ يهدي الله من أناب إليه وينصرهم لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ غير متفرق ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أنزلناه متفرقاً ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ أي لا تستطيع حمله دفعة واحدة لقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ بدفعات ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ إيراد عليك ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي الجواب الحق الثابت القابل للقبول ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ توجيهاً لما يوردون عليه لقوله تعالى: ﴿لَّكِنَّبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢] ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي يسحبون ويجرون على وجوههم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ ذليلين لقوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمن: ٤١] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٨] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾.

﴿و﴾ اسمعوا قصة قوم شر مكاناً ﴿لَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي قوم فرعون فذهبا فلم يؤمنوا بهما لقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ [النمل: ١٤] ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾ أي أهلكناهم ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ أي عبرة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ و﴾ دمرنا ﴿عَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ قوم شعيب عليه السلام أي أصحاب الأخدود لقوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾﴾ [البروج: ٤، ٥] ﴿وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ لهدايتهم ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا﴾ أي كفار العرب ﴿عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ أي قرى قوم لوط لقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الشعراء: ١٧٣] ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا﴾ أي القرى ﴿بَلْ﴾ سبب ضلالتهم أنهم ﴿كَانُوا۟﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾ لإنكارهم الحشر لقوله تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾

[المؤمنون: ٣٧] ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ يا محمد ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ قائلين: ﴿أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ مع أنه قليل ذات اليد لقوله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١] ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا﴾ ثبتنا أنفسنا ﴿عَلَيْهَا﴾ لأثر كلامه لقوله تعالى: ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ[1] مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ [يونس: ٢] ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ أي يتبع هواه فيما يأمره مخالفًا لما أمره الله ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ ضامنًا لا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة: ١١٩] ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ كلامك ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما تقول لهم: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ من الحيوانات أيضًا لقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال: ٢٢].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ في الليل بغيبوبة الشمس تحت الأفق ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ الله ﴿لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ على حاله ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ يدل الناس على طرقهم ومطالبهم ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾ أي الظل بعد طلوع الفجر ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ بطيئًا ساعة فساعة فهذا في معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾ [القصص: ٧١] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ ساترًا ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة لأبدانكم لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ [القصص: ٧٢] ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾ محلًا لنشركم لتبتغوا من فضله لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ [النبأ: ١١] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ أي يرسلها ﴿بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ من المطر ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ أرضًا يابسة لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ [السجدة: ٢٧] ﴿وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ أي بينا هذا التذكير مرارًا ﴿بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾

---

(١) المراد بالسحر تأثير كلامه عليه السلام (منه).

استثناء مفرغ من المفعول به ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ ﴾ مثلك لكن اكتفينا بك لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ: ٢٨] ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ ﴾ فيما يأمرونك من المداهنة لقوله تعالى: ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [القلم: ٩، ١٠] ﴿ وَجَاهِدْهُم بِهِ ﴾ بالقرآن ﴿ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ أي ذكر بآيات الله القرآن ذكرًا بليغًا لقوله تعالى: ﴿ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [النساء: ٦٣] وقوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [ق: ٤٥] ﴿ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا ﴾ الواحد ﴿ عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ مر ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ عطف بيان أي لا يتجاوز أحدهما حده لقوله تعالى: ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٠] ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا ﴾ أي من النطفة لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المرسلات: ٢٠] ﴿ فَجَعَلَهُ ﴾ أي له ﴿ نَسَبًا ﴾ من الآباء والأمهات ﴿ وَصِهْرًا ﴾ من جهة النكاح ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ أي موليًا عنه إلى غيره لقوله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾ [هود: ٩٢] ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ ﴾ ﴿ لا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [البقرة: ١١٩] ﴿ قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ الاستثناء منقطع ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي ﴾ مقدار ﴿ سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ هو ﴿ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ أي فاسأل عن الرحمن من كان عالماً بذاته وبصفاته لقوله تعالى: ﴿ فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ انقادوا لما أمركم الرحمن في القرآن لقوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرحمن: ١، ٢] ﴿ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ ﴾ هذا القول ﴿ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ ﴾ أي إذا قيل للمشركين: انقادوا لله وحده. قالوا ما قالوا تعنتًا واستكبارًا لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ [الزمر: ٤٥] لأنهم لم يعرفوا الرحمن لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [مريم: ٨٨] وقوله

تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف: ٢].

اسمعوا صفة الرحمن ﴿تَبَارَكَ﴾ الرحمن ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ أي منازل[1] للسيارات لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥] ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا﴾ شمسًا يضيء بها العالم ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ يتعاقبان ﴿لِّمَنْ﴾ أي لنفع من ﴿أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ فأو لمنع الخلو أي من أراد التذكر والتشكر له ففيهما آيات لا تعد ولا تحصى لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ إلى قوله: ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤] هذه صفة الرحمن وصفة عبيده اسمعوا: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الصالحون ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ بغير إيذاء أي لا يؤذون أحدًا بل يحسنون إلى كل واحد تعميلًا بقوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦] ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ بظلم وجهالة ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ أي فعلوا بهم فعلًا ذا سلامة ليس فيه شر من أي وجه لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥] ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ وقت صلاة العشاء والتهجد لا كل الليل لقوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨] ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ مصيبة ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟﴾ في سبيل الله ﴿لَمْ يُسْرِفُوا۟﴾ أي لم ينفقوا كل المال ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ يبخلوا ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ متوسطًا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩] ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ

---

(١) ومن فسر البروج بالبروج المعروفة في كتب الهيئة والنجوم اليونانية فقد أخطأ لأنها ما كانت معروفة عند العرب وقت نزول القرآن بل هي اصطلاح محدث فافهم (منه).

﴿إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ أحدًا كائنًا من كان ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي بإذن الشرع فيما يأذن ﴿وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ عذابًا ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أشد من عذاب الدنيا ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ ذليلًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢] ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ عن الشرك ﴿وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ عوض التوبة على إخلاصهم الكامل لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ يجد عليه ثوابًا من عند الله ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ أي الكذب ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ مجنبين أنفسهم عن أن يقعوا فيها لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون: ٣] ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟﴾ وعظوا ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ أي لم يسمعوا غير ملتفتين بل متوجهين إليها لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢] ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ أي اجعلهم صالحين مطيعين لك لقوله تعالى حاكيًا عن زكريا: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾ [مريم: ٦] ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ أي فائزين بمرتبة الكمال بحيث يتبعنا من لحقنا في أفعال الخير ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ في الجنة ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ أي ثبتوا أنفسهم على الطاعة ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾ من الله والملائكة ﴿تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨] وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ﴾ يعني لا يعتد بكم لولا تعبدونه أي ليس للإنسان قدر عند الله إلا بالعبادة والإخلاص لقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٥] ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ بالله وآياته ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العذاب ﴿لِزَامًا﴾ لازمًا بكم ـ اللهم احفظنا منه ـ.

سورة الشعراء مكية وهي مائة وسبع وعشرون آية

﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ ﴾ أنا الله ذو الطول القدوس السلام ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ ﴾ أي القرآن ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ ﴾ لأجل ﴿ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ ﴾ كما يطلبون لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعٗا ﴿٩٠﴾ ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٣] ﴿ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ ﴾ جديد بالزمان ﴿ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦﴾ ﴾ من أخبار الرسل ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ ﴾ هداية ﴿ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾.

﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ إِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ ﴾ موسى ﴿ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾، ﴿ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا ﴾ [القصص: ٣٤] ﴿ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ ﴾ قتل رجل منهم ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾ ﴾ بدله ﴿ قَالَ ﴾ الله ﴿ كَلَّاۖ ﴾ لا يقتلنك ﴿ فَٱذۡهَبَا ﴾ أنت وهارون ﴿ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ أي كل واحد منا رسول لقوله تعالى: ﴿ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ [طه: ٤٧] ﴿ أَنۡ ﴾ أي بأن ﴿ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ فذهب موسى عليه السلام ﴿ قَالَ ﴾ فرعون لما سمع دعوى موسى ﴿ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا ﴾ حال، كان فرعون قد ربىٰ موسى وليدًا لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا ﴾ [القصص: ٩] ﴿ وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ كثيرة ﴿ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ ﴾ من القتل ﴿ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ لنعمائي ﴿ قَالَ ﴾ موسى ما ذكرت من التربية فمسلم وأما ما ذكرت من فعلي ﴿ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ لا أعرف الشرع لقوله

تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ [الضحى: ٧] ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ﴾ أي فهمًا في الدين ﴿ وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَ ﴾ اسمع حقيقة الحال إنك ربيتني تحت حكمة الله ولكن عبدت قومي بني إسرائيل كلهم ﴿ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾ أي جعلتهم عبيدًا لك ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ ساكتًا عن جوابه معرضًا إلى أمر آخر ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الذي أرسلك ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ فيفيدكم كلامي وإن كنتم مجادلين فلا ﴿ قَالَ ﴾ فرعون ﴿ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ ﴾ من الأمراء ﴿ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ ما يقول هذا الرجل: ﴿ قَالَ ﴾ موسى هو الله ﴿ رَبُّكُمْ ﴾ أيها الأمراء ﴿ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ ﴾ فرعون ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ على زعمه ﴿ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ لأنه يتكلم بما لا أصل له قاله مستهزئًا به عليه السلام ﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ فافهموا ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ ﴾ يا موسى ﴿ إِلَٰهًا غَيْرِي ﴾ كائنًا من كان ﴿ لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ ﴾ موسىٰ ﴿ أَ ﴾ تحبسني ﴿ وَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ يظهر منه صدق مقالي وحقيقة حالي.

﴿ قَالَ ﴾ فرعون لا ﴿ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ في دعواك ﴿ فَأَلْقَىٰ ﴾ موسى ﴿ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ فرعون لما رآهما ﴿ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ ﴾ أجله ﴿ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ يقابلونه بعلمهم ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ أي اجتمعوا ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ ﴾ أي نجيء خلفهم وقت إيابهم عن ميدان المقابلة مظهرين شوكتهم ﴿ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ ﴾ نعطيكم أجرًا كثيرًا ﴿ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ عندي ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ ﴾ في جواب قولهم: ﴿ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١١٥] ﴿ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ ﴾ تأكل سريعًا ﴿ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ يخيلون بسحرهم ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ لما رأوا من قوة موسى بغير صنعة السحر ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ﴾ فرعون ﴿ ءَامَنتُمْ

﴿لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ﴾ أي موسى ﴿لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ﴾ عاقبة أمركم ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟﴾ لما سمعوا ﴿لَا ضَيْرَ ۖ﴾ علينا ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ لا إليك ﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾ نرجو ﴿أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن﴾ أي لأجل أن ﴿كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ أي نرجو غفرانه لأجل كوننا أول المؤمنين من مخالفي موسى.

﴿وَ﴾ بعد غلبة موسى على السحرة وقبولهم الإسلام ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ﴾ بني إسرائيل ليلًا لكن تيقنوا ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾ يتبعكم فرعون وجنوده فلا تخافوهم ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾ في مملكته ﴿حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ جامعين للجيوش قال: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ جماعة ﴿قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا﴾ أي إيانا ﴿لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾﴾ عليهم بأفعالهم وأطوارهم ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ أي مستعدون متيقظون في أمور السلطنة لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأعراف: ١٢٧] ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾ أي آل فرعون ﴿مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ الأمر ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ بعد زمان طويل لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [المائدة: ٢٦] ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ أي جيش فرعون بني إسرائيل رجوع إلى أصل القصة فبيان الإخراج وإيراثهم اعتراض ﴿مُّشْرِقِينَ﴾ وقت الصبح لأن بني إسرائيل خرجوا ليلًا لما مر ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ أحدهما الآخر ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ أدركنا فرعون لأن وجاهنا البحر وخلفنا فرعون وجنوده ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿كَلَّآ ۖ﴾ لن ندرك ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ إن شآء الله ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ﴾ الذي وجاهك ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ أي جئنا بهم هنالك ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ فرعون وجنوده ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ على هؤلاء المشركين ﴿نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ من دون الله ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ مقيمين عليها ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ على دعائكم ﴿أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ على ترك

الدعاء والعبادة ﴿قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ أي لا دليل لنا عليه إلا فعل آبائنا ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ أي أبغض عبادتهم ﴿إِلَّا﴾ عبادة ﴿رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ والاستثناء متصل لأن المشرك يعبد الله مع غيره ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ إلى الخير ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا﴾ أي فهمًا في أمر الدين ومعرفة النفس لقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ [مريم: ١٢] ﴿وَٱلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ يثنون علي ثناء صادقًا بغير مبالغة لئلا أسأل لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾﴾ كان لنسبة الحال هذا قبل العلم بأنه مات على الكفر لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤] ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾ أي لا تدخلني النار يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢] ﴿يَوْمَ﴾ بدل من اليوم السابق ﴿لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ عن الميل والتلعب بهما لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩] ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ أي أنفسهم بدفع العذاب عنهم -لا- لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨] ﴿فَكُبْكِبُوا۟﴾ أي أركسوا ﴿فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ أي أتباعه من غيرهم لقوله تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المجادلة: ١٩] ﴿أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ كلهم ﴿قَالُوا۟﴾ أي يقولون: ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ بينهم يقولون: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا﴾ أي إنا كنا ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ في إيصال الخير ودفع المضار لا في جميع الأمور لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ إلى قوله:

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨٨، ٨٩] ﴿ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ أي الضالون ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ ينصرنا ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ أي لا نطيع المجرمين لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ﴾ [البقرة: ١٦٧] ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ أي نوحًا وأورد صيغة الجمع لأن تكذيب الواحد يستلزم تكذيب الجميع لقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ الله ﴿ إِنِّى لَكُمْ ﴾ منه ﴿ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ الذي أرسلني ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ﴾ ﴿ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ أي كون الأراذل أتباعًا لك دليل على كذبك لقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ﴾ [الأحقاف: ١١] ﴿ قَالَ ﴾ نوح ﴿ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ أي ليس لي غرض بكسب معاشهم وقلة ما لهم لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣] ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ﴾ هو أعلم بأحوالهم ﴿ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ لو للتمني ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ فمن آمن بي وعمل صالحًا فقد أفلح كائنًا من كان لقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٤] ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ أي نرجمك ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ﴾ المملوء ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ ﴾.

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ الله ﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ ﴾ من الله ﴿ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ ﴾ على رسالتي ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ﴾ مكان مرتفع ﴿ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ تلهون ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ﴾ أبنية مشيدة ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ أي تريدون بها الدوام في الدنيا لقوله

تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ [الهمزة: ٣] ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ بعدوكم ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۝١٣٠﴾ لأن عادًا كانوا أقوى أهل زمانهم وأشد لقوله تعالى: ﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨﴾ [الفجر: ٨] ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٣١﴾ فيما آمركم ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۝١٣٢﴾ من قوتكم وشدتكم أي ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ ۝١٣٣ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٣٤﴾ أي آتاكم كل نعمة ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عصيتم ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣٥ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ۝١٣٦﴾ أي لا يؤثر فينا تذكيرك لقوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١﴾ [يونس: ١٠١] ﴿إِنْ هَـٰذَآ﴾ أي ليس[1] ما نفعل من عبادة الأصنام ﴿إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣٧﴾ أي دين من تقدم من آبائنا لقوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝١٣٨﴾ على هذا ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَـٰهُمْ﴾ أجمعين ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً﴾ عبرة ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٤٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٤١ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَـٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٤٢ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٤٣ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٤٤ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٤٥ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَـٰهُنَآ﴾ من النعماء ﴿ءَامِنِينَ ۝١٤٦ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٤٧ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ۝١٤٨﴾ دال مائل إلى أسفل أي تحسبون أنكم لا تسألون عما تعملون لقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦﴾ [القيامة: ٣٦] ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَـٰرِهِينَ ۝١٤٩﴾ فارحين ببيوتكم ومستبصرين في صنعتكم لقوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ۝٣٨﴾ [العنكبوت: ٣٨] ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٥٠ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝١٥١ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ ۝١٥٢ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ۝١٥٣﴾ أي من المخبوطين حيث تخالف جميع الملل ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ﴾ دالة على صدق مقالك ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝١٥٤ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ﴾ ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ لَّكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٧٣] ﴿لَّهَا شِرْبٌ﴾ معين ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ

---

(١) ليس المراد بالمشار إليه تذكير الأنبياء ووعدهم إياهم لما أن الكفار لم يكونوا مقرين بقدم تعليم الأنبياء بل كانوا يقولون إن هذا إلا اختلاق فافهم.

مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ
ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ
قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ ﴾
شهوة ﴿ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾
متجاوزون الحدود التي حد الله لعباده ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ ﴾ عما تقول: ﴿ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ
مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ عن القرية ﴿ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ أي المبغضين ﴿ رَبِّ نَجِّنِى
وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا ﴾ امرأته كانت ﴿ فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ
دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ ﴾.

﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴿ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ ﴾ والميزان
﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ ﴾
تسعوا ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ حال ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ﴾ أي الخليقة
﴿ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ أي المجنونين حيث تأمرنا بمخالفة
الأقدمين لقوله تعالى: ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا
مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ [هود: ٨٧] ﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ صدقوا
في هذا القول ولكن لم يفهموا أن الله ﴿ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ١١]
﴿ وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ في
ادعاء النبوة والرسالة ﴿ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ﴾ أي
العذاب العام الشامل كل إنسان منهم لا أنه كان يوم المطر والسحاب لقوله تعالى:
﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣٧]
وقوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [هود: ٩٤]
﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ ﴾.

﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي القرآن ﴿ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ أي جبريل لقوله
تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٩٧] ﴿ عَلَىٰ

قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ الناس على المعاصي وسوء الأخلاق ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ يعقله كل أحد من أهل العرب لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [القمر: ٣٢] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي مضمون القران ﴿ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩] ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً ﴾ دالة على صدقك ﴿ أَن يَعْلَمَهُۥ ﴾ أي يصدق القران ﴿ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ لما أنه غير لسانهم فتنفروا منه لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ [فصلت: ٤٤] . ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ ﴾ أي الإنكار ﴿ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ المصرين على الإنكار لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ [مريم: ٨٣] ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ ممهلون ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ص: ١٦] ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ أي مدة طويلة ﴿ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ من العذاب ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩] ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ أي لا نهلك قبل الإنذار لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا ﴾ [القصص: ٥٩] ﴿ ذِكْرَىٰ ﴾ مفعول له أو مطلق أي لأجل التذكير أو يذكرونهم ذكرى ﴿ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ في أخذهم ﴿ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ ﴾ أي بالقران ﴿ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ ﴾ أي الشياطين ﴿ عَنِ ٱلسَّمْعِ ﴾ للقران ﴿ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الجن: ٢٧، ٢٨] ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ خصوصًا ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٢٨] ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ ﴾ كفار العرب ﴿ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى

يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ وقت الصلاة ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ قل ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ أي كذاب يكذب في أموره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النحل: ١٠٠] ﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ ﴾ أي يقبل الأفاكون ما يلقي الشياطين في قلوبهم ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ في ادعائهم علم الكائنات ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ ﴾ أيضا مثل الأفاكين ﴿ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ ﴾ أي يتأثر بكلامهم معتقدين حقيته الضالون ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ ﴾ أي يؤدون كل مفهوم من مدح أو ذم يمدحون رجلًا مرة ويذمونه أخرى لا يبالون بما يقولون لأن محط أنظارهم ليس إلا حطام الدنيا[1] ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ﴾ في الخطبات المذكرة والأشعار المزهدة ﴿ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ ﴾ في أشعارهم من عدوهم ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ﴾ فأولئك ليسوا منهم ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ أي ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الرعد: ٤٢] أي ليس من شأن الشاعر المؤمن أن يسلك طرق الخطباء غير العاملين بها لقوله تعالى: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف: ٣].

سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية

﴿ طسٓ ﴾ أنا الله ذو الطول القدوس ﴿ تِلْكَ ﴾ السورة ﴿ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ ﴾ عطف تفسير ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾ تفسير للمؤمنين الكاملين لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [البقرة: ٣، ٤] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ

---

(١) من شآء أن يرى مثال هذا فلينظر في ديوان المتنبي من مدح سيف الدولة والكافور وذمهما (منه).

﴿أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ السوء ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤﴾ يتحيرون، نسبة التزيين إلى الله كنسبة الفعل إلى علة العلل لا إلى العلة الفاعلية لقوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النحل: ٦٣] ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٥﴾ كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٤] ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى﴾ توحى ﴿ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ يعلم من هو صالح لهذه الخدمة لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ﴾ رأيت ﴿نَارًا﴾ على الطور ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ على الطريق ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ من النار المرئية ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧﴾ تدفعون بها البرد ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي من كان آثار قدرته في النار وحولها لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣] ﴿وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٨﴾ عن أن يحل في النار - هنالك نودي من الله ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ حية صغيرة ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ خائفًا ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ نودي ﴿يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ نفسه بالمعاصي ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١﴾ الاستثناء منقطع ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ اذهب ﴿فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ الآيات العصا واليد البيضاء وغيرها كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ إلى قوله جل مجده: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٠-١٣٣] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ۝١٢ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ واضحة. حال ﴿قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٣ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ مفعول له للجحد من قبيل قعدت عن الحرب جبنًا ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝١٤﴾ من الهلاك.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٥﴾ قيد عباده بالمؤمنين لأن الفضل على الكفار ليس بشيء لأنهم ليسوا بشيء لقوله تعالى:

﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٢] ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ علمًا وحكومة لا مالاً لقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل: ٤٤] وقوله عليه السلام: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة**»[1] (البخاري وأصول الكليني كتاب العلم) ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ من الله ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ نحتاج إليه من أمور المملكة ﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ العلم ﴿ لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ يجمعون عنده ثم يسيرون إلى حيث أمرهم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ ﴾ منها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ حال فبلغه قولها ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ لأنه فهم كلامها ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ ﴾ وفقني ﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ ﴾ حيث ظنت النملة أني لا أظلمها علمًا وشعورًا فهذا هو العدل مني والإحسان منك ﴿ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ ﴾ بإعطاء الملك والصلاح ﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ الأمر للاستمرار لا للإنشاء ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ ﴾ لا أراه ﴿ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ على غيبوبته ﴿ فَمَكَثَ ﴾ الهدهد ﴿ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ أي حضر لسليمان بعد مدة يسيرة ﴿ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾ أي اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿ وَجِئْتُكَ مِن ﴾ قبيلة ﴿ سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً ﴾ ملكة ﴿ تَمْلِكُهُمْ ﴾ تحكم عليهم ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ تحتاج إليه ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ ﴾ أي يعبدونها ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أي سبيل الهداية لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ [مريم: ٨٣] ﴿ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ إلى ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ ﴾ فلا صلة ﴿ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ ﴾ الغائب عن

---

(١) رواه البخاري (٦٧٢٧، ٦٧٣٠) في الفرائض ومسلم رقم (١٧٥٨) في الجهاد والسير باب قول النبي ﷺ: «**لا نورث ما تركنا فهو صدقة**» ومالك في المؤطا (٢/ ٩٩٣) في الكلام باب ما جاء في تركة النبي ﷺ وأبو داود رقم (٢٩٧٦ و٢٩٧٧) في الخراج والإمارة باب في صفايا رسول الله ﷺ من الأموال من حديث عائشة رضي الله عنها.

الأنظار ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ من المطر والنبات وغيرهما ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ ﴾ أي هو الله ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴾ كلام مدح من الله لتفهيم المخاطبين ﴿ ۞ قَالَ ﴾ سليمان ﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي ﴾ أي المكتوب ﴿ هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ يقولون في جوابه فذهب فألقى كتابه ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّيٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ ﴾ مرقوم ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ ﴾ ملخصه ﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ ﴾ أي لا تستكبروا ﴿ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ منقادين لحكومتي.

﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى ﴾ أي أشيروني ﴿ فِىٓ أَمْرِى ﴾ هذا ﴿ مَا كُنتُ قَاطِعَةً ﴾ منفذة ﴿ أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾ بالمشاورة منكم ﴿ قَالُوا۟ ﴾ متفقين ﴿ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ أي نحارب سليمان ولا نطيعه ﴿ وَٱلْأَمْرُ ﴾ مفوض ﴿ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ ﴾ لا أحاربه ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً ﴾ متغلبين ﴿ أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَ ﴾ الله يشهد أنه لا شك أنهم ﴿ كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ ﴾ الرسول ﴿ سُلَيْمَٰنَ ﴾ وأهدى هديتها ﴿ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۖ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا ﴾ أي لا طاقة لهم لقتالهم ﴿ وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾ هذا ﴿ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ لا أخون منه شيئًا ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[1] أي كان صاحب ديوان سليمان ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ أي نظرك الذي تنظر إلى شيء فأجزني فأجازه فجاء به ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ ﴾ أي سليمان العرش ﴿ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى ﴾ حيث جعل لي مطيعًا ومنقادًا مثل هؤلاء الكملاء ﴿ لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ نعماءه ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ لا يضره شيء ﴿ قَالَ ﴾ سليمان ﴿ نَكِّرُوا۟ لَهَا ﴾ غيروا ﴿ عَرْشَهَا ﴾ بتغيير ما ﴿ نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ

---

(١) كان رجلًا صالحًا عاملًا بالكتاب ولا يلزم منه فضله على سليمان عليه السلام لأن كرامات الأولياء معجزات للأنبياء كما وقع للصحابة رضي الله عنهم حين دعوا للسليم وأخذوا الأجرة عليه كما في البخاري (٢٢٧٦ و ٥٧٣٦، ٥٧٣٧).

﴿ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ إلى مثل هذا الأمر ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ﴾ لها ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ أي عرفت واستعملت كأن لتغير ما وقع عليه ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ أي هذه المرة بأنكم صلحاء لهذا الأمر قادرون عليه بفضل الله وتوفيقه ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ منقادين لكم ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي منعها عن التوحيد قبل ذلك عبادة غير الله ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾ الجملة تعليل لما قبلها أي صدها ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾ بالإعزاز والإكرام ضيفة ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ ماء لأنه كان من قوارير تبرق ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ أي رفعت الثوب كيلا يبتل ﴿قَالَ﴾ سليمان ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ أي قصر مركب ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ أي ليس بماء ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بعبادة الغير ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ فأسلمت فنكحها. العلم عند الله.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ في دعوته فرقة آمنت به وأخرى كفرت واستعجلت العذاب ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ أي منذ جئتنا افتتنا بأقسام البلايا ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ﴾ أعمالكم من الكفر والشرك وجزاؤها لقوله تعالى: ﴿كُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣] ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي محفوظة عنده لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾ [القمر: ٥٢] ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي ستعذبون بأنواع العذاب ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ بصيغة الأمر ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ أي نقتله ليلًا ﴿وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ أي ما حضرنا وقت هلاكه وليس لنا علم متى قتل ولا نعلم من قتله ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا﴾ أي دبروا تدبيرًا خفيًا ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ خفيًا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ وكيف يشعرون والحال أنهم ﴿لا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ حال أي ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤] ﴿بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ و﴿ أرسلنا ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ حيث تأتون سبيلًا ليست محلًا لهذا ﴿ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ استهزؤوا بهم. عليهم ما يستحقونه ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ أي من آمن به ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ لعدم طاعتها له لقوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [التحريم: ١٠] ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ﴾ من الحجارة لا من الماء لقوله تعالى: ﴿ جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾ [هود: ٨٢] ﴿ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ من دونه كائنًا من كان وليس في خير معنى التفضيل لقوله تعالى: ﴿ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ﴾ [الحج: ١٣] بل على زعم المشركين.

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ﴾ أي ينزل ﴿ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ خير أما يشركون ﴿ فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ﴾ فيه التفات ﴿ حَدَآئِقَ﴾ بساتين ﴿ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ﴾ قدرة على ﴿ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ﴾ أي خالق هذه الأشياء خير أم من لا يخلق شيئاً؟ لا شك أن الخالق خير لقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٧] ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ لا ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ أي يعرضون عن الحق لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [المؤمنون: ٧٤] ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ مستقرة ﴿ وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ﴾ حيث لا يختلطان لقوله تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠] خير أم غيره ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ لا ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ خير أم معبوداتهم ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ﴾ خير أم من لا يفعل ذلك ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ إلى

الفناء[١] أي يعدمه لقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: ٥٥] ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ﴾ بإنزال الماء ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بإنبات الحبوب والثمار ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على الشرك ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ ولكن أنى لكم لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ متى يبعثون من القبور أي ليس لمن تدعون من دون الله قدرة على قضاء حاجاتكم ولا علم بأحوالكم فكيف يستحق للعبادة لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ إلى قوله عز من قائل: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ١٩ـ٢٢] ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي تحير الكفار فيها كيف تكون الأموات أحياء لقوله تعالى: ﴿مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس: ٧٨] ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾ أي إنكار لقوله تعالى: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الصافات: ١٦، ١٧] ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ لا يعتبرون بشيء لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [السجدة: ٢٧].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مشركي مكة ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾﴾ من القبور ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ بالسماع[٢] من اليهود والنصارى لا من النبي المبعوث فيهم لقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾﴾ [يس: ٦] ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ أكاذيبهم ليس لها وقوع ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ فيك من الحبس أو القتل أو غير ذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ﴾ [الأنفال: ٣٠]

---

(١) ليس المراد بالإعادة ههنا الحشر لأن القوم ما كانوا مقرين بالحشر لقوله تعالى: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾ [ق: ٣] فكيف السؤال؟ فافهم.

(٢) إشارة إلى دفع التعارض بين الآيتين فافهم.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ أي الحشر ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ حل عليكم ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ من العذاب في الدنيا وعذاب الآخرة يحل في وقته لقوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بتأخير العذاب ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ﴾ تخفي ﴿صُدُورُهُمْ﴾ من الكفر والشرك والعداوة بأهل التوحيد ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾﴾ من البغض والبغضاء ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾ أي في علمه لقوله تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩] ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ من صدق المسيح وولادته وتوحيده تعالى لأنه حكم على الكتب السابقة لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ﴾ [المائدة: ٤٩] ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ﴾ قضاء تامًا يوم الجزاء لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [السجدة: ٢٥] ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾﴾ لا مانع لقضائه ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ أي لا تستطيع أن تؤثر في قلوب الكفار إذ هم لا يلتفتون إلى كلامك لقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يونس: ٤٢، ٤٣] ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ﴾ أي لا تخرجهم عن ضلالتهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] ﴿إِن تُسْمِعُ﴾ أي لا تؤثر ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ منقادون لأمر الله سبحانه لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ [الفرقان: ٧٣] ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي إذا شارفت الساعة عليهم بظهور علاماتها ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ﴾ أي وجاه الموجودين[1] ﴿دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أية دابة ومن أية أرض تخرج؟ الله أعلم

---

(١) قال علي: ليست بدابة لها ذنب، ولكن لها لحية، كأنه يشير إلى أنه رجل (معالم ٦/ ١٧٩) =

﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ بكلام منا ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ أي لا يؤمنون بالله وبآياته كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٥﴾﴾ [الزلزلة: ٤، ٥].

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾ اليهود والنصارى والوثنيين وغيرهم ﴿فَوْجًا﴾ جماعة جماعة يوم القيامة ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ أي المنكرين بكلام الله ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ يجمعون في صعيد واحد ميدان القيامة ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو﴾ كلهم ﴿قَالَ﴾ تعالى بلسان الملائكة ﴿أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ أي كذبتم جهلًا وعنادًا لقوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف: ٥٨] ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ من العصيان لما أن وجوهكم مسودة لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ﴾ ثانيًا أي ورد الحكم بالعذاب ﴿عَلَيْهِم﴾ أي على المكذبين يوم القيامة ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ بالكفر والشرك ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ أي لا يعلمون ما يجيبون لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [القصص: ٦٥، ٦٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ مضيئًا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ أي من كان محسنًا في عمله مخلصًا في نيته لا يفزع لقوله تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ الآية ستأتي ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ عاجزين متخاضعين لقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣] ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ﴾[1] قبيل الفناء

= قال رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال ستًا طلوع الشمس من مغربها والدجال والدابة» الحديث [رواه مسلم رقم (٢٩٤٧) في الفتن باب بقية من أحاديث الدجال من حديث أبي هريرة رضي الله عنه] ويدل على أن الدابة تخرج قبيل القيامة فالمراد بوقوع القول الأول مشارفة الساعة وبالقول الثاني قيام الساعة كما هو مفهوم من قوله تعالى: ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [النمل: ٨٥] فافهم.

(١) قال الحكماء السابقون: إن الفلك متحرك والأرض ساكنة. وقال حكماء هذا الزمان من أهل أوروبا: إن الأرض متحركة. وهذا الرأي يتقوى يومًا فيومًا ويمكن أن يستدل على حركة الأرض بهذه الآية بأن تفسر صيغة ترى بمعنى الحال أي ترى أيها الرائي الجبال الآن تحسبها قائمة على حالها والحال أنها مارة متحركة بتحرك الأرض كتحرك السحاب كان =

﴿ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ أي مثل مرور السحاب في السرعة لقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [طه: ١٠٥، ١٠٦] ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ﴾ أي كان هذا صنع الله ﴿ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ أي أحكمه فيما خلقه ﴿ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ ثوابًا ﴿ وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ أركسوا ﴿ فِى ٱلنَّارِ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الرحمن: ٤١] ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ قل: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ﴾ أي مكة ﴿ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا ﴾ أي عززها وأكرمها بكل إكرام ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ أي المنقادين له من هذه الأمة لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ عليكم ﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ ﴾ أي أصر على الكفر ﴿ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ أي ليس عليّ سؤال عن أحوالكم لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [البقرة: ١١٩] ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ أي علامات تعرفون بها صدقي لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣] ﴿ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ فيجازيكم. اللهم احفظنا من شرور أعمالنا.

سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية

﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ ﴾ أنا الله ذو الطول القدوس السلام ﴿ تِلْكَ ﴾ السورة ﴿ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ ﴾ أي القرآن الذي هو مأخوذ من علم الله ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي تكبر ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ لئلا يتفقوا على مخالفته ﴿ يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ ﴾ أي بني إسرائيل ﴿ يُذَبِّحُ

= هذا ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ﴾ الآية فافهم (منه).

﴿أَبْنَآءَهُمْ﴾ لئلا يزدادوا عددًا وقوة ﴿وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي بني إسرائيل ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ هداة إلى الحق ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ خروجهم في مملكتهم سالمين لقوله تعالى حاكيًا عن فرعون: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الشعراء: ٥٦] ﴿وَ﴾ شروع القصة أنّا ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ أي ألقينا في قلبها ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ الهلاك ﴿فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى﴾ غرقه ﴿وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾ على فراقه ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ حيًّا ذا سلامة ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ أي متعلقو فرعون[1] ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ اللام للعاقبة ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾ في هذا الأخذ لما كان لهم وبالاً مآلاً ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ هذا ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ﴾ يا فرعون أي نحبه ونبنيه ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ مآلهم ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ أي صار قلبها خاليًا عن جميع ما سواه متوجهًا إليه ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ إن مخففة أي إنها كادت لتظهر ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ أي الواثقين بعهود الله ﴿وَقَالَتْ﴾ أم موسى ﴿لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ أي اتبعيه حيث يذهب ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ بعد ﴿وَهُمْ﴾ أي متعلقو فرعون ﴿لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ لا يمص رضاع امرأة ويبكي ﴿فَقَالَتْ﴾ أخته ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾ فقالوا: نعم فجاءت بأمها فاستأجروها ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ المتعلق برده ﴿حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ أي فهمًا وفراسة ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ الذين يحسنون أعمالهم يجدون نتائجها لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

---

(١) وما يقال بأن آسية امرأة فرعون أخذت موسى ليس بصحيح لقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] فافهم.

[النجم: ٤٠] ﴿وَدَخَلَ﴾ موسى ﴿ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا﴾ الواحد ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾ بني إسرائيل ﴿وَهَٰذَا﴾ الثاني ﴿مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ من قوم فرعون ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ لعدوانه ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ بلا قصد الإهلاك لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١] ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ الموت ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي من إغوائه ولم يكن نبيًّا إذ ذاك ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بسبب هذا الفعل ﴿فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾ أي هديتني وفضلتني على كثير من عبادك بالعلم والفهم لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧] لا بمغفرة الذنوب لعدم الاطلاع عليه ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ ناصرًا ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ كان الإسرائيلي على الباطل ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ ينتظر عقابًا من الحكام ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُ بِٱلْأَمْسِ﴾ أي الإسرائيلي ﴿يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ على قبطي آخر لعدوانه ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ﴾ أن زائدة ﴿أَن يَبْطِشَ﴾ يأخذ ﴿بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ أي القبطي ﴿قَالَ﴾ القبطي[1] ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾ لعله سمع الواقعة من أحد أو شهدها ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا﴾ متكبرًا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ الذين لا يظلمون أحدًا ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾ أي وزراء فرعون ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يشاورون فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ﴾ من البلدة ﴿إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ ونسب إليهم الظلم لأنهم كانوا بصدد قتله وقد كان خاطئًا في قتله وهو لا يوجب القتل لقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢].

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تمنعان غنمهما ﴿قَالَ﴾ لهما ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ﴾ يرجع ﴿ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ

---

(١) هذا هو الموافق للسياق وقيل: القائل الإسرائيلي (منه).

﴿كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ لا يستطيع أن يجيء ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ﴾ جائعًا ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ محتاج ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ﴾ لموسى ﴿إِنَّ أَبِي﴾ شعيبًا ﴿يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ أي أخبره بما جرى عليه ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ لا يأخذونك هنا ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ على الخدمة ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ﴾ شعيب لموسى ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ﴾ أي ثماني سنين في المهر ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ﴾ موسى ﴿ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ وعد موثوق ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾ من الثمانية أو العشرة ﴿قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ﴾ فلا جبر ﴿عَلَيَّ﴾ في القيام لديك ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ شهيد .

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ أيهما ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ إلى مصر ﴿ءَانَسَ﴾ رأى ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ من الشجرة ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا﴾ هنا ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِئِ﴾ جانب ﴿ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ أي من كل جانب بلا كيف يسمعه موسى فقط ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ قيل له: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ لأنك رسول والمرسل لا يخاف لقوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٤] ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ زيدت لفظة غير سوء إصلاحًا للتوراة المروجة لأنه كتب فيها[1] أن يده كانت مبروصة لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ الخوف ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ قبطية ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ

---

(١) الباب الرابع من الكتاب الثاني من التوراة.

﴿عَضُدَكَ﴾ أي نقويك ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾ غلبة ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بالإيذاء اذهبا ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا﴾ أي قوم فرعون ﴿مَا هَٰذَآ﴾ الذي أريتنا من المعجزات ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ بالفوز والفلاح ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ أي لا يفوز المفترون الكذابون ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾ قصراً رفيعاً ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ قال هذا لأن موسى عليه السلام قال في جوابه: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الشعراء: ٢٤] ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ هو بادعاء الألوهية والجنود بتسليمها ﴿وَظَنُّوٓا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ﴾ هم الذين تعاقبوا موسى ﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ أي الشرك الموجب للنار ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ لما أنهم يردون النار لقوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود: ٩٨].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ من عاد وثمود وغيرها ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ أحوال من الكتاب ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ﴾ من الطور ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ أي آتيناه النبوة ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ فضلوا ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ مقيمًا ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ بالمشاهدة ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾ إليك ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ موسى ﴿وَلَٰكِن﴾ أوحي إليك ﴿رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ أي لولا اعتذارهم إذا عذبوا بشركهم وكفرهم لما أرسلنا رسولاً

ولكنا أرسلنا لقطع عذرهم لقوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟﴾ معتذرين بأعذار باردة ﴿لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ من العصا واليد البيضاء وغيرها ﴿أَ﴾ يطلبون كذا ﴿وَلَمْ يَكْفُرُوا۟﴾ مشركو مكة ﴿بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ متعلق بأوتي ﴿قَالُوا۟﴾ المشركون إن موسى ومحمدًا ﴿سِحْرَانِ﴾ ساحران هو في زمانه وهذا في زمانه ﴿تَظَٰهَرَا﴾ أي اتفقا في دعواهم ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ[1] مِنْهُمَآ﴾ أي التوراة والقرآن ﴿أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ في أن القرآن مفترى ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ﴾ إلى ما تدعوهم ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ ليس لهم غرض ديني ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ هداية خاصة لقوله تعالى: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ [مريم: ٩٧] وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ أي بينا لهم[2] القرآن لقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩] وقوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ أي إرادة نصحهم ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي فهم الكتاب السماوي لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧] ﴿هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ أي المضاعف على كل بر ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ أي ثبتوا أنفسهم على الحق ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ﴾ أي المطاعن من القوم ﴿أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ لا يلتفتون إليها

---

(١) اسم تفضيل مبني للفاعل (منه).

(٢) ليس المراد بالوصل هنا ضد الفصل لقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] على أن التذكر مطاوع للتبيين لا للوصل ضد الفصل فتدبر (منه).

عملًا بقوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩] ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣] ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ أي لا توصلهم إلى الصراط المستقيم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ الصالحين للهداية ﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ﴾ نخرج سريعًا ﴿مِنْ أَرْضِنَا﴾ يقولون كذا: ﴿وَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ﴾ يجلب ﴿ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا﴾ حال ﴿مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ فينسبونها إلى غيره سبحانه لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ﴾ ضيعت ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ حياتها بكفرها ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ﴾ في طرقكم ﴿لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ أي المالكين لكل شيء ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا﴾ أي الموضع الكبير ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من أجر على الأعمال الصالحة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ لا ينقطع ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ فتتركوا الفاني وتأخذوا الباقي لقوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧].

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ على أعماله الصالحة ﴿فَهُوَ لَاقِيهِ﴾ بفضله يوم القيامة ﴿كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فقط ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾ في النار أي لا يستوون لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: ٢٠] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ أنهم فيكم شركاء ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ الحكم بالعذاب من المتبوعين المضلين ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ أي نظهر البراءة عندك من أعمالهم القبيحة ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤١] يقولون هذا الكلام حين يلومونهم على إضلالهم لقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا

كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الصافات: ٢٨ـ ٣٢] ﴿ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ ﴾ ليشفعوا لهم ﴿ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ تمنوا ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ الله ﴿ فَيَقُولُ ﴾ للكفار ﴿ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ ﴾ لا يدرون ما يجيبون لدهشة الهول لقوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الحج: ٢] ﴿ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ بينهم ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ أي يصطفي ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ ﴾ أي للمخلوق فتدبروا! ﴿ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ الاختيار في إيصال الخير ودفع المضار لقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [يونس: ١٠٧] ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ من شيء ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ ﴾ تخفي ﴿ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ وغيره ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥] ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ لا لغيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الكهف: ٢٦] ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا ﴾ دائمًا ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ ﴾ أي النهار ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ ﴾ تستريحون ﴿ فِيهِ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ فتتركوا السؤال ممن لا قدرة له لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ ﴾ [الحج: ٧٣] ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ ﴾ أي في الليل ﴿ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ أي في النهار ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ الله ﴿ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا ﴾ أي نخرج ﴿ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ أي رسولًا ليخبر عن أحوالهم ويطلع على جوابهم لقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [النساء: ٤١، ٤٢] ﴿ فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ على ما أشركتم ﴿ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ ﴾ أي حق العبادة ﴿ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ من

ادعائهم عبادة الغير. اسمعوا قصة ضال مضل.

﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ أي تعدى وتكبر على بني إسرائيل لتموله ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ ﴾ أي خزائنه لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩] فهي جمع مفتح بالفتح ﴿ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ أي يثقل على جماعة نقلها من مكان إلى مكان وكانت من صناديق الحديد يعني كان سبب بغيه تموله لقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾ [العلق: ٦، ٧] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ﴾ على مالك ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝٧٦ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ من المال ﴿ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ بإنفاقها في سبيله ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ ﴾ حظك ﴿ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي ما يذهب معك وقت الموت لقوله تعالى: ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ [الحشر: ١٨] ﴿ وَأَحْسِن ﴾ إلى الناس ﴿ كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ [البقرة: ٢٥٤] ﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٧٧ قَالَ ﴾ قارون ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ ﴾ أي هذا المال ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ أي كمال كسب وتدبير مني لا بمحض فضل الله كما زعمتم ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٧٨ ﴾ حين يقع عليهم العذاب لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [إبراهيم: ٤٢] ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ ﴾ من مال ﴿ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ أي الفهم والعمل بمقتضاه لا علم القراءة بالكتاب فقط لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [الجمعة: ٥] ﴿ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ لقوله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦] ﴿ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ۝٨٠ فَخَسَفْنَا بِهِۦ ﴾ أي قارون ﴿ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ أي في الأرض ﴿ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ ﴾ هو ﴿ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ۝٨١ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ ﴾ درجته ﴿ بِٱلْأَمْسِ ﴾ بقولهم: ياليت لنا مثل ما أوتي قارون ﴿ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ﴾ ويكأن لفظ مركب من وي وكأن ومعنى وي التعجب وكأن بمعنى أن أي نتعجب

من سرعة زوال نعمته قالوا: إن الله إلخ أي ليس وسعة الرزق دليلًا على فضل أهله وإعزازه لقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ . . ﴾ الآية [الزخرف: ٣٣] ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالعلم والفهم ﴿لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ أي الجنة ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا﴾ تكبرًا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ بين الناس ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ الحسنة ﴿لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ لا لغيرهم لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٣] ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي تلاوة القرآن والعمل به لقوله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أي إلى جنابه سبحانه لقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ١-٣] ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن﴾ أي بمن ﴿جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ أي لا يخفى عليه خافية لقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩] ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي القرآن من الله لقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢] ﴿إِلَّا﴾ أوتيت ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ مفعول له ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ أي ينبغي أن يكون أثر القرآن عليك وعلى كل من قرأه عدم المبالاة بالكفار والفساق لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢] وقوله عليه السلام: «**من لم يتغن بالقرآن فليس منا**»(١) الحديث ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ﴾ ﴿بِٱلْحِكْمَةِ

---

(١) رواه أبو داود رقم (١٤٦٩ و١٤٧١) في الوتر باب استحباب الترتيل في القراءة ورواه أحمد في المسند (١/ ١٧٢، ١٧٥) وابن ماجه رقم (١٣٣٧) في إقامة الصلاة باب في حسن الصوت بالقرآن وهو حديث صحيح من حديث أبي لبابة بشير بن عبد المنذر رضي الله عنه وهو في البخاري بلفظ: «**ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي ﷺ يتغنى بالقرآن**» رقم (٧٤٨٢) وفي مسلم مثله (٧٩٢).

﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾ النهي للاستمرار في حقه عليه السلام كما مر مرارًا ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ بعد الموت.

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ أنا الله أعلم ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا﴾ من الابتلاء ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ بالبلايا ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ بأنواع البلايا والمحن لقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤] ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ في دعوى الإيمان ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ أي بعد الافتتان يظهر صدق الصادقين وكذب الكاذبين، لا أنه تعالى يحصل العلم مستقبلًا لقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ﴾ هاربين ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾﴾ أي بئس رأيهم هذا ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ أي أجره على الأعمال الصالحة ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَـَٔاتٍ ۚ﴾ قريباً ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ لا يناله أثر عمل أحد ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ أي الصغائر بشرط أن يجتنبوا الكبائر لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء: ٣١] ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ﴾ أي إحسانًا لقوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾ [الإسراء: ٢٣] ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي دليل وهذا بيان للواقع لا للاحتراز لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ الآية [المؤمنون: ١١٧] ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى﴾ عبادنا ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا

﴿بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ أي في سبيل الله من الكفار ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ أي إيذاءهم ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ قابل الحذر لقوله تعالى: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧] ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ فنستحق العطاء ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ يعلم ما في صدورهم من الإخلاص والنفاق ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ الآن ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ أي إن خفتم عقاب الله على ترك الإسلام فالعقاب علينا ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨] ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أي ذنوبهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ أي ذنوبًا لأجل الإضلال إياهم لقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٥] ﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ يكذبون في هذا الأمر أيضًا من أنا نحمل من خطاياكم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ الذين ركبوا معه ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾ أي السفينة ﴿ءَايَةً﴾ أي عبرة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ اذكر ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ ليس لهم حياة ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ أي تفترون كذبًا على الله حيث تنسبون إليه الإجازة والرضاء على هذا الشرك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ لقوله تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟﴾ هذا الرسول فلا حرج ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ عاد وثمود وغيرها فأهلكوا ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾ ليس عليه السؤال عن إنكار المنكرين ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ هؤلاء ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ من نطفة أو مثلها ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ إلى الفناء[1] لقوله تعالى: ﴿۞ مِنْهَا

---

(١) ليس المراد بالإعادة هنا الإعادة يوم القيامة لما أن القوم ما كانوا مقرين بها (منه).

﴿خَلَقَنَكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: ٥٥] ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ في الآفاق ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ هي الحياة الثانية بعد الموت لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ [النجم: ٤٧] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ أي ليس له مانع لكن لا بلا وجه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾ ترجعون ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هربًا لقوله تعالى حاكيًا عن الجن: ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ [الجن: ١٢] ﴿وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ لأنهم لم يتهيؤوا للآخرة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٨] ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ أي قوم إبراهيم ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ لقوله تعالى: ﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الإنجاء ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي لأجل الخلة بينكم أي مودة أهل الضلال سبب لضلالكم لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٧٠] فمودة مفعول له من قبيل قعدت عن الحرب جبنًا فافهم ﴿ثم يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ لقوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧] ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَـَٔامَنَ لَهُۥ﴾ أي بإبراهيم ﴿لُوطٌ وَقَالَ﴾ إبراهيم بعد ما أنجاه الله من النار ورأى شدة الكفار ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ أي في سبيل ربي لأجل حفاظة الدين من أذى الكفار ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ﴾ إبراهيم ﴿ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ تفسير الفاحشة ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ شهوة ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي تتركون سبيل قضاء الشهوات من النساء لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف: ٨١] ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ﴾ اللواطة ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ بعد مدة طويلة ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ أي ببشارة الولد ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ﴾ أي قرية قوم لوط ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ﴾ أتهلكونه أيضًا ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ الهالكين ﴿وَلَمَّآ أَن﴾ صلة ﴿جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ لأنهم كانوا على هيئة الأغلمة لقوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ [هود: ٧٨] ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾ عذابًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ﴾ أي من القرية ﴿ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾﴾ بتخسير الناس أموالهم لقوله تعالى حاكيًا عن شعيب عليه السلام: ﴿فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف: ٨٥] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَ﴾ أهلكنا ﴿عَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ القبيحة ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾ في أمور الدنيا ﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿قَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ إيانا ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ ۚ﴾ كقوم ثمود لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾﴾ [الحاقة: ٥] ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ كقارون ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ﴾ كفرعون ﴿وَمَا

﴿كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ كما أن هؤلاء يظلمون باتخاذ غير الله أولياء والحال أنه ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ لقضاء الحاجات ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ فزعمت أنه حصن حصين ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ فكذا هؤلاء المشركون يزعمون أن أولياءهم كذا وكذا وهم لا يقدرون على شيء من قضاء الحاجات لقوله تعالى: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾ كائنًا من كان مسيحًا كان أو غيره ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا﴾ نبينها ﴿لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ بالنتيجة الحقة لا بالعبث لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص: ٢٧] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ أي من كان يصلي صلاة الخاشعين كثيرًا ما يمتنع عن ارتكاب الفواحش والمناكير لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الإسراء: ٦٥] لا أن المصلين يكونون معصومين أو محفوظين عن الكبائر والصغائر لقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾[1] [آل عمران: ١٣٥] ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ تعليل لما قبله ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي﴾ أي بالطريقة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي ما لا يكون فيه إيذاء أو سب وشتم ويكون فيه كلام مؤثر لقوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ أي من كان معاندًا فلا تخاطبوهم لقوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ [النجم: ٢٩] ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ من الله لا ما صنفتم بعده ونسبتم إلى الله ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ فإنا إن شاء الله وإن خالفتمونا نجونا

---

(١) لأن الآية الكريمة تدل على وقوع الذنب من الصالحين (منه).

لقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ما أنزلنا هذا الحكم الحكيم ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ كله ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي فهم الكتب السماوية ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي بالقرآن لأنهم يفهمون معانيه ويتدبرون دقائقه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧، ١٠٨] ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المخاطبين من سكناء العرب ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ مستقبلًا لقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ [النصر: ١، ٢] ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي من كان منتهيًا في العناد والكفر بحيث لا يسلم بكلام الخصم وإن كان حقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ [لقمان: ٣٢] كيف يجحدون كتابك ﴿وَ﴾ الحال أنك ﴿مَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ وإلا ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ﴾ أي القرآن ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ مبينة ﴿فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ من قبله ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ الذين هم عن الصراط لناكبون ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي المشركون ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ﴾ معجزات ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ التي نسأله لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣] ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ﴾ المعجزات ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي ليس لي قدرة على إيجاد ما تسألون لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٣٨] ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ لا غير ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي لا يتدبرون القرآن فهو كاف لهدايتهم لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ وعذابًا وعقابًا لمن يكفر به لقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ يشهد هو بنفسه على صحة دعواي لقوله

تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الفتح: ٢٨] ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ﴾ أي أشركوا بالله وأعرضوا عن التوحيد لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ لخسران عاقبتهم لقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥﴾ [الزمر: ١٥] ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾ لعذابهم لقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞ﴾ [يونس: ٤٩] ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ﴾ فجأة ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٣ يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٤﴾ لا يخرجون عنها ﴿يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ الظرف متعلق بالمحيطة ﴿مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٥٥ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ﴾ فاخرجوا من دار الحرب لقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾ [النساء: ٩٧] ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٥٨﴾ يعني ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٥٩﴾ لا على غيره ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ﴾ فكيف تخشون الفقر على الهجرة ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٠ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم﴾ أي المشركين ﴿مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ أي استعملهما بلا أجرة منكم ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٦١﴾ بترك التوحيد ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ﴾ يضيق عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٦٢﴾ يعلم ما يكون للعبد فيه مصلحة ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي العلو ﴿مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا﴾ يبسها ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٦٣﴾ فينسبون قضاء حاجاتهم إلى غير الله.

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ﴾ أي ليست بدار قرار كما لا تكون دار اللهو واللعب دار الاستقرار ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾ لدوام نعمائها ولذاتها ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾ لا يرجحون الفاني على الباقي لقوله تعالى: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧] ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ وتركوا غيره لقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ

ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤١] ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ أي على شط البحر ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ اللام للعاقبة ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ عاقبة أمرهم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ ويسرقون ويقاتلون ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ أي بما لا يفيدهم شيئًا ﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَ﴾ خلاف هؤلاء ﴿ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾ أي في سبيلنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ هداية خاصة بتوفيق الأعمال الصالحة لقوله تعالى: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: ١٦] ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ بالنصرة الخاصة لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

سورة الروم مكية وهي ستون آية

﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ أنا الله أعلم ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾﴾ صارت مغلوبة من الفرس ﴿فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي قريبًا من العرب ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ أي كونهم مغلوبين ﴿سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾﴾ على الفرس ﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ أي إلى العشر ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ أي حكومة الملك بيده سبحانه يؤتي من يشاء لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مفعول مطلق مضاف إلى الفاعل ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي يرون كثرة المال عزًّا عند الله وعند الناس لقوله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١] ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ لا يلتفتون إلى فضل الآخرة ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ

لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ لقوله تعالى: ﴿ لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ ﴾ [الفجر: ٨] ﴿ وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ ﴾ عطف تفسير ﴿ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ فكذبوهم ﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ بارتكاب المعاصي ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾ السوأى اسم كان وعاقبة خبرها ﴿ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ أي بتكذيبهم واستهزائهم بآيات الله .

﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ إلى الفناء ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ بعد الحشر هذا محل النزاع بينهم لقوله تعالى: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ٣٧] ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ أي يأئسون من حسن عاقبتهم لما يرون ما يكرههم لقوله تعالى: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَٰقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الكهف: ٥٣] ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ ﴾ الذين زعموهم شفعاء ﴿ شُفَعَٰٓؤُا۟ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ [غافر: ١٨] ﴿ وَكَانُوا۟ ﴾ أي المشركون ﴿ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ أي يجحدون بشركهم وقتاً ما لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٣] ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ أي يمتاز مؤمن من كافر ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ ينعمون ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الواقعة: ٧ـ١٠] ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ أي سبحوا الله ﴿ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَ ﴾ سبحوا ﴿ عَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ أي وقت زوال الشمس أيضاً سبحوا الله هو ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ أي من النطفة لقوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٨] ﴿ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ أي يميت رجلاً كائناً من الأحياء ﴿ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ يبسها ﴿ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ أي كما يكون النبات موجوداً بعد العدم كذلك تكونون مبعوثين بعد الفناء لقوله تعالى: ﴿ ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ أي آيات وجوده سبحانه ﴿أَنْ خَلَقَكُم﴾ أي أباكم آدم ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ في الأرض على كثرة لا تحصى ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي من جنسكم ﴿أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ في أن الفعل لابد له من فاعل ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي لغاتكم ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ بأن ما بالعرض لا يكون إلا بما بالذات فافهم لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٤٢] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ بطلب المعاش في النهار لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ [النبأ: ١١] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ سماع التحقيق لا سماع العناد لقوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ﴾ أي أن يريكم ﴿ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾ أي متلبسًا بالخوف من العذاب ﴿وَطَمَعًا﴾ أي بالطمع بالرزق ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أي يبسها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي الذين بهم عقل في الجملة لا من كان جاهلاً معانداً للحق بحيث لا يسمع كلام الغير ولا يصغي إليه لقوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ لأن الله سبحانه علة موجدة للخلق ومديمة لهم لقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر: ٤١] ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ وقت البعث ﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ﴾ [طه: ١٠٨] ﴿وَلَهُۥ﴾ سبحانه ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ ملكا وخلقا ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ محتاجون لقضاء حاجاتهم لقوله تعالى: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ في الحياة مرة ثانية يوم البعث ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ ليس في أهون تفضيل بالنسبة إليه سبحانه

لقوله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨] بل بالنسبة إلى الناس إن الفعل مرة ثانية أهون من الأولى على الناس ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ رد لما يعتقد الكفار من أن الله مثل الملوك في إبلاغ الخبر إليه وتقسيم الاختيارات إلى النواب لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] أي ليس له صفة الملوك بل هو يسمع ويرى ويجيب بنفسه لقوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿ضَرَبَ﴾ الله ﴿لَكُم﴾ لتفهيمكم قباحة الشرك ﴿مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ أي من عبيدكم ﴿مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ﴾ مع عبيدكم ﴿فِيهِ سَوَآءٌ﴾ في التصرف ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي إخوانكم -لا- فكيف تسوون عبيد الله به سبحانه ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدلائل ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أي لمن كان ذا عقل ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي ليس لهم عقل بل اتباع الهوى ﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ على عناده للحق ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ غير مائل إلى غيره ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ أي التزموا خصلتكم التي أودعها فيكم وهداكم إليها من التوجه إليه سبحانه لقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٣] ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ يعني أن المشركين وإن ضلوا السبيل لكن لم تنعدم قوتهم القابلة بالكلية لقوله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ أي الانقياد لله سبحانه الصراط المستقيم لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ فيجهلون أمر الدين ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ حال من ضمير أقم وجمع على إرادة الأمة لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] ﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ أي ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ أي تركوا يعني نقصوا فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴿وَكَانُوا۟﴾ أي صاروا ﴿شِيَعًا﴾ متفرقة ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ أي يفرحون بما عندهم من أمر الدين من البدعة والشرك

والكفر ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ لأثر فطرة الله ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ينسبون نعماءهم إلى الغير ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ اللام للعاقبة كما مر ﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾ أيام حياتكم الدنيا ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ دليلًا ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي يظهر صحة شركهم -لا- لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ أي ييأسون من رحمة الله ولا يلومون أنفسهم فيتوبوا إليه ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ القبض والبسط ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ فيعتبرون أن الأمر بيده سبحانه لقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٣] إن كنت أيها المخاطب تعتقد أن البسط والقدر بيد الله ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ حقهم المذكور في قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الآية [النساء: ٣٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإيتاء ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ﴾ أي رضاءه ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟﴾ أي ليكثر ﴿فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ أي ما تؤتون لأجل منفعة الحياة الدنيا ﴿فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ﴾ لأنه ما أريد به وجه الله لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾﴾ [المدثر: ٦] ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ صدقة ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ المؤتون ﴿هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ أضعافًا كثيرة لقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ﴾ [البقرة: ٢٤٥] اسمعوا إن معبودكم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ بالنوم(١) ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ أي يبعثكم بعد النوم ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ﴾ -لا- لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان: ٣] ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ لما أنه ليس له شريك لقوله تعالى:

---

(١) لأن السياق لبناء الدليل على مقدمات مسلمة للخصم والخصم لا يسلم الحياة الثانية فكيف السياق؟ فافهم.

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ [الإسراء: ١١١].

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ قبل بعثة هذا الرسول ﴿ لِيُذِيقَهُم ﴾ في الدنيا ﴿ بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ ﴾ من المعاصي لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠] فاللام للعاقبة ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [السجدة: ٢١] ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾ الذي مر ذكره من قوله سبحانه فطرة الله ﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ يتفرقون مؤمن وكافر لقوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٧] ﴿ مَن كَفَرَ ﴾ أي من كان كافرًا في الحياة الدنيا ﴿ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ﴾ يوم الجزاء لا على غيره ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴾ [الإسراء: ٧] ﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ اللام للعاقبة ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ في البحر ﴿ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ بالتجارة ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ الله ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ فكذبوهم ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ في الدنيا والآخرة ما داموا على حقيقة الإيمان لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر: ٥١] اسمعوا إن معبودكم ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ أي من السحاب ﴿ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ ﴾ إن مخففة أي إنهم كانوا ﴿ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ ﴾ بدل ﴿ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ يائسين لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ﴾ [الشورى: ٢٨] ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ تمثيل ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا ﴾ حارًا ﴿ فَرَأَوْهُ ﴾ أي ما نبت بأثره ﴿ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ نعماءه لقوله تعالى:

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الواقعة: ٦٥-٦٧] ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي الكفار الجهال لقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ خصوصًا ﴿إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ أي من كان قاسي القلب لا يؤثر فيه تذكيرك لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦] وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١] ﴿إِن تُسْمِعُ﴾ تؤثر ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي من كان متهيئًا لقبول الحق فهو يقبل لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧] ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ بعد سماع التذكير لقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥].

اعلموا أن إلهكم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ من ابتدائية ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ عطف تفسير لقوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يس: ٦٨] ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي يوم القيامة ﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يحلفون بالله ﴿مَا لَبِثُوا۟﴾ في البرزخ[1] ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ يصرفون عن الحق ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي على وفق علم الله ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ لقوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٠] ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ أي كنتم غافلين عن هذا لا ترجونه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٧] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾ يدفعون العذاب لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: ٩٧] وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ

---

(١) ليس المراد باللبث ههنا في الدنيا لما أنهم لم يلبثوا في الدنيا إلى يوم البعث فافهم.

بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩٠، ٩١] ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ أي لا يستعملون العلم ولا يعملون على مقتضىٰ علمهم لقوله تعالى: ﴿۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال: ٢٢] ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بنصرك ﴿حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ أي لا يحملنك على أن تكون خفيف الحركة وتظهر الجزع والفزع على الأذى لقوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

سورة لقمان مكية وهي أربع وثلاثون آية

﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ أنا الله أعلم ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ حال ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بيان للمحسنين ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ أي يهديهم القرآن أي يلينهم إلى ذكر الله لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ الفائزون ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي﴾ يختار ﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ الإضافة مقلوبة أي أحاديث اللهو ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي الإسلام ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ أي لا يعلم صحة ما عليه من الدين لقوله تعالى: ﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠] ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ أي سبيل الله ﴿هُزُوًاۚ﴾ يهزأ بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ﴾ أدبر عن سماع القرآن ﴿مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ﴾ كأن ههنا مناب أن لقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ﴾ [الكهف: ٥٧] ﴿فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ كلاهما مفعول مطلق لوعد وحق ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ أي السماء الجملة مستأنفة ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي

﴿ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ جبالاً ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي لا تتحرك بكم لكثرة الماء ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ أي قل لهم هذا خلق الله لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الأحقاف: ٤] ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ ولكن أنى لهم ذاك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الحج: ٧٣] ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ المشركون ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١١﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ الفهم في أمور الآخرة لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ نعماءه بيان للحكمة أي توجه إليه بنفسك ومالك لقوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾ [المزمل: ٨] ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ﴾ فلا يضر الله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝١٢﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ هذا مقتضى حكمته قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ إحساناً ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي بضعف على ضعف ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ عن الرضاعة ﴿فِى عَامَيْنِ﴾ انتهاء لقوله تعالى: ﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ مفعول به لوصينا والجملة المتوسطة اعتراض للعلة ﴿إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝١٤﴾ أي الرجوع في الأمور كلها في الحياة الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ [النجم: ٤٢] ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ دليل بيان للواقع لا للاحتراز لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ بحسن الخدمة والإحسان ﴿وَٱتَّبِعْ﴾ في أمور الدين ﴿سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ في الإنابة والإطاعة لله ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٥﴾ قال لقمان عليه السلام: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ﴾ أي الخصلة الحسنة أو القبيحة من الشرك وغيره ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ﴾ أي تحت حجر شديد ﴿أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥﴾ [طه: ١٥] لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا

﴿يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝١٦﴾ أي يعلم كل شيء لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ [آل عمران: ٥] ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي ما عرف في الشرع لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢] ﴿وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ أي خلاف الشرع ﴿وَٱصْبِرْ﴾ صبرًا جميلًا ﴿عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ من شرار الناس على تبليغ المعروف ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٧﴾ التي يجب أن لا يغفل عنها ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي لا تعرض عنهم متكبرًا ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ حال أي مستكبرًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨﴾ متكبر مفتخر ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ أي امش متواضعًا لقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] ﴿وَٱغْضُضْ﴾ اخفض ﴿مِن صَوْتِكَ﴾ مفعول به ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾ الرفيعة ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ۝١٩﴾ فاحترز.

﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ أيها المشركون ﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ﴾ أكمل ﴿عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً﴾ حال أي بإنبات النبات وإنزال المطر والثياب والرزق وغير ذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] ﴿وَبَاطِنَةً﴾ بإرسال الرسل وتعليم القرآن لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾ أي في دينه ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ عقلي ﴿وَلَا هُدًى﴾ أي ليس هو متدينًا مهتديًا ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٢٠﴾ منزل من الله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ يتبعون آباءهم ﴿وَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٢١﴾ ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي يتبتل إليه ويعرض عن غيره ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي عامل بالشرع لقوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [لقمان: ٣، ٤] ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ لا انفصام لها أي وصل في حصن حصين ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٢٢﴾ أي بدء الخلق وفناؤه بأمر الله لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٣٤﴾ [يونس: ٣٤] ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بعد

الموت ﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ أي مدة الحياة الدنيا ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ شديد ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ قباحة أفعالهم لما أنها زينت في أعينهم لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨] ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ﴾ كان ﴿أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ﴾ مدادًا ﴿يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ لكتابة كلمات الله ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ أي مقدوراته ومعلوماته لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس: ٨١] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو وقت الانتهاء لقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾ [التكوير: ١، ٢] ﴿وَ﴾ ألم تروا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ﴾ أي كونه خبيرًا ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ الكفار ﴿مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ أي هو سبحانه مستحق لجميع أنواع العبادة والدعاء والذين يدعون من دونه ليس لهم استحقاق بوجه ما لقوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٤] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ أي بمال ينتفع الناس به لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة: ١٦٤] ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ في البحر إن تفكرتم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على مصائب البحر ﴿شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾ على العبور بالسلامة من البحر ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ﴾ في البحر ﴿كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي يتركون ما كانوا يدعون من قبل لقوله تعالى: ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام: ٤١] ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ معتدل مستقيم على العهد والوفاء ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ ناقض العهد ﴿كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ للنعماء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ إن لم يكن هو نفسه مؤمنًا صالحًا وإن كان مؤمنًا وأولاده كذلك فغير ذلك لقوله

تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١] ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي لا تغتروا بنفاستها ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ أي لا تتبعوا خطوات الشيطان ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة: ١٦٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ لا يعلمها إلا هو ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ أي لا يعلم هذه الأمور إلا الله لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية

﴿الم ﴿١﴾﴾ أنا الله أعلم ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ أي القرآن ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي اختلقه محمد ﷺ ليس هو بمفترى ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ﴾ النازل ﴿مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ قريبًا أي تنذر أهل العرب أولاً وغيرهم ثانيًا لقوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يتولى أموركم ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ أي ليس أحد يشفع لكم عنده دون أمره لقوله تعالى: ﴿لا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] رد لقولهم: ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ أن الأمر كله لله ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي يجري الحكم على مخلوقه من الفلكيات إلى الأرضيات كلها لقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١] ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ أي يدبر في ساعة أمر الحوادث[1]

---

(١) يعني لو تصور الناس نزول التدبير وعروجه لا يتصورونه في أقل من ألف سنة ولكن كل =

الكائنة في ألف سنة بل في عشرة آلاف بل خمسين ألف سنة بل مائة ألف إلى ما لا نهاية لقوله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨] وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقوله تعالى متصلًا بها: ﴿ذَٰلِكَ﴾ المدبر ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ الجملة صفة لشيء ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨﴾ أي من النطفة لقوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [عبس: ١٧ـ١٩] ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾ ما مزيدة وقليلًا صفة مصدر أي شكرًا قليلًا فالمقصود من هذا كله بيان وسعة علمه سبحانه وكمال قدرته جل مجده من أنهما لا تقفان عند حد ممكن لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠١﴾ [الأنعام: ١٠١] ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ كفار مكة ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي محيت صورنا هذه لقوله تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝١٦﴾ [الصافات: ١٦] ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أنحيى مرة ثانية لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۝٤٧﴾ [النجم: ٤٧] ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝١٠﴾ ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ الملك اسم جنس ليس بواحد لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النساء: ٩٧] ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾ بعد الموت.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا﴾ ما وعدتنا ﴿وَسَمِعْنَا﴾ ما قلت لنا: ﴿فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ أي لأجبرناهم على قبول الهدى على عنادهم ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ﴾ أي صدر ﴿ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ أنه ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦] فرع هذا ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١٣﴾ أي الكفار والفساق على الكفر والفسق لقوله تعالى: ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۝٢٤﴾ [الزمر: ٢٤] ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ

= ذلك عند الله يكتمل في يوم واحد، والغرض أن أوهام الناس لا تبلغ إلى قدرة الله. والله أعلم (معرب لما قاله الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله).

﴿لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ أي جزيناكم جزاء المنسي لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤] ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ﴾ إيماناً كاملاً ﴿بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾ انقادوا لها ﴿وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ عن الانقياد لله ﴿تَتَجَافَىٰ﴾ تتباعد ﴿جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ وقت الصلاة لا كل الليل لقوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الذاريات: ١٧] ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في ثوابه ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢-٤] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ أي لا يعلم أحد علم عين لا من أي وجه لقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد: ١٥] ﴿جَزَآءً﴾ مفعول له لأخفي ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ عند الله لقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨] ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا﴾ حال ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم﴾ أي كفار العرب ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ في الدنيا ﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ أي قبله ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ خشية من العذاب الأكبر ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ ولم يلتفت إليها فهو ظالم بل أظلم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣] ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أي نجازيهم على أعمالهم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ إياه بل أظهر الإيمان به لقوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ [البقرة: ١٣٦] ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ أي الكتاب ﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٣، ٤] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾ أي بني إسرائيل ﴿أَئِمَّةً﴾ أئمة الهدى والخلفاء على الأرض لقوله تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾

[النساء: ٥٤] ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ على المصائب ظرف لما متعلق بجعلنا ﴿وَكَانُوا﴾ أي الأئمة ومن تبعهم ﴿بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٢٥﴾ من أمر النبوة المحمدية لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝٤﴾ [البينة: ٤] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ لمشركي مكة ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ﴾ أي لا يعتبرون بمن سبقهم من الأمم الخالية ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ۝٢٦﴾ سماع تدبر لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾ [ق: ٣٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ اليابس ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ۝٢٧﴾ الدليل الأول تاريخي والثاني فطري ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ﴾ أي يوم القيامة الذي يفصل فيه بين الناس ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٢٨ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝٢٩﴾ يمهلون للمعذرة لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦﴾ [المرسلات: ٣٦] ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ۝٣٠﴾ والعلم عندنا والقدرة على إتيانه لدينا لقوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

سورة الأحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون آية

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فيما يريدون منك من الميل إليهم والمداهنة لقوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ [القلم: ٩] النهي للاستمرار لا للإنشاء لقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۝٧٤﴾ [الإسراء: ٧٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ولا تبال بهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ لن ينالوا منك بشيء لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ﴾ من صلة على المفعول به ﴿فِي جَوْفِهِ﴾ يميل بأحدهما إلى الله

وبالآخر إلى غيره لقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٢٩] فهو متعلق بأول السورة أي كيف تميل إلى الكفار وأنت مائل حنيف إلى الله سبحانه ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ أي ليس بسديد لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [المجادلة: ٢] ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤﴾ أي يري سبيل الهداية ﴿ٱدْعُوهُمْ﴾ أي أدعياءكم الذين تبنيتموهم ﴿لِءَابَآئِهِمْ﴾ مثل يا ابن فلان الذي هو والده ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ إن كانوا سبوتموهم في الحرب ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ بحسب العادة الجارية ﴿وَلَٰكِن﴾ في ﴿مَّا تَعَمَّدَتْ﴾ به ﴿قُلُوبُكُمْ﴾ أي نسبتموهم إليكم عمدًا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني إن دعاهم الرسول لأمر خالفته أنفسهم لا يلتفتون إلى ما تهوى أنفسهم لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ في عدم جواز النكاح بهن لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ أي أولو القربى أحق بالإحسان من غيرهم عند الله لقوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٢٦] ﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٦﴾ أي لكن أن تحسنوا إلى أصدقائكم إحسانًا فهو مفوض إليكم لقوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝٣٦﴾ [النساء: ٣٦] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ على تبليغ[1] الرسالة كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا

---

(١) هذا ميثاق على التبليغ والميثاق المذكور في آية ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الآية =

﴿تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧] ولقوله تعالى: ﴿لِيَسْـَٔلَ﴾ الله ﴿ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أي النبيين ﴿عَن صِدْقِهِمْ﴾ أي عن تبليغ الأحكام الصادقة ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾ اللام للعاقبة لقوله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ أي الملائكة لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٢٦] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ لشدة الهول ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠﴾ أي هلاككم بأيدي الكفرة الظلمة ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ عطف تفسير لقوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠] ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢﴾ فاغتررنا به حين صدقنا بأنه سيظهر على أعدائه لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣] ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾ أي ساكني المدينة ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ في المدينة إن ثبتم على دينكم لغلبة الكفار ﴿فَٱرْجِعُوا۟ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ في التخلف ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي لا محافظ عليها ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ عن الحرب ومقابلة الكفار ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ﴾ الجنود ﴿عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي أطراف المدينة ﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ أي قيل من [جهة] الكفار للمنافقين: أعينونا في محاربة المسلمين ﴿لَـَٔاتَوْهَا﴾ طوعًا ورغبة ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ۝١٤﴾ أي شاركوهم مستعجلين غير مستبطئين لما أنهم على خلافكم متفقون لقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨] ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ بوساطة الرسول عليه السلام ﴿لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ﴾ عن محاربة الكفار ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ۝١٥﴾ يسأل عن وفائه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦] إضافة العهد إلى الله إلى المفعول به ﴿قُل﴾ لهم

= [آل عمران: ٨١] على الإيمان بالرسول اللاحق فهما الميثاقان لا يتحدان فافهم (منه).

﴿لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ لما أن أجل كل شيء مقدر عند الله لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: ٣٤] ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ - لا - لقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧] ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ أي المانعين ﴿مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ عطف تفسير ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ أي لا تأتوا المحاربة ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾ أي الحرب ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾ رياء للناس ﴿أَشِحَّةً﴾ بخلاء ﴿عَلَيْكُمْ﴾ حال من ضمير الفاعل أي لا يريدون نصرتكم ولا يرضون بفتحكم لقوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ لجبن قلوبهم لقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤] ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ أي تكلموا معكم بلا خوف كأنهم مخلصون ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ على المال حال أي يطمعون في المال منكم لا يرضون بفتحكم لقوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ من الخيرات ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾ أي ساكنون في البدو ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾ مرائين .

أيها المؤمنون ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ فما يفعل هو عليه السلام من الثبات على شدة الجهاد وإقامة الصلاة وغيرها من أمر الدين افعلوا لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤] ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ الكفار ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ بالمصائب من الكفار لقوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾

[العنكبوت: ٢، ٣] ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۖ وَمَا زَادَهُمْ﴾ الجنود ﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ من نصر المؤمنين ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ موقع النصر ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟﴾ نيتهم ﴿تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ بوجه ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي يرحمهم إن تابوا عن النفاق اللام للغاية أي يكون عاقبة أمرهم جزاء صدق المؤمنين وكذب المنافقين ومن تاب تاب الله عليه لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان: ٧٠، ٧١] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢١﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي أهل مكة ﴿بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ﴾ مما راموا ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ﴾ الله ﴿ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾[1] أعانوهم ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ من يهود قريظة ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ حصونهم ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ للمؤمنين بحيث ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ أي رجالهم ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾ أي نساءهم ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ﴾ بعد من حول المدينة أو العرب من الفارس والروم وغيرها لقوله تعالى: ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا[2] ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أطلقكن على قناعة من كفاف فاكتفين تؤجرن من الله لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ ومن في منكن للبيان لا للتبعيض لقوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ [النور: ٢٦] ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا

---

(١) كانت بنو قريظة يهود المدينة قد صالحوا النبي ﷺ، فلما حاصر المشركون المدينة زمن الخندق غدروا بالمسلمين وأعانوا المشركين فلما انهزم المشركون أخذوا من قريب فنزلت فيهم الآية (منه).

(٢) إن نساء النبي ﷺ سألن منه عرضاً من الدنيا وطلبن زيادة النفقة فنزلت هذه الآية (معالم ٦/ ٣٤٥).

﴿ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ الشرطية صادقة بالاتصال وإلا فالمقدم ممتنع بالغير لقوله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ [النور: ٢٦] فهو كقوله تعالى: ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٩] ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ التعذيب ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾.

﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ﴾ يطع ﴿مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أي ضعفي ما نعطي غيرها لكمال إخلاصها وعلو رتبتها ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ﴾ في الرتبة ﴿كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ لنزول الوحي في بيوتكن فأنتن أرفع درجة لقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ أي لا تلين القول بأجنبي ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ رغبة إلى السوء ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ مخلوطًا بشيء من الغلظة ﴿وَقَرْنَ﴾ من القرار ﴿فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ تظهرن ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ قبل الإسلام بلا حجاب ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ لأنه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ﴾ يدفع على الدوام ﴿عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ أي نجاسة الكفر والعصيان لقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠] يا ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ أي أزواج الرسول[1] المطهرات للسياق فيهن ولقوله تعالى لزوجة إبراهيم عليه السلام: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود: ٧٣] ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ كاملًا لا دنس ولا رجس بعده لقوله تعالى:

---

(١) وماروي أنه عليه السلام أدخل في الكساء فاطمة وعليًا والحسن والحسين رضي الله عنهم فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي» فقالت أم سلمة رضي الله عنها: أدخلني يارسول الله! فقال: «أنت على خير» فمؤول بأنهم أهل البيت حكمًا لا مصداق الآية الكريمة لأن السياق يأباه فهو كقوله عليه السلام في المسجد الذي أسس على التقوى: إنه مسجدي هذا. رواه الترمذي (٣٢٠٥، ٣٧٨٧، ٣٨٧١) أي أن مسجدي مثله في الأجر والثواب وإلا فهو مسجد قباء لا غير، ليت شعري كيف تخص الآية الكريمة بأصحاب الكساء وتخرج الأزواج منها - ويعرض عن السياق والشواهد وغيرها - فافهم (منه).

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ [الزمر: ٣٧]. ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ الروحانية أي اقرأن القرآن في بيوتكن لقوله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] واعتداد الرزق الكريم ليس مخصوصًا بأزواج النبي ﷺ بل القانون الإلهي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ لله ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ لله ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ﴾ عن الزنا واللواطة لقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾﴾ [المؤمنون: ٦] ﴿وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ علامة المؤمنين الإطاعة للرسول لأنه ﴿مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ أي حكم بشيء أحدهما أو كلاهما ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ أي لا يكون لهم مجال إنكار وإن كان مخالفًا لهواهم لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [النساء: ٦٦] ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ[1] تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بتوفيق الخير ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالإعتاق والتربية يعني زيدًا ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ زينب أي لا تطلقها كما تريد ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في فراق أهلك ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ من النكاح بها إن طلق ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ من الطعن على هذا حيث كان زعمهم أن زوجة الدعي مثل زوجة الابن والحال أن في الإسلام

---

(١) إن رسول الله ﷺ زوج زينب من زيد وكانت شريفة جميلة فأتى (زيد) يومًا رسول الله ﷺ فقال: إني أريد أن أفارق صاحبتي قال: «مالك؟ أرابك منها شيء؟» قال: لا، والله يارسول الله! ما رأيت منها إلا خيرًا ولكنها تتعظم علي لشرفها. فقال النبي ﷺ: «أمسك عليك زوجك واتق الله» فنزلت هذه الآية (معالم ٦/ ٣٥٤، ٣٥٥). لعل اتصال هذه الآية بالآية السابقة لأجل إظهار أن عدم الخيرة في أمور الدين أما الأمر الذاتي من النكاح بامرأة مخصوصة أو الإمساك من الطلاق لزوجة مخصوصة ففيه الخيار كما كان لزيد وبريرة حين أعتقت فاندفع ما أورد أو كاد يرد فافهم (منه).

أي القانون الإلهي خلاف هذا لقوله تعالى: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ [النساء: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [الأحزاب: ٥] ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا﴾ حاجة أي طلقها ﴿زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾ أي أعطيناك الإذن في نكاحها في كل حال بعد مضي العدة لقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾[1] [البقرة: ٢٢٨] ﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ﴾ ضيق ﴿فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ﴾ أي طلقوهن ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧﴾ لا مانع لأمره أي لا تبال بما يقولون لقوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾ [الحجر: ٩٤] ﴿مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ﴾ ضيق ﴿فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۚ﴾ أي أباح له لقوله تعالى: ﴿قَدۡ فَرَضَ[2] ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التحريم: ٢] انظر ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي﴾ الأنبياء ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ﴾ يعني إن طعنوا فيك وكفروا بما جئت به فلا تبال بهم فإن الله يكفيكهم لقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا ٧٧﴾ [الإسراء: ٧٧] ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورٗا ٣٨﴾ أي يتكون في وقته لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ٨٤﴾ [مريم: ٨٤] ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾ بيان للذين خلوا ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠] ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩﴾ ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ﴾ أي ليس له ولد من الذكور فكيف يكون زيد الدعي ابنه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾[3] [الكوثر: ٣] ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠﴾ يرسل إلى من يعلم فيه القابلية لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١﴾ لأنه هو المقصود لقوله تعالى: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ

---

(١) أنكح زينب رسول الله ﷺ أخوها أبو أحمد (سيرة ابن هشام).

(٢) الفرض بمعنى الإباحة (منه).

(٣) كان المشركون يسمونه عليه السلام الأبتر لعدم الولد الذكور (منه).

وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ أي يتوجه هو برحمته والملائكة بالدعاء لتصلوا إلى أقصى غاياتكم لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [غافر: ٧] ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾ أي وقت الموت إلى الانتهاء له لقوله تعالى: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾ [مريم: ١٥] ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا ﴾ على الأعمال الصالحة ﴿ وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ على الأعمال السيئة شهادته عليه السلام تكون يوم الجزاء لقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: ٤١] ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ يستضاء به على ظلم الضلال لقوله تعالى: ﴿ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ [إبراهيم: ١] ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ في كفرهم ونفاقهم ﴿ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ يدعوكم الرسول إلى أمر تمدني اسمعوا ﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾ لعدم تعلق النطفة في أرحامهن لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ أي النساء المنكوحة ﴿ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ من الإماء ﴿ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ﴾ بالفيء والغنيمة ﴿ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً ﴾ عطف على المفعول به ﴿ مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا ﴾ كما أحللنا للمؤمنين لقوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم ﴾ [النساء: ٢٣، ٢٤] لكن لهم بالتحديد ولك بلا تحديد ﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ لأنا ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا ﴾ أي حكمنا ﴿ عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ من التحديد والأحكام لقوله تعالى: ﴿ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [النساء: ٣] وقوله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ﴾ أيها النبي ﴿حَرَجٌ﴾ ضيق في هذا الأمر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٠﴾ ﴿تُرْجِى﴾ تؤخر ﴿مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ﴾ تضم ﴿إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ مدة يسيرة أو في السفر لقوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩] ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾ دعوت ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ من النساء ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الاختيار لك ﴿أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ على سبيل البدل بالمصاحبة معك ﴿وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ۝٥١﴾ هذا حكاية للماضي وفي المستقبل ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾ أي امرأة ﴿مِنۢ بَعْدُ﴾ أي بعد هؤلاء الأزواج الموجودات لديك. كانت قصة الإحلال حكاية للماضي مبناها على رفع الضيق فارتفع بارتفاع مقتضيه فلا يحل لك امرأة سواهن ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ أي تتركهن وتتزوج غيرهن لأنهن اخترن الله ورسوله لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٢٨﴾[1] [الأحزاب: ٢٨] ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ أي حسن غير أزواجك ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ من الإماء فهي حلال لك ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ۝٥٢﴾ يحافظ على أفعالك ومعاشرتك بالنساء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[2] تعلموا المعاشرة بينكم ﴿لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ متعلق بالإذن ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ غير منصوب على الحال من الضمير المجرور في لكم أي لا تأتوا الدعوة قبل وقت الأكل منتظرين نضجه ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ﴾ على الوقت ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا﴾ تجلسوا ﴿مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ بينكم ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ أي المذكور من الدخول قبل الوقت والجلوس بعد

---

(١) فعدم تسريحهن يدل على اختيارهن الله (منه).

(٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بنى رسول الله ﷺ بامرأة من نسائه فأرسلني فدعوت قومًا إلى الطعام فلما أكلوا وخرجوا قام رسول الله ﷺ منطلقًا قبل بيت عائشة فرأى رجلين جالسين فانصرف راجعًا فقام الرجلان فخرجا فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية (الترمذي: ٣٢١٩).

الطعام ﴿كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ﴾ أي الداعي (١) ﴿فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ﴾ بيان ﴿ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا﴾ أي أزواج النبي ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ﴾ الستر ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ للتباعد بينكم ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ بوجه من الوجوه بالعصيان وغيره لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ (٢) نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾[الشعراء: ٣] ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ لأنهن أمهات المؤمنين تعظيمًا وتكريمًا لهن ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور ﴿كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ۝٥٣ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا﴾ من ذكر ﴿أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٥٤ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ في عدم الحجاب ممن ذكر لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: ٣١] ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ يا أزواج النبي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ۝٥٥ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ بتوجهه هو عليه برحمته الخاصة لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣﴾ [النساء: ١١٣] والملائكة يترحمون ترحمًا خاصًّا بشأنه لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى (٣) عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب: ٤٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟﴾ أنتم أيضًا ﴿عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ أي قولوا: اللهم صل عليه وسلم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بالعصيان عن أمره ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ أي ينسبون إليهم ما لم يفعلوا من الإثم ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾ لا سترة عليه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ أنت أسوة حسنة للمؤمنين فلذا ابدأ من عيالك ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ

---

(١) إشارة إلى عموم الحكم للأمة لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

(٢) فإن الآية الكريمة تدل على أن النبي عليه السلام كان يتأذى بعصيان القوم فافهم.

(٣) هذه الآية وإن كانت عامة إلا أن لها مراتب، للمؤمنين حظهم وللنبي حظه عليه السلام لقوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣].

﴿وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ﴾ أي على وجوههن ﴿مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾ أقرب إلى ﴿أَن يُعْرَفْنَ﴾ أنهن حرائر ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ من الفساق ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ لما طاف بهن ﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ من الفسق والفجور والميلان إلى النساء ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ أي المشيعون الأخبار الكاذبة المضرة لأهل الإسلام لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء: ٨٣] ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ أي نسلطك عليهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا﴾ زمانًا ﴿قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾ أي إلى فتح مكة لقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر] ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ حال من الضمير في يجاورونك ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ إن حاربوا لقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠] كان هذا ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ من الأنبياء ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة ٢١] ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ﴾ المنكرون للساعة ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾ [النازعات: ٤٢] أي متى تقوم ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ السائلين عنادًا ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ من هنا إلى هنا ﴿يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾ أي يتمنون إطاعة النبي لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان: ٢٧] ﴿وَقَالُوا۟﴾ يقولون ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ أمراءنا ﴿وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ منا ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ أي يتبرؤون ممن أضلوهم كقوله تعالى: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٨، ٢٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ احفظوا شأن الرسول و ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ نسبوا إلى

جنابه ما لا يليق بشأنه من السحر والجنون والأدر[ة][1] وغيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٧] وقوله تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [الشعراء: ٣٤] وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: ٥] ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟﴾ بإظهار إعجازه وعجز مقابليه لقوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الشعراء: ٤٦-٤٨] وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٥٣] ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ احفظوا ألسنتكم من الكذب والزور ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ مستقيماً لا عوج له ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي يوفقكم لصالح الأعمال دائماً وينور قلوبكم لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾﴾ [محمد: ٢] ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ لا تحسبوا أنا كلفناكم خاصة بل ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ أي الأحكام ﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ أي أمرناهن بأحكام عديدة تناسب لهن ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾[2] أي أبين خيانتها يعني عملن بما أمرن ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي خانها يعني لم يعمل بما أمر لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨] فالإنسان مهملة لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين: ٤-٦] ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي الإنسان ﴿كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ حيث لا يتفكر فيما سيأتي عليه لقوله تعالى: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨] ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ﴾ بالرحمة ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ اللام للغاية أي يكون نتيجة غفلة البعض وعمل البعض هذا لقوله

(١) إشارة إلى الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه (٢٧٨، ٣٤٠٤، ٤٧٩٩).

(٢) فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان أي لم يخنها وخانها الإنسان (القاموس) وهو قول الحسن البصري.

تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾ [الانفطار: ٥] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ يغفر ويرحم من يتوب إليه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٨].

سورة سبأ مكية وهي أربع وخمسون آية

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من الماء وغيره ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النباتات وغيرها ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي السحاب من ماء ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ﴾ من الأبخرة ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ﴾ أي ما نحن بمخرجين ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ﴾ صفة للرب ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾ أي في علمه تعالى مر مرارًا ﴿لِيَجْزِىَ﴾ الله ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ﴾ متعلق بتأتينكم لقوله تعالى: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه: ١٥] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ في زعمهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ أي قسم ﴿مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾ مؤلم ﴿وَيَرَى﴾ أي يعلم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ أي فهم الكتب السماوية لقوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد: ٤٣] ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ من القرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ لإخوانهم متعجبين ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي تفرقت أعضاؤكم ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾﴾ أي إنكم مبعوثون بعد الموت ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ۗ﴾ أي ليس هو صادقاً في هذا الإخبار مطلقًا ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾ أي لا يتفكرون فلا يصلون إلى النتيجة الصحيحة لقوله تعالى: ﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ﴾ [سبأ: ٤٦] ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ

﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي كل شيء في قبضتنا لقوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١] ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ أي في الأرض ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾ قطعة ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور من التنبيه ﴿لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٩﴾ الذي ينيب إلى الله في الأمور كلها ﴿وَ﴾ اسمعوا مثال المنيب.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ فقلنا ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى﴾ ارجعي أي سبحي ﴿مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ معطوف على المفعول به أي سخرنا له الطير لقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ۝٧٩﴾ [الأنبياء: ٧٩] ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠﴾ أي علمناه صنعة الحديد بالإلانة والسرد لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠] أمرناه ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ أي دروعًا واسعات بيان للصنعة ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ كما هو مقتضى حاجاتكم ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١﴾ و﴿وَ﴾ سخرنا ﴿لِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ أي كان سليمان عليه السلام يستعمل الريح بحيث يسير في الغدو مسافة شهر والرواح مسافة شهر لقوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٨١] ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ من الجبال ﴿وَ﴾ سخرنا له ﴿مِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ أي بإلقاء الرعب من الله عليهم ﴿وَمَن يَزِغْ﴾ يعرض ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ أي عما أمرهم سليمان نسب سبحانه أمر سليمان إلى نفسه لأنه كان خليفة الله في الأرض لقوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦] وقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦] ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٢﴾ أي كان يأمر سليمان بتعذيبه بتشريعنا ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ قلاع ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ للأمكنة والممالك ﴿وَجِفَانٍ﴾ قصاع ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ أي مثل الحياض في العمق ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ قائمات. كل ذلك كان متاعًا وأسبابًا للحرب في عهد سليمان أي كان هؤلاء الجنة يبنون لسليمان قلاعًا ويرقمون له نقوشًا للممالك المحروسة وغير المحروسة وغير ذلك

من أسباب الجنود والحروب للسياق في هذا[1] فافهم. قلنا لهم: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ﴾ أي لما مات سليمان وكان قد قام على عصاه ليتم بناء المسجد الأقصى ﴿مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ﴾ عصاه ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ سليمان ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ﴾ أي علمت ﴿أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ١٤﴾ أي في تعمير المسجد ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ﴾ أي قوم سبأ ﴿فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ﴾ لكمال قدرتنا هي ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ﴾ للبلدة. قلنا لهم: ﴿كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ﴾ على هذه النعماء لكم ﴿بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥﴾ إن تبتم إليه ﴿فَأَعۡرَضُواْ﴾ عن هذا التعليم ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ﴾ أي الشدة ﴿وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ﴾ مُر ﴿وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ١٦﴾ أي لم يبق لهم من جنتيهم إلا هذا القليل الحقير ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ﴾ مثل هذا الجزاء ﴿إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧﴾ لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال: ٥٣] ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾ بكثرة الأشجار والأثمار والنباتات من ممالكهم ﴿قُرٗى ظَٰهِرَةٗ﴾ أي عامرة ﴿وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ﴾ على قدر وأمرناهم وألقينا في روعهم أن ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ١٨﴾ حال أي لا تخافوا[2] ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ يعني أرسلنا إليهم رسولاً فأوعدهم على المعاصي فكذبوه فقالوا ربنا باعد الآية أي خرب بلادنا على تكذيب الرسل كما يوعدوننا كقوله تعالى حاكيًا عن كفار مكة: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٢﴾ [الأنفال: ٣٢] ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بالكفر والمعاصي بيان لما أجمل من تكذيبهم الرسل، فأهلكناهم ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ﴾ حكايات تذكر على ألسنة الناس ﴿وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩﴾ حيث يهتدي بهلاكهم ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ الذي أظهره بقوله: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ [الأعراف: ١٧]

---

(١) فلا يثبت منه جواز أخذ الصورة لذي الروح كما هو منهي عنه في الحديث الصحيح ـ فافهم ـ (منه).

(٢) أقول هكذا الأمن اليوم في الحجاز، فله الحمد.

فكفروا بأنعم الله ﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠] ﴿وَمَا كَانَ لَهُ﴾ أي للشيطان ﴿عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ﴾ يجبرهم به على الكفر ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ أي لكن سلطناه عليهم بالوسواس لنظهر إيمان المؤمنين وكفر الكافرين لقوله تعالى: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [المائدة: ٤٨] ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ يحفظ أعمال عباده لقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان: ٥٨].

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ من الملائكة وغيرهم أولياء ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ أي معين يعينه لقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١] بالجملة أنهم ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣] ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ يعني إن عبدتم غير الله رجاء الشفاعة منهم فليست الشفاعة إلا في اختياره سبحانه وهو لا يجيز للمشرك لقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩] ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ حتى عاطفة لا غاية لها أي وإذا رفع الفزع عن قلوب الملائكة[1] - الذين زعمهم الناس أولياء - وأفاقوا تكلموا بينهم فقالوا ما قالوا: فكيف يستحقون العبادة مع هذا الضعف وعدم القدرة لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٧] ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ﴾ بإنزال المطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بإنبات النباتات ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ لأنهم قائلون به: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ لاختلافنا في هذا الأمر ولا شك أن من كان قائلًا بهذا مستقيمًا عليه فهو المهتدي ومن كان على خلاف ذلك فهو في الضلال

---

(١) في البخاري: «إن الله إذا قضى أمراً في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم» الحديث (*) فهذا بيان لعجز الملائكة وعدم قدرتهم فافهم.

(*) رواه البخاري (٤٨٠٠) في تفسير سورة سبأ باب: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ وفي تفسير سورة الحجر (٤٧٠١) باب قوله: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ والترمذي رقم (٣٢٢٣) في التفسير باب ومن سورة سبأ وقال: حديث حسن صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

القديم لقوله تعالى: ﴿قُل مَن بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٨، ٨٩] ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ١٣٤] ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي يفصل ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ ألحقتم بمعنى جعلتم أي في زعمكم والضمير الراجع إلى الموصول محذوف أي هم وشركاء مفعول ثان أي أروني شركاءكم هل خلقوا شيئًا لقوله تعالى: ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الأحقاف: ٤] ﴿كَلَّا﴾ أي لا يستطيعون أن يروا ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ كافة حال مقدمة للناس أي لكل إنسان لقوله تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] ﴿بَشِيرًا﴾ على الطاعة بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ على المعاصي بالنار ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ فينكرون بلا علم لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾﴾ [الحج: ٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فأخبرونا أي متى يكون وعد نصرتكم وغلبتكم ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ أي لهلاككم وغلبتنا عليكم وقت معين عند الله لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف: ٥٩] وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ [النصر: ١، ٢].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من التوراة والإنجيل لقوله تعالى: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [ص: ٧] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ بيان ليرجع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ﴾ مسلطون علينا ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ أي الرؤساء ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾ لا ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ لما أنكم لا تعتبرون بآيات الله ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ﴾ صدنا ﴿مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ إضافة المصدر إلى الظرف أي مكركم

بالليل والنهار فينا بأنواع الإيذاء ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ﴾ كلا الفريقين ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ﴾ بمعنى الاستقبال ﴿فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ متنعموها ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟﴾ مستدلين على هذا الإنكار ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ منكم والأكثر أعز عند الله لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ يعني ليس فيه دليل على حقية مذهب ذي المال ﴿لَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزخرف: ٣٣] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ حيث يغترون بظاهر من الحياة الدنيا.

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ رتبة ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يعني من كان عاملًا على تعليم الشرع في المال أي أعطى على حكم الله ومنع على حكم الله ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ من الإنفاق لقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١] ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ أي مقابلين ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾ حسب مقتضى حكمته ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الذين سماهم المشركون بنات الله وما يعبدون من غيرهم ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ أي أنتم دعوتموهم إلى عبادتكم ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ﴾ قيد للمضاف لا للمضاف إليه أي نحن بأنفسنا محتاجون إليك وأنت ولينا ليس لنا ولي سواك لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الفرقان: ١٧، ١٨] ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ لإغوائهم وتعوذهم بهم لقوله تعالى:

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦] ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝٤١ فَٱلْيَوْمَ﴾ أي يوم القيامة ﴿لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝٤٢ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ﴾ التوحيد ﴿إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾ لأنه ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾ [ص: ٧] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٤٣ وَمَا ءَاتَيْنَٰهُم﴾ أي قريشًا ﴿مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ۝٤٤﴾ أي في قريش منذ مات إسماعيل منهم لا أنهم لم تبلغهم دعوة رسول قط لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] والمعنى كيف ينكرون هذا والحال أنه ليس عندهم دليل سماوي ولا عقلي يعارضه لقوله تعالى: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤﴾ [الأحقاف: ٤] ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ عاد وثمود وغيرهم ﴿وَمَا بَلَغُوا۟﴾ هؤلاء ﴿مِعْشَارَ﴾ أي عشر ﴿مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ من مال وقوة لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الروم: ٩] ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝١٠﴾ فيكون حال هؤلاء مثل حالهم بل أقبح لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩﴾ [الكهف: ٥٩].

﴿قُلْ﴾ للمنكرين لا تستعجلوا في أمري ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ أي بخصلة واحدة هي ﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ أي مجتمعين في المجالس أو منفردين في الخلوة ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ في شأني فتصلوا إلى أنه ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ أي جنون كما يزعم بعضكم لأنه ينصح لكم ويرشدكم إلى الحق والصراط المستقيم وهو طريق العقلاء لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي صاحبكم محمد ﴿إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٤٦ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي ما أسألكم عليه من أجر ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٤٧ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ أي ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ [غافر: ١٥] ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝٤٨﴾ أي هو

علام الغيوب يستعمل على هذا الأمر من كان صالحًا له لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ أي الإسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ هذا مثل للهلاكة بالمرة أي هلكت الملة الكفرية لقوله تعالى: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١] ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ أي وبال ضلالتي علي لا عليكم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨] ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ لأني كنت جاهلًا لا أعلم شيئًا ولا أعلم سرًّا لقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾ أي إذا فزعوا لشدة هول القيامة ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ أي لا يغيبون ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾ أي من حيث كانوا لقوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [يس: ٥٠] ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي بهذا الأمر الواقع ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ أي كيف يكون لهم حصول الإيمان من المكان الذي ليس هو محلًا للإيمان بل لجزاء الإيمان لقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣] ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ أي يرمون الرسول من البعيد ولا يصلون إليه لقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦] ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من الإيمان والرجوع إلى الدنيا لقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ أي أمثالهم في الكفر ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾ أي إنكار شديد لقوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [هود: ٥٣].

سورة فاطر مكية وهي خمس وأربعون آية

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ ورسالة

الملائكة إلى رسل بني آدم يبلغونهم رسالة ربهم لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ [الشورى: ٥١] ﴿ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ من خمس أو ست ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ ﴾ في منعه حكمة كما في إعطائه حكمة لقوله عليه السلام: «**لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت**»(١) الحديث! ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ ما أنعم عليكم منذ خلقكم من حياة ورزق وصحة وغيرها لقوله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣] ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ بإنزال المطر ﴿ وَٱلْأَرْضِ ﴾ بإنبات النبات ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٣ ﴾ تصرفون حيث تميلون إلى غير الله ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ ﴾ بالجزاء على الأعمال ﴿ حَقٌّ ﴾ ثابت كائن لا محالة لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ﴾ [الحجر: ٨٥] ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ باللهو واللعب ﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ ﴾ أي عن الله كثير الغرور وهو الشيطان لقوله تعالى حاكيًا عنه: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١١٩] ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ ﴾ أي احسبوه ﴿ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ﴾ نسب الحزب إليه لأن حزب الله أي عباده الصالحين ليس له عليهم من سلطان لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الإسراء: ٦٥] ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ هو نعماء الجنة.

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ فيعمل به ظانًّا حسنه. الجزاء محذوف أي مثل هذا المعاند كيف يهتدي إليك لقوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢ ﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى

---

(١) رواه البخاري (٨٤٤) في الأذان باب الذكر بعد الصلاة وفي الدعوات (٦٣٣٠) باب الدعاء بعد الصلاة وفي القدر (٦٦١٥) باب: لا مانع لما أعطى الله ومسلم رقم (٥٩٣) في المساجد باب استحباب الذكر بعد الصلاة وأبو داود رقم (١٥٠٥) في الوتر والنسائي رقم (٣/ ٧٠) في السهو من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

﴿مَن يَشَآءُ﴾ المعنى لا مانع لأمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا أنه سبحانه يضل من كان صالحًا للهداية لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس: ٤٤] ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ﴾ شفقة ﴿عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ مفعول لأجله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ فيفعل بهم ما هم أهله ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾ أي كما أن وجود النبات بعد العدم كذلك الحشر بعد الفناء لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة: ٣٧-٤٠] ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ﴾ فليتبتل[1] إلى الله ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي إن العزة في قبضته سبحانه يعز من يشاء ويذل من يشاء فكيف تحصل من غيره لقوله تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٩] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ﴾ [الحج: ١٨] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ أي ما يتكلم الإنسان من الأقوال الطيبة يصعد إلى جنابه سبحانه للقبول ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ أي العمل الذي يعمل الإنسان بالجوارح من الصوم والصلاة والبر والصدقة فهو سبحانه يقبله أيضًا لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ يهلك بل يهلك صاحبه ويلقيه في النار لقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١] ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم﴾ أي أباكم ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي إياكم ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ ذكرًا وأنثى ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾ مما في بطنها ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ أي هو سبحانه يعلمه ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ أي يزداد عمره على الحد الطبيعي أي ستين أو سبعين سنة لقوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يس: ٦٨] ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ الطبيعي يعني يموت قبل هذا لقوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ

---

(١) إشارة إلى تقدير الجزاء.

﴿إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٥] ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ أي يعلمه سبحانه ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ لا يشكل عليه علمه بل علم كل شيء.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ كثير العذوبة ﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ حوتًا وغيره ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾ اللؤلؤ وغيره ﴿تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ تشق الماء بجريانها لتوصلكم من شط إلى آخر ﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ نعماء الله ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ بنقص أحدهما وازدياد الآخر ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي إلى وقت معين وحد مقرر بحسب الآفاق لقوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٤٠] ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ كائنًا من كان ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ أي شيء قليل ﴿إِن تَدْعُوهُمْ﴾ لقضاء الحاجة ﴿لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ لأنهم أفضوا إلى ما عملوا وهم أبعد منكم ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟﴾ فرضًا ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ لعدم قدرتهم على الإجابة لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى[1] لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ [الجن: ٢١] ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي ينكرون أنهم لم يهدوكم إلى هذا الطريق لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦] ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ هذا مثل إذا تكلموا بكلام بليغ وحققوا أمرًا حقيقيًّا يقولون عقب ذلك لا ينبئك مثل خبير كقول الشاعر:

لعمري لرهط المرء خير بقية ... عليه وإن عالوا به كل مركب

من الجانب الأقصى وإن كان ذا غنى ... جزيل ولم يخبرك مثل مجرب

أي ما أخبرك الله عن ضعف هؤلاء وعدم قدرتهم على شيء من الإجابة هو الحق لا غير لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

---

(١) لما كان هذا شأن سيد الأنبياء عليهم السلام فكيف من دونه فافهم.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ﴾ أي أفراد الإنسان كلهم بل كل شيء ﴿ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ في الوجود والبقاء ﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ﴾ لا يحتاج إلى أحد منكم ﴿ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ في حد ذاته لقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢] ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ أي يهلككم ﴿ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ ﴾ مشكل أي هو ذو قدرة تامة لا تقف قدرته على حد من الممكنات لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٠] ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ رد لقولهم: ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ ﴾ [العنكبوت: ١٢] وقول النصارى: إن المسيح قتل كفارة لنا ﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ ﴾ أي نفس مذنبة ﴿ إِلَىٰ حِمْلِهَا ﴾ أي ذنوبها المحمولة ﴿ لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦] ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي إنما ينفع إنذارك الذين يخشون ربهم بالقلب لا باللسان فقط لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣] ﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ ﴾ أي زكى نفسه ﴿ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ﴾ لا لغيره لقوله تعالى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ أي رجوع الأمور كلها فيجازيهم أعمالهم ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾ كذلك لا يستوي من تزكى ومن لا يتزكى لقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٩، ١٠] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ استعارة المراد بمن في القبور الكفار المعاندون من حيث موت القلب يعني أن الله يهدي من يشاء وأنت يا محمد لا تهدي من أحببت لقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [النمل: ٨٠، ٨١] ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ ليس عليك السؤال ولا لك القدرة على الهداية نعم ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ ينذرهم كما تنذر هؤلاء لقوله تعالى: ﴿ قُلْ

مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩] ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي بالدلائل ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ أي المسائل الواضحة ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾ تدفع به الظلمات فكذبوهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ فيه التفات إلى التكلم ﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ﴾ قطع ﴿بِيضٌ﴾ أبيض لونا ﴿وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ من حمر وبيض وسود وغيرها بينها سبحانه بجمل اسمية لما أنه ليس في كونها مختلفة الألوان أثر لماء السماء بل هو قبل هذا لقوله تعالى: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ﴾ إلى ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت: ٩، ١٠] ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ أي شديدة السواد بينها سبحانه بطريق الجملة الاسمية لدوامها واستمرارها ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ أي ألوان هذا الجنس يعني كل ذلك دليل على كمال قدرته سبحانه لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم: ٢٢] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي الأمر كذلك ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ المراد عكس القضية أي إنما العلماء من يخشى الله وإن كانوا لا يقرؤون ولا يتعلمون لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٨] أو من يعملون على مقتضى علمهم لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ (١) عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: ١٠٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ حق تلاوته بالتدبر لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩] ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ الموصول مبتدأ ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ بل تربح هذا هو العلم النافع لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ﴾

---

(١) وجه الاستشهاد أن الله سبحانه أثبت لهم علمًا أولًا ثم سلبه عنهم ثانيًا لعدم عملهم على مقتضى علمهم فكأنهم جاهلون لا علم لهم كذا في المطول فافهم.

[الجمعة: ٥] ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ على حسب إخلاصهم اللام للعاقبة ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾ يوحي على حسب مصالحهم ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ﴾ أي بعد ما أنزلنا إليك الكتاب أورثنا أمتك الآتية ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ يقصر فيما حمل ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ يمشي متوسطًا يعمل صالحًا وآخر سيئًا هو خير من الأول ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي يعمل على مقتضى علمه ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ أي بما أمره الله والمعنى أن أمة محمد ﷺ ستكون على ثلاثة أقسام قسم طالحون وقسم صالحون وقسم سابقون في الخيرات وهم الذين يعملون ويدعون الناس إلى الخير لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] ﴿ذَٰلِكَ﴾ السبق ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ لهم ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًاۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَۖ﴾ أي حزن الدنيا ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ﴾ صفة للرب بطريق المدح ﴿أَحَلَّنَا﴾ أنزلنا ﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ أي جنات عدن ﴿مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ أي عناء وإعياء لازم لزوال النعمة لقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٨] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ﴾ يستغيثون ﴿فِيهَا﴾ يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا﴾ منها ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ﴾ يجابون من الله ﴿أ﴾ تسألون الرجوع ﴿وَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ أي من أراد أن يتذكر ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ﴾ المنذرون على قبح أعمالكم فيعترفون بهذا لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [تبارك: ٨، ٩] ﴿فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ لا يخفى عليه شيء من أعمالكم بل ﴿إِنَّهُۥ

عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الأبناء بعد الآباء لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾ [الأعراف: ١٠٠] ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ أي يزدادون عند الله غضباً على غضب بالكفر ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾ يظهر خسرانهم يوم الجزاء لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ لا بل ليس لهم شيء لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣] ولقوله تعالى: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠] ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا﴾ أي المشركين ﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ يعني إن كان لهم كتاب من الله ينطق عليهم بالشرك لكان لهم عذر في الجملة لقوله تعالى: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ [الزخرف: ٢١] لا شيء ﴿بَل إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾ لا أصل له ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ أي هو سبحانه موجد ومثبت للعالم لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ فرضاً أي إن تركهما عن الحفاظة ﴿إِنْ﴾ أي ما ﴿أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ لأنه ليس أحد منظمًا لهما سواه لقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ مع قدرته التامة يسمع أكاذيب الكفار ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ﴾ اسم تفضيل مبني للمفعول ﴿مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ كانوا يتمنون الكتاب والرسول فيهم لقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الصافات: ١٦٧ـ١٦٩] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ محمد عليه السلام ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾ أي تنفروا منه ﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾ مفعول له من قبيل قعدت عن الحرب جبناً ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي استكبروا في أنفسهم على المسلمين لقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١] ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ عطف على استكبارًا أي يريدون أن يعملوا السيئات ولا ينقادون لله لقوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾﴾ [القيامة: ٥] ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي ينتظرون الهلاك

لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٢] ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ ﴾ أي للقانون الإلهي على المعاصي ﴿ تَبْدِيلًا ﴾ تغييرًا ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ انصرافًا من المجرمين إلى غير المجرمين يعني إن أصروا على العناد أهلكوا لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الكهف: ٥٩] ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من الكفار أنا دمرناهم ﴿ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ ﴾ أي من هؤلاء المشركين ﴿ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ حين يريد الانتقام من العصاة ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ ﴾ من السيئات ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا ﴾ أي على الأرض ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ عاصية لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء: ٤٠] ﴿ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾.

سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانون آية

﴿ يسٓ ﴿١﴾ ﴾ يا سيد البشر محمد(١) ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ المحكم آياته لقوله تعالى: ﴿ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ [هود: ١] ﴿ إِنَّكَ ﴾ يا محمد ﴿ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ من الله ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ ﴾ المصدر بمعنى المفعول ونصبه على المدح وهو صفة لصراط والإضافة اللفظية لا تفيد تعريفاً فافهم ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ ﴾ بعد إسماعيل عليه السلام لقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾ [مريم: ٥٤] الجار متعلق بالربط بين اسم إن وخبره ﴿ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾ معرضون ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ ﴾ المعاندين أي وقع عليهم حكم العذاب لعنادهم وإصرارهم على الكفر لقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [غافر: ٣٥] ﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ ﴾ لأنه

(١) هذا قول أبي بكر الوراق [معالم ٧/٧].

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾ مرفوعو الرؤوس تصوير لعدم التفاتهم إلى الهداية لقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾﴾ [المدثر: ٥٠، ٥١] ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ مانعًا من الهداية ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ بأغشية مانعة للرؤية ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾ إبصار الفهم لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦] ﴿وَ﴾ علامة الأكثر الذين حق عليهم القول أنه ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ لأنهم يقولون: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الشعراء: ١٣٦] ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي لا ينفع نصحك وتذكيرك إلا من كان خاشعًا لله لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧] وقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾ لما أنهم على تقوى من الله لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٣] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾ من الأعمال ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ أي ما تركوا خلفهم من الرسوم الحسنة أو القبيحة لقوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾ [الانفطار: ٥] ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ أي في صحف أعمالهم لقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾ [القمر: ٥٢] يتبين أعمالهم يوم الجزاء لقوله تعالى: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩].

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ مثلًا مفعول لأجله أي اذكر لهم أصحاب القرية تمثيلًا وتذكيرًا لهم لقوله تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]. ﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ من الله[1] ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي قويناهم ﴿فَقَالُوٓا۟﴾ كلهم ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ

---

(١) إنكار على من قال إن المرسلين كانوا أصحاب عيسى عليه السلام لقوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ﴾ الآية فظاهر النسبة الحقيقة فافهم.

مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ في نسبة قولكم إلى الله: ﴿قَالُوا﴾ ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١] ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة: ١١٩] ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي ما أصابنا من بلايا فلشؤمكم ونحسكم لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١] ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا﴾ عما تقولون ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ مؤلم ﴿قَالُوا﴾ أي قال المرسلون ﴿طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ يعني أن ما أصابكم من المصائب والبلايا التي تطيرتم بنا عليها هي من أعمالكم من عند الله لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [النساء: ٧٨] ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ ووعظتم ونصحتم كفرتم وأعرضتم أي تذكيرنا إياكم موجب لكفركم - لا - ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ متجاوزون حد العبودية بل الفطرة الصحيحة لقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ [الروم: ٣٠] ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ منهم ﴿يَسْعَىٰ﴾ فأتى محل المجادلة بين الرسل وبين القوم ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ نسب الرجوع إليهم تعطيفًا لهم إلى الله ﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾ تعريض بالقوم ﴿إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾ لعدم القوة لهم لقوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس: ١٠٧] ﴿إِنِّي إِذًا﴾ إن اتخذت غير الله إلهًا ﴿لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ لا يخفى على أحد قبحه ﴿إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾ فقتلوه ﴿قِيلَ﴾ له بعد الموت ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي﴾ الذين قتلوني ﴿يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ فيؤمنوا بما آمنت ﴿۞ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾﴾ قضية عين لا عموم لها[1] لقوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) فاندفع ما توهم أن الملائكة لم تنزل (منه).

﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران: ١٢٥] ﴿إِن كَانَتْ﴾ العقوبة النازلة عليهم ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾ ميتون ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾ هذه عادة الكفار مطلقًا لقوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٧] ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ أي الكفار ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ﴾ أي المهلكين ﴿إِلَيْهِمْ﴾ أي إلى هؤلاء ﴿لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾ بعد الموت ﴿وَإِن كُلٌّ﴾ من المهلكين والموجودين ﴿لَّمَّا﴾ إلا ﴿جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾ على كمال قدرتنا ﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ﴾ أي مما خرج من الأرض ﴿يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ ما نافية أي لم يخلقوا مما ذكر شيئًا لقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الواقعة: ٦٣، ٦٤] ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ هذه النعماء ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ هؤلاء ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ لا يتعلق به علمهم لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ﴾ أي الوقت المضيء وتسميته ليلًا باعتبار ما يؤول إليه ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ أي الضياء ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ أي داخلون في الظلمة ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ أي إلى نقطة من أفق المغرب تصل إليها كل يوم باعتبار كل موسم لقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣] ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ﴾ أي له ﴿مَنَازِلَ﴾ لكماله ﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ أي يصير في رؤية الناس ﴿كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ أي كالنقوش الرقيقة ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ أي ليس للشمس أن تغلب على القمر فتذهب بشيء من وقته أو تؤخره وتسبقه ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ أي لا يجيء الليل قبل وقته ﴿وَكُلٌّ﴾ من الشمس والقمر وغيرهما من السيارات ﴿فِى فَلَكٍ﴾

له ﴿يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ يسيرون ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ أي نحمل أنفسهم وأولادهم لقوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[1] [الإسراء: ٧٠] ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ من الخيل والبغال والإبل والحمير والفيل وغير ذلك لقوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل: ٨] ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ في البحر ﴿فَلَا صَرِيخَ﴾ مستغيث ﴿لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾﴾ ينجون من عذابنا ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾ الاستثناء منقطع.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من العذاب على معاصيكم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من معاصيكم لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣] ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ جواب إذا محذوف أي أعرضوا لقوله تعالى: ﴿إِلَّا كَانُوا۟﴾ الآية ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾ أي كلما رأوا معجزة أعرضوا عنها ونسبوها إلى السحر لقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾ [القمر: ٢] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟﴾ على المساكين ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ لقوله تعالى: ﴿أَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧] ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ مستهزئين ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ يعنون أن الله لم يطعمهم فلم نطعمهم ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾ حيث تنفقون على من لم ينفق عليه الله ﴿وَيَقُولُونَ﴾ مستهزئين ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ أي القيامة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ أنها آتية فأخبرونا ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ أي يختصمون فيما بينهم من المعاملة ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾ أي يصيرون في مكانهم.

﴿وَنُفِخَ﴾ أي ينفخ ﴿فِى ٱلصُّورِ﴾ المحشر ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ يسرعون لقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المعارج: ٤٣] ﴿قَالُوا۟﴾ أي المؤمنون منهم ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ لما أنهم كانوا في الراحة في البرزخ لقوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ ثم يقولون بعد التروي والتفكير: ﴿هَٰذَا مَا

---

(١) فاندفع ما كاد يرد على ذكر الذرية وترك أنفسهم فافهم.

وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ بإتيانه ﴿ إِن كَانَتْ ﴾ الساعة ﴿ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ للحساب ﴿ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ ﴾ أي يوم القيامة ﴿ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ ﴾ من كل نوع ﴿ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ﴾ [الفرقان: ١٦] ﴿ سَلَامٌ ﴾ بدل من ما أي لهم سلام يقال: ﴿ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ أي يؤمر الملائكة بالتسليم على أهل الجنة لقوله تعالى: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤] ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ ﴾ من المؤمنين ﴿ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ يقال لهم هذا وقت ما يساقون إلى جزاء أعمالهم لقوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ [الزمر: ٧١-٧٣] ﴿ ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ ﴾ المشركين ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ أي لا تطيعوه لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ [البقرة: ٢٠٨] ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي ﴾ أطيعوا أمري لقوله تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ [الأعراف: ٣] ﴿ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ مطلوب بقوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا ﴾ خلقا ﴿ كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ تعتبرون عن أحوالهم ﴿ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ على ألسنة الرسل ﴿ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ ﴾ أي في يوم القيامة ﴿ نَخْتِمُ ﴾ نطبع ﴿ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ من المعاصي أي تخبر هذه الجوارح بما كان الناس يعملون بها إخبارًا حقيقيًّا لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [فصلت: ٢١] ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ ﴾ في الدنيا ﴿ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ ﴾ أي أذهبنا نورهم في أي مكان جلسوا لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠] ﴿ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ ﴾ للمشي ﴿ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴾ التي كانوا جالسين عليها ﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ إلى بيوتهم بل يحبسون حيث كانوا.

﴿وَ﴾ من تصرفنا عليهم أنا ﴿مَن نُّعَمِّرْهُ﴾ نجاوزه من عمره الطبيعي ﴿نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ أي نجعله على عكس ما كان عليه من القوة والجلادة والشعور والعلم لقوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٠] ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ أي منكرو الصانع لا يعتبرون أن الآثار المختلفة كيف توجد بلا صانع وأن المادة وإن كان لها دخل في الجملة إلا أن[1] ما بالغير كيف يتكون بغير ما بالذات فلا محالة تنتهي السلسلة إلى الواجب الوجود لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٤٢] ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ أي النبي ﴿ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ لأن الشعر قلما يخلو عن المبالغة غير الصادقة لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٥] ولنعم ما قيل:

ولولا الشعر بالعلماء يزري ... لكنت اليوم أشعر من لبيد

رد لما نسبوا إليه عليه السلام من الشعر لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنبياء: ٥] ففن الشعر مناف للنبوة[2] ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي ما يقوله الرسول: ﴿إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ قلبه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧] ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ أي حكم العذاب ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ به أي من كان ذا قلب يهتدي بالقرآن ومن كان ميت القلب يعرض عنه فيحكم عليه بالهلاك لقوله تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ أي قدرتنا ﴿أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾

---

(١) فيه رد على الدهريين.

(٢) رد على القادياني حيث يزعم أنه نبي ظلي تحت النبوة المحمدية مع هذا يقول شعرًا من أحسن ما قال قصيدة سماها القصيدة الإعجازية منها هذان الشعران:

أيا أرض مد[أ] قد أتاك مدمر ... وأرداك ضليل وأغواك مؤغر

أآخيت ذئبًا عائثًا أو أبا الوفا ... أوافيت مدًا أو رأيت أمر تسر[ب] منه

(أ) قرية جادلتني فيها أتباعه (منه).

(ب) بلدتي برفع المنصوب (منه).

يركبونها كالخيل والحمير وغيرهما لقوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨] ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ كالغنم والبقر وغيرهما ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ كثيرة من التجارة وغيرها ﴿وَمَشَارِبُ﴾ أي اللبن ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُم يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾﴾ من قبلهم لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١] ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي الذين يدعو المشركون إياهم ﴿نَصْرَهُمْ﴾ أي المشركين ﴿وَهُمْ﴾ أي أولاء ﴿لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ كل يوم بنذورهم يرجون قبولها ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ أي سبهم إياك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾ أي يخاصمنا في كمال قدرتنا ويقيسنا على نفسه بالاحتياج إلى الأولاد والشركاء والوكلاء ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ من نفسه بالمقايسة ﴿وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ﴾ أنه كيف خلق ﴿قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾[1] بالية ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ يعلم أين هو وأين تكون ذراته وقت الحشر ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ أي تحصل النار من إحراق كل شجرة لا بخصوص الأخضر لقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الواقعة: ٧١، ٧٢] ﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ وتحصلون النار ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ بعد الفناء ﴿بَلَىٰ﴾ كيف لا ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ هو موجودًا أي لا مانع لحكمه وقضائه لقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ﴾ حكومة ﴿كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ كلكم.

---

(١) نزلت في أبي بن خلف الجمحي خاصم النبي ﷺ في إنكار البعث، وأتاه بعظم وقد بلي ففتته بيده فقال: أترى يحيي الله هذه بعد ما رمّت؟ فقال النبي ﷺ: «نعم ويبعثك ويدخلك النار» (معالم ٧/ ٢٨).

سورة الصافات مكية وهي مائة واثنتان وثمانون آية

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١﴾ أي أقسم بالمجاهدين الذين يصفون للقتال لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ [الصف: ٤] ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢﴾ الذين يزجرون الكفار والفجار عن ارتكاب المعاصي لقوله تعالى: ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٧] ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ الذين يقرؤون آيات الله لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١] جواب القسم ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤﴾ لا إله إلا هو أنزل سبحانه هذا الكلام مؤكدًا بالقسم كقوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥﴾ أي مطالع الشمس صيفًا وشتاء بل كل حين[1] لقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣] ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي الأولى ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦﴾ الإضافة بيانية أي بالكواكب لقوله تعالى: ﴿زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [تبارك: ٥] ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾ متمرد حفظًا مصدر لقوله تعالى: ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝١٧﴾ [الحجر: ١٧] ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي الملائكة ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا﴾ مصدر للقذف من غير لفظه أي يطردون طردًا من كل طرف من السماء وحفاظة السماء هكذا منذ نزل القرآن لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ [الجن: ٩، ١٠] ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩﴾ دائم ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ

---

(١) فيه إشارة إلى كون الفلك محيطًا بالأرض وكون كل جزء من الفلك مطلعًا للشمس فافهم.

﴿ٱلْخَطْفَةَ﴾ اختلس الكلمة هناك ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾ ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ أي سل منكري الحشر ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ من هنا مستعملة في غير ذوي العقول أي السموات والأرض لقوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [النازعات: ٢٧] فكيف ينكرون البعث ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم﴾ أي بني آدم عمومًا أو كفار قريش ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝١١﴾ يعلق باليد ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ من إنكارهم لقوله تعالى: ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: ٥] ﴿وَيَسْخَرُونَ ۝١٢﴾ بقولهم: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٧] ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾ بالقرآن ﴿لَا يَذْكُرُونَ ۝١٣﴾ يتعظون بل يلغون فيه لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ۝٢٦﴾ [فصلت: ٢٦] ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً﴾ معجزة ﴿يَسْتَسْخِرُونَ ۝١٤﴾ يستهزؤون ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ أي القرآن الذي يخبر عن حشر الأجساد بعد الموت من أثر سحر سحر به محمد لأجل ذلك يخبط في كلامه ويقول كذا وكذا لقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٤٧﴾ [الإسراء: ٤٧] وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ [سبأ: ٧، ٨] ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝١٦ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ۝١٧ قُلْ نَعَمْ﴾ تبعثون كلكم لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝٥٠﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠] ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ۝١٨﴾ ذليلون الجملة حال ﴿فَإِنَّمَا هِىَ﴾ أي البعث ﴿زَجْرَةٌ﴾ صيحة ﴿وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ۝١٩﴾ يبصرون آثار العذاب لقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ٢] ﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠﴾ يقال لهم: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢١﴾

يقال للملائكة: ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟﴾ اجمعوا ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي المشركين ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ الذين أضلوهم من رؤسائهم وكبرائهم لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨] وقوله تعالى الآتي: ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾ الآية ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي الشياطين لقوله تعالى: ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ۝١١٧﴾ [النساء: ١١٧] ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ

﴿ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ ثم قيل لهم: ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ ساعة ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ نسألهم عن عدم نصرتهم ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ بينكم لا يجيبون بشيء ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ خاضعون لله لقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [النحل: ٨٧] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟﴾ أي الأتباع للمتبوعين ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾ أي بالقوة والمواعيد الموثوقة لقوله تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ [الحاقة: ٤٥] ﴿قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟﴾ أنتم أيها المشركون ﴿مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾﴾ بالله ومواعيده ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ ۖ﴾ قوة وقدرة فنقهركم على الإطاعة ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَـٰغِينَ ﴿٣٠﴾﴾ ضالين فتستمعون دعاءنا وتغترون بمواعيدنا ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾ جميعًا ﴿قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ﴾ بالعذاب ﴿إِنَّا﴾ جميعًا ﴿لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾﴾ العذاب ﴿فَأَغْوَيْنَـٰكُمْ﴾ أضللناكم كما غوينا ﴿إِنَّا كُنَّا غَـٰوِينَ ﴿٣٢﴾﴾ قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي التابعين والمتبوعين في الضلال ﴿يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ يعرضون عن التوحيد ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ يعنون به النبي عليه السلام عليهم ما يستحقونه لقوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنبياء: ٥] ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ الذين أخبروا أممهم بمجيئه لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ﴿إِنَّكُمْ﴾ أيها القائلون كذا ﴿لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ الاستثناء منقطع ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾﴾ قد علموه في الدنيا بقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾ [محمد: ١٥] ﴿فَوَٰكِهُ ۖ﴾ بدل من رزق ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾﴾ يتكئون ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾ حال ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ خمر صافية ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا﴾ أي في الخمر ﴿غَوْلٌ﴾ صداع في الرأس أي أثر السكر ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ يسكرون ﴿وَعِندَهُمْ﴾ أزواج ﴿قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ الأعين ﴿عِينٌ ﴿٤٨﴾﴾ حسان الأعين ﴿كَأَنَّهُنَّ﴾ في الحسن والصفا ﴿بَيْضٌ﴾ أي للنعامة

﴿مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ مستور لا يصلها غبار ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾ أي بعض أهل الجنة ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾﴾ مصاحب في الدنيا ﴿يَقُولُ﴾ لي ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾﴾ بالبعث ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾ بعد البعث ﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المؤمنون: ٣٦] ﴿قَالَ﴾ الله بلسان الملك ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾﴾ ترغبون أن تطلعوا ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ﴾ المؤمن ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾﴾ تهلكني بالإضلال ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ علي بالإيمان ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ معك في الجحيم ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ مدخول همزة الاستفهام مقدر أي أوجدتم أيها الكفار ما وعدكم ربكم على الكفر والشرك فإنا وجدنا ما وعدنا ربنا فإنا لا نموت أبدًا أبدًا لقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ﴾ [الأعراف: ٤٤] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾﴾ معطوف على الجملة المنفية فكلتا الجملتين ليستا بداخلتين تحت الاستفهام ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي ما وصل إليه أهل الجنة ﴿لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ لا يساويه فوز ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾ الجزاء ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ ترغيب وتحريص على الأعمال الصالحة ﴿أَذَٰلِكَ﴾ الجزاء أي الجنة ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ تمييز من الخير ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾﴾ التي هي نزل أهل النار ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا﴾ أي الشجرة ﴿فِتْنَةً﴾ عذابًا ﴿لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾ أي الكافرين لقوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة: ٢٥٤] وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾ [الكهف: ٢٩] ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾﴾ من قعر النار ﴿طَلْعُهَا﴾ ثمرها ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ في قبح المنظر لأن الناس إذا وصفوا شيئًا بغاية القبح قالوا: كأنه شيطان وإن كانت الشياطين لا ترى[1] ﴿فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾﴾ من الجوع لما أنهم لا يجدون غيرها ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا﴾ خلطًا ﴿مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ﴾ أي بعد شرب الحميم ﴿إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ يوردون الحميم لشربه وهو خارج من الجحيم لقوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: ٤٤] ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ

---

(١) قاله ابن عباس (معالم ٧/ ٤٢)

﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ ٧٠﴾ يسرعون على اتباعهم وقد أمروا بترك اتباعهم خلاف الرسول عليه السلام لقوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾ [الأعراف: ٣] ﴿وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٧١﴾ فكيف يستدلون بابائهم بقولهم: ﴿بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۗ﴾ [البقرة: ١٧٠] ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ٧٢ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣﴾ من هلاكتهم ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٧٤﴾ فإنهم نجوا مما أهلك به الكفار لقوله تعالى: ﴿أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ﴾ حين آذاه قومه أشد الإيذاء لقوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠﴾ [القمر: ١٠] ﴿فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ٧٥﴾ نحن أجبناه إلى ما دعا لقوله تعالى: ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢﴾ [القمر: ١١، ١٢] ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ﴾ من المؤمنين ﴿مِنَ ٱلۡكَرۡبِ﴾ الفزع ﴿ٱلۡعَظِيمِ ٧٦ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ٧٧﴾ في أرضه ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ﴾ عليه السلام ﴿فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٠﴾ أي يثني عليهم أهل الأرض بعد موتهم وإن كانوا لا يعدونهم في حياتهم شيئا ولنعم ما قيل:

المرء ما دام حيًّا يستهان به ... ويعظم الرزء فيه حين يفتقد

﴿إِنَّهُۥ﴾ أي نوح ﴿مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨١﴾ الكاملين ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٨٢﴾ الذين كذبوه لقوله تعالى: ﴿وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ﴾ [يونس: ٧٣] ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾ من أهل دينه وملته ﴿لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣﴾ اذكر ﴿إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ٨٤﴾ إذ﴾ بدل ﴿قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ٨٥﴾ من دون الله ﴿أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦﴾ الإفك الافتراء مفعول لأجله تقديره أتريدون آلهة دون الله افتراء عليه فإفكًا من قبيل قعدت عن الحرب جبنًا أو حال بمعنى المشتق أي مفترين على الله ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٧﴾ حيث زعمتم أنه مثلكم لا يسمع دعاءكم ولا يقضي حاجاتكم ولا يعلم حالاتكم وحده لقوله تعالى: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] ﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ٨٨﴾ كان الوقت ليلًا ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ٨٩﴾ كأنه أعرض عن جدالهم لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ [الفرقان: ٦٣]

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وجملة فقال تعقيب محض على ما قبلها لا معلولة لها فافهم ﴿فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾ أي أعرضوا عن مجادلته ﴿مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾ ﴿فَرَاغَ﴾ ذهب ﴿إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾﴾ أيها الأصنام المنصوبة كلمها لإظهار سفه عابديها لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طه: ٨٩] ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ﴾ مال ﴿عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا﴾ أي ضاربًا ﴿بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ بالقوة أو بيده اليمنى إذ علموا صنيعه ﴿فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾ يسرعون فقالوا ما قالوا: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ تخلقون ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ أي هو خالقكم وخالق أعمالكم لقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣] ﴿قَالُوا۟﴾ عاجزين عن جوابه ﴿ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا﴾ بناء تسعر فيه النار ﴿فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾ أي معظم النار ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ إيصال شر ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾ حيث حفظه الله من النار لقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩] ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾ أي أترك وطني وأهاجر منه طلبًا لمرضاته سبحانه لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠] ﴿سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ مصالح أمري ثم دعا ربه وقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى﴾ ولدًا ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ صاحب الحلم والعلم وهو إسماعيل لقوله تعالى بعد ذكر إسماعيل ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الصافات: ١١٢] ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ أي يمشي معه ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ في أمرك ﴿قَالَ﴾ إسماعيل ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ أصبر على أمر الله ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ انقادا لما أمر في المنام لقوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ (١) قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ [الأنفال: ٤٣] ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ ألقاه على الجبين لتنفيذ ما أمر به ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ جزاء لما مقدر ونادينا معطوف عليه أي أمرناه بتركه ونادياه ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ أي المخلصين في أعمالهم جزاء حسنًا في الدنيا والآخرة ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الإنجاء ﴿لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾ الإحسان البين

---

(١) استشهاد على أن رؤيا الأنبياء وحي فافهم (منه).

﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ أي أمرناه بذبح الكبش مكان إسماعيل كقوله تعالى[1] : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ ﴾ [ص: ٤٤] ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ عليه السلام ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ ﴾ بعد ذلك ﴿ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ حال مقدرة ﴿ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ ﴾ بكثرة الأولاد والنبوة ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا ﴾ أي إبراهيم وإسحاق ﴿ مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ بالكفر والفسق لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٥٩].

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ بالنبوة لقوله تعالى: ﴿ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ ﴾ [إبراهيم: ١١] ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ ﴾ أي من الأمر الذي كانوا فيه من جهة فرعون لقوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ ﴾ [الأعراف: ١٢٩] ﴿ وَنَصَرْنَٰهُمْ ﴾ على عدوهم فرعون ﴿ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾ أي المستنير وهو التوراة ﴿ وَهَدَيْنَٰهُمَا ﴾ أي موسى وهارون ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ ﴾ هداية خاصة ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ عليهما السلام ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ من الله ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ الله ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ اسم صنم لهم ﴿ وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ في العذاب ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ فإنهم في الجنة مكرمون لقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ ﴾ [مريم: ٦٣] ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ عليه السلام ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ من الله ﴿ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ من العذاب الذي حاق بقومه ﴿ إِلَّا عَجُوزًا ﴾ امرأته كانت ﴿ فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ أي الباقين في

---

(١) أي كما أن الله أمر أيوب بالضرب بالضغث وحفظه عن الحنث كذلك أمر إبراهيم بذبح الكبش بدل الابن (منه).

العذاب لعصيان أمره لقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [التحريم: ١٠] ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم﴾ أي على آثارهم ومنازلهم ﴿مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ وقت الصبح ﴿وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ أن وبال السوء يدور على أهله لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣].

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ اذكر ﴿إِذْ أَبَقَ﴾ هرب مغضبًا على القوم لقوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ لعبور البحر ﴿فَسَاهَمَ﴾ قارع أهل السفينة على إلقاء رجل منهم ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾﴾ المغلوبين ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾ ابتلعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ يلوم نفسه على ما فعل ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ أي الذاكرين يذكر فيه الإقرار بعظمة شأنه سبحانه والاعتراف بقصوره لقوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـْۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨] ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ يوم القيامة ﴿﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾ البيداء ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ مريض[1] ﴿﴿وَ﴾﴾ قد ﴿أَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً﴾ ملتفة[2] ﴿مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾ فهو عليه السلام استظل بها حتى صح ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ أو بمعنى الواو كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ [الأنعام: ٦٥] لقول الشاعر:

إن كنت مني أو تريدين صحبتي فكوني له كالسمن رمت به الأدم (الحماسة)

﴿فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ أي ما داموا صالحين لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ﴾ [الأنفال: ٥٣] ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَٰتُ﴾ كما يزعمون لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾

---

(١) إشارة إلى كون هذه الجملة حالًا (منه).

(٢) إشارة إلى دفع دخل تقرير الدفع أن الشجرة ما لها ساق واليقطين ما لا ساق له فكيف تكون الشجرة من يقطين والدفع أن اليقطين كان ملتفًا بالشجرة للظل فافهم (منه).

[النجم: ٢٧] ﴿وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٢١﴾﴾ كما يتمنون ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٢] ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ لا ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى﴾ الله ﴿ٱلْبَنَاتِ﴾ لنفسه ﴿عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ لكم ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ حكمًا فاسدًا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ قبح آرائكم أن ما تنسبون إلى الله لا تحبونه لأنفسكم لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الزخرف: ١٧] ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ﴾ حجة ﴿مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾﴾ على هذه الدعوى ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ﴾ أي بدليل نقلي أو عقلي لقوله تعالى: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤] ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَ﴾ من جملة جهلهم بالله أنهم ﴿جَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ يدعونهم ويرجونهم لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن: ٦] ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ في العذاب على قبح أعمالهم لقوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ يقولون: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ هذا استثناء من (المحضرون) فإن المخلصين على خلاف المحضرين لقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [صٓ: ٢٨] ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾﴾ من دون الله من الطواغيت لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي من الله ﴿بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ مضلين أحدًا ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ أي لا تضلون بأصنامكم ومعبوديكم إلا من كان سيء الأعمال قاسي القلب متبع الهوى لقوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [صٓ: ٨٥] نزلت على لسان جبريل عليه السلام ردًّا على المشركين القائلين بأن الملائكة بنات الله ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ عند الله ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾ عند الله للعبادة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟﴾ أي المشركون كانوا ﴿لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا﴾ كتابًا ﴿مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ كما عند اليهود والنصارى ﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾ بل ﴿أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ [فاطر: ٤٢] ﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي فلما جاءهم جحدوا به لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾ [فاطر: ٤٢] ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾﴾

[غافر: ٧١] ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۝١٧٣﴾ ما داموا على هدايتنا لقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩﴾ [آل عمران: ١٣٩] ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ يا محمد ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ۝١٧٤﴾ إلى أن يأتيك أمر الله ونصره فيفتضحوا بأنفسهم ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝١٧٥ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝١٧٦﴾ يقولون: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ۝١٦﴾ [ص: ١٦] ﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ العذاب ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾ قريتهم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ۝١٧٧﴾ الذين أنذروا بالعذاب ولم يؤمنوا ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝١٧٨ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝١٧٩ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۝١٨١﴾ لما أنهم بلغوا عباد الله أحكام الله ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٨٢﴾.

سورة صٓ مكية وهي ثمان وثمانون آية

﴿صٓ﴾ أي أنا الصادق القول والوعد ﴿وَالْقُرْآنِ﴾ أقسم بالقرآن ﴿ذِي الذِّكْرِ ۝١﴾ الذي يذكر الناس به لقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾ [ق: ٤٥] جواب القسم محذوف أي ليس الأمر كما يقول المشركون: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ﴾ استكبار ﴿وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ أي يكفرون به عنادًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ۝٣٢﴾ [لقمان: ٣٢] ﴿كَم أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا﴾ استغاثوا حين حل عليهم العذاب لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾ التاء زائدة أي ما كان الوقت وقت النجاة لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ۝١٤٧﴾ [الأنعام: ١٤٧] ﴿وَعَجِبُوا﴾ أي الكفار من ﴿أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني محمدًا عليه السلام لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢] ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ أي ترك[1] الآلهة كلها إلا الله لقوله تعالى: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ

(١) فيه رد على القائلين بوحدة وجود الإله حيث زعموا أن معنى الآية أن محمدًا عليه السلام =

وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠] وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [هود: ٥٣] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ التوحيد الذي تدعونا إليه ﴿لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ قائلين لإخوانهم ﴿أَنِ ٱمْشُوا۟﴾ أي لا تجالسوا المؤمنين ﴿وَٱصْبِرُوا۟﴾ اثبتوا ﴿عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾ متوهم لا أصل له لأنا ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي في آبائنا الأقدمين لقوله تعالى: ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [المؤمنون: ٢٤] ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾ اختراع من محمد نفسه ﴿ءَأُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ والحال أنه لم يؤت سعة من المال لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١] ليس في القرآن شك ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾ فيهب لمن يهب بإذنهم ومشورتهم - لا - لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢] ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾﴾ أي إن كانت لهم قوة على الارتقاء على السماء فليسدوا أبواب السماء لنزول القرآن ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ﴾ أي ليس لهم شأن مهتم بل هم ﴿مِّنَ﴾ جملة ﴿ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾ الذين أهلكوا من قبل بل أقل منهم مكرًا وقوة لقوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾ [سبأ: ٤٥] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾﴾ أي ذو القوة الشديدة لقوله تعالى: ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الذاريات: ٣٨، ٣٩] وقوله تعالى حاكيًا عن فرعون: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأعراف: ١٢٧] ﴿وَثَمُودَ وَقَوْمَ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۖ﴾ قوم شعيب

= جعل الآلهة كلهم واحدًا وهل هذا إلا معنى التوحيد الوجودي وحاشا لله أن يكون معنى الآية ما اخترعوا بل المعنى ما ذكرنا كما تدل عليه الآيات المنقولة فهي وإن كانت في قصص الأنبياء ولكن التوحيد واحد وجواب القوم متفق فافهم.

﴿ أُولَٰئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ الذين تحزبوا على الأنبياء ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾.

كذا هؤلاء ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾ أي العذاب فجاءة لقوله تعالى: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [يس: ٤٩] وقول الشاعر:

صاح الزمان بآل برمك صيحة خروا لشدتها على الأذقان

﴿ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ ﴾ رد حين يجيء لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٧] ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ﴾ أي الذي هو يوم الحساب في زعم المسلمين لا في زعمنا لقوله تعالى: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ٣٧] ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ ينسبون إليك من الشعر والسحر ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ﴾ أي ذا القوة في الجهاد والعبادة لقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [ص: ٤٥] وقوله عليه السلام: «[و]لا يفر إذا لاقى»[1] الحديث ﴿ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ﴾ رجاع إلى الله ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ ﴾ تسبيحًا مناسبًا بشأنها لقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤] ﴿ وَٱلطَّيْرَ ﴾ عطف على الجبال ﴿ مَحْشُورَةً ﴾ مجموعة حال ﴿ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ ﴾ مطيع إلى طاعته ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ ﴾ بالنصرة والتأييد ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ أي فهم المسائل الدينية والمعرفة لله ﴿ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ أي العلم بفصل الخصومات وكان عليه السلام يحكم ويفصل بين المتخاصمين ﴿ وَ ﴾ من جملة ما فصل هو من التنازعات بالإنصاف نزاع الخصمين ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ ﴾ أي المتخاصمين ﴿ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾ أي صعدوا الجدران وكان عليه السلام إذ ذاك في الخلوة فخافهم كما خاف جده إبراهيم عليه السلام لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ﴾

---

(١) رواه البخاري رقم (١٩٧٧) في الصوم باب حق الأهل في الصوم ورقم (٣٤١٩) في الأنبياء باب قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٥] ومسلم رقم (١١٥٩) (١٨٦) في الصوم والإمام أحمد في مسنده (٢/ ١٦٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

[هود: ٧٠] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ﴾ نحن ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ لا تجر ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾ قال أحدهما ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ في النسب أو في الدين ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ أعطنيها كي تفرغ منها ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ بالدلائل والبراهين ﴿قَالَ﴾ داود بعد سماع جواب صاحبه ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ بجبرك على ضم نعجتك ﴿إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ أي الشركاء من الإخوان وغيرهم ﴿لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[1] فإنهم لا يظلمون إخوانهم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا

---

(١) فيه إشارة إلى تكذيب ما روي أنه عليه السلام كان يحب امرأة أوريا فبعثه في العسكر كي يقتل وينكح امرأته فقتل فنكح امرأته فجاءه الملكان في صورة الخصم فقالوا ما قالوا كي يتنبه داود على قبح فعله فلما أخبرهما وفصل بينهما بظلم أحدهما على الآخر ذهبا قائلين أفضى الرجل على نفسه إلى آخر القصة.

فإنه من الإسرائيليات واعترف بكونه من الإسرائيليات [1] صاحب المعالم أيضًا حيث قال: اختلف العلماء بأخبار الأنبياء عليهم السلام في سببه هذا اعتراف منه رحمه الله بكونه من الإسرائيليات. أقول ليت شعري ما حملهم على صرف الآية عن ظاهرها ونسبة الكذب إلى الملائكة والجور إلى الأنبياء بل والكذب إلى الله تعالى لأن الله سبحانه قال: ﴿نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ وظاهر اللفظ أن الله أخبر بكون الداخلين خصمين وأنهم قالوا كانا ملكين ولم يكونا خصمين في الأصل وقد ذكر الله سبحانه داود عليه السلام قبل هذا وأثنى عليه أحسن ثناء حيث أمر سيد الأنبياء عليه وعليهم السلام باتباع داود لقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ثم عقب هذه القصة بالثناء عليه بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ○ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً﴾ الآية فيا للعجب وضيعة الأدب كيف ينسب إليه ما لا يليق بشأنه بل يضاده وقد قال علي رضي الله عنه: «**من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد القذف على الأنبياء**» (الحديث) وقد رد تلك الرواية كثير من المحققين مثل صاحب الكبير والبيضاوي وفتح البيان وغيرهم. قال أبو السعود: إفك مبتدع مكروه ومكر مخترع بئس ما مكروه تمجه الأسماع وتنفر عنه الطبائع ويل لمن ابتدعه وأشاعه وتبًّا لمن اخترعه وأذاعه.

فالتفسير ما أشرنا إليه وشأنه عليه السلام هذا في الغضب مشابه بقصة أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه حين دخل عليه عيينة قال: «هي يا ابن الخطاب، فوالله! ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين! إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ =

﴿أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ [البقرة: ١٨٨] ﴿وَ﴾ لكن ﴿قَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ لقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣] ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ وجدنا عليه لما أنه عليه السلام كان غضب عليهم على دخولهم فجاءة فهم مغضبًا بأن يفصل بينهم بغير الحق كي يتضرروا ولا يجترؤوا على مثل هذا لقوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية ستأتي. ولما سكن غضبه ظن أن الله سخط عليه لأجل هذا الهم لما أنه سبحانه أمر المؤمنين بالإعراض والعفو عن الجاهلين لقوله تعالى: ﴿﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩] ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ على همه ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾ رجع إلى الله وتاب ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾ أي كان عند الله مقربًا ذا وجاهة فكيف يليق به ما لا يليق بأدنى مؤمن لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨] قال الله: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً﴾ حاكمًا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ وإن كنت مغضبًا عليهم من وجه آخر لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٨] ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ فتظلم على من كنت مغضبًا عليه ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ الاغترار بالدنيا واتباع الهوى كله نسيان لله ولجزائه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٧، ٨].

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ﴾ لا ثواب ولا عقاب على الطاعة والعصيان ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ﴾ مشركي مكة المكرمة ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ على إنكارهم

= [الأعراف: ١٩٩] وإن هذا من الجاهلين والله! ما جاوزها عمر حين تلاها [عليه] وكان وقافًا عند كتاب الله». (ب) تفسير البخاري سورة الأعراف. فافهم ولا تكن من الذين يعرفون الحق بالرجال.

(أ) الباب الحادي والثاني عشر من سموئيل الثاني.

(ب) رواه البخاري (٤٦٤٢) و (٧٢٨٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الحساب كيف لا فإنهم نسبوا إلى الله ما لا يليق بشأنه لقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ كلا - القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ من هم ؟ ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية [آل عمران: ١٩١] ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ﴾ هو ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ اذكر الواقعة ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾ للملاحظة ﴿فَقَالَ﴾ دفعًا لتوهم المتوهمين أن سليمان يحب أسباب الدنيا ويميل إليها ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي الخيل لقوله عليه السلام: «الخيل معقود في نواصيها الخير» (الحديث)[1] ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ أي لأجل ذكر ربي بالشكر على ما أنعم علي من حكومة الملك لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤] وقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ[2] ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧] ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾ الخيل مارات ﴿بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾ قال: ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ﴾ ثانيًا ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا﴾ أي يمسح ﴿بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ أي سوق الخيل وأعناقها كان يمتحنها هل هي صحيحة قابلة للجهاد أو مريضة غير متحملة له فلهذا خص السوق والأعناق بالمسح ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ ألقيناه في المحنة من السلطنة ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ سقطًا بلا روح[3]

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٨٥٠) في الجهاد باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، و(٢٨٥٢) ومسلم رقم (١٨٧٣) في الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، من حديث عروة البارقي رضي الله عنه، وفي الباب من حديث ابن عمر (١٨٧١)، وحديث جرير بن عبد الله (١٨٧٢) وغيرهما، وهو حديث مشهور.

(٢) فيه إشارة إلى أنه عليه السلام لم يكن نسي الصلاة بالاشتغال بالخيل كما قيل (منه).

(٣) قال النبي ﷺ: «قال سليمان لأطوفنَّ الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارسًا يجاهد في سبيل الله ولم يقل: إن شاء الله فلم تحمل شيئًا إلا واحدًا ساقطًا أحد شقيه» (*) (البخاري) فالمراد بإلقاء الله إلقاء القابلة على كرسيه والله أعلم.

(*) رواه البخاري (٣٤٢٤) في الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ومسلم (١٦٥٤) في الأيمان باب الاستثناء، والنسائي (٧/ ٢٥) في الأيمان باب: إذا حلف فقال له رجل: إن شاء الله هل له استثناء؟ وباب الاستثناء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾ رجع إلى الله ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا ﴾ حكومة قوية ﴿ لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ من بني إسرائيل ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ ﴾ أي بدعائه وتدبيره لما مر في الجزء السابع عشر ﴿ رُخَآءً ﴾ لينة ابتداء ثم تكون عاصفة حسب الضرورة بحيث تكون ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ [سبأ: ١٢] ﴿ حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ﴾ أي قصد وإن كانت المسافة بعيدة لقوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾ [الأنبياء: ٨١] ﴿ وَ ﴾ سخرنا له ﴿ ٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ يعمرون ويستخرجون له الأشياء من البحر ﴿ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾ أي المشدودين في القيود على أعمالهم قلنا له: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ ﴾ على من تشاء ﴿ أَوْ أَمْسِكْ ﴾ عمن تشاء حسب المصلحة ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ متعلق بامنن ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ ﴾ قربى ﴿ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾.

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ﴾ أي يوسوس في قلبي أني مبغوض عندك فأحس بشدة الوجع مما بي من الأمراض وليس إيصال النصب والعذاب من الشيطان لقوله تعالى: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [النساء: ٧٨] كان مقصوده عليه السلام الشفاء من المرض لقوله تعالى حاكيًا عنه: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٣] فلذا قيل له: ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ﴾ على الأرض ﴿ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ ﴾ فاغسل به ﴿ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ تشرب منه فغسل فبرأ لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤] ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ ﴾ عياله الذين غابوا عنه وقت شدة الضر ﴿ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ بالولادة ﴿ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ أي تذكرة لذوي العقول ليعقلوا أن المصائب ليس لأحد أن يدفعها إلا الله لقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ [يونس: ١٠٧] ﴿ وَ ﴾ أمرناه أن ﴿ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا ﴾ ملأ الكف من قضبان الشجرة ﴿ فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ كان عليه السلام حلف أن يضرب امرأته مائة سوط على علة كانت عنها بريئة فخفف الله أمره كما خفف علينا معشر المسلمين بقوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [النساء: ٤٣] ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ﴾ هو

﴿ إِنَّهُۥ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ﴾ هذا كان علة التخفيف ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ في المعرفة بالله ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ﴾ أي بخصلة حسنة هي ﴿ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ ﴾ أي تذكير الناس الدار الآخرة لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣] ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ اللهم اجعلني من أتباعهم ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ﴾ كان نبيًّا ﴿ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ﴾ للأنبياء عليهم السلام ﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ كائنًا من كان ﴿ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ أي ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ ﴾ أي إذا جاؤوها فتحت أبوابها لقوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر: ٧٣] ﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا ﴾ حال مقدرة ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ﴾ أي خمرًا صافيًا ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الواقعة: ١٩] ﴿ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ مستويات الأسنان لأهل الجنة لقوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [٣٦ـ٣٨] ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ ﴾ في الدنيا ﴿ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ فناء وانقطاع لقوله تعالى: ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود: ١٠٨] الأمر الواقع ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ أعني ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ ﴾ هو ﴿ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ بالسيل من صديد أهل النار لقوله تعالى: ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٦] ﴿ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ ﴾ أي من مثله ﴿ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ أصناف ﴿ هَٰذَا فَوْجٌ ﴾ قوم ﴿ مُّقْتَحِمٌ ﴾ داخلون ﴿ مَّعَكُمْ ﴾ النار يقال للسابقين إلى النار يقولون في الجواب: ﴿ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ ﴾ أي مستحقون لها ﴿ قَالُوا۟ ﴾ أي اللاحقون للسابقين ﴿ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ ﴾ لأنكم أغويتمونا ﴿ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ ﴾ أي المستقر هنا ثم توجهوا إلى الله ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ ﴾ لأنهم مستحقون لهذا الضعف لقوله تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النحل: ٢٥] ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ بعد الفراغ من الخصومة بينهم ﴿ مَا لَنَا لَا

نَرَىٰ﴾ في هذا العذاب ﴿رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾﴾ أي المسلمين عمومًا وفقراء المهاجرين خصوصًا لقوله تعالى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ [الأنعام: ٥٣] ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ أي هزؤًا أو مهزوءًا بهم وهم ليسوا كذلك ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾ مالت ﴿عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾ لنا فهم معنا ولكنا لا نراهم والحق الأول لقوله تعالى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأعراف: ٤٩] ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾ يتخاصمون ويلاعنون بينهم لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ﴾ [الأعراف: ٣٨].

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ﴾ لكم من العذاب ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ أي أمر الساعة عظيم لا يتحمل لقوله تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ﴾ [الأعراف: ١٨٧] ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ﴾ قبل هذا ﴿مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾ أي الملائكة ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ يتكلمون فيما بينهم لأني لا أعلم الغيب لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [النمل: ٦٥] ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾ أي يوحى إلي ما كان فيه مصلحة لكم من الأحكام وأخبار الأمور الواردة عليكم لا كله لقوله تعالى: ﴿لَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

اذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ أي روحًا من مخلوقي ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ أي عظموه تعظيمًا له لا عبادة لقوله تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ وكان قد أمر بالسجود لآدم لقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ﴾ [الأعراف: ١٢] ﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ﴾ أي بقدرتي لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الذاريات: ٤٧] وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾ [يس: ١٧] ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ حقيقة في الواقع ﴿قَالَ﴾

إبليس ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ فكيف أعظمه لأنك ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ والنار أشرف من الطين بداهة لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾[1] [التين: ٥] ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ الممهلين ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾ يوم القيامة ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ فإنه ليس لي عليهم سلطان لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١٠٠] ﴿قَالَ﴾ الله ﴿فَٱلْحَقُّ﴾ هذا ﴿وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾ أعني ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ ولا أبالي بكفركم لقوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم: ٨] ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ أن أقول ما ليس لي به من علم لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦] ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ تذكرة لهم ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾ حين ترونه لقوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ [التكاثر: ٦، ٧].

سورة الزمر مكية وهي خمس وسبعون آية

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي القرآن ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ لا من غيره لقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾ لا تراء في عبادته لقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ متولي أمورهم يقولون بأفواههم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ أي ليسوا هم معبودين حقيقة لقوله تعالى:

---

(١) الآية الكريمة تدل على كون الأسفل أرذل والنار أعلى والطين أسفل (منه).

﴿ قُل مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨٨ ، ٨٩] بل يريدون منهم أن يقربوهم إلى الله وقد أخطأوا في هذا الزعم لقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٧] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۖ ﴾ من أمر الدين والتوحيد ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾ ﴾ مر مرارًا ﴿ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ ﴾ لولده الشرطية صادقة بلزومها كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[الزخرف: ٨١] والمقدم محال لكن ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥۖ ﴾ تنزيهًا له أن يريد ولدًا لقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ ﴾ [مريم: ٣٥] ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ الضابط على مخلوقه ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ﴾ يغشي ﴿ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾ آدم ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ﴾ أي من جنسها لقوله تعالى: ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ﴾ [الشورى: ١١] ﴿ وَأَنزَلَ ﴾ خلق ﴿ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾ بيان مقدم ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ ﴾ ﴿ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ ﴾ ﴿ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ ﴾ [الأنعام: ١٤٣، ١٤٤] ﴿ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ ﴾ قد فصله بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤] ﴿ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ﴾ ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة لقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المرسلات: ٢٠-٢٣] ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكۡفُرُواْ ﴾ فلن تضروا الله شيئاً ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ﴾ أي منهم بحيث تخلص المذنبة لقوله تعالى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ

بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ أي بأمور مخفية في صدوركم فلا يحتاج إلى إخبار المخبر إياه ﴿ ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا ﴾ متضرعًا ﴿ إِلَيْهِ ﴾ مادا يديه ﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ ﴾ أعطاه ﴿ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ ﴾ ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص: ٧٨] ﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ ينسب ما أعطاه إلى غيره سبحانه لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَـٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٠] ﴿ لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ أي يظهر هذا الأمر للناس ليضل جهال الناس عن سبيل الله ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾ أي يعمل عملاً يفيده في الآخرة لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الإسراء: ١٩] ﴿ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ أي يطيعونه في كل ما يأمرهم وينهاهم لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٨] أي من هو مخلص طائع لله سبحانه كمن هو ليس كذلك لا لقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الجاثية: ٢١] ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي ليس الذين يعملون على مقتضى علمهم كالذين لا يعملون لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ [الجمعة: ٥] ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ الآية [آل عمران: ١٩١].

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد منا ﴿ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا ﴾ الجار متعلق بأحسنوا ﴿ حَسَنَةٌ ۚ ﴾ أي في الجنة لقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] ﴿ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴾[1] الذين يصبرون في البأساء والضراء على أذى أهل الجور ﴿ أَجْرَهُم بِغَيْرِ

---

(١) قيل: نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما اشتد فيهم البلاء وصبروا وهاجروا (معالم ٧/ ١١١) أقول: حكمها عام (منه).

حِسَابٍ ﴿١٠﴾ في علمهم لا في علمه سبحانه لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [يونس: ٦١] ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ من هذه الأمة كي يستن المسلمون بي لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ لأني عبد له مأمور من عنده لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥] ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾ أمر توبيخ وتهديد لقوله تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [النحل: ٩٠] ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بترك الأمر بالمعروف إياهم لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ لسوء العاقبة ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ أي إنها أحاطت بهم من كل جانب لقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البلد: ٢٠] ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ أي كل ما يعبد من دون الله ﴿أَن يَعْبُدُوهَا﴾ تفسير اجتناب الطاغوت بدل اشتمال ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي تمسكوا بالله ما داموا أحياء لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ الآية [فصلت: ٣٠] ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾ أي الأقوال كلها ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ أي يعملون على القرآن لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣] وقوله عليه السلام: «**أحسن الحديث كتاب الله**»[1] (الحديث) ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ﴾ على غوايته ﴿كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾﴾ الموصول المنصوب في محل الضمير المنصوب أي من كان مصرًّا على الضلالة أتخلصه منها لا لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [النمل: ٨٠] ﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ

---

(١) رواه مسلم رقم (٨٦٧) في الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة والنسائي (٣/١٨٨) في العيدين باب: كيف الخطبة من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي السحاب ﴿مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾ عيونًا وسيولًا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ من الحمر والصفر والخضر وغيره ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ييبس ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ فتاتًا متكسرًا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ يسر عليه الانقياد لله لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل: ٥-٧] ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي على توفيقه ساعة فساعة لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] الجزاء محذوف أي هذا المذكور كمن هو على ضده لا لقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي الغافلة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا﴾ بدل ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ يشبه بعضه بعضًا ويفسر بعضه بعضًا لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢] ﴿مَّثَانِىَ[1] تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [معنى] الجملة أنهم يستعدون ويثبتون أنفسهم وقت سماع القرآن للانقياد لله سبحانه لقوله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الاقشعرار واللينة أثر ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي يوفق لهذا العمل من ينيب إليه سبحانه لقوله تعالى: ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣] ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الباء[2] للتعدية والوجه كناية عن الذات كقوله تعالى: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩] ويوم القيامة ظرف مستقر صفة للعذاب أي الكائن والمعنى أفمن كان سعيه أن يقي نفسه عن النار كمن هو ضده فهي كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا

---

(١) معنى المثاني مر في سورة الحجر [٨٧].

(٢) قد جاء تعدية الاتقاء بالباء في حديث أبي داود في باب الصلاة بعد العشاء (١٣٠٣) وأيضًا في قول عائشة رضي الله عنها: وما رأيته متقيًا الأرض بشيء من ثيابه قط. فافهم ولا تعجل (منه).

كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾ [السجدة: ١٨] ﴿ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُم تَكْسِبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ أي وبال شرككم ﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ بل يرجونه لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ ﴾ [الأحقاف: ٢٤] ﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ فيعتبرون ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا ﴾ بينا ﴿ لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ ﴾ [العنكبوت: ٤٣] ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ حال من هذا القرآن أي ليس فيه اعوجاج لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] ﴿ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ المعاصي ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾ أي لأجل التمثيل ﴿ رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ ﴾ متنازعون مستحقون للخدمة على السواء ﴿ وَرَجُلًا سَلَمًا ﴾ سالماً كاملاً ﴿ لِّرَجُلٍ ﴾ واحد ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ﴾ -لا- لقوله تعالى حاكيًا عن يوسف عليه السلام: ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يوسف: ٣٩] ما أحسن ما قال الشاعر:

أ ربًّا واحدًا أم ألف رب أدين إذا تقاسمت الأمور

الأول مثال للمشرك والثاني للموحد ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ ما يصيرون إليه حيث يعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ﴿ إِنَّكَ ﴾ يا محمد ﴿ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ﴾ [العنكبوت: ٥٧] ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ ﴾ أيها الكفار ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ تتنازعون بينكم يستزيد فريق العذاب على الآخر لقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴾ [ص: ٦١-٦٤].

﴿ ﴾ ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ أي القرآن لقوله تعالى: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ ﴾ [الإسراء: ١٠٥] أي الرسول عليه السلام ﴿ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ أي أصحابه الكرام ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ في الجنة ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآءُ

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأسوأ والأحسن ههنا بمعنى السوء والحسن[1] كقوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨] لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ [البقرة: ١٧٤] وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾ [الزلزلة: ٧] ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ﴾ وحده ﴿بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ محمداً ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣] بلى هو وحده كاف لعبده بل لعباده لقوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ [الشورى: ٩] ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ بشركائهم أنهم يصيبونك ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾ ينتقم ممن يشاء لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾ [آل عمران: ٤] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ وحده ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم﴾ أخبروني ﴿مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ كائناً من كان ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ لا لقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧] ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ وحده ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ كيف شئتم ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ المذكور ههنا بكلا شقيه صنف واحد وهو العاصي والثاني مذكور في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأنعام: ١٣٥] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ عمل به ﴿فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ أي لا تؤخذ بأعمالهم لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤].

---

(١) وإن كان بمعنى التفضيل لزم أن يكون التكفير بالأسوأ والجزاء بالأحسن فالسوء والحسن يبقيان على حالهما لا يصل إليهما أثر من التكفير والجزاء وهو خلف، لأنه سبحانه وعد الكفار بعدم التزكية والمؤمنين بالتزكية والجزاء على كل حسنة كبيرة أو صغيرة لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] (منه).

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ أي يقبضها ﴿حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ عطف على الأنفس أي النفس التي هي نائمة أيضًا في قبضته سبحانه لقوله تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: ٥٦] ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ أي لا يتركها ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مقرر لها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الإماتة والإرسال ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دلائل ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ في أنفسهم وفيما في أيديهم لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام: ٧٥] ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ أي أندادًا لله يعبدونهم على زعمهم أنهم شفعاء لهم لقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ﴿قُلْ أَ﴾ تعبدونهم ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أي ليس لهم علم بأنكم تعبدونهم وهذه صفة المخلوقين كلهم كائنًا من كان لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤] ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ أي في قبضته سبحانه يأذن لمن يشآء لقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩] ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي ينفرون عن تعليم التوحيد الخالص لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسراء: ٤٦] ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ في مجالسهم ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ مالك الملك ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ وقد كنت أعلمتنا ما تفصل به بيننا لقوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة: ١٩، ٢٠] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ كفروا وأشركوا ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ لأنهم كانوا يزعمون أن لهم الحسنى لقوله تعالى: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾

[النحل: ٦٢] ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾ من عذاب الآخرة ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾ ﴿لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ [يونس: ١٢] ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ لياقة مني أي بأني أهله لقوله تعالى حاكيًا عن قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨] ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ أي صد لهم عن سبيل الله لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] فإنهم يصرفونها في غير طريق الحق لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ أن مالهم وأولادهم وبال عليهم ﴿قَدْ قَالَهَا﴾ أي هذه الكلمة ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي قارون ومثله لقوله تعالى حاكيًا عن قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨] ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ من الأموال والخزائن ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ﴾ المشركين واليهود والنصارى ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ فهو المالك لكل شيء ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ فهم يعلمون أن الأمر بيد الله.

﴿قُلْ﴾ يا محمد منا ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾ ظلموا ﴿عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ بالمعاصي ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ ﴿إِنَّهُ لَا يَايْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ بالإسلام وبالتوبة لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء: ١٧] ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ إضافة الأحسن بيانية لقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الأعراف: ٣] ﴿مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن﴾ بدل من أن الناصبة قبلها ﴿تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ أي في حقه بعدم أداء ما فرض الله علي وما سن رسوله عليه السلام لقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء: ٤٢] ﴿وَإِن﴾

مخففة ﴿كُنتُ لَمِنَ السَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ هذا ناظر إلى قوله: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَىٰنِي﴾ الآية وجواب تمنيه للكرة مذكور في قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ بالكفر والشرك ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ من النار ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أي مع فوزهم ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ﴾ أي الاختيارات كلها لله سبحانه وليس شيء منها لغيره لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ أنت ومن اتبعك لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] ﴿وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إذ حسبوا في غيره قدرة على قضاء الحاجات ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ اليوم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ﴾ أي كل شيء في قبضته سبحانه لقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٣] ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ لا يصل إلى جنابه شيء من غبار الشرك ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي تقوم الساعة ﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ أي صاروا مغشيًّا عليهم ولم يموتوا لقوله تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وهي النفخة الثانية قبل الثالثة لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۚ﴾ [النمل: ٨٧] وبالنفخة الأولى يهلك كل شيء لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ﴾ [القصص: ٨٨] فأنى الاستثناء ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ﴾ أي في الصور ﴿أُخْرَىٰ﴾ ثالثة ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ [يس: ٥٢] ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ بحيث يتنبه ويعرف

أهل الأرض أعمالهم بإعلام الله تعالى لقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٤] وقوله تعالى: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾ [الزلزلة: ٤، ٥] ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي كتاب أعمال الناس لقوله تعالى: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩] ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ أي العلماء لقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النحل: ٢٧] فيشهدون على تبليغ أحكام الله وإعراضهم لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ بوجه من الوجوه لقوله تعالى: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧] ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ من الخير والشر.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ جماعة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ سئلوا عن العلة وأجابوا عن المعلول والحق في الجواب ولكن كفرنا فحقت كلمة العذاب علينا لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [تبارك: ٨، ٩] ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ الذين كانوا يتكبرون عن قبول الحق لقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ [النمل: ١٤] ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ الجملة جواب إذا والواو مقحمة لقوله تعالى في الكفار: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ (الآية مرت) أو عطف على مقدر أي عظموا وفتحت أبوابها ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ حال مقدرة ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي المتقون ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ الذي وعدنا بقوله: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [ص: ٤٩، ٥٠] ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ أي الجنة لقوله تعالى: ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ محيطين ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

سورة المؤمن مكية وهي خمس وثمانون آية

﴿ حمٓ ﴿١﴾ ﴾ أنا الرحمن الرحيم ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي القرآن ﴿ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ ﴾ ﴿ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ [النساء: ١٧] ﴿ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ﴾ لمن عصاه ﴿ ذِى ٱلطَّوْلِ ﴾ الغني المغني ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ﴾ إنكار ﴿ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ تكبرًا وعنادًا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [لقمان: ٣٢] ﴿ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ ﴾ ﴿ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ [يونس: ٧٠] ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ ﴾ أي الأقوام ﴿ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ ﴾ أي يقتلوه لو استطاعوا لكفرهم ومنعه إياهم لقوله تعالى: ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يس: ٣٠] ﴿ وَجَٰدَلُوا۟ ﴾ الرسول ﴿ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾ الذي جاءت به الرسل مجادلتهم مذكورة في قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ [إبراهيم: ١٠] وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ﴾ [المؤمنون: ٢٤] ﴿ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿١٦﴾ ﴾ ﴿ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٦] ﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا ﴾ عنادًا وغرورًا ﴿ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [البقرة: ٦] ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ ﴾ من عباد الله المقربين والملائكة الصالحين لقوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴾ مرت آنفًا ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۖ ﴾ يقولون: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ أي أحطت كل شيء رحمة وعلمًا لقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] ﴿ فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ ﴾ عن الشرك ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَ ﴾ أدخل ﴿ مَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ ﴾ كلهم لوعدك إياهم لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾

[الطور: ٢١] ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي العقوبات ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ﴾ يوم الجزاء ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ أي غضبه عليكم ﴿أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي إخوانكم ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ﴾ إذ متعلق بمقتكم ﴿فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ أي إذ كان أحد يدعوكم إلى الإسلام فتغضبون عليه وتنفرون لقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾﴾ [المدثر: ٤٩-٥١] ﴿قَالُوا۟﴾ معذرة ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ الإماتة الأولى كانت في حالة النطفة والثانية بعد الحياة والحياة الأولى الدنيوية والثانية يوم البعث لقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٨] ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ﴾ إلى الدنيا ﴿مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧] ﴿ذَٰلِكُم﴾ العذاب ﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟﴾ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر: ٤٥] ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ لا لغيره لقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ الدالات على كمال قدرته ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي من السحاب ﴿رِزْقًا﴾ غيثًا فاعتبروا ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ بهذه الآيات ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ أي من كان يريد أن ينيب إلى الله ويتذكر لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧] ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ الإخلاص في حقه سبحانه لقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [الممتحنة: ١] ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ أي هو رافع درجات المؤمنين لقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ أي الوحي لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ وهو أعلم بمحله لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ

﴿يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ﴿لِيُنذِرَ﴾ الناس ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ۝١٥ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ ظاهرون على مستوى من الأرض ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ أي ينادى بهذا الكلام ويجاب من قبل الله ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦﴾ الضابط على المخلوقين كلهم ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ بوجه من الوجوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝١٧ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ﴾ أي الساعة القريبة يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨﴾ [النجم: ٥٧، ٥٨] ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ﴾ مكروبين مضطربين لهول القيامة لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ٢] ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝١٨﴾ أي لا يقبل شفاعته ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾ لإحاطة علمه بكل شيء لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢﴾ [الطلاق: ١٢] ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ﴾ أي يفصل بين العباد بالقسط والإنصاف ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هؤلاء إياهم ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ كائنًا من كان مسيحًا كان أو غيره ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ﴾ لعدم قدرتهم وحكومتهم على المخلوق لقوله تعالى: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر: ١٥] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝٢٠﴾.

﴿۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾ من أقوام الكفار ﴿كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ لقوله تعالى: ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨﴾ [الفجر: ٨] ﴿وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من الزراعة والحرث وتعمير الأبنية لقوله تعالى: ﴿وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الروم: ٩] ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ۝٢١﴾ يدفع عنهم العذاب ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۖ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢٢﴾ لا يتحمله أحد ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ﴾ دليل ﴿مُّبِينٍ ۝٢٣ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٢٤﴾ يكذب كل آنٍ بادعاء الرسالة ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ موسى ﴿بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟﴾ أي فرعون وملأه ﴿ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أي بني إسرائيل ﴿وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ﴾ للاستخدام. كان تدبير فرعون هذا لتقليل بني إسرائيل لئلا يكثروا

ويتغلبوا ﴿ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ حيث ما نالوا ما راموا من قتلهم لقوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٥٧ـ٥٩] ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ ﴾ أشيروني ﴿ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ﴾ الذي يدعي الرسالة منه ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾ الذي أنتم عليه من عبادتي ﴿ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي ملك مصر ﴿ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾ بإغواء الناس عني ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ ﴾ لما سمع إرادة فرعون بقتله ﴿ إِنِّى عُذْتُ ﴾ في الزمان الماضي لما نبئت ﴿ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ ﴾ ومنهم فرعون.

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ أي من ملئه ﴿ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾ مخافة شره لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل: ١٠٦] ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا ﴾ لأجل ﴿ أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ﴾ وأنكر ربوبية فرعون هل هو إلا ذاك ﴿ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ من المعجزات الدالة على صدقه ﴿ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ﴾ لا يضركم ﴿ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ﴾ لا محالة في الدنيا والبعض الآخر في العقبى لما أن العذاب الموعود للكفار على قسمين في الدنيا وفي الآخرة لقوله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [السجدة: ٢١] فلم يسمعوا قوله ولم يجيبوا دعاءه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ حين ارتقى أعلى مراتب الإسراف والكذب وأصر لقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [غافر: ٣٥] ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ ﴾ قابضين ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾ قاله خفية لملأ فرعون لأن فرعون كان منكرًا لله لقوله تعالى: ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩] ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾ من الرشد والهداية ﴿ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ من كون الفلاح لكم في عبادتي وما أصدق قوله سبحانه: ﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الروم: ٣٢] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ ﴾ لملأ فرعون خفية ﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾ أعني ﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ بيان للأحزاب وكانت الأقوام معروفة عندهم ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ ﴾ ما يهلكهم بغير ذنب لقوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ

﴿وَءَامَنتُمْ﴾ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ [النساء: ١٤٧] فاتقوا الله على مخالفة موسى ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾﴾ يوم تنادون بينكم منهزمين ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ منصرفين مغلوبين لا تستطيعون مقابلة موسى بدل من يوم التناد ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ يعصمكم يومئذ من الانهزام والذلة لقوله تعالى: ﴿فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأعراف: ١١٩] ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ يهديه ويوفقه لسواء السبيل ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ من التوحيد والرسالة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ مات ﴿قُلْتُمْ﴾ أي اباؤكم أيها الرؤساء ﴿لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ زعمًا منكم أن يوسف لم يبعثه الله ولن يبعث أبدًا لأنهم كانوا يزعمونه خاتم النبيين ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ﴾ لم يوفق للخير ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ متجاوز ﴿مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ شاك في الحق ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل ﴿يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ حجة وبرهان ﴿أَتَىٰهُمْ﴾ أي لا دليل لهم على المجادلة. الموصول عطف بيان للمسرف المرتاب ﴿كَبُرَ﴾ الجدال بلا برهان ودليل ﴿مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بل وعند العقلاء كلهم لقوله تعالى: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾ [الأحقاف: ٤] ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ لا يوفقهم للخير ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ استهزاءً وتكبرًا ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ قصرًا رفيعًا ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ﴾ سلم ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي أستعمله مثل السلم للسموات ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ ادعائه إلهًا ﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي طريق الحق ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ هلاك.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾﴾ جواب عن قول فرعون ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ مرت ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ قليل تمتعون بها لقوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٢٦] ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ التي لا تزول لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤] ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٤٠﴾ أي بغير ضيق عليهم لقوله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤﴾ [الحاقة: ٢٤].

﴿۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ أي إلى توحيد الألوهية وتسليم الرسالة ﴿وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ٤١﴾ أعني ﴿تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ أي الاعتراف بألوهية فرعون ﴿وَأَنَآ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ٤٢ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾ أعني فرعون ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ فإنه مخلوق من مخلوقاته سبحانه والمخلوقون كلهم على السوية لقوله تعالى: ﴿أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر: ١٥] ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ﴾ عطف على أن السابقة أي لابد أن مصيرنا بعد الموت ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ المتجاوزين حدود العبودية ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٤٣ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ﴾ إذا عاينتم العذاب لقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ﴾ [الأعراف: ٤٤] ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ كما أمرني سبحانه لقوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ [المزمل: ٩] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٤٤ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ أرادوا به سوءاً ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥ ٱلنَّارُ﴾ بدل ﴿يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾ اليوم ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي القيامة قيل للملائكة: ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ أي فرعون مع متبوعيه لقوله تعالى: ﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ﴾ [هود: ٩٨] ﴿وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ﴾ أي التابعون والمتبوعون ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾ في الدنيا كفرنا بالله لأمركم لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧] ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا﴾ شيئاً ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ ٤٧ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ٤٨﴾ بالقسط والإنصاف ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ﴾ من التابعين والمتبوعين ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ﴾ لنا ﴿يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٤٩ قَالُوٓاْ﴾ كيف ندعو لكم ﴿أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ﴾ ﴿قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩﴾[الملك: ٩] ﴿قَالُواْ﴾ أي خزنة جهنم لا ندعو

لكم لنهيه سبحانه إيانا لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣] ﴿فَٱدْعُوهُ﴾ أنتم أنفسكم واعلموا أنه ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ لعدم نفعه إياهم، هذه حال الكفار، وحال المؤمنين:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بإهلاك معانديهم ﴿وَ﴾ أيضًا ننصرهم ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ أي الأنبياء والصلحاء يشهدون على كفرهم لقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْيَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النحل: ٢٧] ﴿يَوْمَ﴾ بدل ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم: ٢٩] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾﴾ التوراة كان ﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ﴾ أيها المؤمن[1] ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ في إظهار الإسلام ﴿حَقٌّ﴾ لا يخلف لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران: ٩] ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ وللمؤمنين والمؤمنات لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠] ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ لجهالة غشيتهم وغلبتهم ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ تكبر واستكبار فقط لقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ أي لا يبلغون مقتضى كبرهم من الغلبة والاستعلاء على الإسلام لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ من شرهم وشر إغوائهم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾ يسمع دعاءكم ويبصر أحوالكم ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ مرة ثانية

---

(١) دفع دخل أو رد على مثل هذه الآية الكريمة من أن النبي ﷺ كان عاصيًا، ودفع بأن المخاطب ههنا كل مؤمن كقوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣] الآية.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ حيث لا يستدلون بطريق إنِّيٍّ لقوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [القيامة: ٣٦ـ٤٠] ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ ما يستوي ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓـُٔ ﴾ في أعماله ﴿ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ حيث تزعمون أن المصلح والمفسد عند الله سيَّان لقوله تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [ص: ٢٨] ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ لما أنهم يزعمون أن ليس إلا الحياة الدنيا لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ٣٧] أيها المؤمنون اتركوا هؤلاء المشركين وتوجهوا إلى مقصدكم وهو عبادة الله ودعاؤه ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ ﴾ بالدعاء أو العبادة ﴿ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ دعاءكم وعبادتكم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ ذليلين لمخالفتهم غاية خلقهم لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

اسمعوا أيها المؤمنون إن ربكم الداعي إلى عبادته ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ مضيئًا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ بإعطاء ما سألوا واحتاجوا إليه لقوله تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ ﴾ هم الكفار لقوله تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ١٣] ﴿ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ﴾ الذي خلقكم والذين من قبلكم وجعل لكم الليل والنهار ﴿ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ حيث تسوون غير الخالق بالخالق لقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل: ١٧] ﴿ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ﴾ عن الحق ﴿ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ أي من كانت عادته الجحود والاستكبار يصرف عن الحق لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [لقمان: ٣٢] اسمعوا هو ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ أي مستقرًّا لكم ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ ﴿ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ [الأنبياء: ٣٢] ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ كيف ما يناسب لكم

لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: ٦- ٨] ﴿وَرَزَقَكُمْ مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٤ هُوَ ٱلْحَىُّ﴾ أي لا حياة ذاتية إلا له سبحانه والمخلوقون كلهم أحياء بإعطائه الحياة إياهم لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦] لأجل ذلك ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ غير مشركين به بوجه من الوجوه من الميل إلى الغير ولا المرائين ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ كله ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ ﴿قُلْ﴾ لما كان الحمد كله لله ليس لأحد من الحمد حصة ﴿إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٦﴾ الذي هو المستحق للحمد ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾ أي أباكم ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ﴾ إياكم ﴿مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ﴾ من أرحام الأمهات ﴿طِفْلًا﴾ ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨] ﴿ثُمَّ﴾ يربيكم ﴿لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ شبابكم ﴿ثُمَّ﴾ يعمركم ﴿لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل أن يبلغ مبلغ الرجال والشيوخ ﴿وَ﴾ يعمركم ﴿لِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَ﴾ يذكركم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ما ورد أو يرد عليكم من الانتقالات ولنعم ما قيل:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلًا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

﴿هُوَ﴾ الله ﴿ٱلَّذِى يُحْىِۦ﴾ يعطي الحياة ﴿وَيُمِيتُ﴾ يسلبها ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٦٨﴾ هذا على طريق التصوير وإلا فلا حاجة إلى قوله: كن لأن الكاف والنون أيضًا من مخلوقاته سبحانه [وإن لم يكن قوله مخلوقًا] لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠١﴾ [الأنعام: ١٠١] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج: ٨] ﴿أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ۝٦٩ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ من الحكمة والمعجزات ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٧٠﴾ عاقبة أمرهم ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ في أرجلهم ﴿يُسْحَبُونَ ۝٧١﴾ يجرون ﴿فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ يوقد عليهم النار لقوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤] ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟

عَنَّا﴾ أي غابوا ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ ينكرون شركهم لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣] ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ في الدنيا على كفرهم لا يهتدون إلى طريق الحق يقال لهم: ﴿ذَٰلِكُم﴾ العذاب ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾ تتبخترون وتتكبرون عن قبول الحق لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: ١٢] ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ من انهزامهم وغلبتك عليهم في حياتك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ فالأمر سواء ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾ فننبئهم بما كانوا يكسبون ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا﴾ كثيرًا ﴿مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ خبرهم موسى، عيسى، زكريا، يحيى، إبراهيم، إسماعيل، إسحاق وغيرهم عليهم السلام ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ ممن أرسلناهم في الهند وأوربا وإفريقية وغيرها لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر: ٢٤] ﴿وَ﴾ مع ذلك كانت الرسل تحت أمر الله ﴿مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ﴾ معجزة ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ قضاؤه بين المحقين والمبطلين ﴿قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ في مرامهم من الغلبة على دين الله.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟﴾ بعضًا ﴿مِنْهَا﴾ كالخيل والبغال لقوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨] ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ كالبقر والجمال لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ كثيرة ﴿وَ﴾ تركبون عليها ﴿لِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً﴾ مخفية ﴿فِى صُدُورِكُمْ﴾ من تحمل أنفسكم ومتاعكم لقوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٧] ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ في البر والبحر ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ نعمائه ﴿تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٢٥] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ عددًا ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

حين أتاهم العذاب لقوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾ [ص: ٣] ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ الذين أرسلوا إليهم من الله ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ الذي يسمونه علمًا وإلا فهو جهل لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا[1] يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾﴾ من أخبار الرسل ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾ كما قال فرعون ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ عذابنا لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨] كانت هذه ﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ﴾ جرت ﴿فِي عِبَادِهِ﴾ من تعذيب الكفار لقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣] ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ لخسران عاقبتهم لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر: ١٥].

سورة حم السجدة مكية وهي أربع وخمسون آية

﴿حم ﴿١﴾﴾ أنا الرحمن الرحيم ﴿تَنزِيلٌ﴾ للكتاب أي القرآن ﴿مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ هذا ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ المتعلقة بالتوحيد والمعاد والاعتقاد لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا[2] إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

---

(١) لأن الآية تدل على أن مقتضى العلم الخشية لله فالعلم الذي لا يجدي الخوف والخشية لله سبحانه لا يكون إلا جهلًا لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥] (منه).

(٢) لأن هذه الآية الكريمة تفوض تفصيل الإجمال إلى الرسول عليه السلام فلو كان القرآن كله مفصلًا كيف يكون تفصيل إجماله مفوضًا إلى الرسول فافهم (منه).

[النحل: ٤٤] ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ الذين يعملون على مقتضى علمهم لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥] ﴿بَشِيرًا﴾ على الأعمال الصالحة ﴿وَنَذِيرًا﴾ على سيئها ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾ أي لا يصغون إليه تعنتًا ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي الكفار عمومًا ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ صدقوا لقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤] ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ صمم فلا نسمع ما تقول وما نعي ما تريد صدقوا لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الإسراء: ٤٦] ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ صدقوا أيضًا لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء: ٤٥] قالوا هذا كله استهزاء كقوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النمل: ٥٦] ﴿فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾﴾ لا تتعرض لنا ولا نتعرض لك وغرضهم طلب المداهنة من الرسول عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ [القلم: ٩] ﴿قُلْ﴾ لا شك ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ في أصل البشرية لما أني من ولد آدم ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ فكيف أسكت عن تبليغ الأحكام والحال أن الله قد فرض عليَّ تبليغها لقوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧] ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ أقبلوا عليه بالقلب لقوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ [المزمل: ٨] ﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي لا يطهرون أنفسهم عن دنس الشرك والكفر لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾ لا يزول لقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ﴾ [البينة: ٨].

﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ﴾ شركاء ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ أي قوة إنبات الرزق لأهلها كل ذلك تكوّن ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ المحتاجين إلى الله أي للمخلوقات كلها لقوله تعالى: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ [فاطر: ١٥]

﴿ثُمَّ﴾ بعد خلق الأرض وما يتعلق بها ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾ عمد ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ أي حال كونها دخانًا بخلقه سبحانه ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أي كونا موجودين والأرض وإن كانت موجودة قبل خلق السماء إلا أن دحوها كان بعدها لقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات: ٣٠] ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ أي صرنا موجودين بالطاعة لا بالكراهة هذه حكاية حالية ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ ما يتعلق بها لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ كواكب ﴿وَحِفْظًا﴾ أي ﴿حَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الحجر: ١٧] ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ الذي لا يتخلف شيء عما عينه عليه ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن قبول الحق ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾ عذابًا ﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ يعني رسلًا كثيرًا ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿قَالُوا﴾ مجيبين لهم إن أنتم إلا بشر مثلنا ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا﴾ هدايتنا ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ منكرون لا ننقاد لما تأمروننا ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ غرتهم قوتهم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ لقوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر: ١٦، ١٧] ﴿وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ عاصفًا شديد الصوت ﴿فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ في حقهم وإلا فلا نحس في الأيام لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] ﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ من الدنيا لشدته ودوامه ولمشاهدة الخلق كلهم لقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النحل: ٢٧] ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٧﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ هذه الهداية بمعنى الإرائة لا بمعنى الإيصال الذي لا يتصور بعده الضلال لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ [الزمر: ٣٧] ﴿فَٱسْتَحَبُّوا ٱلْعَمَىٰ﴾ أي الضلالة ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿وَ﴾ كيف يكون حالهم ﴿يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾ يساقون لقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١] ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾ ما زائدة ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ خلافنا ﴿قَالُوا﴾ معتذرين لهم ﴿أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ هذه المكالمة حقيقية لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥] لكن كيف هي؟ العلم عند الله ﴿وَهُوَ﴾ الذي ﴿خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ أيها الناس جميعًا ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾[1] أي لا تستطيعون أن تخفوا عن ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ لأنها معكم أينما كنتم ﴿وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ من عدم العلم في حقه سبحانه ﴿أَرْدَاكُمْ﴾ أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا﴾ فالأمر سواء ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا﴾ يطلبوا الرضاء من الله بإظهار التوبة ﴿فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ همزة الإفعال للسلب أي من المسلوبين العتاب لقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الطور: ١٦] ﴿ ﴾ ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ من الشياطين لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: ٨٣] ﴿فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي ما يريدون أن يستقبلوا من المنكرات لقوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾﴾ [القيامة: ٥] ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي ما ارتكبوا من المعاصي ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي حكم العذاب ﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ من الكفار ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لإخوانهم من الكفار ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ فإنكم تسحرون به ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ حين يقرؤه محمد عليه السلام ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ فلا يسحركم ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ الأسوأ بمعنى

---

(١) نزلت حين قالوا: إن الله يسمع ما نقول. فقال الآخرون: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا (معالم ٧/ ١٧٠).

السوء لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧﴾ [التحريم: ٧] ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ﴾ بيان لذلك ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝٢٨﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ۝٢٩﴾ أي ليكونا أشد عذابًا منا وأذل لقوله تعالى: ﴿ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ۝٦٨﴾ [الأحزاب: ٦٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وحده لا شريك له ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ أدوا ما فرض الله عليهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢١٨﴾ [البقرة: ٢١٨] ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ عند الموت لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠] ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾ محبوكم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢﴾.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الناس بكل حيلة من التقرير أو التحرير والوعظ والتذكير ﴿وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ أي وعظ الناس وعمل على مقتضاه لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢، ٣] ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤﴾ إن كانت عداوته مبنية على سوء الفهم وإن كانت حسدًا فلا لقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۚ﴾ [التوبة: ١١٠] وقول أبي الطيب المتنبي:

سوا وجع الحساد داو فإنه إذا حل في قلب فليس يحول

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي لا يوفق لهذه الخصلة أي دفع السيئة بالحسنة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ لحسنه مآلاً لقوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝٤٣﴾ [الشورى: ٤٣] ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ﴾ أي الإغراء على الانتقام ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦﴾ فتكون محفوظًا عن شره لقوله

تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النحل: ٩٩] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾ الدالة على كمال قدرته ﴿ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ بل والمخلوقات كلها لقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يوسف: ١٠٥] ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ ولا لشيء من المخلوقات لقوله تعالىٰ تعليمًا لعباده: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥] ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ أي للخالق فإنه مستحق للعبادة لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ١٧] ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ أي إن كنتم تدعون أنكم تعبدونه فلا تشركوا به شيئًا ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن قبول الحق فلا ضير ﴿فَٱلَّذِينَ﴾ هم مقربون ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ من الملائكة والأنبياء والصلحاء ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ لا يملون ولا يفترون لقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧] ﴿وَ﴾ اسمعوا إنه ﴿مِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ أي ربكم ﴿أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ يابسة لا نبات لها ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ تحركت ﴿وَرَبَتْ﴾ نمت ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج: ٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ لا شك فيه نؤمن به لقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠] ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ ينكرون ويبغونها عوجًا ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ﴾ ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المؤمنون: ٩٦] ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لا شك أن الثاني خير لقوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢] ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ فيجازيكم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ﴾ أي القرآن لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩] ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ الموصول اسم إن وأولئك ينادون الآية خبرها وما بينهما بعضها حال وبعضها

اعتراض ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ أي لا تكذبه الأخبار الماضية ولا الواقعات الآتية لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود: ١] وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ فحكمته وحمده يأبى الكذب والتكذيب ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ من الله من تعليم التوحيد وغيره ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ للناس على ظلمهم ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ إن لم يتعظوا بتذكير الرسل لقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾﴾ [الطلاق: ٨] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي الكتاب المنزل على محمد ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ أي بينت أحكامه بلساننا ﴿أَءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ الكلام ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ المخاطب ﴿عَرَبِيٌّ﴾ شتان بينهما ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ لأنهم يمتثلون ما أمرهم الله لقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به ﴿فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ صمم لا يستمعون حق السماع ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ لا يفهمونه حق الفهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ [الكهف: ٥٧] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ يعني إن الذين كفروا إذا سمعوا القرآن لا يفهمونه بل لا يسمعونه إلا كما ينادى أحد من مكان بعيد فلا يسمع إلا صوتاً لقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: ١٧١] وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [محمد: ١٦].

﴿وَ﴾ مثل واقعة قرآن واقعة التوراة ﴿لَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ فمصدق ومكذب لقوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ مُوسَىٰ﴾ [الحج: ٤٤] ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بالفصل يوم الجزاء لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [السجدة: ٢٥] ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ قضاء بيناً لا يشك فيه أحد ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي الكفار ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾ الشك ههنا بمعنى الإنكار

والمريب صفة له أي في الإنكار الشديد لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥] ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ النفي يرجع إلى الأصل لا إلى المبالغة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ﴾ [النساء: ٤٠].

﴿﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ﴾ هو يعلمها ولا يعلمها غيره سبحانه لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ أوعيتها ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾ بشيء ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ أي هو سبحانه يعلم كل رطب ويابس وموجود ومعدوم لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي المشركين ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰقُّونَ فِيهِمْ ۚ﴾ [النحل: ٢٧] ﴿قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ﴾ أعلمناك ﴿مَا مِنَّا﴾ أحد ﴿مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾ يشهد بأن لك شريكًا أي ما أشرك أحد منا قط لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ﴾ من شركاء ﴿وَظَنُّوا۟﴾ أي أيقنوا حين رأوا العذاب ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾﴾ مهرب يهربون إليه لقوله تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾﴾ [القيامة: ١٠] ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ أي لا يزال يسأل ويطلب خيرًا له لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات: ٨] ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ شديد اليأس وهو علامة الكفر لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧] ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ أي أنا مستحق لهذه النعمة لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ﴾ [القصص: ٧٨] ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّى﴾ فرضًا ﴿إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ يقيس أمر الآخرة على الدنيا لقوله تعالى: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّىٓ لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: ٣٦] ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا

بِجَانِبِهِۦ﴾ أي تكبر وتبختر ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ أي يدعو كثيرًا ويبتهل طويلًا فالإنسان مهملة لا كلية لقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين: ٦] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ لأجل مخالفة الحق ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ أي في أطراف ملكهم لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٤] ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بإنزال البلايا فيهم ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ وإن لم يؤمنوا عنادًا وحسدًا لقوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [التوبة: ١٢٦] ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ بلى يكفي سبحانه لقوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣] ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ أي في تكذيب ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾﴾.

سورة الشورى مكية وهي ثلاث وسبعون آية

﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾﴾ أنا الرحمن الرحيم العليم السميع القدير ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ﴾ كما أوحى إليك قبل ﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ من الرسل ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾ العظمة والكبرياء كلها لله لقوله تعالى: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥] ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ إجلالًا له سبحانه لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤] ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ من المؤمنين لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧] ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ يغفر لمن يستغفره ويرحم من يسترحمه ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ لقضاء حاجاتهم ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ يحفظ أعمالهم ويجازيهم لقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ

﴿أَلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلًا ١٠٢﴾ [الكهف: ١٠٢] ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ٦﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي كما أنزلنا إليك هذه السورة ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾ أي مكة المكرمة زادها الله شرفًا وإكرامًا ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ من الأمم أينما كانوا لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] ﴿وَتُنذِرَ﴾ الناس ﴿يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾ الذي يجمع فيه الناس كلهم هو يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٥٠﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠] يكون يومئذ ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧﴾ ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ مر مرارًا ﴿وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ أي من كان منيبًا إليه لقوله تعالى: ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [الشورى: ١٣] ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ٨﴾ ينصرهم من عذاب الله ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ﴾ يرجونهم ويخشونهم ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾ لكل إنسان بل ولكل شيء لقوله تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ﴾ [الزمر: ٣٦] ﴿وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٩﴾.

﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ﴾ من أمر الدين ﴿فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ يفصل بينكم ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠﴾ في كل أمر من الخير والشر لقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾ [الأنعام: ١٦٢] ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ أي من جنسكم ﴿أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ﴾ أي يخلقكم في هذا العالم ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ في الفطرة والخلق ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ المقاليد كناية عن الاختيار أي الاختيارات كلها له سبحانه لقوله: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [يس: ٨٣] ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٢﴾ يعلم ما فيه مصلحة للعباد لقوله تعالى: ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ٣٠﴾ [الإسراء: ٣٠] ﴿شَرَعَ﴾ الله ﴿لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ أي التوحيد لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [النساء: ١٣١] ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ﴾ أي شق ﴿عَلَى

﴿ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من أمر التوحيد لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥] ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ۝١٣﴾ هداية خاصة ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا﴾ أي أهل الكتاب في أمر محمد عليه السلام ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ أي بعد أن عرفوا الرسول عليه السلام لقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤﴾ [البينة: ١-٤] ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ مفعول له من قبيل قعدت عن الحرب جبنًا ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو يوم القيامة ﴿لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ اليوم ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي بعد الأنبياء المذكورين ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝١٤﴾ أي في إنكار شديد للكتاب السماوي ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿فَٱدْعُ﴾ الناس ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ للتبليغ لقوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٦٧] ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ سماوي إلى الأنبياء لقوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٣٦] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ في القضايا كلها لقوله تعالى: ﴿وَإِن حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٤٢﴾ [المائدة: ٤٢] ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ إن كانت صحيحة ﴿لَا حُجَّةَ﴾ أي خصومة ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ لأجل العداوة النفسانية لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١] ﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ يوم القيامة ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝١٥﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾ أي أسلم له ما في السموات وما في الأرض ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ أي خصومتهم باطلة لا شيء ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ بل وعند العقلاء كلهم لقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٢١﴾ [الجاثية: ٢١] ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝١٦ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾ أمر بالعدل والإنصاف في الأمور كلها لقوله تعالى: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ

قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ ﴾ أي لا تعلمها أنت يا محمد لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان: ٣٤] ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ﴾ أي بعذابها ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ﴾ يقولون: ﴿ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ص: ١٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ﴾ الكائن لقوله تعالى: ﴿ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [البقرة: ٤] ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ ﴾ يشكون ﴿ فِى ٱلسَّاعَةِ ﴾ أي ينكرونها ﴿ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ ﴾ يلطف بهم ويرحمهم لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣] ﴿ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ﴾ بغير حساب ﴿ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ ﴾ ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي اهتم بالآخرة ﴿ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ أي حرصه في الآخرة بأن يوفق لها لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد: ١٧] ﴿ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي اعتنى بها ولم يعتن بالآخرة ﴿ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ ﴿ مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ [الإسراء: ١٨] أي ﴿ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٢٦] ﴿ وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ لعدم اعتنائه بها لقوله تعالى: ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٠] ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ فيخالفون ما تأمرهم على اعتمادهم ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ ﴾ سبقت من ربك ﴿ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ ﴾ أي من جزائه ﴿ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ ﴾ لا محالة لقوله تعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَٰتِ ٱلْجَنَّٰتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ﴾ الفضل ﴿ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ ﴾ به ﴿ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ على التبليغ ﴿ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[1] أي المحبة لأجل القرابة لي بكم أيها القريشيون فالاستثناء منقطع بناؤه على طريق التعليم أي أعلمكم أن تحبوا ذوي قرابتكم وتصلوا وتحسنوا إليهم لقوله

---

(١) لأن الكريمة تذم المشركين على عدم مبالاتهم بالقرابة والذم على الشيء يدل على حسن ضده فافهم (منه).

تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [النساء: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠] ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ بإعطاء الأجر زائدًا على حسنه لقوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٣﴾﴾ يغفر الذنوب لمن أطاعه ويقبل ممن يخلصه لقوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: ١١٥] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ﴾ محمد ﴿ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ في الشرط ذكر اللازم وإرادة الملزوم فإن مشيئة الله الختم لازم على إرادة الافتراء عليه سبحانه لقوله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥] والمعنى إن افتريت على الله يختم على قلبك فإن هذا هو الجزاء للمبطلين المفترين لقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر: ٣٥] ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ أي الكفر ﴿ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ أي يظهر صدقك على الناس كلهم لقوله تعالى: ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣] ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾ فكيف يمكن أن يخفى عليه المفتري لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ [فصلت: ٤٠] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ إن تابوا ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أي يجيب دعاءهم لقوله تعالى: ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] ﴿ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ على أعمالهم ﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ﴾ طغوا ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ لقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١] ﴿ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ﴾ أي قابل التوبة هو الله ﴿ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا

﴿قَنَطُوا﴾ يئسوا من حيث الموسم ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ لكل ذي حياة بل ولكل شيء ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ صاحب الحمد كله ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ الدالة على ولايته ﴿خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾. ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ لا ينافي ولاية الله لأنه يغفر ﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾ ينصركم في حاجاتكم ﴿وَ﴾ اسمعوا إنه ﴿مِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ﴾ أي السفن التي تجري ﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ التي تجري بها ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ﴾ ثوابت لا يتحركن ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ﴾ أي ظهر الماء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الإجراء ﴿لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ يهلكهن ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ من الكفر والعصيان ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾ برحمته الواسعة ﴿وَيَعْلَمَ﴾ بالنصب عطف على العلة المقدرة أي لينتقم الله منهم ويعلم ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾ ملجأ ومفر ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ فقط إن لم تنفقوها في سبيل الخير لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ [سبأ: ٣٧] وإن أنفقتموها في سبيل الخير فهي زاد المعاد لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠] ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب على الأعمال الصالحة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ﴾ عطف على الموصول المجرور ﴿يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ التي ينهون عنها لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١] ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ وإن كانت داخلة تحت الكبائر إلا أنها خصصت بالذكر لاعتناء الشرع بها لقوله تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النحل: ٩٠] ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟﴾ على أحد ﴿هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ إن كان التقصير في حقهم وإن كان في حق الشرع -لا- لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢] لفظة ما بعد إذا زائدة كما قال امرؤ القيس:

إلى مثلها يرنو الحليم صبابة إذا ما اسبكرت بين درع ومجول

﴿وَٱلَّذِينَ﴾ عطف على السابق ﴿ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾ بالانقياد له ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ

﴿بَيْنَهُمْ﴾ أي يتشاورون فيما يبدو لهم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ من كل ما عندهم من المال أو العلم أو غير ذلك في سبيل الخير لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة: ٢١٥] ﴿وَالَّذِينَ﴾ عطف على الموصول المجرور السابق ﴿إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ الظلم من أحد ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ ينتقمون من غير الاعتداء لقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٩٤] عد الانتقام في الفضائل لأنه قد يكون الأمن في الانتصار والانتقام لقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١] ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ أي لا تعتدوا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠] ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ ينتقم هو بنفسه منهم ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ للعقوبة عند الله لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦] ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ﴾ أي يفسدون ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ و﴿مع ذلك الإذن ﴿لَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ وعفا عن الظالم ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصبر والعفو ﴿لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ إضافة الصفة إلى الموصوف أي من الأمور التي عزم الله على عباده أي أفضل الأمور.

﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ ۗ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ أي يرون العذاب ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي على النار ﴿خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي خسرانًا كان أثره يوم القيامة الذلة وسوء الحال لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس: ٤٠-٤٢] ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾ دائم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾ للهداية. أيها الناس ﴿اسْتَجِيبُوا﴾ انقادوا ﴿لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ۚ مَا لَكُم﴾ من الله ﴿مِّن مَّلْجَإٍ﴾ تلجأون إليه ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾ ينكر ويغير ما أنتم عليه من الهون والذلة ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإجابة والانقياد لله سبحانه فلا عليك ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ﴾ ﴿وَلَا تُسْئَلُ

عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [البقرة: ١١٩] ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ من المعاصي لقوله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الروم: ٤١] ﴿ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿١٨﴾ ﴾ يكفر ما عليه من إحسان الله تعالى ويقنط ويبأس من روح الله لقوله تعالى: ﴿ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [فصلت: ٤٩] فالإنسان مهملة كما مر ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ﴾ كليهما ﴿ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ﴾ لا تلد ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ ﴾ بأحوال المخلوقات ﴿ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ على قضاء حاجاتهم ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ ﴾ أي عظمته تأبى أن يكلمه ﴿ إِلَّا وَحْيًا ﴾ بالإلقاء في القلب أو بالإراءة في المنام لقوله تعالى: ﴿ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى ﴾ [المائدة: ١١١] وقوله تعالى حاكيًا عن خليله عليه السلام: ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ ﴾ [الصافات: ١٠٢] ﴿ أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾ كما كلم كليمه عليه السلام لقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤] ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ أي ملكًا لقوله تعالى: ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ ﴾ [فاطر: ١] ﴿ فَيُوحِىَ ﴾ الملك ﴿ بِإِذْنِهِۦ ﴾ سبحانه ﴿ مَا يَشَآءُ ۚ ﴾ لقوله تعالى حاكيًا عنه: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ ﴾ [مريم: ٦٤] ﴿ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ ﴾ الإرسال ﴿ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ ﴾ أي أنزلنا إليك القرآن بإرسال الملك جبريل لقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [البقرة: ٩٧] ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى ﴾ قبل هذا ﴿ مَا ٱلْكِتَٰبُ ﴾ السماوي ﴿ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾ التفصيلي أي ما كنت تدري ما الشرائع وما الكتاب لقوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ [الضحى: ٧] ﴿ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ﴾ هداية خاصة ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ ﴾ تُري ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ أي ﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ بوجودها وبقائها لقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: ٤٢].

سورة الزخرف مكية وهي تسع وثمانون آية

﴿حمٓ ۝١﴾ أنا الرحمن الرحيم ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ أقسم سبحانه بعلمه لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩] ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣﴾ فإنه بلسانكم لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٤] والجملة المؤكدة جواب قسم ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الذي يكتب منه كل كتاب وهو علمه سبحانه لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ﴾ رتبة ﴿حَكِيمٌ ۝٤﴾ محكم لقوله تعالى: ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١] ﴿أَفَنَضۡرِبُ﴾ نترك ﴿عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا﴾ إعراضًا لأجل ﴿أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ۝٥﴾ أي هل لا نسمعكم القرآن للتذكير لأجل عدم الالتفات منكم -لا- لقوله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [المؤمنون: ٧١] ﴿وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٧﴾ كقوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٣٠﴾ [يس: ٣٠] ﴿فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا﴾ أي أقوى من قومك لقوله تعالى: ﴿لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٨﴾ [الفجر: ٨] ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨﴾ أي حالاتهم ووقائعهم ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٩﴾ الذي يعلم مصلحة كل شيء وحكمته ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا﴾ تسكنون عليها ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٠﴾ إلى مطالبكم ﴿وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ السحاب ﴿مَآءَۢ بِقَدَرٖ﴾ معلوم عندنا ﴿فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ﴾ يابسًا ﴿كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ۝١١﴾ من قبوركم بعد الفناء ﴿وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ والقطار ﴿مَا تَرۡكَبُونَ ۝١٢﴾ في البحر والبر ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ أي على ظهر المركب المذكور ﴿ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ

رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا ﴾ المركب ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ لقوته وبطشه ﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ بعد الموت ﴿ وَجَعَلُوا۟ ﴾ أي المشركون ﴿ لَهُۥ ﴾ سبحانه ﴿ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ ﴾ لكونهم قائلين بأن الملائكة بنات الله لقوله تعالى: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ ﴾ [الإسراء: ٤٠] ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ مهملة ﴿ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾.

﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ ﴾ الله ﴿ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النجم: ٢٢] ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ ﴾ أخبر ﴿ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ﴾ من نسبة البنات إليه سبحانه ﴿ ظَلَّ ﴾ صار ﴿ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ مملوء من الغيظ والغضب يتفكر في شأنه ﴿ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ ﴾ [النحل: ٥٩] ﴿ أَ ﴾ يختارون لأنفسهم البنين ﴿ وَ ﴾ ينسبون إلى الله ﴿ مَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ ﴾[1] أي في الزينة ﴿ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾ فإن البنات لا يكون لهن منطق فصيح عمومًا لقوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ﴿ وَجَعَلُوا۟ ﴾ أي زعموا ﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ ﴾ أي بنات الله سبحانه ﴿ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ ﴾ أي يخبرون على شهادتهم هذه ﴿ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ عن صدقها ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ ۗ ﴾ أي المعبودين فإذا كان الأمر بمشيئة الله فهو راض عنا ﴿ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ ﴾ حيث يستدلون بمشيئته سبحانه على رضاه وشتان بينهما لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ ﴾ [الأنعام: ١١٢] وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ ﴾ [الزمر: ٧] ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ يكذبون في دعواهم ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ ﴾ أي القرآن ﴿ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ في هذه الدعوى ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الطور: ٣٤] لقوله تعالى: ﴿ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [الأحقاف: ٤] ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾ أي ملة ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ أي ليس لهم دليل على دعواهم إلا اتباع آبائهم لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿ وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا

---

(١) المراد بمن: البنات وتذكير الضمير على اعتبار لفظ «من» فافهم.

﴿ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: ٣٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ منعموها ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ طريقة ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ ﴿قَلَ﴾ النذير ﴿أ﴾ تقتدون آباءكم ﴿وَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا﴾ أي كلمة التوحيد ﴿كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ في أولاده إلى محمد رسول الله ﷺ لقوله تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة: ١٣٥] ﴿لَّعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ إلى الإسلام علة لذكر إبراهيم عليه السلام لقوله تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٦] والحق أنه ليس لهم دليل على طريقتهم ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ بنعماء الدنيا ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي القران ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾﴾ يبين لهم ما أجمل في القران بأحاديثه عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤] ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ﴾ يسحرنا بتأثيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: ٢٦] ﴿وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾ مكة المكرمة والطائف ﴿عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ مالًا وعزًا لقوله تعالى حاكيًا عن المشركين ﴿لَّوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١] ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ النبوة وغيرها أو كان الأمر باستشارتهم -لا- بل ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ من الرزق وغيره فغني وفقير ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ مسخرًا يستخدمه ويأخذ هو الأجرة منه والمعنى ليس توسعة الرزق دلالة على كون صاحب الوسعة ذا وجاهة ومقربًا عند الله لقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ الآية تأتي ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ أي الأعمال الموجبة لرحمته خير مما طلعت عليه الشمس لقوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٦] ﴿وَلَوْلَآ﴾ كراهة ﴿أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ﴾ بادي الرأي ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ ملة كفرية ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ من فضة أيضًا

﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يرتقون ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا﴾ من فضة ﴿وَسُرُرًا﴾ من فضة ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾﴾ بل ﴿وَ﴾ جعلنا لهم كل شيء ﴿زُخْرُفًا﴾ ذهبًا ﴿وَ﴾ لكن ﴿إِن﴾ أي ما ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ليس بموجب قربة عند الله لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ﴾ [سبأ: ٣٧] ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ أي الدار الآخرة ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣].

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ﴾ أي يعرض ويغفل ﴿نُقَيِّضْ لَهُ﴾ أي نسلط عليه ﴿شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ ﴿فَإِنَّهُ يُضِلُّهُمْ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ [الحج: ٤] ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي ينسونهم ذكر الله لقوله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩] ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ قرناء الشياطين ﴿أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ فيما يفعلون من اللهو واللعب ﴿حَتَّىٰ﴾ غاية لتمادي ضلالتهم ﴿إِذَا جَاءَنَا﴾ بعد الموت ﴿قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ أيها الشيطان ﴿بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ أي المشرق والمغرب ﴿فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ أنت ثم يفرحون على معيتهم فيقال: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ لأنه يعذب كل أحد بنفسه لقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨] ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾ الواو للعطف التفسيري لأن مصداق الثلاث واحد لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦] وقوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة: ١٨] ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾[1] أي نميتك قبل إراءتهم ما نعدهم فلا فائدة لهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ البتة ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾ فذاك في قدرتنا ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ فأمرهم إلينا لا إليك لقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ

---

(١) نزلت في المشركين كانوا يستعجلون العذاب لقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [العنكبوت: ٥٣] الآية. أقول: هذا في المواعيد التي ليست مخصوصة بحياته عليه السلام أما التي لها تعلق بحياته فيجب أن تكون واقعة في حياته عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ○ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ - والله أعلم -.

﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [غافر: ٧٧] ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَذِكْرٌ﴾ تذكير ﴿لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ أيها المخاطبون عن أعمالكم لقوله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦] ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ أي أمتهم لقوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [يونس: ٩٤] ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ هل أجزناهم لعبادة غير الله الرحمن -لا- لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ [النساء: ١٣١] وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾ مستهزئين ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ معجزة ﴿إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ﴾ التي سبقتها ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ إلينا ﴿وَقَالُوا۟﴾ لموسى ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ على زعمهم ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ من كشف العذاب على التوبة ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾ ينقضون ما وعدوا قبل ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ وأنا متسلط عليه ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِى ۖ﴾ لأجل فوائدي ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ عظمتي وجلالي ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ ذليل حقير ليس له ملك ولا مال ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ أي لا يفصح بكلامه أهو خير مني لأنكم تميلون إليه، كان في لسانه عليه السلام ثغثغة قبل النبوة لا يفصح فدعا الله ربه فأفصح لقوله تعالى حاكيًا عنه: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: ٢٧-٣٦] ولكن نسب فرعون إليه عدم الفصاحة مع أنه أفصح تعنتًا واستحقارًا لقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ [النمل: ١٤] ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ أي لو كان رسول الله لأعطي سعة من المال ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ متتابعين يهددون الناس على مخالفته. زعم

فرعون كما زعم قريش مكة أن من كان ذا مال وبنين فهو مرضي عند الله لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١] ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾ أي وجد فرعون قومه خفيفي العقل ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾ على تكذيبه عليه السلام ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ باتخاذهم فرعون وتركهم موسى ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أغضبونا غاية الإيساف ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾ سالفين أي كانوا ثم هلكوا ﴿وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ عبرة وعظة ليتذكر بهم الآخرون لقوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يونس: ٩٢].

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾[1] أي ذكر عيسى بن مريم بذكر الرسالة والنبوة لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الآية تأتي ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ يعرضون ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ منكرين رسالته ﴿ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ أي هما سيان نعبد آلهتنا وتعبده النصارى فكيف التفريق بكون آلهتنا في النار وكونه رسولًا مقربًا عند الله في الجنة لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨] ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾ أي ما قالوا لك هذا الكلام إلا جدلًا وعنادًا وإلا فهم يعلمون مراد الله بقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ الآية لقوله تعالى متصلًا به: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١] ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ معاندون أي ليسوا في هذه المسألة فقط مجادلين بل عادتهم دائمًا الخصومة لقوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾﴾ [الزخرف: ٥] ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة والرسالة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا﴾ هاديًا ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ أي رسولًا إليهم لقوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩] ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ مقامكم ﴿مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾ يسكنون في الأرض جواب عن أصل سؤالهم باستحالة كون الإنسان رسولًا.

---

(١) نزلت في المشركين حيث قالوا لما سمعوا: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ الآية أي مزية لعيسى على آلهتنا فنرضى بأن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير في النار (معالم ٧/ ٢١٨) (منه).

المعنى لا تنكروا رسالة الإنسان مسيحًا كان أو محمدًا عليهما السلام لزعمكم أنه ينبغي أن يكون الرسول ملكًا لقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ [الإسراء: ٩٤] ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي المسيح إعلام لقرب القيامة ينزل قبيل القيامة لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤] وقوله[1] عليه السلام: «**والله لينزلنَّ فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا فليكسرنَّ الصليب وليقتلنَّ الخنزير وليضعنَّ الجزية وليتركنَّ القِلاص فلا يسعى عليها ولتذهبنَّ الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعونَّ إلى المال فلا يقبله أحد**»[2] (مسلم) وقوله عليه السلام: «**كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم**»[3] (متفق عليه) وقوله عليه السلام: «**كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم من السماء وإمامكم منكم**»[4] (كتاب الأسماء والصفات للبيهقي) ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي في الساعة ﴿وَ﴾ قل لهم ﴿ٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾ أي بتعليم الشكر للخالق الواحد القهار لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان: ١٠] ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من أحكام التوراة وغيرها ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ المذكور في إنجيل مرقس هكذا اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد (الباب الثاني عشر)

---

(١) فالعجب ممن ادعى في القادياني أنه المسيح الموعود ولم نر شيئًا من علامات المسيح المذكورة في الحديث والحال أنه يخبر من الله بشيء فيكون عكسه فيخبر بموت أحد فإذا هو حي ويلهم بحياة آخر فيموت وللتفصيل رسالتنا إلهامات مرزا في الأردو فانظر فيها ولا تكن من الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله فضلوا وأضلوا (منه).

(٢) رواه مسلم رقم (١٥٥) في الإيمان باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ وبعضه في البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٣٤٤٩) ومسلم باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ رقم (١٥٥).

(٤) رواه البيهقي في الأسماء والصفات صفحة (٢/١٦٦) وهو في البخاري رقم (٣٤٤٩) دون جملة «من السماء» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ ﴾ أي الجماعات ﴿ مِنۢ بَيْنِهِمْ ﴾ فمنهم من ثبت على التوحيد ومنهم من قال بالتثليث وألوهية المسيح لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة: ٧٢] ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ بالكفر ﴿ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ ﴾ غاية عنادهم ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ المنكرون بعد رؤية الآيات ﴿ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ من أين تأتي لقوله تعالى: ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [يس: ٥٠] ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ يبغض بعضهم بعضًا لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٨] ﴿ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ فإنهم يتحابون بينهم لأنهم آمنون من هول القيامة لقوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النمل: ٨٩].

قيل لهم: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ من هم ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ منقادين لله بدل من المتقين يقال لهم: ﴿ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ تنعمون بنعماء لا تعد ولا تحصى ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ أي ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [الواقعة: ١٧، ١٨] ﴿ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الطور: ٢٣] ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٨] ﴿ وَ ﴾ يقال لهم: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ ﴾ [مريم: ٦٣] ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ أي المشركين كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] ﴿ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ ﴾ يدفع ﴿ عَنْهُمْ ﴾ العذاب ﴿ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ آيسون من الروح ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ بتضييع الأوقات في الدنيا لقوله تعالى: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المدثر: ٤٢-٤٧]

﴿ وَنَادَوْا ﴾ أي ينادون ﴿ يَٰمَٰلِكُ ﴾ خازن جهنم ﴿ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ ليمتنا فنستريح ﴿ قَالَ ﴾ مجيبًا لهم ﴿ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ مقيمون في العذاب وجه العذاب أنه ﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا ﴾ أي أحكموا مكرًا برسول الله ﷺ لا يفوزون ﴿ فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ محكمون تدبيرًا في إظهاره عليه السلام لقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الطارق: ١٥ـ١٧] ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ ﴾ نسمع ﴿ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ أي الملائكة الكرام الكاتبون لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار: ١٠ـ١٢] ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ ﴾ كما تزعمون من كون الملائكة بنات الله وكون المسيح ابن الله ﴿ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ له لأن الولد سر لأبيه ومماثل له، الشرطية صادقة على تقدير المقدم كما إن كان زيد حمارًا فهو ناهق صادق لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ ﴾ [مريم: ٩٢] ﴿ سُبْحَٰنَ ﴾ الله ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ ﴾ مالك الملك كله ﴿ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ القائلون بأولاده من المشركين والنصارى ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ ﴾ في أباطيلهم ﴿ وَيَلْعَبُوا۟ ﴾ أمر تهديد ليس فيه إباحة بل نوع من النهي ﴿ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ وهو يوم الموت لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [النساء: ٩٧] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ أي هو معبود أهل السماء وأهل الأرض وما فيهما لقوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ٨٣] ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ المشركون إياهم مسيحًا كان أو غيرهم ﴿ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ الاستثناء مفرغ من المشفع له أي لا يشفعون لأحد إلا لمن شهد بالتوحيد بالعلم لا بالشك والتقليد لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ ۙ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٨] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ يصرفون عن عبادة خالقهم ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ الكفار ﴿ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ عطف على الساعة القيل بمعنى القول لقول الشاعر:

حتى وضعت يميني لا أنازعه في كف ذي نقمات قيله قيل (بانت سعاد).

أي عنده علم قول الرسول فهو يعلم استغاثته في قومه بهذا القول فهي تسلية له عليه السلام كقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ۝٤٩﴾ [الطور: ٤٨، ٤٩] ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ أعرض ﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ إذا جهلوا عليك لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٨٩﴾ ﴿أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ۝٢٢٧﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

سورة الدخان مكية وهي تسع وخمسون آية

﴿حمٓ ۝١﴾ أنا الرحمن الرحيم ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ الكتاب الذي يتبين منه كل شيء هو علمه سبحانه لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] جواب القسم ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي القرآن ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ أي بدأنا إنزاله في ليلة القدر من رمضان لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] والقرآن اسم لكل ما بين الدفتين ولكل جزء منه فلا ينافي نزوله في ثلاث وعشرين سنة من البعثة إلى وفاته عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾ [الإسراء: ١٠٦] ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ الناس بالقرآن ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ أي شرع التمييز بين الحق والباطل في ليلة مباركة بنزول القرآن لقوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٤] ويتم الأمر على غايته لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة: ٣] ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ حال أي حال كون ذلك الفرق مأمورًا به من عندنا لقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧] ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾ الكتاب إليك يا محمد لأجل الفرق بين الحق والباطل ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي جعلناك نبيًّا لأجل رحمتنا على الخلق لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ رب بالجر بدل من ربك ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧﴾ فآمنوا[1] ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ﴾ تكذيب ﴿يَلْعَبُونَ ۝٩ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ سنة مجدبة[2] لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟[3] ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا﴾ الآية تأتي ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ قريش مكة المكرمة زادها شرفًا وتعظيمًا ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١﴾ يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ﴾ هذا ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ﴾ يعلمه بشر ﴿مَّجْنُونٌ ۝١٤﴾ يخبرنا عن أمور مستحيلة لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ [سبأ: ٧، ٨] المعنى كيف لهم التذكر والحال أنه لا يصغون ولا يلتفتون لقوله

---

(١) إشارة إلى تقدير الجزاء.

(٢) قال ابن مسعود: إن قريشًا لما غلبوا النبي ﷺ واستعصوا عليه قال: «**اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف**» فأخذتهم سنة فأكلوا فيها العظام والميتة من الجهد، حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع قالوا: ﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ فقيل له: إن كشفنا عنهم عادوا، فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا، فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ إلى قوله جل ذكره: ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ (البخاري) (أ) وما ورد في الحديث المرفوع: «**لن تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات منها الدخان**» (ب) لعله آخر كما أشار إليه صاحب فتح البيان قد مرت الإشارة منا في حاشية الدابة فانظر هناك (منه).

(أ) رواه البخاري (٤٨٢٢) في تفسير حم الدخان باب: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ وفي الاستسقاء (١٠٠٧) باب دعاء النبي ﷺ: «**اجعلها عليهم سنين كسني يوسف**» وباب: إذا استشفع المشركون بالمسلمين عند القحط (١٠٢٠) وفي تفسير سورة يوسف (٤٦٩٣) باب: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ وفي تفسير سورة الروم (٤٧٧٤) وفي تفسير سورة صَ (٤٨٠٩) ومسلم رقم (٢٧٩٨) في صفات المنافقين والترمذي رقم (٣٢٥٤) في التفسير باب ومن سورة الدخان من رواية عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه.

(ب) رواه ابن ماجه رقم (٤٠٤١) كتاب الفتن باب أشراط الساعة وهو حديث صحيح من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه.

(٣) لأن الآية الكريمة تدل على كون عذاب الدخان مدفوعاً (منه).

تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧] ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ﴾ أي الدخان ﴿قَلِيلًا﴾ مدة يسيرة ﴿إِنَّكُمْ﴾ أيها الكفار الداعون القائلون إنا مؤمنون أنتم ﴿عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ إلى ما تنهون عنه ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ أي نأخذهم أخذة شديدة يوم الفتح لقوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ[1] أَخْرَجُوكُمْ﴾ [البقرة: ١٩١].

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ ابتليناهم ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ موسى عليه السلام ﴿أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ أي بني إسرائيل لقوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ [طه: ٤٧] ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي لا تتجبروا بدعوى الألوهية ﴿إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾﴾ معجزة قاهرة هي اليد البيضاء والعصا ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾﴾ كان فرعون قد زجره لقوله تعالى حاكيًا عنه: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء: ٢٩] ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾ اتركوني ومن معي من بني إسرائيل ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ قال له ربه بعد مدة ﴿فَأَسْرِ﴾ اذهب ﴿بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾ أي يصير البحر ساكنًا بعبورك عليه لقوله تعالى: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣] ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾ الأمر ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا﴾ بعد مدة ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ أي بني إسرائيل لقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الشعراء: ٥٩] ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي لم يترحم عليهم أحد من أهل السماء ولا من أهل الأرض لقوله تعالى: ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾[2] [الممتحنة: ٤]

---

(١) إخراج المشركين من مكة انتقام منهم وهو وجد يوم الفتح فافهم (منه).

(٢) لأن الآية تدل على أن علامة الإيمان التبري عن أهل الكفر والطغيان. قال الشوكاني: المعنى أنه لم يصب بفقدهم وهلاكهم أحد من أهل السماء ولا من أهل الأرض وكانت العرب تقول عند موت السيد منهم: بكت له السماء والأرض أي عمت مصيبته(فتح البيان ١٢/ ٤٠١).
والحديث المروي عن أنس عند الترمذي أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد إلا وله في السماء بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل عليه منه رزقه فإذا مات فقداه وبكيا =

﴿ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ ممهلين لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٧].

﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ ﴾ أي ﴿ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ ﴾ اصطفيناهم ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ أي عالمين بأحوالهم ﴿ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ أي عالمي زمانهم لا إلى آخر الأيام لقوله تعالى في المؤمنين: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم ﴾ أي بني إسرائيل ﴿ مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ ﴾ إحسان ﴿ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ أي إنجاؤهم من آل فرعون وفرق البحر وتظليل الغمام وإعطاء الملك لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المائدة: ٢٠] ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ المنكرين الحشر ﴿ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ ﴾ أي مدة انقطاع آجالنا ﴿ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ للحساب كما زعمتم ﴿ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ ﴾ أحياء في هذه الدنيا وجاهنا ﴿ إِن كُنتُمْ ﴾ أيها المسلمون ﴿ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ في كون الأموات أحياء يوم الحشر ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ ﴾ ﴿ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ ﴾ [فاطر: ٤٤] ﴿ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ لأجل الإنكار ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ عبثًا ﴿ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى ﴾ ينفع ﴿ مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا ﴾ أي لا ينفع صديق صديقًا لقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ [البقرة: ٤٨] ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ﴾ من المؤمنين فإنهم ينفعون إخوانهم من المسلمين لقوله تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٧] ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾.

= عليه» (*) والحديث ضعيف جدًا رواية لأجل موسى بن عبيد ويزيد بن أبان فلا تعجل، وغير مقبول دراية لما أن فيه عبدًا نكرة تعم المؤمن والكافر والمشرك بل والدهري فكيف تبكي السماء على موت الكافر والمشرك والدهري فافهم.

(*) رواه الترمذي رقم (٣٢٥٤) في التفسير وباب ومن سورة الدخان. وتمام كلامه: وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ ﴾ دردي الزيت الأسود في اللون ﴿ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الماء الحار يقال: ﴿ خُذُوهُ ﴾ أي الأثيم ﴿ فَٱعْتِلُوهُ ﴾ سوقوه ﴿ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾ [الزمر: ٧١] ﴿ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ﴾ يقال له: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ المعزز في الدنيا ﴿ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ المكرم لدى أصحاب الدنيا وإلا فعند أهل الدين - لا- لقوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٢] ﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ العذاب ﴿ مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ تشكون ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ ﴾ يأمن فيه صاحبه من الجزع والفزع لقوله تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الحجر: ٤٨] ﴿ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ الأمر ﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ أي جعلنا أزواجهم حسناء بحيث يحور فيهن النظر من الصفاء وعظمة الأعين لقوله تعالى: ﴿ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٠] ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ من نفادها وانقطاعها لقوله تعالى: ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ [التين: ٦] ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ قبل الحشر ﴿ وَوَقَىٰهُمْ ﴾ ربهم ﴿ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ ﴾ أي دخول الجنة ﴿ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ ﴾ أي القرآن ﴿ بِلِسَانِكَ ﴾ العربي ﴿ لَعَلَّهُمْ ﴾ أي مخاطبيك ﴿ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أولًا ثم يذكرون غيرهم لقوله تعالى حاكياً عن النبي ﷺ ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩] ﴿ فَٱرْتَقِبْ ﴾ يا محمد عاقبة أمرهم ﴿ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ ما يؤول إليه أمرك لقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ [التوبة: ٥٢].

سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية

﴿ حمٓ ﴿١﴾ ﴾ أنا الرحمن الرحيم ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي القرآن ﴿ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ ﴾ على الأرض ﴿ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ ﴾ دالات على كمال قدرتنا ﴿ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ أي لمن كان مستعدًّا لتسليم الحق لا من كان جاحدًا كل الجحود لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق: ٣٧] ﴿ وَ ﴾ في ﴿ ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَ ﴾ في ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي السحاب ﴿ مِن رِّزْقٍ ﴾ ماء ﴿ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ ﴾ في ﴿ تَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ﴾ من المشرق إلى المغرب مرة ومن الجنوب إلى الشمال أخرى ﴿ ءَايَٰتٌ ﴾ دالات على وجود الصانع ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ أي يعلمون أن ما بالغير لا يمكن أن يتكون بغير ما بالذات لقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النجم: ٤٢] ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ أحكامه ﴿ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ ﴾ كذاب على الله بالافتراء ﴿ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ ﴾ على الذنوب ﴿ مُسْتَكْبِرًا ﴾ لقوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الواقعة: ٤٦] ﴿ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ كأن في أذنيه وقرًا ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ﴾ ﴿ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ﴾ [التوبة: ١٢٤] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ﴾ وبئس المهاد ﴿ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا ﴾ القرآن ﴿ هُدًى ﴾ من الله ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ أي من نوع عذاب أليم.

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ ﴾ أي بخلقه الخشب كذا والحديد كذا والماء كذا ﴿ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ بالتجارة ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ أي من فضله لقوله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣] ويذكر لكم هذه ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ فيصلون إلى النتيجة الحقة ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾[1] أي للكفار الذين لا يرجون لقاءه

---

(١) نزلت في أناس من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في أذى شديد من قبل أن يؤمروا بالقتال =

﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٞ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٨٨ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٞۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٨٩﴾ [الزخرف: ٨٩] وأمر الغفران غير[1] مقيد بزمان لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ۝٦٣﴾ [الفرقان: ٦٣] ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾ من الكفر والشرك اللام للعاقبة أي يكون عاقبة أمرهم الجزاء بكسبهم ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۖ﴾ هذا إعلام من الله ﴿ثُمَّ﴾ بعد الموت ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١٥ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦﴾ في زمانهم لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلْأَمْرِۖ﴾ أي الأحكام الواضحة من أمر الدين ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ﴾ في أمر الدين ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ بأن اختلافهم غير مرضي عند الله ﴿بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۚ﴾ أي اختلفوا فيما بينهم لأجل الحسد بينهم (أعاذنا الله منه) بغيًا مفعول لأجله من قبيل قعدت عن الحرب جبنًا ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٧﴾ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أي الدين ﴿فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨﴾ أي الضالين من اليهود والنصارى والمشركين وإن كانوا أولي علم لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارَۢاۚ﴾ [الجمعة: ٥] ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ﴾ عذاب ﴿ٱللَّهِ شَيْـٔٗاۚ﴾ أي إن اتبعت أهواءهم، الكلام على الفرض ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٖۖ﴾ ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝١٩﴾ يهديهم إلى صراط مستقيم ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى﴾ عطف تفسير ﴿وَرَحْمَةٞ لِّقَوْمٖ يُوقِنُونَ ۝٢٠﴾ خصوا بالذكر لأنهم هم المنتفعون ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي يعملون السيئات ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحْيَاهُمْ﴾ في الحياة الدنيا ﴿وَمَمَاتُهُمْۚ﴾ في الآخرة لما أنهم يزعمون أنه لا جزاء لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٣٧﴾ [المؤمنون: ٣٧] ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٢١﴾

= فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية (معالم ٧/ ٢٤٣).

(١) إشارة إلى أن الآية غير منسوخة (منه).

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي بالنتيجة الصادقة من الجزاء على أعمال العباد لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [صٓ: ٢٧] ﴿وَ﴾ يحشر كل شيء بعد الإعدام ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه: ١٥] ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[1] اتبع هواه إلى ما يسوقه ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي مع علم غير مفض إلى خشية الله لقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النجم: ٢٩، ٣٠] ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ أي بعد ما أضله الله على غوايته ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ ما يؤول إليه أمركم ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ﴾ أي نهلك بدوران الدهر لقول الشاعر:

أشاب الصغير وأفني الكبير كر الغداة ومر العشي

يريدون ليس علينا شيء من الحساب ولا من الجزاء ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ﴾ دليل قطعي على دعواهم ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي يخرصون ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ دالات على الحشر والجزاء بحيث لا يسوغ لهم الرد ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾ جوابهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ الميتين أحياء ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ اليوم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ فيجهلون ولا يتفكرون في أن العامل وغير العامل لا يستويان لقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [صٓ: ٢٨].

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ الذين يختارون الباطل على الحق لظهور نتائج أعمالهم القبيحة لقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ﴾ [الكهف: ٤٩] ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ﴾ باركة على الركب ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ الذي فيه أعمالها لقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٤] ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ يقال: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ أي كتاب أعمالكم

---

(١) هذه الكريمة أشد على العلماء. اللهم اجعل ما علمنا لنا لا علينا (منه).

الذي كتب بأمرنا ﴿ يَنطِقُ ﴾ يظهر ﴿ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ ﴾ أي تكتب ملائكتنا ﴿ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار: ١٠ـ١٢] ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يقال لهم توبيخًا: ﴿ أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ فذلك الجزاء ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾ تفسير للوعد ﴿ قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴾ أي لا نصدق بها بل نكذب ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ مؤمنين بما قلتم ﴿ ﴾ ﴿ وَبَدَا لَهُمْ ﴾ أي يبدو لهم ﴿ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم ﴾ ينزل بهم ﴿ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ﴾ لهم تيئيسًا من الروح ﴿ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ بالإنكار بترك العمل على مقتضاه ﴿ وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ ﴾ أي جعلتم ﴿ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ﴾ مهزوءًا بها ﴿ وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ بنضارتها ﴿ فَالْيَوْمَ ﴾ أي يوم القيامة ﴿ لَا يُخْرَجُونَ ﴾ الكفار ﴿ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ أي لا يسلب منهم العتاب ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ ﴾ والعظمة ﴿ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾.

سورة الأحقاف مكية وهي خمس وثلاثون آية

﴿ حم ﴿١﴾ ﴾ أنا الرحمن الرحيم ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أي بالنتيجة الحقة ﴿ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ مقرر لانعدامها لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ [الكهف: ٨] ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا ﴾ من عذاب الله ﴿ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ لا يبالون به ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم ﴾ أخبروني ﴿ مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ كائنًا من كان ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ من شيء ﴿ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا ﴾ القرآن ﴿ أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ أي ائتوا بدليل عقلي أو نقلي على جواز الشرك ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ وأنى لهم هذا لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾

[المؤمنون: ١١٧] ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وهذا شأن الخلق كلهم كائناً من كان لا يجيب أحد لأحد لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤] ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾ ليس لهم حس ولا علم بعبادتهم لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤] ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾ يوم القيامة ﴿كَانُوا۟ لَهُمْ﴾ أي للمشركين ﴿أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ ينكرونها ويبغضونهم لقوله تعالى: ﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢﴾ [مريم: ٨٢] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ سموا القرآن سحرًا لتأثيره في القلوب لقوله تعالى: ﴿مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ﴾ محمد ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ﴾ لقوله تعالى: ﴿فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [هود: ٣٥] ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ﴾ من التكذيب والاستهزاء ﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٨﴾ ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا﴾ بديعًا ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي لست بأول الرسل بل لي أمثلة سبقت لقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ﴾ غدًا في الدنيا لأني لا أعلم الغيب لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨] لا في الآخرة لأنه كان معلومًا له عليه السلام ولو في الجملة لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٨﴾ [التحريم: ٨] ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾ بين الإنذار ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ أي علماء بني إسرائيل على صدقه لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧]. ﴿فَـَٔامَنَ﴾ أي هم لقوله تعالى: ﴿۞ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣] ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان جواب إن محذوف أي كنتم ظالمين لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ لزعمهم أن من كان قليل ذات اليد لا يستحق أن يكرم بأية كرامة دينية أو دنيوية لقوله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١] ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ﴾ أي بالقرآن ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَ﴾ أنزل ﴿مِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ حالان ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ لما بين يديه من المضامين الحقة ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ أي في لسان عربي لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [الدخان: ٥٨] ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ من مشركي العرب ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ الذين يعملون به ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ بيان للمحسنين ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وحده ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ على ذلك بأن لم يميلوا ولن يميلوا إلى أحد مدة الحياة لقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ [المزمل: ٨] ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ أداء الحقوق بحسن الخدمة ووجهه أنه ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾ أي مع الثقل والوجع ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ الجملة علة للوصية ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ عن الرضاعة ﴿ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ تسعة أشهر للحمل واحد وعشرون للرضاعة فهذه المدة باعتبار الأكثر فقد يكون جميع المدة أزيد من هذا لقوله تعالى: ﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ بلوغه وحلمه ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾[1] وفقني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ بالإسلام ﴿وَ﴾ وفقني ﴿أَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾[2] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ أحسن بمعنى حسن والإضافة بيانية لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ[3] مِثْقَالَ

(١) قال علي: نزلت في أبي بكر الصديق، أسلم أبواه جميعًا ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أبواه غيره (معالم ٧/ ٢٥٧).

(٢) هذا تصوير للمحسنين والمعنى أن المحسنين يشكرون والديهم من حين البلوغ إلى آخر العمر والمقصود بالأربعين آخر العمر لا عدد خاص لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] والدعاء لصلاح الأولاد داخل في صلاح المؤمن لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤] الآية (منه).

(٣) فإن الآية الكريمة تدل على أن الله يقبل كل عمل حسن فكيف يصح الإنعام بقبول الأحسن=

ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ [الزلزلة: ٧] ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ حال كونهم داخلين ﴿فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ من الله في الدنيا ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ﴾ المسلمين ﴿أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ﴾ من قبري حيًّا يوم البعث ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ ولم يجيئوا أحياء ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ يدعوان له ﴿وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بعباده ﴿حَقٌّ فَيَقُولُ﴾ الولد ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ أي حكم العذاب ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ أي مع أمم ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ﴾ الكافرين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ لخسران عاقبتهم علة لحق القول عليهم الأصح أن الآيتين تصوير لكلا قسمي الإنسان الطائعين والعاصين للوالدين لأجل الحث على الأفعال الحسنة والمنع عن السيئة كقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣] فيشمل فردًا موجودًا زمن الرسالة فافهم ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من المؤمنين والكافرين ﴿دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ﴾ من الخير والشر ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٤٤] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ يقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ لقوله تعالى: ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد: ١٢] ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ هودًا ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ موضع لهم ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ بهذا المضمون ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا﴾ لتصرفنا ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ متى يأتيكم العذاب ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ من الأحكام ﴿وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ حيث تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي العذاب ﴿عَارِضًا﴾ أي في صورة السحاب ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ﴾ خبر بعد خبر قيل لهم: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ﴾ أي طلبتم العذاب هو ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ لقوله تعالى: ﴿مَا نَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ

= فقط فافهم (منه).

﴿عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤٢] ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ هلكى ﴿لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ ليس فيها حي لقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ أي لم نمكن لكم من القوة الجسمانية والسياسة الملكية لقوله تعالى: ﴿وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾ [سبأ: ٤٥] ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾ يسمعون به ما يفيدهم في الدنيا ﴿وَأَبْصَٰرًا﴾ يبصرون بها فوائد الدنيا ﴿وَأَفْـِٔدَةً﴾ يتدبرون بها في معاشهم فالمجمل أنهم ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر: ٨] ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾ من المواعيد الإلهية.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم﴾ يا أهل مكة ﴿مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ كحجر ثمود وأرض سدوم ونحوهما ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟﴾ إياهم ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً﴾ آلهة مفعول به ثان لاتخذوا وقربانًا مفعول له أي اتخذوا الآلهة تقربًا إلى الله لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] ﴿بَل ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ﴾ أي ذهلوا عن ذكر الآلهة ﴿وَذَٰلِكَ﴾ الزعم ﴿إِفْكُهُمْ﴾ كذبهم على الله ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أي إفكهم وافتراؤهم على الله من أنهم ﴿شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟﴾[1] فيما بينهم ﴿أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ﴾ تلاوته ﴿وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ إياهم على المعاصي ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ[2] مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ محمدًا عليه السلام يدعو الناس إليه لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨] ﴿وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ﴾ الله ﴿لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ أي لا يطع رسوله الجزاء محذوف أي فلن يضر الله شيئًا والدال على الجزاء

---

(١) عن ابن مسعود قال: هبطوا يعني الجن على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا: أنصتوا قالوا: صه فأنزل الله هذه الآية (فتح البيان ١٣/ ٣٦).

(٢) كانوا يعلمون ويصدقون بالتوراة (منه).

﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ﴾ لقوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ لا يشك فيه أحد ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ[1] بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ و﴿يَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ فيقال لهم: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ العذاب ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ كما كنتم تزعمون ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ﴾ يا محمد ﴿كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ حتى جاء نصرنا ﴿فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف: ١١٠] ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ القضاء ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ لم يلبثوا خبر لكأن كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٦] فلفظة كأن واردة على اللبث لقوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المؤمنون: ١١٢، ١١٣] هذا القرآن ﴿بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ الظالمون الذين لا يعملون به لقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

سورة محمد ﷺ مدنية وهي ثمان وثلاثون آية

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ﴾ أحبط ﴿أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾﴾ الحسنة على كفرهم لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة: ٢١٧] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ أي القرآن ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾﴾ حالهم في الدنيا بالتوكل على الله والانقطاع إليه وفي

(١) فيه رد على اليهود والنصارى حيث كتب في كتبهم أنه صنع الرب السماء والأرض في ستة أيام وفي اليوم السابع استراح وتنفس (الباب الحادي والثلاثون من الكتاب الثاني من التوراة) لأن الاستراحة مبني على العي فإذا انتفى انتفى (منه).

الآخرة بإعطاء الأجر الكامل لقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟﴾ الدين ﴿ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ النازل ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ القرآن فاختاروا التوحيد فلذا امتازوا في النتيجة لقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨] ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾﴾ أي يبين لهم من شرائعهم ما يعملون ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ أي اضربوا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ قتلتموهم حتى صاروا مغلوبين منهزمين ﴿فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾ أي الأسر ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ يعني بعد أن أسرتموهم لكم الأمران أخذ الفداء منهم أو الإحسان إليهم بتخلية سبيلهم بلا أخذ شيء فاختاروا منهما ما يناسب شأنكم وحالكم منا وفداء مفعول مطلق ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ غاية لضرب الرقاب أي قاتلوهم ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] ﴿ذَٰلِكَ﴾ حكم الله ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ فأهلكهم بعذاب من عنده ﴿وَلَٰكِن﴾ أمركم بالضرب ﴿لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ﴾ يبطل الله ﴿أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾ بل تثمر لهم ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ بعد الموت إلى معرفته التامة ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ في الدنيا بقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [محمد: ١٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي دينه ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ على عدوكم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ على الدين عند الاضطراب والامتحان لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا﴾ هلاكة ﴿لَّهُمْ وَأَضَلَّ﴾ أبطل ﴿أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي إطاعته ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ﴾ أي أهلكهم ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ هؤلاء ﴿أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾﴾ أي مثل عاقبة الذين من قبلهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ الفرق بين الفريقين ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ ناصر ينصرهم في المصائب وإلا فمولاهم المزعوم الطاغوت لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ ﴾ لأجل أنه ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَل هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ﴿ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ ﴾ من مكة مبتدأ ﴿ أَهْلَكْنَٰهُمْ ﴾ خبر ﴿ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾ هداية ﴿ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٤﴾ ﴾ - لا - لقوله تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [ص: ٢٨] ﴿ مَّثَلُ ﴾ صفة ﴿ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ منتن ومتغير ﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ ﴾ لذيذة ﴿ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ هل أهل هذه النعماء ﴿ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ - لا - لقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحشر: ٢٠] ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ ﴾ يصغي ﴿ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ﴾ محمد ﴿ ءَانِفًا ﴾ الآن لم نفهمه وكيف يفهمون ﴿ وَّقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ﴾ [المائدة: ٦١] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ وفقهم للعمل بما أمرهم لقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ [الليل: ٥-٧] ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ ﴾ المشركون ﴿ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ ﴾ أي علاماتها وهو تعذيب المشركين مرارًا لقوله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [السجدة: ٢١] ﴿ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ ﴾ أي من أين لهم التذكر يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفجر: ٢٣] ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ الاستغفار لذنب نفسه عليه السلام استدفاع للذنب أن يحل به لأنه عليه السلام كان معصومًا لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ[1] لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] وللمؤمنين لغفرانهم

---

(١) لأن الله سبحانه جعله عليه السلام أسوة لنا مطلقًا فلو كان يصدر منه ذنب لكان اتباعه مفضيًا إلى الذنب في الجملة فكأن الله أمرنا بالمنكرات وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [النحل: ٩٠] فافهم.

لأنهم لم يكونوا معصومين لقوله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣] أو الخطاب لكل مؤمن من الأمة أي أيها المؤمن استغفر لنفسك وللمؤمنين فقل: اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠] ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ في النهار لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الفرقان: ٤٧] ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ في الليل على الفرش لقوله تعالى: ﴿إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ [القصص: ٧٢].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ تأذننا للجهاد ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ مؤكدة ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ نفاق لقوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ﴾ [البقرة: ١٠] ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ﴾ ﴿يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ﴾ [النساء: ٧٧] ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ﴾ أي الأنسب لهم الطاعة المعروفة لا الإعراض لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ [النساء: ٦٦] ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي جد الأمر ووجب القتال لأجل الضرورة ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ما وعدوه بإظهار الإخلاص لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٠٤] ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أيها المنافقون ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي المرجو منكم وقت التولي عن مجلس المسلمين ﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة: ٢٠٥] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ عن رؤية الحق المعقول لا عن رؤية المحسوس لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦] ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ في آياته عامدين ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ أغطيتها والواقع الشق الثاني لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً

أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ فقبلوها لقوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ﴾ [آل عمران: ٨٦] ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ زين لهم ما يعملون ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ أي غرهم بطول الحياة الدنيا لقوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد: ١٤] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الارتداد ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ أي مخالفة المسلمين لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ [الحشر: ١١] ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ تذليلًا وتوهينًا ﴿ذَٰلِكَ﴾ الضرب ﴿بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ أي لم يبالوا به ولم يؤثروه لقوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧] ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾ بلى يظهر ما في قلوبهم من الحسد والبغض للمؤمنين لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ﴾ بأشخاصهم ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ الآن ﴿فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ أي في أداء المضمون حيث يتكلمون يلوون ألسنتهم كالكاذبين ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ أي نظهر ما في قلوبكم وما على ألسنتكم من الإخلاص لقوله تعالى: ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي علموا صدق الرسول ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ بل يضرون أنفسهم لقوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم: ٨] ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾ لا ينتفعون بها شيئًا لقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣] ﴿﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟

﴿ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ بالسمعة والإيذاء لقوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤] أو بعدم احترام الرسول وقلة المبالاة به عليه السلام لقوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحجرات: ٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ لم يتوبوا ﴿فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] ﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾ عن الحرب ﴿وَ﴾ لا ﴿تَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ أنتم أنفسكم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩] ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ﴾ أي لن ينقصكم ﴿أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣] ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ باطل وغرور لا ثبات ولا قيام لها لقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ [الحديد: ٢٠] ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ الله حق تقاته ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾ لأنه هو المعطي الرازق وأنتم المعطى المرزوق لقوله تعالى: ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾[طه: ١٣٢] ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا﴾ فرضا ﴿فَيُحْفِكُمْ﴾ يجهد عليكم بالإلحاح ﴿تَبْخَلُوا۟﴾ لا تعطوه شيئا للبخل كما هو عادتكم لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠] ﴿وَيُخْرِجَ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾ بغضكم للمسلمين لأجل محبة المال ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ﴾ فإنه كان يصل أجره إليها لقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ﴾ عنكم وعن نفقاتكم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ عن الطاعة ﴿يَسْتَبْدِلْ﴾ في مقامكم ﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ في البخل والتولي والإعراض عن الحق.

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ ﴾ بينًا يظهر آثاره من دخول الناس في الإسلام وشيوع الإسلام في الأقطاع وهو فتح مكة المكرمة زادها الله شرفاً وإكرامًا لقوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ ﴾ [النصر: ١، ٢] ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ أي ليظهر[1] على الناس أنك مغفور له ومعفو عنه قبل الفتح وبعده أيضًا لقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء: ١١٣] ﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ ﴾ بتمكينك في الملك لقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] ﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ ﴾ أي ليوصلك على ما هو مقصود من إرسالك من إصلاح الدنيا عمومًا والعرب خصوصًا لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ﴾ [الشرح: ١، ٢] ﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ ﴾ لا غبار عليه لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٢] ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يوم الحديبية حين اضطربوا على الصلح مع المشركين على الشروط غير المرضية عندهم ﴿ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ أي يصلوا حيث تكون الطاعة يسيرة لهم ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي منقادة لحكمه سبحانه ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم: ٦] ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ﴾ اللام متعلقة بأنزل ﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ الذين يشكرون هذه النعمة ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ

---

(١) الأحسن عندي أن المشركين سوى قريش كانوا ينتظرون الفتح ويقولون: دعوه فإنه إن ظهر على قومه فإنه نبي حقًّا فلما فتح الله تعالى مكة دخلوا في الإسلام أفواجًا كما قال الله تعالى: ﴿ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ [النصر: ٢] فهذا هو المراد بقوله سبحانه: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ﴾ الآية أي ليعلم الناس المنتظرون الفتح أنك صادق بار راشد تابع للحق فيتبعوك فاندفع ما أشكل من كون الغفران ومعطوفه علة للفتح فافهم (منه).

﴿وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ بقولهم: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٩] ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ينصر بها من يشاء من عباده المؤمنين لقوله تعالى: ﴿إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝١٢٥﴾ [آل عمران: ١٢٥] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿شَٰهِدًا﴾ تشهد يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١﴾ [النساء: ٤١] ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟﴾ أيها الناس ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ كما يعلمكم ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ تعينوه ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي الرسول بعدم المخالفة لأمره لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ أي سبحوا الله بالغدو والآصال لقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ[1] لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[2] معنىً لأنك رسوله والمعاملة بالرسول كأنها بالمرسِل لقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ﴾ بيعته ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ لأن وباله عليه لا على غيره لقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ من البيعة والثبات على الدين ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠﴾.

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾[3] معتذرين على تخلفهم ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾

---

(١) فلا حرج في الانتشار لقيام القرينة (منه).

(٢) نزلت في أصحاب الشجرة حين بايعوا على الموت أي على ألا يفروا يوم الحديبية رضي الله عنهم (الحديث) [رواه البخاري (٢٩٦٠، ٤١٦٩، ٧٢٠٦، ٧٢٠٨) ومسلم (١٨٦٠)].

(٣) إن رسول الله ﷺ حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرًا استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذرًا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو بصد عن البيت فأحرم بالعمرة وساق معه الهدي فتشاغل عنه كثير من الأعراب واعتلوا بالشغل فنزلت (معالم ٧/ ٣٠٠، ٣٠١).

أي تخلفنا عنك لأجل الاشتغال بإصلاح المال لا لأجل النفاق لأنا مخلصون ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ يغفر الله لنا ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من الإخلاص وطلب الاستغفار ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ أي لا ينفعكم دعائي فإن الله لا يطهر قلوبكم ولا يغفر ذنوبكم لقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦] ﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ بالسلامة لقوله تعالى: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ [التوبة: ٩٨] ﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ﴾ التخلف ﴿فِى قُلُوبِكُمْ﴾ لما تيقنتم الفلاح فيه ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ هلاكة المؤمنين ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ هلكى ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ على ظلمهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ أي المتخلفون ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا﴾ أي أجيزونا ﴿نَتَّبِعْكُمْ﴾ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ الذي أخبر به عما في ضميرهم من أنهم لا يتبعونكم لقوله تعالى: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: ٨٣] أي يريدون أن يظهروا كذب قول الله عز وجل المذكور في المنافقين بالاتباع إلى منزل قريب ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ إلى المعركة ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ كما مر آنفًا ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ على حصول الغنيمة -لا- ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ هو ما فيه فائدتهم العاجلة لقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١] ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ من هم فيه اختلاف[1] ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ أي بعضهم يحاربونكم وبعضهم يسلمون فأو للتوزيع ﴿فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ عام الحديبية ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾ الله ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ وإن كان المرجو بل المتيقن منكم الشق الثاني لقوله تعالى: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟﴾ الآية

---

(١) قال ابن عباس ومجاهد وعطاء: هم فارس. وقال كعب: هم الروم. قال الحسن: هم فارس والروم. وقال سعيد بن جبير: هوازن وثقيف وغير ذلك (معالم ٧/ ٣٠٢، ٣٠٣).

[التوبة: ٨٣] ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في التخلف عن المحاربة لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧] ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾.

﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[1] يوم الحديبية على المقاتلة ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من الوفاء والصدق والإخلاص ﴿فَأَنزَلَ﴾ الله ﴿ٱلسَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فانقادوا لأمر الرسول ﷺ ﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ أي قدر لهم فتح مكة المكرمة أو فتح خيبر ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ سواها ﴿تَأْخُذُونَهَا﴾ في حياة النبي ﷺ وبعده ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ الغنائم يوم خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ عن القتال يوم الحديبية ﴿وَ﴾ عجل لكم هذه ﴿لِتَكُونَ﴾ المغانم ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ليعلموا أن الخير كله في طاعة الرسول عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ [النساء: ٦٦] ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾ أي يوفقكم للأعمال الصالحة لقوله تعالى: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [المائدة: ١٦] ﴿وَ﴾ قدر لكم غنيمة ﴿أُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ إلى اليوم ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ من الفرس والروم ومصر وغيرها لقوله تعالى: ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الفتح: ٢٨] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يوم الحديبية ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾ من نصره رسله بعد مدة قدرها الله في علمه لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤] سنة منصوب بنزع الخافض أي كسنة الله ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ يوم الحديبية ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ بحكمة بالغة لما أن فيهم من يرجى خيره لقوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ

---

(١) نزلت في الصحابة الذين بايعوا النبي ﷺ يوم الحديبية وهم أصحاب الشجرة (منه).

رَّحِيمٌ ۝٧ ﴾ [الممتحنة: ٧] ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝١٠ هُمُ ﴾ أي المظفر عليهم ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ أن تصلوا فيه يوم الحديبية ﴿ وَٱلْهَدْىَ ﴾ معطوف على الضمير المنصوب ﴿ مَعْكُوفًا ﴾ حال من الهدي ﴿ أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ ﴾ محبوسون في مكة المكرمة ﴿ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ ﴾ صفة للمؤمنين والمؤمنات أي لولا مخافة أو كراهة أن تقتلوا المؤمنين بغير علم لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ﴾ [النساء: ٩٢] ﴿ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أي مغرمة هي إعتاق رقبة لقوله تعالى: ﴿ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء: ٩٢] جواب لو محذوف أي لأذن لكم للقتال لقوله تعالى الآتي: ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ ﴾ الآية ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ من أهالي مكة هذا هو العلة لكف المقاتلة بين الفريقين ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ ﴾ أي تميز المؤمنون ﴿ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٢٥ ﴾ بما شئنا ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ ﴾ الظرف متعلق بكف الآية ﴿ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ﴾ أي غضبًا وشدة مثل غضب الجهال ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ ﴾ أي الطمأنينة والاعتماد على مواعيده سبحانه ﴿ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فانقادوا لأمر رسول الله ﷺ ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ أي الخشية لله ﴿ وَكَانُوٓا۟ ﴾ كلهم ﴿ أَحَقَّ بِهَا ﴾ من سائر الناس ﴿ وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٢٦ ﴾

﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ﴾[1] هي هذه ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ أي بعضكم كذا وبعضكم كذا ﴿ لَا تَخَافُونَ ﴾ أحدًا ﴿ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ ﴾ من الصلاح والفلاح في الصلح ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ ﴾ أي وراء ذلك الدخول ﴿ فَتْحًا قَرِيبًا ۝٢٧ ﴾ أي فتح مكة زادها الله شرفا وتعظيمًا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ ﴾ الآية ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ

---

(١) كان رسول الله ﷺ رأى في المنام أنه دخل مكة المكرمة محرماً فتهيأ من نفسه للدخول فلم ينالوا ما راموا بل صالحوا المشركين على أن يرجعوا في العام المقبل كما هو مصرح في كتب الحديث والتاريخ فنزلت هذه الاية إذ ذاك أو حين طاف عاما مقبلا وصيغة الماضي تقتضي الثاني. والله أعلم (منه).

﴿ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ بالحجة والبرهان في الدين لقوله تعالى: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾ [الأحقاف: ٤] وفي السياسة بالسيف لقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ يشهد على صحة ما ادعى أي يظهره لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨] ﴿مُّحَمَّدٌ﴾ موصوف ﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ صفة الموصوف مبتدأ ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ عطف على المبتدأ ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ وقت المقاتلة والمقابلة أي لا يضعفون ولا يستكانون لهم عملاً بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [محمد: ٣٥] ليس المراد بالشدة الغلظة بالقول وسوء الأخلاق لقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] وقوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤] ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ في كل حال وفي كل وقت لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ أي مصلين حال كونهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ أي يعملون مخلصين لله لقوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل: ١٩، ٢٠] ﴿سِيمَاهُمْ﴾ أي علاماتهم ﴿فِى وُجُوهِهِم [١] مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ لما أنهم يسجدون لله لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٤] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي كونهم بصفة العبادة لله سبحانه ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أي في الكتاب الخامس منها[٢] ههنا تم الكلام

---

(١) المراد بالوجوه ذواتهم لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الزمر: ٢٤] أي إن الصلاة أثرت في نفوسهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

(٢) المرقوم هناك هكذا:

جاء الرب من سينا وأشرق لنا من ساعير استعلن من جبل فاران ومعه ألوف الأطهار (الباب الثالث والثلاثون).

فألوف الأطهار إشارة إلى أصحاب رسول الله ﷺ قد مر نبذ في سورة البقرة [١٤٤] من هذا التفسير.

﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ ﴾ أي في إنجيل متى[1] ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ ﴾ أي نباته ﴿ فَـَٔازَرَهُۥ ﴾ أي قواه الزرع والنسبة مجاز ﴿ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ أي تم وكمل في وجوده بحيث ﴿ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾ يفرحون به هذا مثل ضربه الله لأصحاب رسول الله ﷺ في الإنجيل أنهم يكونون قليلاً ثم يزدادون ويكثرون لقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾ [النساء: ٩٤] وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٣] ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾[2] أي المؤمنون يفرحون بكثرة الصحابة لقوله تعالى: ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩] والكافرون يتغيظون بهم لقوله تعالى: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ﴾ [آل عمران: ١٢٠] ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ ولفظة من للبيان لا للتبعيض لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٤].

---

(١) المرقوم هناك هكذا: كلمهم (أي المسيح) كثيرًا بأمثال قائلاً: هو ذا الزارع قد خرج ليزرع وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق فجاءت الطيور وأكلته وسقط آخر على الأماكن المحجرة حيث لم تكن له تربة كثيرة إلى أن قال: وسقط آخر على الأرض الجيدة فأعطى ثمرًا بعض مائة وآخر ستين وآخر ثلاثين من له أذنان لسمع فليسمع ثم قدم لهم مثلاً آخر قائلاً: يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله وهي أصغر جميع البذور ولكن متى نمت فهي أكبر البقول وتصير شجرة حتى أن طيور السماء تأتي وتتآوى في أغصانها انتهى بلفظه من الباب الثالث عشر من الإنجيل العربي.
فهذا كله عمومًا والتمثيل الأخير خصوصًا إشارة إلى الأصحاب رضي الله عنهم حيث كانوا أولاً ضعفاء لا يستطيعون ضربًا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء كما قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: ٩٤] ثم كثروا وصاروا ما صاروا ما بينه الله سبحانه في هذا المقام بقوله تعالى: ﴿ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ ﴾ الآية (منه).

(٢) الآية الكريمة تدل على أن الغيظ بالصحابة علامة الكفر ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [الحشر: ١٠] فافهم ولا تكن من الغائظين (منه).

سورة الحجرات مدنية وهي ثمان عشر آية

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ أي لا تعملوا ما لم يأمركم الله ورسوله يعني لا تبتدعوا في الدين شيئًا لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ ﴾ [الحشر: ٧] ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ تأدبًا له عليه السلام ﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ ﴾ أي لأجل خوف حبوط الأعمال على سوء الأدب لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٩ ﴾ [الفرقان: ٨، ٩] ﴿ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ ﴾ الجملة حال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ أي لا يرفعونها ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ أي أخلصها وأظهر خلوصها ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ ﴾[1] بل يجهلون ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ ﴾ يغفر لهم إن تابوا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾[2] فتحققوا خبره ﴿ أَن ﴾ أي كي لا ﴿ تُصِيبُواْ ﴾ بالقتل وغيره ﴿ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦ ﴾ حين يظهر قبحه ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ مما تخبرونه ﴿ لَعَنِتُّمْ ﴾ وقعتم في المشقة والضرر لعدم عصمتكم ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ ﴾ فكيف يكون الرسول مطيعًا لكم وهو مطاع لكم لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١ ﴾ [الأحزاب: ٢١] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الذين يكرهون الكفر والفسوق ﴿ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ ﴾ المهتدون لقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ

---

(١) قال ابن عباس قدم بنو العنبر فجعلوا ينادون يامحمد اخرج إلينا ويضجون حتى أيقظوه من نومه فنزلت (معالم ٧/ ٣٣٧).

(٢) نزل عاما لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق (التفسير الكبير ١٠/ ٩٨).

﴿ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦] كان هذا ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ عليهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨﴾ ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ﴾ أي الفريقان ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ أو اختصموا ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ بأي حيلة كانت ﴿فَإِنۢ بَغَتْ﴾ اعتدت ﴿إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ﴾ وأبت أن تجيء إلى كتاب الله ﴿فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾ تجور ﴿حَتَّىٰ تَفِىٓءَ﴾ ترجع ﴿إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ وحكمه أي تسلم بما في الشريعة ﴿فَإِن فَآءَتْ﴾ رجعت إلى الله ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾ لا تجوروا عليها انتقامًا لإنكارها أو اعتدائها أولًا ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟﴾ أنصفوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إذا اختلفا ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾[1] بشيء من الاستهزاء والتحقير ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ السوء أي لا يلقب بعضكم بعضًا بألقاب غير مرضية ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ[2] بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي لا ينبغي الفسوق بعد الإيمان ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ السوء ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ﴾ أي السوء ﴿إِثْمٌ﴾ ذنب ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ أحوال الناس ما يفعلون بالغيبة عنكم ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي لا يذكره في الغيبة بما يكره لقوله عليه السلام حين سئل عن الغيبة: «**ذكرك أخاك بما يكره**»[3] (الحديث) ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ فالغيبة مثل لحم الميتة عند الله ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ۝١٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ كيف يتفضل أحد على أحد والحال ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ آدم وحواء ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ بينكم أقربكم نسبًا وإلا فلا فخر بالنسب لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ كائنًا من كان ومن أي قوم كان لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ

---

(١) كان بعض الناس يستهزؤون بفقراء المهاجرين فأنزل الله هذه الآية.

(٢) بدل من الاسم (منه).

(٣) رواه مسلم (٢٥٨٩) وأبو داود (٤٨٧٤) والترمذي (١٩٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

خَيْرُ ﴿١٣﴾ ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾[1] بالقلوب وهو المطلوب لقوله تعالى: ﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١] ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ باللسان فقط لقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧] ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ التي هي محل الإيمان لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦] ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم﴾ لا ينقصكم ﴿مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملون ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ أي ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] ﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ في إيمانهم ﴿قُلْ﴾ للأعراب المنافقين ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ أي تعلمونه إيمانكم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ ولا يسع علمه بإيمانكم لعدمه لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢] ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ أي إسلامهم ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم﴾ ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ بإرسال الرسول إليكم لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ أنكم مؤمنون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ فيجازيكم عليها.

سورة قٓ مكية وهي خمس وأربعون آية

﴿قٓ﴾ أنا القادر القيوم ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾ ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٢٣] ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾ أي الكفار ﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا﴾ أي إخبار النبي محمد بحشر الأجساد ﴿شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾ عن الفهم والعقل لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ

---

(١) نزلت في نفر من بني أسد قدموا على رسول الله ﷺ في سنة جدبة فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر فأفسدوا طريق المدينة (معالم ٧/ ٣٤٩).

﴿مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ [سبأ: ٧، ٨] ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي ما تأكل من أجسادهم ﴿وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ۝٤﴾ لا يمحوه شيء وهو علمه سبحانه لقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [يس: ٧٩] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ أي القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ أي غير قابل للقبول وهو الشرك وإنكار الجزاء ﴿أ﴾ ينكرون حشر الأجساد ﴿فَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦﴾ شقوق بل هي مستوية كما ترى ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالًا ثابتة ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٧﴾ حسن منظره ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾ أي جعلنا فيها تذكرة لمن راها متذكرًا لقوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١] ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ السحاب ﴿مَاءً مُّبَارَكًا﴾ يبارك به كل شيء ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝٩﴾ إضافة الموصوف إلى الصفة على طريق مسجد الجامع أي الحبوب التي تحصد ﴿وَ﴾ أنبتنا ﴿النَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ طوالًا ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠﴾ متراكب ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ مفعول له ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ يابسًا لقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٥﴾ [الحج: ٥] ﴿كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ۝١١﴾ أي كما أن النبات تكون بعد أن كانت معدومة كذلك تخرجون من القبور يوم الجزاء لقوله تعالى: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧﴾ [سبأ: ٧] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾ هي بئر كانوا مقيمين عليها ﴿وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ أي قوم شعيب عليه السلام ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ لعله كان نبيًّا [بل هو لقب كان يطلق على كل من ملك حمير وهم سبأ] ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤﴾ كذلك هؤلاء المشركون فيحق عليهم القول لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩﴾ [الكهف: ٥٩] ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ فلا نستطيع النشأة الأخرى - لا- ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ شك ﴿مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٥﴾ أي لا يؤمنون به.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ من إنكار الله وآياته ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦﴾ الوريد عرق في العنق والإضافة للبيان ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ أي الملكان

الموكلان لقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ قعيد ﴿وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ﴾ الإنسان ﴿مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ ملك موكل لأجل الكتابة لأعمال بني آدم لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار: ١٠-١٢] ﴿وَجَآءَتْ﴾ أي تجيء ﴿سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ أي بالصدق الواقعي لا الوهمي يقال له: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾ تفر لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨] ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ أي ينفخ ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ۝٢٠﴾ للكفار ﴿وَجَآءَتْ﴾ أي تجيء ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ۝٢١﴾ السائق والشهيد لكل نفس هما من الملائكة لقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا﴾ الآية. [الزمر: ٧١] وقوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١﴾ [الانفطار: ١٠، ١١] ﴿لَّقَدْ كُنتَ﴾ أيها الكافر ﴿فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝٢٢﴾ تبصر كل شيء مما عملت لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩] ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ الشيطان لقوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [فصلت: ٢٥] ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ۝٢٣﴾ متهيأ لا يغيب ﴿أَلْقِيَا﴾ أيها السائق والشهيد ﴿فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝٢٤﴾ للحق ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ لا يطعم ولا يرغب لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ [الماعون: ٣] ﴿مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۝٢٥ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ۝٢٦﴾ الخطاب بصيغة التثنية بكل نفس وبصيغة الجمع للنوع لقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣٤﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٤] ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ المضل من الشياطين معتذرًا ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ بالقهر والغلبة لقوله تعالى حاكيًا عنه: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢] ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٢٧ قَالَ﴾ الله ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ۝٢٨﴾ على لسان الرسل لأنه ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩﴾ فأعاقبهم بلا جرم وبغير اطلاع، النفي يرجع إلى الأصل لا إلى المبالغة لقوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٤٤].

اذكر ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ كما واعدناك من قبل لقوله تعالى: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣] ﴿ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ زائد على هذا المقدار يقال لها هذا قبل أن يلقى فيها كل من كانت مهيأة له حتى يلقى فيها كل من كان أهلًا لها لقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾ [الكهف: ٢٩] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤] ﴿ وَأُزْلِفَتِ﴾ قربت ﴿ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ ينظرون إليها ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ يقال: ﴿ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ راجع إلى الله تفسير للحفيظ أي حافظ ومؤد كل ما أمره الله سبحانه لقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٣] يقال لهم: ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ على هواهم لقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: ٢١] ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ أي قوة وأخذًا لقوله تعالى: ﴿ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ [التوبة: ٦٩] ﴿ فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ أي ﴿ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الروم: ٩] مع هذا ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الزمر: ٥٠] ﴿ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾ ملجأ ومفر من الموت - لا- لقوله تعالى: ﴿ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾ [ص: ٣] ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الإهلاك ﴿ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ حاضر مستعد لقبول الحق ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾[1] إعياء وتعب لقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَعْىَ

---

(١) نزلت في اليهود حيث قالوا: يا محمد! أخبرنا بما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة فقال: «**خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، والجبال يوم الثلاثاء، والمدائن والأنهار والأقوات يوم الأربعاء، والسموات والملائكة يوم الخميس**» إلى أن قالوا: صدقت إن أتممت قال: وما ذاك ؟ قالوا: ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فأنزل الله هذه الآية ردًّا عليهم (معالم ٧/ ٣٦٤).

أقول: مبنى قولهم على التوراة الموجودة حيث كان مكتوبًا فيها أنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس. (من الباب الواحد والثلاثين من الخروج) (منه).

﴿بِخَلْقِهِنَّ﴾ [الأحقاف: ٣٣] ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ لك ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ على أذاهم ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ أي بعد الصلاة ﴿وَاسْتَمِعْ﴾ الوقائع الكائنة ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ أي يسمع كل واحد كأن المنادي قريب منه ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ اليقيني لقوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الطور: ١٥] ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ من القبور لقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ [المعارج: ٤٣] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ أي ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المعارج: ٤٣] ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ لا كما يقول المنكرون ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾ [ق: ٣] لقوله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨] ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ لك من ساحر ومجنون وشاعر وغيره ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ بمسلط بالقهر لقوله تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية: ٢٢] ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿١٥﴾﴾ فإنه ينفعه لقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥].

سورة الذاريات مكية وهي ستون آية

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾﴾ أي الرياح لقوله تعالى: ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ [الكهف: ٤٥] ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾﴾ أي السحاب التي تحمل ثقلًا من الماء لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [الأعراف: ٥٧] ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾﴾ بلا مشقة وهي الفلك لقوله تعالى: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ [البقرة: ١٦٤] ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾﴾ أي الملائكة الذين اقتسموا أوامر الله لقوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦] جواب القسم ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ من النار ﴿لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ﴾ أي جزاء الأعمال ﴿لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾﴾ لا محالة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا

تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [طه: ١٥] ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ ﴾ أي ذات الخلق الحسن لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾ [ق: ٦] جواب القسم ﴿ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ ﴾ أي مخالف للحق البدهي لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٦] ﴿ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ ﴾ أي يصرف بسماعه من كان أفاكا أثيمًا لقوله تعالى: ﴿ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الصافات: ١٦٢، ١٦٣] ﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ ﴾ غفلة ﴿ سَاهُونَ ﴿١١﴾ ﴾ لاهون لاعبون غافلون عن أمر الله غفلة الإعراض لا غفلة النسيان لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [يونس: ٧، ٨] ﴿ يَسْـَٔلُونَ ﴾ مستهزئين ﴿ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ ﴾ يكون هذا ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ يعذبون يقال لهم: ﴿ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ ﴾ عذابكم ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ في الدنيا تقولون: ﴿ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ص: ١٦] ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ من النعماء ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ ﴾ في الدنيا ﴿ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ بيان إحسانهم أنهم ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ ما نافية والهجع النوم أي كانوا يصلون قليلا من الليل لقوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود: ١١٤] ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ ﴾ قبل الصبح ﴿ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ الذي لا يسأل وهو محتاج لقوله تعالى: ﴿ وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ﴾ [الحج: ٣٦] ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ ﴾ دالات على وجود الصانع ﴿ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ لا للمعاندين لقوله تعالى: ﴿ مَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١] ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ آيات أيضا ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ لا تتفكرون ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ أمر رزقكم وأمر مواعيدكم من السماء لقوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [السجدة: ٥] ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ ﴾ القرآن ﴿ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ مثل مبني على الفتح صفة لحق هذا تمثيل لكمال حقية القرآن لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [فصلت: ٤٢] ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ أي الملائكة الذين كانوا في هيئة الضِّيفان

لقوله تعالى: ﴿۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ الآية ستأتي ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ أنتم ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ قال هذا الكلام إذ لم يأكلوا ما جاء به لقوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٦٩، ٧٠] ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ﴾ الفاء للتفصيل للكلام السابق لا للتعقيب ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ لما أنهم لم يأكلوا حذر أن يكونوا أعداء ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ أي إسحاق لقوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الصافات: ١١٢] ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾ أي جعلت تصيح ﴿فَصَكَّتْ﴾ ضربت ﴿وَجْهَهَا﴾ سرورًا ﴿وَقَالَتْ﴾ أنا ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ استبعدت الولد على تلك الصفة لقوله تعالى حاكيًا عنها: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢] ﴿قَالُوا﴾ الأمر ﴿كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿۞ قَالَ﴾ إبراهيم بعد ما اطمأن ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ مقصودكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾﴾ من الله ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ قوم لوط لقوله تعالى حاكيًا عن الملائكة: ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ [هود: ٧٠] ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً﴾ معلمة ومعينة ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ هو بيت لوط إلا امرأته لقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: ١٠] ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ و﴾ خلقنا ﴿فِي مُوسَى﴾ آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ حجة واضحة ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ يلوم نفسه على ما جحد آيات الله لقوله تعالى حاكيًا عنه: ﴿ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] ﴿و﴾ تركنا آية ﴿فِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾ وهي التي لا خير فيها في حقهم لأنها كانت مهلكة لهم لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ [الحاقة: ٦] ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ لا حياة فيه ﴿و﴾ تركنا آية ﴿فِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى

حِينٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ وقت قليل ﴿ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَٰعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَ﴾ أهلكنا ﴿قَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ ﴿وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ بقوة وقدرة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ ذوو وسعة ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ الْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ صنفين ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ متعلق بالخلق أي جعلنا كل شيء مما على وجه الأرض تذكرة لبني آدم لقوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الواقعة: ٧٣] ﴿فَفِرُّوٓا إِلَى اللَّهِ﴾ أي قل لهم تبتلوا إلى الله ﴿إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ أي بعضهم قالوا: ساحر لأجل تأثير كلامه. وبعضهم قالوا: مجنون لأجل كلامه خلاف اعتقادهم لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود: ٥٤] ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ﴾ أي المشركون السابقون واللاحقون استفهام تقرير لقوله تعالى: ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨] ﴿بَلْ﴾ للترقي ﴿هُمْ﴾ أنفسهم ﴿قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ لأنك بلغت رسالة ربك لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾ [العنكبوت: ١٨] ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ وتنذر الكافرين وتتم عليهم حجة رب العالمين لقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ فائدة العلة ترجع إلى العابد لا إلى المعبود أي خلقت المكلفين ليعبدوني ويفوزوا بمرامهم لقوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوٓا أَنتُمْ وَمَن فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم: ٨] ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ للخلق ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾ بل ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ السابقين الهالكين ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾﴾ بالعذاب بقولهم: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ [ص: ١٦] ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِى﴾ كانوا ﴿يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الذي ﴿تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

سورة الطور مكية وهي تسع وأربعون آية

﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢﴾ مكتوب ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾ أي القراطيس المتفرقة وهو التوراة لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١] ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤﴾ أي المساجد كلها في السماء أو في الأرض لقوله تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [النور: ٣٦] ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥﴾ أي السماء لقوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨﴾ [النازعات: ٢٧، ٢٨] ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾ أي الموقد بالحرارة لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [التكوير: ٦] جواب القسم ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨ يَوْمَ﴾ أي في يوم ﴿تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩﴾ أي تختلف أجزاؤها لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝٢٥﴾ [الفرقان: ٢٥] ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾ أي سيرًا شديدًا حتى تصير هباء منثورًا لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝١٠٧﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧] ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ﴾ باطل ﴿يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣﴾ بالتذليل والتحقير لقوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۝٤١﴾ [الرحمن: ٤١] ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ الذي ترونه كما كنتم تنسبون السحر إلى الرسل لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨﴾ [الفرقان: ٨] ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٦ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ۝١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝١٨﴾ يقال لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٩ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ موضوعة بعضها إلى جنب بعض لقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ۝١٦﴾

[الواقعة: ١٥، ١٦] ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ أي حسناء بيض الوجوه لقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: ٤٩] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ في الجنة لقوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧] ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ نقصناهم ﴿مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٤٤] ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ﴾ سوى المؤمنين ﴿بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ أي الكفار بما كسبوا من الكفر والشرك رهينون أي محبوسون في النار لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ [المدثر: ٣٨، ٣٩] ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ من خمر يأخذ بعضهم من بعض ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ وتكون صفتها أنها ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الصافات: ٤٦] ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ صغار ماتوا قبل البلوغ ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ مستور محفوظ عن الغبار ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ أي أهل الجنة يسأل بعضهم بعضًا عن عمله ﴿قَالُوٓا۟﴾ كلهم ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ من عذاب الله لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [المعارج: ٢٧] ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ أي جهنم ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ لا يضيع عمل عامل.

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ كما يزعمون ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ حوادث الدهر فيهلك ولا يذكر ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأنعام: ١٣٥] ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾ عقولهم ﴿بِهَٰذَآ﴾ الإنكار للبداهة ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ﴾ أي اختلق القرآن لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾ [ص: ٧] ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ عنادًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ [لقمان: ٣٢] ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ بسورة مثله لقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ -لا- بل خلقوا من نطفة من مني يمنى لقوله

تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المرسلات: ٢٠ـ٢٣] ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ - لا- لقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣] ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ لا لقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف: ٩] ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ للنبوة والإرزاق حيث يتعجبون من كونك نبيًا لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢] ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ مسلطون عليها من الله لا يعطى أحد إلا بإذنهم - لا- لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ﴾ [الكهف: ٢٦] ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ وحيًا من السماء ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ حجة واضحة على دعواهم عقلية أو نقلية لقوله تعالى: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾ [الأحقاف: ٤] ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ﴾ كما زعمتم ﴿وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم: ٢٢] عيرهم بهذا لأنهم يكرهون البنات لأنفسهم لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الزخرف: ١٧] ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ على التبليغ ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾﴾ لا يستطيعون أداءه ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾﴾ من وحي الله ما يحملهم على التكذيب ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ مكرًا بالنبي ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ أي المجزيون بكيدهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق: ١٥ـ١٧] ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ يملك السماء والأرض - لا- لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٨، ٨٩] ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا﴾ قطعة ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ كما هم يطلبون بقولهم: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الإسراء: ٩٢] ﴿يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ متراكب بعضه على بعض أي ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الشعراء: ٢٠١] ﴿فَذَرْهُمْ﴾ ﴿يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟﴾ [المعارج: ٤٢] ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾ هو يوم القيامة لقوله تعالى:

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ من أي جهة لقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [آل عمران: ٢٢] ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي قبل يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة: ٢١] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾﴾ ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨] ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ نراك حيثما تكون ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿١٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي اذكر الله قائمًا وقاعدًا وعلى الجنب لقوله تعالى: ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿١٩﴾﴾ أي سبح قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].

سورة النجم مكية وهي اثنان وستون آية

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾ سقط ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ طريق الحق ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ بل هو مأمور بما ادعى لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ [الأعراف: ٢٠٣] ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي ما يقول: ﴿إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ﴾[1] أي ذو قوة شديدة وهو الله لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨] وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣] وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾﴾ [الرحمن: ١، ٢] ﴿فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾﴾ أي بلغ مراتب الكمال من الكمال الإنساني لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] ﴿وَهُوَ﴾ الآن ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا﴾ من ربه ﴿فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾

(١) قيل: الضمائر كلها لله تعالى وهو المعني بشديد القوى كما في قوله: ﴿هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره إلى جناب القدس (البيضاوي ٢/ ٤٣٩).

أي أهوى إلى جنابه سبحانه بشراشره بعد النبوة عملاً لقوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾ [المزمل: ٨] ﴿فَكَانَ﴾ القرب مقدار ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ تمثيل لكمال قربه الروحاني عند الله كما في قوله عليه السلام: «**إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني**»[1] (الحديث) ﴿فَأَوْحَىٰ﴾ الله ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ من القرآن لقوله تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١﴾ أي ما اضطرب قلب العبد حين رأى آيات ربه الكبرى بل سكن إليها لقوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد: ٢٨] ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢﴾ أي تجادلونه وتنكرون ما يخبركم بوحي الله ورؤية عجائب قدرته وملكوته سبحانه لقوله تعالى: ﴿نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ [الأنعام: ٧٥] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ أي الله سبحانه رآه رسول الله ﷺ بالكشف لقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٣] وقوله عليه السلام: «**نور أنّىٰ أراه**» (مسلم)[2] ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾ أي عند شجرة انتهاء مراتب الكمال للإنسان لأنه عليه السلام كان سيد الأنبياء مرتقيًا على أعلى مراتب كمال الإنسان لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤] ﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥﴾ أي من يصل إلى هذه المرتبة أو القريب منها كان وصوله في جنات المأوى لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦﴾ من الأنوار والبركات الروحانية لكن ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ أي بصر محمد ﷺ ﴿وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ بل استقل لكمال قوته الروحانية ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٨﴾

---

(١) رواه البخاري (١٩٦٥) في الصوم باب التنكيل لمن أكثر الوصال وفي التمني (٧٢٤٢) باب ما يجوز من اللو ومسلم رقم (١١٠٤) في الصوم باب النهي عن الوصل في الصوم والترمذي رقم (٧٧٨) في الصوم باب ما جاء في كراهية الوصال للصائم من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم رقم (١٧٨) في كتاب الإيمان باب: في قوله عليه السلام: «نور أنىٰ أراه» وفي قوله: «رأيت نورًا» من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

الدالة على كمال قدرته فالمقصود إظهار أن مجادلتكم بالنبي ﷺ ليس كما ينبغي فإنه على علم ورؤية من الله كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨] ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ أي أخبروني ماذا خلق هؤلاء لقوله تعالى: ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [فاطر: ٤٠] ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ ذات نقصان في حقه سبحانه على زعمكم لما أنكم لا ترضون بالبنات ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ من أنها معبودات لكم شفعاء عند الله ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ﴾ حجة وبرهان ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ الظن ههنا بمعنى ما ليس بحق أي الباطل لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ الآية ستأتي ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ﴾ أي يتبعون أهواءهم فيضلون لقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ أي تركوا ما أنزل الله لهم من الهداية ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾﴾ -لا- لقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١] وقول الشاعر:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾ دليل على مقدمة مطوية يعني لا ينال الإنسان ما يتمنى فإن الفوائد الدنيوية والأخروية في قبضته سبحانه لقوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢] ولنعم ما قيل: عرفت ربي بفسخ العزائم.

هؤلاء يقولون: الملائكة بنات الله ﴿وَ﴾ الحال أنه ﴿كَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ والأرض ﴿لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ لعدم اختيارهم ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي المشركين ﴿لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾﴾ أنها بنات الله ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ﴾ أي الوهم الباطل ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ أي لا يجدي نفعًا مقام علم قطعي ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾ أي لم يسع إلا لأجل الحياة الدنيا فقط ولم يلو على الآخرة لقوله

تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠] ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ بإيثار الدنيا ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٢٠٣﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٢٠٤﴾﴾ اللام للعاقبة أي يكون نتيجة ملكه وحكومته سبحانه أنه يجزي المحسنين والمجرمين بما يستحقونه لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ [الملك: ٢] ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ إضافة الصفة إلى الموصوف أي المآثم الكبائر ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ يعني الذنوب التي تتعلق بالفروج أي الزنا ومباديه والإثم وغيرها من الشرك والكفر والغيبة وغيرها ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ﴾ أي الذين يجتنبون الكبائر إلا أن تغلب عليهم الأهواء النفسانية فيقعوا فيها من السيئات الصغائر ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ﴾ أي يغفر لهم لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١] ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم﴾ أي أباكم ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ﴾ أي هو أعلم بحالاتكم وحاجاتكم فلأجل ذلك وسع مغفرته عليكم على اللمم ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ﴾ أي لا تنسبوا الزكاة إلى أنفسكم من عند أنفسكم ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾﴾ أي تزكى وأنتم لا تعلمون.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾﴾ عن الإيمان ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ وهو كاره لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة: ٥٤] ﴿وَأَكْدَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ بخل بما عنده من المال وتمنى على الله ما ليس هو أهلًا له لقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ [مريم: ٧٧، ٧٨] ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ أتم ما أمره الله لقوله تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ﴾ [البقرة: ١٢٤] ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ في أصل الإيمان وإلا فبعد الإيمان ينتفع بسعي غيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ (١) جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠] وقوله تعالى حاكيًا عن الملائكة:

---

(١) والدعاء سعي الغير وهو ينفع المؤمنين وإن لم ينفع فلا مدح ولا فائدة وهو في محل المدح فافهم.

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ [غافر: ٧] ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ على ما كسب ﴿وَ﴾ لم ينبأ ﴿أَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ أي منتهى الخلق كلهم لأن سلسلة ما بالغير تقتضي الاعتماد على ما بالذات وهو الله سبحانه لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ﴾ بالسرور ﴿وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ بالغموم لما أن كل شيء في يديه لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية [المؤمنون: ٨٨] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ من كل نوع من الحيوانات ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ أي تلقى في الرحم لقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الواقعة: ٥٨، ٥٩] ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ عطف على السابق أي أنه يخلق مرة ثانية للجزاء لقوله تعالى: ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه: ١٥] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾﴾ أي هو سبحانه يغني ويفلس لقوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الإسراء: ٣٠] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ أي الكوكب الذي يعبدونه هو أيضًا مربوبه ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾﴾ ﴿وَ﴾ أهلك ﴿قَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾﴾ أي قرى قوم لوط أسقطها عليهم ﴿فَغَشَّاهَا﴾ من العذاب ﴿مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ أيها المخاطب بأي نعمة ربك تكذب لقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرحمن: ٢٥] ﴿هَٰذَا﴾ محمد ﷺ ﴿نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾﴾ أرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩] ﴿أَزِفَتِ﴾ قربت ﴿الْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾﴾ أي ساعة حسابكم لقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء: ١] ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾ مظهر لقوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً ﴿وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ لاعبون غافلون ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾﴾ إياه تفوزوا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً ﴾[1] معجزة انشقاق القمر أو غيره ﴿ يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ ﴾ أي كل أمر مرهون بوقته ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ۝٢٢٧ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ ﴾ زجر وعظة لقوله تعالى: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٧٦ ﴾ [الأعراف: ١٧٦] ﴿ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ﴾ بدل من مزدجر نصيحة نافعة ﴿ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ ﴾ الذين لا يؤمنون عنادًا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١ ﴾ [يونس: ١٠١] ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ حتى حين أي لا تبالِ بإيذائهم اذكر ﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ ﴾ المنادي من الله الناس ﴿ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ ﴾ منكر لم يكونوا رأوه لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ ﴾ [الحج: ١] ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ ﴾ حال من المفعول به المحذوف هو الناس أي تشخص أبصارهم لقوله تعالى: ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ۝٤٣ ﴾ [إبراهيم: ٤٣] ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ ﴾ القبور كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ ﴾ [الانفطار: ٤] ﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ ﴾ للكثرة ﴿ مُّهْطِعِينَ ﴾ مسرعين ﴿ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨ ﴾ لشدته عليهم لقوله تعالى: ﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠ ﴾ [المدثر: ١٠] ﴿ ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩ ﴾ من آلهتنا ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠ ﴾ فاستجبنا له ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ ﴾ منصب من السحاب ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ ﴾ مقدر عند الله

---

(١) طلب المشركون من رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر قد انشق فقالوا ما قالوا: فنزلت هذه الآية رواه البخاري (٤٨٦٧) في تفسير ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ وفي الأنبياء (٣٦٣٧) باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر ومسلم رقم (٢٨٠٢) في صفات المنافقين باب انشقاق القمر والترمذي رقم (٣٢٨٦) في التفسير باب ومن سورة القمر من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه.

لإهلاكهم لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [هود: ٤٤] ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ﴾ سفينة ﴿ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣﴾ وتد أي ما كان فيها كمال بل الكمال في أمر الله لقوله تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾ [هود: ٣٧] ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ أي كنا نراها كما نرى كل شيء سواها ﴿جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤﴾ أي نوح، جزاء مفعول مطلق أي جوزوا جزاء من الله على كفرهم برسول الله نوح عليه السلام لقوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾ [نوح: ٢٥] ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ﴾ أي سفينة ذات ألواح ﴿ءَايَةٗ﴾ دالة على كمال قدرتنا ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥﴾ أصله مذتكر من الافتعال أبدلت الذال المنقوطة والتاء دالًا ثم أدغمت الدال في الدال فصار مدّكر أي متعظ ومتذكر ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٦﴾ أي إنذاري هل كان صادقًا أو متوهمًا ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ﴾ أي للاتعاظ ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾ متذكر يتذكر من القرآن ﴿كَذَّبَتۡ عَادٞ﴾ أي قوم عاد هودًا ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٨﴾ من إهلاكهم بالريح لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾ شديد الهبوب ﴿فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ﴾ ذي شؤم ﴿مُّسۡتَمِرّٖ ١٩﴾ في حقهم لا في غيرهم لقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ الكفار ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠﴾ منقلع لقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ٧﴾ [الحاقة: ٧] شبههم بأعجاز النخل لما أنهم كانوا أشد قوة لقوله تعالى: ﴿لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٨﴾ [الفجر: ٨] ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٢١ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٢٢ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ٢٣﴾ أي الرسل لقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٤١﴾ [الشعراء: ١٤١] ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا﴾ منصوب على شريطة التفسير ﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا﴾ إن اتبعناه ﴿لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ٢٤﴾ أي عناء وخسران لقوله تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٣٤﴾ [المؤمنون: ٣٤] ﴿ءَأُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ٢٥﴾ متكبر يريد أن يتعظم علينا لقوله تعالى: ﴿وَتَكُونَ (١) لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ﴾ [يونس: ٧٨] ﴿سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ ٢٦ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ﴾ أي سببًا وحيلة لتعذيبهم

---

(١) هذا وإن كان قول فرعون إلا أن الكفر ملة واحدة فافهم (منه).

﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾ يحضره أهله ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ قدار بن سالف ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ أخذها ﴿فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾ فماتت ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ أي صاعقة من السمآء لقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الذاريات: ٤٤] ﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾ مثل لما لا يبقى منه شيء بعد أن كان لقوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الحاقة: ٨] وقوله تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾ [الشمس: ١٤] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾﴾ أي برسول الله لوط الذي ينذرهم من عذاب الله ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً ترميهم بالحصباء لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ﴾ [هود: ٨٢، ٨٣] ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ﴾ أي تابعيه ﴿نَجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾﴾ لما أن وقت هلاك الكفار كان صبحًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ﴾ [هود: ٨١] ﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ﴾ وإحساناً من لدينا ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى﴾ من البلاء ﴿مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾ نعماءنا وانقاد لأحكامنا ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾﴾ شكوا وكذبوا ولم يصدقوا ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾ أي أمالوه أن يسلم إليهم ضيفانه لقوله تعالى: ﴿مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾﴾ [هود: ٧٩] ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ أن يبصروهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ﴾ [هود: ٨١] قيل لهم: ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم﴾ أتاهم ﴿بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ وقد أيقنتها أنفسهم لقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤] ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾ لا يعجزه شيء ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ أيها القريشيون ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ﴾ فكيف تنجون وهم أهلكوا ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ﴾ على الأفعال القبيحة ﴿فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾﴾ أي في كتاب الله لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ﴾ [البقرة: ٨٠] ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾ أي متناصرون بيننا ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ عن قريب لقوله تعالى: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾ [ص: ١١] ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ

﴿أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ أشد مرارة ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾ لخسران عاقبتهم لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر: ١٥] ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾ يجرون ﴿فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ ظرف يوم متعلق بالنسبة الخبرية في الجملة السابقة أي يلقون في جهنم مدفوعين ذليلين لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ [الطور: ١٣] يقال لهم: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ لا يتجاوزه بل لا يمكن أن يتجاوز لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: ٣٨] ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ﴾ لإيجاد شيء ﴿إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ أي قضاؤنا في المخلوق في السرعة كلمح بالبصر بل أقل من ذا لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ أمثالكم ونظراءكم في الكفر والعناد للحق ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾﴾ يذكر بمن مضى ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ﴾ من الأعمال ﴿فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾ أي في كتاب الحفظة لقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠] ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ مرقوم في الزبر لقوله تعالى: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩] ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾ أي الأنهار تجري فيها لقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ [محمد: ١٥] ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي في مجلس مرضي لهم لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ [القارعة: ٦، ٧].

فبان وإن أسرى من الليل عقبة بليلة صدق غاب عنها شرورها

﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ ذي قدرة عظيمة وهو الله لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: ٤٥].

سورة الرحمن مدنية وهي ثمان وسبعون آية

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾﴾ إياك يا محمد أي كانت رحمته مقتضية لتعليمك

القرآن لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ثم علمت الناس لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الجمعة: ٢] ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾ أي إظهار ما في الضمير وكان لا يعلم شيئًا لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل: ٧٨] ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾ يجريان ﴿بِحُسۡبَانٖ ٥﴾ لا يعدوان لقوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾ [يس: ٤٠] ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ﴾ النبات صنفان ما له ساق وما ليس له ساق فالأول الشجرة والثاني النجم ﴿يَسۡجُدَانِ ٦﴾ أي ينقادان لحكم الله لقوله تعالى: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ٤٨﴾ [النحل: ٤٨] ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧﴾ نصب العدل والإنصاف في الناس في كل أمر ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ٨﴾ أي أمركم ألا تطغوا في العدل لقوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النحل: ٩٠] ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ﴾ الوزن قسم خاص من الميزان ﴿بِٱلۡقِسۡطِ﴾ أي ﴿وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ﴾ [الإسراء: ٣٥] ﴿وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ٩﴾ بأي وجه ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ١٠﴾ أي الأناسي أصالة ولغيرهم من الحيوانات تبعًا للأناسي لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ [البقرة: ٢٩] ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ١١ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ١٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾ أي الإنس والجن ﴿تُكَذِّبَانِ ١٣﴾ لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ١٤﴾ أي كان فيه غلبتها لا أن مادة الإنسان هي وحدها لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ [الأنبياء: ٣٠] ﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ١٥﴾ صافية ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٦﴾ هو ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ١٧﴾ للصيف والشتاء أي رب أهل المشرق والمغرب لقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة: ٢] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٨ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ أي الماء العذب والمالح تحت التراب ﴿يَلۡتَقِيَانِ ١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ﴾ حاجز ﴿لَّا يَبۡغِيَانِ ٢٠﴾ لا يختلطان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢١ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ٢٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٣ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ

﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ أي السفن الكبيرة تجري بأمره ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾ الكبير ﴿كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ أي مثل الجبال في العظم ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ أي ما على الأرض ﴿فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ في وقت ما ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ لأنه لا فناء لذاته ولا زوال لملكه لقوله تعالى: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران: ٢] وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٥] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يحتاج إليه كل مخلوق في وجوده وثباته لقوله تعالى: ﴿۞يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥] ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ يخلق المخلوقات ويثبتها لقوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ﴾ [فاطر: ٤١] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ أي سنجزيكم ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ أي الجمعان من الجن والإنس لقوله تعالى: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ الآية ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟﴾ تخرجوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من أطرافهما أي تخرجوا من ملك الله وقبضته سبحانه ﴿فَٱنفُذُوا۟ ۚ﴾ منها ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ أي بغلبة على الله وأنى لكم ذاك لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦١] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ﴾ شعلة ﴿مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ دخان ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾ بينكم ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ مثل الأديم الأحمر جواب إذا فكانت ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾﴾ لا يسأل أحد من الله لتحصيل العلم إذ لا يكون إليه حاجة لقوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ فيلقون في جهنم لقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ [الحاقة: ٣٠، ٣١] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أي المشركون الذين يكذبون بها ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ منتهى في النضج أي شديد الحرارة ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ أي من ثبت نفسه على تقوى الله ونهاها عن ارتكاب

المعاصي لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ الجنتان ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ صنفان الأدنى والأعلى ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ﴾ حال من الفاعل في فحوى الكلام أي يأكلون الفاكهة حال كونهم متكئين ﴿عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ وأعلاها الله أعلم كيف هو ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ أي ثمارها دانية لقوله تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحاقة: ٢٣] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ أي الزوجات لقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥] ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ بعد النشأة الآخرة لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ [الواقعة: ٣٥ـ٣٨] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ﴾ في الصفاء ﴿وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ من العبد ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ من الله لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود: ١١٥] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾ لهم ﴿مِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ أخريان للسياحة والتفريح ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ أي المسودتان خضرة شديدة ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾﴾ ولهم ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ بل كل ما يدعون لقوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾ ولهم ﴿فِيهِنَّ﴾ زوجات ﴿خَيْرَٰتٌ﴾ خلقًا ﴿حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ وجوهًا لقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾﴾ هن ﴿حُورٌ﴾ بيض الوجوه في الصفاء ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾ أي مستورات ﴿فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ لا ينظرن إلى غير أزواجهن ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ﴾ بساط ﴿خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ أي فرش حسان محسنة مزينة لقوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الواقعة: ٣٤] وقوله تعالى:

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الغاشية: ١٦] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿١٤﴾﴾ يا ذا الجلال والإكرام أحينا بالإكرام وأمتنا بالسلام.

سورة الواقعة مكية وهي ست وتسعون آية

﴿إِذَا وَقَعَتِ﴾ الساعة ﴿ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾﴾ أي كذب لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الحج: ٧] ﴿خَافِضَةٌ﴾ لقوم ﴿رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾﴾ لآخرين لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة: ٢٢ـ٢٥] ﴿إِذَا رُجَّتِ﴾ حركت ﴿ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾ [الزلزلة: ١] ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾﴾ أي فتت ودكت ﴿فَكَانَتْ﴾ الجبال ﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾ غبارًا متفرقًا لا يرى لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٥ـ١٠٧] ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾ فجواب إذا تجزون جزاء أعمالكم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه: ١٥] ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾﴾ أي الذين يؤتون كتابهم بأيمانهم يفرحون ويستبشرون لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحاقة: ١٩ـ٢١] ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ الذين يؤتون أعمالهم بشمالهم ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾ لا تسأل عن قبحهم وسوء عاقبتهم لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: ٢٥ـ٢٩] ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ إلى الخيرات ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾﴾ إلى الجنة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ هم ﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ عند الله ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ أي المقربون جماعة معتدة من المؤمنين الأولين ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ بعد الصحابة لقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣]

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾﴾ مذهبة ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ﴾ أي أولادهم الصغار لقوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الطور: ٢٤] ﴿مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾ في الجنة ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ خدمة لهم ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ خمر جارية ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي لا يصدع رؤوسهم من شربها ﴿وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ لعدم السكر فيها بل هي ﴿لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الصافات: ٤٦] ﴿وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَ﴾ لهم ﴿حُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ في الحسن والصفاء ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ أي قولًا يستلزم الإثم ﴿إِلَّا قِيلًا﴾ أي قولًا ﴿سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ من الله أو من الملائكة أو فيما بينهم لقوله تعالى: ﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨] وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤] وقوله تعالى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ١٠] ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾ أي في عيش يكونون ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ بلا شوك ﴿وَطَلْحٍ﴾ موز ﴿مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾ متراكم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ أي في نعماء غير منقطعة لقوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين: ٦] فالظل الممدود كناية عن النعماء الدائمة إذ ليس هنالك ظل معروف موقوف على الشمس لقوله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الإنسان: ١٣] ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾ من الأعلى إلى الأسفل كما يكونون في البساتين المخصوصة بالملوك والسلاطين[1] ﴿وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ عنهم بأثر الزمان ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ عنهم بأمر الديان بل ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ﴾ [الزخرف: ٧١] ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ عطف على المجرور ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾﴾ لما كانت الفرش مشيرة إلى ذوات الفرش رجع الضمير المنصوب إليهن التزامًا ﴿فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾ دائماً أي بعد الزفاف أيضًا يبقين أبكارًا كأن لم يمسهن أحد ﴿عُرُبًا﴾ محبوبات لأزواجهن

---

(١) من أراد أن يرى مثال الماء المسكوب فليدخل البستان المعروف بشالامار في بلدة لاهور في البنجاب في باكستان ولينظر وليعتبر (منه).

﴿ أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ مستويات في السن والقامة ﴿ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ أي أصحاب اليمين يكونون من كلا الفريقين بالكثرة ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ ﴾ لا تسأل عن حالهم ومقالهم ﴿ فِي سَمُومٍ ﴾ ريح حارة ﴿ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ ماء حار ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ دخان شديد ﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ أي لا يبرد ولا يكرم من أتاه ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ ﴾ في الدنيا ﴿ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ متنعمين ﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾ أي الذنب الكبير وهو الشرك لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨] ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٣٦] ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ وهو يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [النساء: ٨٧] ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ ﴾ أي الإبل العطاش ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ ﴾ أول مرة ﴿ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ بالبعث أي فلم لا تعتبرون بأول النشأة وهي كافية للعبرة لقوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [القيامة: ٣٦ـ٤٠] ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ في أرحام أزواجكم من المني ﴿ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ ﴾ أي المني في أصلابكم ﴿ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ لا شك أن الواقع الشق الثاني لقوله تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣] ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ ﴾ على التفاوت لقوله تعالى: ﴿ مِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ [الحج: ٥] ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ غير قادرين ﴿ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ ﴾ أي أشكالكم ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ من الصور والهيئات لقوله تعالى: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٩، ٢٠] ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ ﴾ كيف خلقتم ﴿ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ تتعظون من أول الأمر أن من خلقكم أول مرة قادر على

أن يخلقكم مرة أخرى لقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس: ٧٨، ٧٩] ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾ تبذرون في الأرض ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ تنبتونه ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ لا شك أن الواقع الشق الثاني لقوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: ٢٧ـ٣٢] ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ تبنًا لا حب فيه ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ تتعجبون من سرعة الزوال تقولون: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ مما أنفقنا فيها ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾ من الرزق ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾﴾ وتسقون مزارعكم ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ أي السحاب ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ لا شك في صدق الشق الثاني لقوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧] ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ مالحًا شديد الملوحة ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾ تقدحون وتوقدون ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾ لا شك في الشق الثاني ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ للمتذكرين ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾ للفقراء من قولهم: أقوى الرجل إذا فني زاده، ومنه الإقواء في العروض اختلاف المجرى، المعنى أن الفقراء يتمتعون بها لقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ أي قولوا: سبحان ربي العظيم لأنه هو الرب الرحيم ذو العرش الكريم.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ أي بمنازلها ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ لحصول العبرة ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ أي في علم الله المستور عن أعين الخلق لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف: ٤] ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ أي لا يعمل بالقرآن إلا صار مطهرًا مزكى عن الرذائل والذنوب لقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣] أو لا يعمل بالقرآن إلا الموحدون المطهرون عن الشرك لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ

﴿ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ [يس: ١١] ﴿تَنزِيلُ مِنَ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَنتُم﴾ أيها الكفار ﴿مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾﴾ متكاسلون لا تعجلون في قبوله ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ﴾ حصتكم ﴿أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ﴾ الروح ﴿ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ إيانا أي ملائكتنا لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾[الأنعام: ٦١] ﴿فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ فلولا الأولى واردة على ترجعون والثانية تأكيد للأولى رد على الدهريين والمعنى إن كنتم أيها المنكرون غير مملوكين مرئيسين لله كما زعمتم لولا تردون محتضركم بإيصال الغذاء والدواء المفيد له وأنى لكم هذا لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ٦١] ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ الميت ﴿مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ﴾ أي له روح وفرحة ﴿وَرَيۡحَانٞ﴾ استراحة ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾﴾ أي الجنة التي فيها نعماء كثيرة لقوله تعالى: ﴿لَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [محمد: ١٥] ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ أي فلا تهتم لهم فإن لهم عاقبة محمودة ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ﴾ أي فله نزل ﴿مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ أي إدخال الجحيم بأمر الله ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ البيان ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ كائن لا محالة ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله.

سورة الحديد مدنية وهي تسع وعشرون آية

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾ من كل شيء لأنه خالق كل شيء لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦] ﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾ لأنه وارث كل شيء لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم: ٤٠] ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ أي الظاهر بصفاته الغالب القاهر في أفعاله لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾

[الأنعام: ٦١] ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ أي المخفي عن أعين المخلوق بذاته لقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣] ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواء يليق بشأنه ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من الماء والبذر ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النباتات وغيرها ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من ماء أو وحي ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من الأعمال والأبخرة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾﴾ لا يوجد شيء إلا بإذنه وإرادته لقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣] ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ أي مما ورثتم من آبائكم ومورثيكم لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾ [الأعراف: ١٠٠] ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ وحده ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾ حين تواعدتموه في هذه الدنيا وقت المصائب بالقال أو الحال لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يونس: ٢٢] ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ أي إن كنتم مصدقين بشيء حق فآمنوا به سبحانه وإن كنتم معاندين جاحدين كل الجحود فلا رجاء منكم لقوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم﴾ أيها المؤمنون ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ إلى الهداية ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ ومن مقتضى رحمته إرسال الرسل ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟﴾ بتعليم الله ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي ما في أيديكم ليس بملككم بل هو ملكه سبحانه لقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ الكفار كالصديق والفاروق وذي النورين والمرتضى وغيرهم رضي الله عنهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟﴾ ممن آمن يوم الفتح من أهالي مكة زادها الله شرفًا وتعظيمًا وغيرهم لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: ١٠، ١١] ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟

﴿مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: ١١٥] ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١٥﴾﴾.

اسمعوا بعبارة أخرى ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي ينفق في سبيله ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ﴾ متعلق بالنسبة السابقة ﴿تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾ يقال لهم: ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ﴾ خبر البشرى ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ﴾ متعلق بما تعلق به اليوم السابق ﴿يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا﴾ أمهلونا ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ أي نمشي معكم ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ في الدنيا بعمل الصالحات لقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٩] فيتأخرون رجاء حصول النور ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ جدار ﴿لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ﴾ الجانب الذي يكونون فيه ﴿مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ﴾ أي المؤمنين ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ في الدنيا نؤمن كما تؤمنون ونصلي كما تصلون ﴿قَالُوا﴾ أي المؤمنون ﴿بَلَىٰ﴾ كنتم معنا في الدنيا بحسب الظاهر ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ﴾ أهلكتم ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ باستعمالها في المعاصي ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ انتظرتم الدوران على المسلمين لقوله تعالى: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [التوبة: ٩٨] ﴿وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ الكاذبة ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي موتكم ﴿وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ عوض مالي على المعاصي ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مجاهرين بالكفر ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ ملجأكم ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ أي حين يذكر الله ويقرأ القرآن عليهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧ـ١٠٩] ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ المؤمنون ﴿كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ عن الهداية ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا﴾ أنه لأجل فسقهم وتركهم الشريعة الحقة أرسل الله محمدًا رسولًا كما ﴿أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي يبسها فهو تشبيه للكفر بموت الأرض والإسلام بحياتها ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ أن الله الذي يحيي الأرض بعد موتها ويقدر على مثل هذه الأفعال قادر على أن يبعث رسولًا بلى ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ عطف

على صلة اللام أي صدقوا وأنفقوا في سبيل الله ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ أي من كان مؤمنًا بالله ورسوله غير مرتاب في إيمانه مخلصًا في أعماله فهو الصادق عند الله لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥] ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يشهدون على الكفار بسوء عاقبتهم لقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النحل: ٢٧] ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾ هؤلاء انهمكوا واشتغلوا بالحياة الدنيا.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ اللهو فعل الصبيان واللعب فعل الشبان هذا في نظر أهل الدنيا أي مقصود أهل الدنيا اللهو واللعب والتفاخر فيما بينهم بكثرة المال والأولاد لما أن نظرهم على هذه فقط لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المؤمنون: ٣٧] وقولهم: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠] أما في نظر أصحاب الآخرة فهي مزرعة الآخرة لما أن نظرهم على الآخرة لقوله تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٦] وقولهم: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١] كيف يغترون بالحياة الدنيا والحال أن مثل الحياة الدنيا ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ﴾ الزراع ﴿نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ يبس ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ بعد الخضرة ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ مثال لسرعة زوال الدنيا لقوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: ٤٥] كقول أبي العتاهية:

نزلنا بينها ثم ارتحلنا كذا الدنيا نزول وارتحال

كذلك الحياة الدنيا يولد أحد فيشب فيشيب فيموت فما يذكر بعد أن كان مذكورًا والبعض يموت قبل ذلك لقوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٥] ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ على

المعاصي ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ على الطاعة ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ يغتر بنضرتها من يراها بادي الرأي ومن رآها بإمعان النظر -لا- لقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ [النور: ٣٧] ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ مع هذا ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ لا يضيع أجر المحسنين ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ أي في علم الله ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ نظهرها ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ فإنه سبحانه ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩] ولكن نبهكم على هذا ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ إذا علمتم أن ما فاتكم لم يكن ليصيبكم وما أصابكم لم يكن ليخطئكم ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ﴾ بيان للفخور ﴿يَبْخَلُونَ﴾ أي ﴿يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤] ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ﴾ أي يشيرونهم ﴿بِالْبُخْلِ﴾ يقولون: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ [يس: ٤٧] ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عن الشكر على نعمائه سبحانه فلا يضر الله شيئًا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ لا فائدة له في شكركم ولا ضرر له في كفركم لقوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم: ٨] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ المراد بالكتاب الأحكام التي بين الله وبين العبد من العبادات وبالميزان ما بين العباد لقوله تعالى: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي ليعدلوا بينهم ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ أي خلقناه ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ﴾ لا تحصى ﴿لِلنَّاسِ وَ﴾ خلقنا الحديد ﴿لِيَعْلَمَ﴾ يميز ﴿اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ تحريص وترغيب باستعمال الحديد لنصرة الدين في الجهاد عند الضرورة ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ يأمركم بنصرة الدين ليرتقي بكم على درجة الكمال وإلا فهو على ما يشاء قدير لا يحتاج إلى نصركم دينه لقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ من أولادهم ﴿فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾ خارجون من الطاعة ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا﴾ أرسلنا

﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ كانوا متحابين فيما بينهم كما ينبغي لأهل الإيمان لقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾ منصوب على شريطة التفسير أي ﴿ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ أحدثوها بغير أمر عيسى عليه السلام كما أحدثت الأمة المسلمة محدثات فإلى الله المشتكى ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي لم يرعوا ما التزموا ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ثبتوا على سنة النبي عيسى عليه السلام ﴿مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ﴾ الأمر الثاني للاستمرار أي اثبتوا على الإيمان كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦] ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ أي الحصة الوافرة ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ وهي الحسنة في الدنيا وفي الآخرة لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ يوم القيامة حيث تقولون: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم: ٨] ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ سيئاتكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٩﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي اليهود والنصارى اللام صلة أي ليعلموا ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ أي ليس فضل الله في قبضتهم كما يزعمون لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١] ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.

سورة المجادلة مدنية وهي اثنتان وعشرون آية

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾[1] الذي ظاهر منها ﴿وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾

---

(١) نزلت في خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت وكانت حسنة الجسم وكان به لمم فأرادها فأبت فقال لها: أنت علي كظهر أمي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية فقال لها: ما أظنك إلا قد حرمت علي فقالت: والله ما ذاك طلاقاً وأتت رسول الله ﷺ وعائشة تغسل شق رأسه عليه السلام فقالت: يارسول الله! إن زوجي=

وحدتها وفاقتها ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ أي مكالمتكما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ يقولون لهن حسب اصطلاحهم حين يغضبون أنت علي كظهر أمي أو كأمي ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ لا يعرف صحته ﴿وَزُورًا﴾ كذبا حيث يسوونهن بأمهاتهم وشتان بينهما ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢﴾ غفر الله لهم ما قد سلف من قولهم ﴿وَ﴾ القانون الإلهي أنه ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ أي يريدون أن يصالحوا أزواجهم[1] ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي يجب إعتاق رقبة ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ أي يجامعا ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ أي تؤمرون به ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣﴾ ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ﴾ أي يجب صيام ﴿شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ﴾ التيسير ﴿لِتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي لتعملوا على الشريعة باليسر لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أحكامه ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي يخالفون أمرهما ﴿كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي يذلون كما أذلوا ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ﴾ في القرآن ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ يظهر منها مآل المنكرين ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥﴾ متى ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾.

= أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات مال وأهل حتى إذا أكل مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبرت سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء يجمعني وإياه نتغشى به فقال رسول الله ﷺ: «**حرمت عليه**» فقالت: يارسول الله! والذي أنزل عليك القرآن ما ذكر طلاقاً وإنه أبو ولدي وأحب الناس إلي فقال رسول الله ﷺ: «**حرمت عليه**» فقالت: أشكو إلى الله فأنزل الله هذه الآية (معالم ٨/ ٤٩، ٥٠).

(١) هذا رأي الجمهور وأما أصحاب الظواهر من المحدثين فقالوا: العود لما قالوا تكرير الظهار بلفظه (فتح البيان ١٤/ ١٣ والتفسير الكبير ١٠/ ٤٨٢، ٤٨٣ والخازن وغيره) فالمعنى يعودون إلى قول ما قالوا أي يقولون هذا القول مرة ثانية فعليهم الكفارة نتيجة الاختلاف أنه على مذهب الجمهور يجب الكفارة بالظهار الأول وعلى المذهب الثاني المرة الأولى معفو عنها والثانية مأخوذ عليها هذا معقول عندي مؤيد بشواهد القرآن لقوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِۦٓ﴾ [النور: ١٧] وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [المجادلة: ٨] والله أعلم (منه).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ لا يحتاج إلى الإعلام ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾[1] على لسان الرسول ﷺ ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ[2] بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ يقولون: السام (أي الموت) عليك بدل السلام عليك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦] ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ﴾ فيما بينكم ﴿فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ بأن ترغبوا جلساءكم لفعل البر والتقوى لقوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥] ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ﴾ الذي يتناجى المنافقون ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي من تزيينه لقوله تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩] ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بتناجيهم حيث يظنون تناجيهم فيهم ﴿وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ إذ كل من الخير والشر في يديه لقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧] ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾[3] بأن توسعوا حلقكم في المجالس ﴿فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟﴾ أي إذا قال لكم صاحب المجلس: اذهبوا أو لا تدخلوا علينا الآن ﴿فَٱنشُزُوا۟﴾ ائتمروا ما أمرتم ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ بعلمهم ونيتهم وحرصهم على الخير ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ أي الفهم ﴿دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ على درجات ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾[4] للضرورة ﴿فَقَدِّمُوا۟

---

(١) نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون بينهم في مجلس رسول الله ﷺ فنهاهم النبي ﷺ فلم ينتهوا (منه).

(٢) الواو لعطف التفسير للعود (منه).

(٣) نزلت لتعليم آداب المجلس (منه).

(٤) نزلت هذه الآية لنهي المنافقين عن النجوى بالحكمة (منه).

بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ كي ينتهي المنافقون عن النجوى ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ ﴾ صدقة وتجدوا ضرورة للنجوى فمعفو ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾[1] ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ ﴾ خفتم ﴿ أَن تُقَدِّمُوا۟ ﴾ على وسعكم ﴿ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ ﴾ لعدم الوسع منكم ﴿ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ بالإباحة عند الضرورة ﴿ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي فاتركوا النجوى بلا ضرورة وأقيموا الصلاة ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ فيما يأمرانكم ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ افعلوا ما فيه الخير واتركوا ما لا يعنيكم.

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾[2] أي اليهود والحال أنه ﴿ مَّا هُم ﴾ أي المنافقون ﴿ مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ ﴾ أي على معيتكم لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ [البقرة: ١٤] ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ أنهم مبطلون ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ من النفاق والشقاق ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً ﴾ يحلفون إذا أخذوا على النفاق لقوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة: ٧٤] ﴿ فَصَدُّوا۟ ﴾ الناس أي الجهال ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ﴾ عذاب ﴿ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ ﴾ متعلق بالنسبة السابقة ﴿ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ ﴾ على خلاف ما كانوا يفعلون في الدنيا ﴿ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ أي أن حلفهم ينفعهم عند الله ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾ هذا هو أثر تسلط الشيطان لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ [مريم: ٨٣] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ لخسران عاقبتهم لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر: ١٥] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ أي يشاقونهما فيما يأمرانهم عنادًا من أمر الدين ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ أي الذليلين ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾ بإعلاء كلمتهم في حياتهم أو بعد مماتهم بإظهار أمرهم في الناس لقوله

---

(١) لما انتهى المنافقون عن النجوى وكان الغرض هو هدفًا أذن للمسلمين عند الضرورة (منه).

(٢) نزلت في المنافقين (منه).

تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ [إبراهيم: ١٣] وقوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾[1] [البقرة: ٨٧] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ ينبغي للمؤمنين ألا يتولوا المحادين لأجل ذلك ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ أي ليس من شأن المؤمنين أن يوادوا الكافرين حال كونهم شاهدين على أنفسهم بالكفر لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ المبرؤون من الكفار ﴿حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ الفائزون بالمرام.

سورة الحشر مدنية وهي أربع وعشرون آية

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾[2] بني النضير من اليهود ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ من المدينة ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ أي أول وقت اجتماع الجيوش الإسلامية بلا مقابلة ومقاتلة ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟﴾ لقوتهم وتشييد حصونهم ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ﴾ عذاب ﴿ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ من المسلمين لضعفهم ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ من المؤمنين ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ كانوا ينزعون منها الخشب هاربين من المدينة ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟﴾ بهم ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ ﴿وَلَهُمْ

---

(١) الآية الأولى تدل على هلاك الظالمين والثانية على كون بعض الأنبياء مقتولين ثبت من مجموع الآيتين ما ادعينا. والله أعلم (منه).

(٢) أجمع المفسرون إلا الحسن على أن هذه الآية نزلت في بني النضير حين غدروا بالنبي ﷺ وأرادوا قتله غيلة وخداعًا فحاصرهم النبي ﷺ حتى رضوا بالجلاء إلى خيبر فأجلاهم رسول الله ﷺ (منه).

فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ ﴾[1] نخيلهم ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ ﴾ فليس لكم فيه حق ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ ﴾ أي أسرعتم ﴿عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ فالفاء في فما أوجفتم للعلة على الدعوى المقدرة التي قدرنا أي ليس لكم فيه حق ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ ﴾ بلا قتال ولا جدال ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ فحكم الفيء الذي يحصل من الكفار بلا قتال وجدال حكم الخمس من الغنيمة لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ الآية [الأنفال: ٤١] ﴿كَىْ لَا يَكُونَ ﴾ المال ﴿دُولَةً ﴾ متداولاً ﴿بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾ بل يصل إلى الفقراء أيضًا ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾ من المال والدين لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] ﴿ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ أي منعكم بعدم الإعطاء أو بالنهي عن الأفعال الشرعية ﴿ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾ بظلم الكفار إياهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ جملة الابتغاء حال من ضمير أخرجوا ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ ﴾ أي دين الله اللام للتعجب أي تعجبوا من حال الفقراء كيف ثبتوا على إيمانهم وفازوا بمرامهم لقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ﴾ عطف على الفقراء ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ ﴾ أي دار الإيمان وهي المدينة ﴿وَٱلْإِيمَٰنَ ﴾ أي صاروا سببًا لنشر الإسلام وهم الأنصار رضي الله عنهم ﴿مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً ﴾ أي شحًّا ﴿مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي يرجحون حاجة المهاجرين على أنفسهم وعيالهم لكمال محبتهم بأهل الإيمان لقوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ فاقة وحاجة شديدة ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ ﴾ أي لا يبخل ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ ﴾ عطف على الموصول السابق

(١) قطع المسلمون وأحرقوا نخيلهم بأمر النبي ﷺ فحزنوا على ما فعلوا فأنزل الله هذه الآية (منه).

﴿ جَآءُو ﴾ أي يجيئون إلى يوم القيامة ﴿ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ من المؤمنين ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ من الصحابة والتابعين وغيرهم رضي الله عنهم وأرضاهم ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بوجه من الوجوه ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ﴾ فاغفر زلاتهم وارحمهم فصلحاء الأمة ثلاثة أقسام: المهاجرون والأنصار وهم قد مضوا لسبيلهم بقي القسم الثالث إلى يوم القيامة فمن أراد أن يدخل في الصلحاء فعليه بحسن الظن والدعاء للسلف الصالحين رضي الله عنهم اللهم اشهد:

أحب الصالحين ولست منهم لعل الله يرزقني صلاحًا

﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ﴾ الذين قالوا كلمة الإسلام بلسانهم ﴿ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ من اليهود من بني قريظة والنضير ﴿ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ ﴾ بأمر المؤمنين ﴿ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ ﴾ بترك الوفاء ﴿ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١١ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١٢ ﴾ أيها المؤمنون ﴿ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ ﴾ خوفًا ﴿ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ﴾ حيث يخافونكم ولا يخافونه سبحانه ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الخوف منكم ﴿ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٣ ﴾ عظمة الله وحقوقه ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا ﴾ اليهود والمنافقون ﴿ إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ ﴾ محفوظة ﴿ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ ﴾ جدران ﴿ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا ﴾ بالظاهر ﴿ وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ﴾ متفرقة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الاختلاف ﴿ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ١٤ ﴾ قبح أعمالهم من الاختلاف ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ﴾ أي المنافقون كالمشركين الذين ﴿ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ ﴾ بالقتل والأسر ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥ ﴾ ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ تمثيل آخر الأول لفعلهم اللازم والثاني لفعلهم المتعدي إلى الغير أي الإضلال والإغواء ﴿ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ ﴾ الإنسان بإغوائه ﴿ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ ﴾ إظهار لعادة الشيطان أنه بعد الإغواء يتبرأ من الإنسان وفعله لقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي

﴿بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال: ٤٨] ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ(١) أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لا تكونوا مثل هؤلاء بل ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ﴾ ليوم يظهر فيه سرائرها وتجزى بما تسعى وهو يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ [آل عمران: ٣٠] ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ الأمر للاستمرار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ﴾ أي أغفل قلوبهم عن فهم الأحوال الآتية لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ﴾ عند الله ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ بالمرام لقوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ لتأثير القرآن لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر: ٢٣] ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ لفهمهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾ الذي يعطي الأمن من الخوف لقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ [قريش: ٣، ٤] ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ﴾ أي ذو الكبرياء والجبروت ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾ من المادة لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [المرسلات: ٢٠] ﴿ٱلْبَارِئُ﴾ الموجد من العدم ﴿ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ أي الأسماء المظهرة صفة الكمال والجلال صادقة على الله سبحانه دون غيره كائناً من كان لقوله تعالى: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ(٢) إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥] ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في فعله ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ في صنعه.

---

(١) خبر كان مقدم.

(٢) الفقير لا يساوي الغني (منه).

سورة الممتحنة مدنية وهي ثلاث عشرة آية

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾[1] أي لا توالوهم ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِم ﴾ الرسائل ﴿ بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ والنصحة والمحبة ﴿ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ﴾[2] من دياركم بالقتل والإيذاء لأجل ﴿ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ هذا هو ذنبكم لا غير لقوله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البروج: ٨، ٩] ﴿ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ﴾ المنصوبان علتان للخروج والجزاء محذوف أو الشرط متعلق بلا تتخذوا أي فلا تتخذوهم أولياء لقوله تعالى مظهرًا عادتهم: ﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ [آل عمران: ١١٨] ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١ ﴾ لا يُغفر بغير التوبة إلا ما قد سلف ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ ﴾ أي يظهر المشركون عليكم ﴿ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢ ﴾ أنتم ﴿ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ [النساء: ٨٩] ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ ﴾ في ترك الموالاة من الكفار ﴿ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ ﴾

---

(١) نزلت في حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه كتب إلى مشركي مكة زادها الله شرفًا وتعظيمًا يخبرهم بتهيىء النبي ﷺ لفتح مكة وهو عليه السلام كان يخفي الأمر فأخذ كتابه فاعتذر إلى رسول الله ﷺ فعذره عليه السلام رضي الله عنه (البخاري) (*).

(٢) والتعبير بالمضارع إظهارًا لعادة الاستمرار منهم فافهم.

(*) رواه البخاري (٤٢٧٤) في المغازي باب فتح مكة وباب فضل من شهد بدرًا (٣٩٨٣) وفي الجهاد باب الجاسوس (٣٠٠٧) وباب: إذا اضطر الرجل إلى النظر في شعور أهل الذمة والمؤمنات إذا عصين الله وتجريدهن (٣٠٨١) ومسلم رقم (٢٤٩٤) في فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة وأبو داود رقم (٢٦٥٠ و٢٦٥١) في الجهاد باب في حكم الجاسوس إذا كان مسلمًا والترمذي رقم (٣٣٠٥) في تفسير القرآن باب ومن سورة الممتحنة من رواية علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

كانوا ﴿مَعَهُۥ﴾ كيف تبرؤوا من أعداء الله ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ أي موجب العداوة والبغضاء بيننا إشراككم بالله لا غير لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١] ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ فهذا القول لا ينبغي فيه اقتداؤه لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣] وقد تبرأ هو عليه السلام أيضًا منه في آخر الوقت لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤] ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فاعملوا بها ﴿لِّمَن كَانَ﴾ لمن بدل من لكم إظهارًا أن من كان يرجو الله فليقتد بهم لقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠] ﴿يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ أي للمؤمنين ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي يعرض عن هذه الهداية ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾ لا يتضرر بكفركم ولا بتوليكم لقوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم: ٨] اعلموا أن هذا الحكم مؤقت لا دائم لأنه ﴿﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ مفعول للجعل البسيط أي يخلق بينكم المحبة برفع التدافع والتضاد من بينكم بتوفيقهم للإيمان لقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ [النصر: ١، ٢] ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ[1] ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ أي لأجل مخالفة الدين ﴿وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ عن ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ بل بروهم لقوله

---

(١) نزلت في أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أتت أمها بهدايا وهي مشركة فقالت أسماء: لا أقبل منك هدية ولا تدخلي علي بيتي حتى أستأذن رسول الله ﷺ فسألت فأنزل الله هذه الآية (معالم ٨/ ٩٦) أقول: يفهم من هذا أن الآية الكريمة الأولى في المحاربين لا غير. فافهم.

تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧] ﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ بالإنصاف في القضايا والمعاملات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ أي العادلين في الأمور كلها لقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ لأجل الدين ﴿وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾ المشركين واليهودوالنصارى ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ تحبوهم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ اسمعوا حكمًا آخر ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ بالإيمان خفية خشية أن يكن عيونًا من المحاربين لقوله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [المائدة: ٤١] ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ لا يخفى عليه خافية ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ أزواجهن وإن التمسوكم ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ للمباينة بينهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ﴾ إن كانوا مصالحين ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ أي طلقوا أنتم المؤمنون أزواجكم المشركات ﴿وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ من المشركين الذين يتزوجونهن ﴿وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ﴾ منكم من المهور لأنهم مصالحون ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٠ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ أي ذهبت امرأة من نسائكم ﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾ أي أصبتم الغنيمة ﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم﴾ إلى الكفار من بيت المال ﴿مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ۝١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي يختلقنه من عند أنفسهن ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ أي في أمر شرعي لقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾ [النحل: ٤٤] وقوله عليه السلام: «أنتم أعلم بأمور دنياكم»(١) (الحديث) ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٢﴾ والآية وإن كانت مسوقة لبيان النساء إلا أنها عامة في النساء والرجال(٢) لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٣٦٣) في الفضائل باب وجوب امتثال ما قاله ﷺ شرعًا دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأي من رواية أنس وعائشة رضي الله عنهما.

(٢) رد على من أنكر البيعة المستحبة وقال: كل بيعة كانت زمن النبي ﷺ وأصحابه كانت للإيمان أو =

﴿كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] وقد بايع رسول الله ﷺ الرجال أيضًا الحديث (متفق عليه)(١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ رجوع إلى أول السورة ﴿لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ من الكفار كائنًا من كان ﴿قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ لسوء أعمالهم لقوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥] ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾ الأحياء ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ الميتين أنهم لن يرجعوا إليهم ولن يلاقوهم لاعتقادهم عدم الآخرة لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المؤمنون: ٣٧].

سورة الصف مدنية وهي أربع عشرة آية

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ من التمني للأعمال الصالحة عمومًا وللجهاد خصوصًا لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ﴾ [النساء: ٧٧] ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ غضبًا ﴿عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ﴾ يتمنون الجهاد ثم على وقته ﴿يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ ليس فيه عوج ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ بالعصيان والبهتان ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ والرسول لا يؤذى بل يطاع لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [النساء: ٦٤] ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ سد عليهم طرق الهداية لقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٨٤] ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ هداية خاصة مر مرارًا ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا﴾ حال ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا

= للحكومة ـ فافهم ولا تعجل ـ نعم إن أكثر مشايخ زماننا منهمكون في أنواع البدع (منه).

(١) رواه البخاري في الإيمان (١٨) ومسلم في الحدود (١٧٠٩).

﴿رَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ أي كثير الحمد وهو محمد ﷺ لقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩] فأحمد اسم تفضيل للمفعول كقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ [فاطر: ٤٢] لا أنه يسمى بأحمد فاندفع ما توهم وما تكلف وقد مرت العبارات الإنجيلية في الجزء التاسع ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ المبشر ﴿بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا﴾ أي اليهود والنصارى والمشركون ﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝٦﴾ أي ساحر يسحر الناس بأثر كلامه ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بتكذيب رسله والاعتقاد بشريكه وأولاده ﴿وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ أي الانقياد لله سبحانه ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٧﴾ هداية خاصة ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي ليبطلوا دين الله ويغلبوا الباطل على الحق لقوله تعالى: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[الكهف: ٥٦] ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝٨ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[1] أي يغلبه على الأديان كلها ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۝٩ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ﴾ تريدون أن تظهروا على أعدائكم فاستمعوا ﴿أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠﴾ في الدنيا قهر الغير إياكم وفي الآخرة عذاب الجحيم ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ وحده ﴿وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ كلها بتقدير أن المصدرية خبر مبتدأ محذوف أي التجارة المنجية الإيمان بالله وحده والعمل على مقتضاه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ۝٢٩﴾ [فاطر: ٢٩] ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١﴾ إن تفعلوا ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً﴾ عطف على جنات ﴿فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١٢﴾ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ﴿وَأُخْرَى﴾ أي يعطكم نعمة أخرى على المغفرة ﴿تُحِبُّونَهَا﴾ هي ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ أي إن تؤمنوا وتجاهدوا يؤتكم أجرًا في الآخرة والفتح في الدنيا لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ

---

(١) قال المسيح القادياني: هذه الآية في حقي أي أنا أظهر الإسلام في الأطراف والأكناف وأجعل الأديان كلها دينًا واحدًا الإسلام والحال كما ترى وهو ذهب لسبيله فإلى الله المشتكى (منه).

حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١] ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٢﴾﴾ الذين يتجرون هذه التجارة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ من فرع هذه التجارة أن ﴿كُونُوٓا أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ أي أعوان دينه لقوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ[1] ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٠] ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ﴾ أي انصروا دين الله كما نصر الحواريون حين قال لهم المسيح: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ﴾ ذاهبًا ﴿إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت﴾ الفاء للتعقيب فقط ﴿طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بعد زمان ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ اللهم انصرنا على عدوك وعلى عدونا آمين.

سورة الجمعة مدنية وهي إحدى عشرة آية

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۧنَ﴾ أي مشركي العرب الذين لا يعلمون لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة: ١١٣] ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ محمدًا ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي كلامه ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ بأثر صحبته لقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٠١] ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ الكتاب عام والحكمة حصة خاصة منه متعلقة بالأحكام لقوله تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ إلى قوله سبحانه عز من قائل: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٣ـ٣٩] ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَ﴾ بعث محمداً ﷺ في ﴿ءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾[2] سوى العرب ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ إلى اليوم من أهالي الهند

---

(١) الآية تدل على أن الناصر هو الله فكيف يكون نفسه سبحانه منصورًا فالتقدير ما قدرنا فافهم (منه).

(٢) قال القادياني: البعثة الثانية المحمدية في حقي فأنا محمد في صورة المرزا (ترياق القلوب وغيره من مؤلفاته) فلذا قال: من دخل في جماعتي دخل في صحابة محمد ﷺ (خطبة إلهامية) هل سمعت أعجب من هذا أو مثله فيا للعجب وضيعة الأدب (منه).

والفارس والروم وغيرهم من سكان العالم لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]. ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ﴾ الهداية ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ أي من ينيب إليه فيشاء هدايته لقوله تعالى: ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ۝١٣﴾ [الشورى: ١٣] ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝١ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ أي أوتوها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ أي لم يعملوا بها ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ كتباً أي ليس لهم شرف ولا عز بحمل التوراة كما ليس للحمار فخر ولا شرف بل عليهم ما ليس عليه لقوله تعالى: ﴿۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝٢٢﴾ [الأنفال: ٢٢] ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾ هؤلاء ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦﴾ كي تفوزوا إلى ما قدمتم ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر والمعاصي بل يريدون أن يحيوا مدة طويلة لقوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦] ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾ فسترون ما يقع عليكم لقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [التكاثر: ٣، ٤]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ وقت الهاجرة ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي تذكير الإمام وقت الخطبة ﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ بالكسب والتجارة ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾ فإن الفلاح موقوف على ذكر الله لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝١٩﴾ [الحشر: ١٩] ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ﴾ (١) خطيبًا ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ مآلاً ﴿مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ

---

(١) كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة فجاء العير فثار الناس إليها إلا اثنا عشر رجلًا ورسول الله ﷺ قائم يخطب فنزلت هذه الآية (معالم ٨/ ١٢٣) كانت واقعة عين عبر عنها بصيغة إذا إظهارًا لعادتهم فافهم (منه).

﴿ٱلتِّجَٰرَةَ﴾ لدوام ما عنده وفناء ما عندكم لقوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ يرزقكم من حيث لا تحتسبون لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] اللهم ارزقني من عندك.

سورة المنافقون مدنية وهي إحدى عشرة آية

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ أيها النبي ﴿قَالُوا﴾ خدعة ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ صدقوا في هذا الإخبار ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ في المعنى حيث أضمروا خلاف ما أظهروا من الكفر لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة: ١٨] ﴿ٱتَّخَذُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ سترة على ما أضمروا في بواطنهم من الكفر والنفاق ﴿فَصَدُّوا﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بالمكر والخداع ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾ من المعاصي والنفاق ﴿ذَٰلِكَ﴾ النفاق ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ بالإخلاص ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ طمعًا في مطالب الحياة الدنيا ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ مآل أمرهم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ نَسُوا ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٩] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لأنهم أكبر بدنًا ﴿وَإِن يَقُولُوا﴾ شيئًا ﴿تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لما أنهم يتفوهون بكلام معجب لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤] ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ أجسام بلا أرواح وبلا أحلام لقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ لجبنهم ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ حقيقة ﴿فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ يصرفون عن الحق إلى الباطل لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [المؤمنون: ٧٤] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ على توليكم وإعراضكم ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾﴾ لا يبالون بما قيل لهم

لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ [لقمان: ٧] ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ لأنهم ﴿ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة: ٨٤] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾ أي لا يغفر لهم ولا يزكيهم لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٧] ﴿ هُمُ ﴾ أي المنافقون ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾[1] من المهاجرين ﴿ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ﴾ ينتشروا لأجل الفاقة ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ﴿ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٢] ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾ ما يؤول إليه أمرهم ﴿ يَقُولُونَ ﴾ عليهم ما عليهم ﴿ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ ﴾ أي نحن أهل المدينة ﴿ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ أي الفقراء المهاجرين حسبوا العزة على كثرة المال كما يزعم الجهال عموماً لقوله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ﴾ [البقرة: ٢٤٧] ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ ﴾ حقيقة ﴿ وَلِرَسُولِهِۦ ﴾ بإعزازه إياه عليه السلام لقوله تعالى: ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [الفتح: ٩] ﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ لإيمانهم وأعمالهم الحسنة لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣] ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ أي ليس لهم علم وفهم مطلقًا لقوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ أي لا تشتغلوا بها غافلين عن ذكر الله ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ الاشتغال ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ لخسران عاقبتهم لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر: ١٥] ﴿ وَأَنفِقُوا۟ ﴾ في سبيل الله ﴿ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ من مال أو جاه أو علم ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ ﴾ عطف على يأتي ﴿ رَبِّ لَوْلَآ

---

(١) تخاصم رجلان من المهاجرين والأنصار فيما بينهم فسمعه عبد الله بن أبي المنافق فغضب على المهاجرين حمية للأنصار فقال ما قال عليه ما يستحقه (منه).

﴿أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي مدة قليلة ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ منصوب على جواب التمني أي أنفق مالي الذي شغلني عن ذكر الله وأحكامه عطف على المنصوب ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠﴾ بعمل الصالحات لقوله تعالى: ﴿نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف: ٥٣] وجزم أكن على محل أصدق كأنه قيل: إن أخرتني أصدق وأكن من الصالحين ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١﴾ فيجازيكم كما تستحقونه.

سورة التغابن مدنية وهي ثمان عشرة آية

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ﴾ أي بعد ما هداكم صرتم فريقين لقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان: ٣] ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾ أي مرجع الأمور كلها ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤﴾ أي بأمور مخفية في الصدور لقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾ [غافر: ١٩] ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥ ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ﴾ منا ﴿يَهْدُونَنَا﴾ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٤﴾ [المؤمنون: ٢٤] ﴿فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ لعدم مبالاتهم للحق لقوله تعالى: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء: ١١٥] ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٦﴾ لا يبالي بإيمان أحد أو كفره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٨﴾ [إبراهيم: ٨] ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ﴾ يوم الجزاء ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ من الله ﴿بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ﴾ في الدنيا من الصغائر والكبائر لقوله تعالى: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ﴾ [الكهف: ٤٩] ﴿وَذَٰلِكَ﴾ البعث ﴿عَلَى ٱللَّهِ

﴿ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [لقمان: ٢٨] ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾ أي القرآن المنور للقلوب لقوله تعالى: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ ﴾ [الشورى: ٥٢] ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ﴾ أي في يوم يجمع فيه الناس كلهم أولهم وآخرهم لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠] ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾ أي يوم الخسران في حق من لم يستعد له لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر: ١٥] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [النحل: ٢٧] ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ ﴾ الصغائر لقوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء: ٣١] ﴿ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ ﴾.

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ ﴾ في الأرض ولا في أنفسكم ﴿ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ وحده بأن استقام على توحيده لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾ [فصلت: ٣٠] ﴿ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ أي يسدده ويوفقه للأعمال الحسنة لقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ [الليل: ٥-٧] ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ﴾ أي ليس عليه سؤال عما تجرمون لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [البقرة: ١١٩] ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ أي مقتضى الإيمان التوكل على الله لا على غيره لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [يونس: ٨٤] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾ إن شغلوكم عن الله وأحكامه ﴿ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ أن يشغلوكم عن ذكر الله لقوله تعالى: ﴿ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [المنافقون: ٩] ﴿ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ ﴾ عن المعاتبة عليهم ﴿ وَتَغْفِرُوا۟ ﴾ لهم ذنوبهم ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ يغفر لكم ويرحمكم ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ أي

صد لكم عن ذكر الله إن شغلتم بها وإلا فلا لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ الرسول ﴿وَأَنفِقُوا﴾ مما رزقكم الله يكن ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ أي لم يطع نفسه في بخلها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣] ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي تنفقوا في سبيله سبحانه بإخلاص النية ﴿يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ أضعافاً كثيرة لقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١] ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ يشكر أي يعطي الأجر على الكثير والقليل لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: ١١٥] ﴿حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ حيث لا يعجل ما يستحق العباد من العذاب بترك الإنفاق ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

سورة الطلاق مدنية وهي اثنا عشرة آية

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أي أردتم الطلاق ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي حين يطهرن من المحيض ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ التي أمر الله بتكميلها لقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ﴾ قبل انتهاء العدة ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ أي يزنين لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥] فيحل لكم إخراجهن دفعًا للعار عن أنفسكم ﴿وَتِلْكَ﴾ الأحكام ومثلها ﴿حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ بأن ارتكب خلافها ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ لا غيره ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾ أن يصلح بينهما بإمالة قلب الزوج إليها ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي قاربن البلوغ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ هذا التخيير إذا كان الطلاق واحدًا أو اثنان لا ثلاثاً لقوله تعالى:

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٢٩، ٢٣٠] ﴿ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ على التفريق أو الرجوع ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ بأن لا يضيق عليها ضرارًا إن كرهها ﴿ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ ﴾ فلاحًا في غيرها ﴿ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ أي يهيىء له سببًا غيرها لقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ ﴾ [النساء: ١٣٠] ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ﴾ كافيه لكن لا ينبغي العجلة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ ﴾ متى يشاء فإنه ﴿ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣ ﴾ حدًّا لانتهاء الشدة والرخاء ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ ﴾ فلا تظهر عدتهن ﴿ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ ﴾ مع البلوغ والدخول، ويكون هذا نادرًا جدًّا، فعدتهن أيضًا ثلاثة أشهر ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ بأن لا يخالف ما أمره في السراء والضراء ﴿ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤ ﴾ يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة ﴿ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ ﴾ لتعملوا به ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ بأن يجتنب الكبائر ﴿ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ۝٣١ ﴾ [النساء: ٣١] ﴿ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ۝٥ أَسۡكِنُوهُنَّ ﴾ أي النساء المطلقات ﴿ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ ﴾ مساكنهن فيخرجن بأنفسهن ﴿ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ ﴾ فتكمل عدتهن ﴿ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ ﴾ أي عاشروا النساء بالعرف الشرعي لقوله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ ﴾ [النساء: ١٩] ﴿ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ ﴾ في الرضاع بأن لم تستطع أن ترضع ولدها ﴿ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ۝٦ ﴾ على أجرة ﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ ﴾ أي الزوج لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ ﴾ [البقرة: ٢٣٣] ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ۝٧ ﴾ لقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ۝٦ ﴾ [الانشراح: ٥، ٦].

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ ﴾ تجاوزت ﴿ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ۝٨ فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا ۝٩ ﴾ خسرانًا بينًا في الدنيا والآخرة ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا

﴿شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ بترك المعاصي ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بيان لأولي الألباب ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾﴾ مذكرًا أي ﴿رَسُولًا﴾ بدل أو عطف بيان ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفرية والشركية والبدعية ﴿إِلَى النُّورِ﴾ التوحيد والسنة ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ في الجنة ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ في العدد أو في الخلق مثلهن ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ﴾ أي أمر الله المتعلق بالإنبات وغيره ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ يذكر لكم هذا ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ فهو أعلم بحاجاتكم وأقدر على قضائها.

سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾[1] من المأكولات والمشروبات ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾﴾ قد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي أباح وأجاز لكم ﴿تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ بتكفيرها لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾[2] من تحريم العسل ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾ غيرها ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بأنها أفشت أمرك ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾ بأن عرض لها بشيء ﴿وَأَعْرَضَ﴾ النبي ﴿عَنْ بَعْضٍ﴾ تكرمًا ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا﴾ أي المخبرة ﴿بِهِ﴾ أي بما أظهره الله عليه عليه السلام ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾ مني

---

(١) قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يشرب عسلًا عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير، إني أجد منك ريح مغافير قال: «لا، ولكني كنت أشرب عسلًا عند زينب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدًا» (البخاري: ٤٩١٢) فنزلت هذه الآية.

(٢) قال رسول الله ﷺ لحفصة: إن أبا بكر يلي الخلافة بعدي ثم من بعده أبوك (عمر) فأخبرت حفصة عائشة فنزل جبريل بهذه السورة (تفسير عسكري للشيعة الإمامية) هذا هو الفصل بين القائلين بخلافة الشيخين وبين المنكرين لها فافهم واكتف بها وفقك الله لما يحب ويرضى (منه).

﴿ قَالَ ﴾ رسول الله ﷺ ﴿ نَبَّأَنِيَ ﴾ الله ﴿ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ الخطاب لعائشة وحفصة رضي الله عنهما وعن أبيهما فينبغي بكم ﴿ فَقَدْ صَغَتْ ﴾ أي زاغت ﴿ قُلُوبُكُمَا ﴾ بارتكابكما العصيان ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ ﴾ أي على خلافه فلا ضرب عليه ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ أعوان وأنصار له بل ولكل مؤمن لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ إلى قوله: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١] ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ ﴾ على نشوزكن ﴿ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ ﴾ مطيعات لله ﴿ تَٰٓئِبَٰتٍ ﴾ راجعات إلى الله ﴿ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ﴾ مهاجرات ﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ ﴾ من كل نوع ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ بالوعظ والتذكير والتخويف في الله لقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ [مريم: ٥٥] ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ تتوقد بهما كما تتوقد نار الدنيا بالحطب ﴿ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ﴾ أي يقال لهم حين يعتذرون إلى الله بالاستسلام لقوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ﴾ [النحل: ٨٧] ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ خالصًا ابتغاء وجه الله بترك الذنوب وزجر النفوس عن الارتكاب مستقبلًا لقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٥] ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ التي تبتم عنها ﴿ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ بل يعزره ويوقره عليه السلام بتشفيعه في أمته لقوله تعالى: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٩] ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ﴾ بإدخال الجنة ﴿ وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ أي جادلهم بما يناسب شأنهم بالسنان أو اللسان ﴿ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي لا تلن ولا تداهن فيهم بل ثبت نفسك على مقابلتهم لقوله تعالى: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [القلم: ٩، ١٠] ﴿ وَمَأْوَىٰهُمْ

جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ رجوع إلى أول السورة ﴿امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ بعصيان أمرهما ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ﴾ عذاب ﴿اللَّهِ شَيْئًا﴾ حين حل بهما لقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧] ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ فيا نساء النبي اعتبرن بهما ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ كانت مسلمة ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾﴾ فنجاها الله منه ﴿وَ﴾ ضرب الله مثلًا ﴿مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ عن الفواحش كما رمتها اليهود لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ [مريم: ٢٨] ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ الطائعين لله لا كما ترميها اليهود لقوله تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥].

سورة الملك مكية وهي ثلاثون آية

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ أي حكومة الملك كله من السموات والأرض وما بينهما لقوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾ [طه: ٦] ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي يظهر إحسان المحسن وإساءة المسيء يوم الجزاء لقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه: ١٥] ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ مطبقًا بعضها فوق بعض ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ أي تخلف مما عينه عليه لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢] ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ شقوق وتخلف ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي مرة بعد مرة إلى ما لا يتناهى ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ غير واجد ما التمسه ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ كليل لا يرى شيئًا

مما التمس لقوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨] ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ يرجمون بها حين يريدون أن يستمعوا القول لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر: ١٨] ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾ صوتًا هائلًا ﴿وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾﴾ تغلي بهم غليان المرجل لقوله تعالى: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١٢] ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ تشقق ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ على الكفار والفساق ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ﴾ يلقى ﴿فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾ ﴿يُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ﴾ [الزمر: ٧١] ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ﴾ أيها الرسل والنذر ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر: ٧١] ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي الكفار ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ سماع تدبر ﴿أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ قال الله تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا﴾ بعدًا عن الرحمة ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي غائبين عنه بلا رؤيته ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦ﴾ لا يتفاوت عليه ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ قابلة للزرع والتعمير ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ الذي ينبته لكم ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ الرجوع انتهاء لقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المائدة: ٩٦] ﴿ءَأَمِنتُم﴾ أيها الغافلون ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ تتحرك بكم كما تتحرك عند الزلازل ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ عذابًا بأي نوع كان ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾ ينكرون ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ﴾ لأنه سبحانه قيوم على كل شيء لقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ﴾ [فاطر: ٤١] ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ﴾ أي من ناصر لكم[1] دون الله -لا- لقوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِ

---

(١) إشارة إلى كون الموصول بدلاً من اسم الإشارة (منه).

﴿ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١٠٧﴾﴾ [البقرة: ١٠٧] ﴿إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾ يغترون بالأماني ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ﴾ أي من ذا الذي يرزقكم ﴿إِنۡ أَمۡسَكَ﴾ الله ﴿رِزۡقَهُۥ﴾ لا أحد بهذه المثابة لقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۢ ﴿٣٠﴾﴾ [الملك: ٣٠] ﴿بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ﴾ تكبر ﴿وَنُفُورٖ ﴿٢١﴾﴾ ينفرون عن الله وتوحيده لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥] ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبّٗا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ﴾ أزيد هداية ﴿أَمَّن يَمۡشِي سَوِيّٗا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٢﴾﴾ مثل ضرب تمثيلا وتوضيحًا لحال المشرك والموحد المكب على وجهه هو المشرك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [المؤمنون: ٧٤] لا شك أن الموحد أهدى وهو على الهدى لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢] ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ﴾ خلق ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ أي يوم الجزاء ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ في الإخبار بمجيئه ﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ لا يعلمه أحد غيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٢٦﴾﴾ ﴿بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ: ٤٦] ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ﴾ يرون الوعد ﴿زُلۡفَةٗ﴾ قريبًا بل قائمًا عليهم ﴿سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ اسودت وجوههم لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس: ٤٠-٤٢] ﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿١٧﴾﴾ تطلبون بالمبالغة لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ [ص: ١٦] ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا﴾ فهو مالكنا يفعل ما يشاء ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٨﴾﴾ لا أحد ينجيهم لقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر: ١٨] ﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٩﴾﴾ لا شك أنه هو المشرك ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا﴾ بحيث لا يبقى له أثر ﴿فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۢ ﴿٣٠﴾﴾ جار لا أحد يأتيكم به لقوله تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٣].

سورة القلم مكية وهي اثنتان وخمسون آية

﴿نٓ﴾ أي أنا الرحمن علمك القرآن ﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ أي أقسم بالكائنات ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ كما ينسبون إليك لقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾ [الحجر: ٦] ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣﴾ لا ينال فكيف بك جنون والمجنون لا أجر له ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ من الرأفة والرحمة والحكومة والسياسة لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ۝١٠٥﴾ [النساء: ١٠٥] ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾ أي أيكم يبتلى بأنواع البلايا ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ﴾ تركن إليهم شيئًا بترك النهي عن عبادة آلهتهم ﴿فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ بترك التعرض لك ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾[1] كثير الحلف على الكذب ﴿مَّهِينٍ ۝١٠﴾ ذليل ﴿هَمَّازٍ﴾ مغتاب للناس ﴿مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ يمشي بالنميمة كي يفسد بين الناس ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢﴾ كثير الآثام ﴿عُتُلٍّۭ﴾ سيء الخلق ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾ مشهور بين الناس بسوء الخلق لأجل ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥﴾ أي لأجل غناه وكثرة أولاده لا يبالي ولا يلتفت إلى أحكامه سبحانه لقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦، ٧] ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦﴾ أي نعلمه بعلامة يعرف بها لقوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۝٤١﴾ [الرحمن: ٤١] ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ ألقينا قريش مكة في المحن والبلايا ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝١٧﴾[2] وقت الصبح ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۝١٨﴾ أي لا

---

(١) نزلت في الوليد بن المغيرة كان معاندًا للإسلام (منه).

(٢) كان بستان باليمن يقال له: الضروان دون صنعاء بفرسخين يطأه أهل الطريق كان غرسه =

يقولون: إن شاء الله على قوتهم ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا ﴾ أي الجنة ﴿ طَآئِفٌ ﴾ عذاب ﴿ مِّن رَّبِّكَ ﴾ ليلًا ﴿ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ لا يشعرون ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾ أي الصريم المقطوع أي صارت أشجار الجنة مقلوعة ﴿ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ على حسب زعمهم ﴿ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ قاطعين ثمرات البستان ﴿ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ من الناس لأجل ﴿ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ على حرد متعلق بقادرين أي خرجوا غدوة قادرين على أن يقطعوا في زعمهم ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ الطريق ثم لما تأملوا الأمارات عندها قالوا: ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ من الله ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ سنًّا أو أفضلهم فهمًا ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الله بالشكر على ما آتاكم من الوراثة ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ ﴾ تنزيهًا له عن الظلم ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ يلوم بعضهم بعضًا في منع المساكين حقوقهم لم فعلتم ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ متجاوزين الحدود ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ ربنا فاغفر ذنوبنا ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ﴾ في الدنيا من العذاب الأدنى لقوله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ [السجدة: ٢١] ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ مثلهم في الدنيا والآخرة - لا- لقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الجاثية: ٢١] ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ من حسن المآل - لا- لقوله تعالى: ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [فاطر: ٤٠] ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ ﴾ عهود ﴿ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ ﴾ مستمرة ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أن افعلوا

= قوم من أهل الصلاة وكان لرجل فمات وورثه ثلاثة بنين له وكان يكون للمساكين إذا صرموا نخلهم كل شيء تعداه المنجل فلم يجزوا إذا طرح من فوق النخل إلى البساط فكل شيء يسقط على البساط فهو أيضًا للمساكين، فلما مات الأب وورثه هؤلاء الإخوة عن أبيهم فقالوا: إن المال قليل والعيال كثير فإنا لا نستطيع أن نفعل هذا فتحالفوا بينهم يومًا ليغدون غدوة قبل خروج الناس فغدوا قبل أن يخرج المساكين فرأوها مسودة وقد طاف عليها طائف من العذاب فأحرقها فأصبحت كالصريم (معالم ٨/ ١٩٤، ١٩٥).

ما شئتم لا نؤاخذكم ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ -لا- لقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة: ٨١] ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ ضامن يظهره بما عنده من الدلائل العقلية أو النقلية لقوله تعالى: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾ [الأحقاف: ٤] ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[1] يفيد حديث الصحيحين أن كشف الساق محمول على الحقيقة، ثم هو في لغة العرب كناية عن شدة الأمر لقول الشاعر:

كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح (الحماسة).

أي يوم يشتد الأمر وهو يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ٢] ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ لله ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ أن يسجدوا ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢] ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ في الحياة الدنيا بقول المؤذن حي على الصلاة ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ حال الحياة بل يسخرون لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا﴾ [المائدة: ٥٨] ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ الإخبار بيوم الجزاء ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ نأخذهم ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى﴾ إمهالي ﴿مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ لا يسبقونني لقوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الواقعة: ٦٠] ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ على التبليغ ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ لا يتحملون ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ كما أمرك بصبر جميل ﴿وَلَا تَكُن

---

(١) سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر:

سن لنا قومك ضرب الأعناق وقامت الحرب بنا على ساق

ثم قال: وهو يوم كرب وشدة (الكبير والصحيح لمسلم) (*). أقول: ما أسس هو رضي الله عنه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

(*) الكبير (١٠/ ٦١٣) والصحيح لمسلم (١٨٣).

كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾ وهو يونس عليه السلام ﴿ إِذْ نَادَىٰ ﴾ ربه في الظلمات ﴿ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ مملوء غمًا لقوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ﴿ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ ﴾ أدركه ﴿ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ يذمه كل من كان على الأرض ومن في السماء لطرده سبحانه عن جنابه ﴿ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ المقبولين عند الله ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ إن مخففة وضمير الشأن محذوف أي إنه يكاد الكفار ﴿ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ ﴾ القرآن أي ينظرون إليك نظر غيظ وغضب حين يسمعون القرآن لقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الجن: ١٩] ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ ﴾ حيث يخبرنا عن أمور مستحيلة لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ ﴾ [سبأ: ٧] والحال ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤] ﴿ وَمَا هُوَ ﴾ أي القرآن ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [التكوير: ٢٨].

سورة الحاقة مكية وهي اثنتان وخمسون آية

﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ ﴾ أي الساعة الحقة ﴿ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ ﴾ كيف تعلمها وعلمها عند الله ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ ﴾ أي بالحاقة التي تقرع الناس على غفلتهم ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ ﴾ أي بصيحة عظيمة لقوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [هود: ٦٧] ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ ﴾ شديدة الهبوب ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ متتابعة ﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾ ساقطة على وجه الأرض ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾ أي نفس باقية ﴿ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ ﴾ أي بذنوب كثيرة ﴿ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ ﴾ الله ﴿ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ ﴾ زمن طوفان نوح ﴿ حَمَلْنَٰكُمْ ﴾ أي آباءكم لقوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ

عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٣] ﴿ فِي ﴾ السفينة ﴿ ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ ﴾ على الماء ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً ﴾ لمن أراد أن يتذكر ﴿ وَتَعِيَهَآ ﴾ أي تحفظها ﴿ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾ أي بسماع القلب ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ ﴾ أولى ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ ﴾ من مركزهما ﴿ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ ﴾ أي بمرة واحدة بحيث تكون الأرض نقية بيضاء لقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [طه: ١٠٥ـ١٠٧] ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ ﴾ أي الحاقة ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ ضعيفة مسترخية ﴿ وَٱلْمَلَكُ ﴾ أي الملائكة المأمورون ﴿ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ﴾ مستعدون لما يؤمرون ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ وهو يفيد عظمته وكبرياءه سبحانه مثل قوله تعالى: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [غافر: ١٦] ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ ﴾ على الله ﴿ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ ﴾ نفس ﴿ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ ﴾ أي كتاب أعماله ﴿ بِيَمِينِهِۦ ﴾ أي بالعزة والوقار ﴿ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ﴾ تعالوا ﴿ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ ﴾ في الدنيا ﴿ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ﴾ فعلى هذا الظن كنت أحسن العمل لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الطور: ٢٨] ﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ ﴾ مرضية أي ﴿ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ أي مرتفعة أشجارها ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ إلى الأسفل يقال لهم: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾ الماضية ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا ﴾ أي الموتة ﴿ كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾ أي لم أحيَ مرة ثانية لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [النساء: ٤٢] ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ ﴾ الذي كنت أظنه مخلدًا لقوله تعالى: ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ ﴾ [الهمزة: ٣] ﴿ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾ أي برهاني الذي كنت أستدل به على عزتي لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الكهف: ٣٦] يقال للملائكة المأمورين: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ﴾ في عنقه ﴿ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ ﴾ أي أدخلوه في جهنم ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ يحميه ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا

﴿ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ المجرمون حسب جرائمهم.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ من الأشياء المحسوسة ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ من الملائكة وذاته سبحانه ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ أي القرآن تلاوة الرسول وهو منزل من الله لقوله تعالى الآتي متصلًا: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الآية ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ والإيمان القليل لا يجدي لقوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [البقرة: ٨٥] ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ بغير أن يؤذن منا ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ أي بالبطشة الشديدة ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ بأن نهلكه ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ مانعين يعصمونه هذه قضية عين لا عموم لها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ[1] عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل: ١١٦، ١١٧] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ يوم الجزاء حيث يقولون: ﴿يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان: ٢٧] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي إخباره ﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ سبحان ربي العظيم.

سورة المعارج مكية وهي أربع وأربعون آية

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ أي دعا على نفسه ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ [ص: ١٦] ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾﴾ أي ذي المراتب غير المتناهية لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل: ٦٠] وقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣] فمن متعلقة بواقع ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ

---

(١) لأن الله أثبت للمفترين متاعًا قليلًا فإن كان المراد هلاك المفترين بالمرة فكيف يكون لهم متاع قليل فافهم.

﴿إِلَيْهِ﴾ لأن كل ذي حياة من الملائكة وغيرهم محتاجون إليه سبحانه في وجودهم وثباتهم لقوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١] ﴿فِى يَوْمٍ﴾ متعلق بواقع أي العذاب الكائن في يوم ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ وهو يوم القيامة وليس المراد بخمسين ألف سنة تحديده بها بل إظهار لطوله لقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ[1] فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة: ١٦٢] ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾﴾ لا جزع فيه ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ لقدرتنا وحلمنا ﴿يَوْمَ﴾ بدل من يوم قبله منصوب بنزع الخافض أي في يوم ﴿تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾﴾ كعكر الزيت ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾ كالصوف المنفوش أي هباء منثورًا لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٥ـ١٠٧] ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ﴾ عشيرته ﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾﴾ ملتهبة ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾ منصوب على أنه حال من لظى أو خبر بعد خبر على مذهب من نصب الجزئين ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾ عن الإيمان ﴿وَجَمَعَ﴾ المال ﴿فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ حفظه عن الإنفاق ﴿۞إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾ حريصًا لقوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ﴾ [النساء: ١٢٨] ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ كان ﴿جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ﴾ كان ﴿مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ يمنع غيره لقوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء: ١٠٠] ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي مديموها ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾﴾ معين كما عينه الشرع ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ الذي لا يسأل وهو محتاج لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ﴾ [الحج: ٣٦] ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ أي ينبغي أن لا يؤمن لقوله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾﴾

---

(١) والخلود يأبى التحديد فافهم.

أي لا يزنون ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ لأنهم يفعلون ما يؤمرون لقوله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ ﴾ [البقرة: ٢٢٣] ﴿ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ المتجاوزون حدود الله ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ يوفون بالمواعيد والعهود لقوله تعالى: ﴿ أَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ أي يؤدون شهاداتهم كما يتحملون لقوله تعالى: ﴿ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ [المائدة: ٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ أي يؤدونها بأوقاتها لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النساء: ١٠٣] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ المستثنون ﴿ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ فإنهم لا يحزعون ولا يمنعون ما آتاهم الله من فضله لقوله تعالى: ﴿ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد: ٢٣].

﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ أي مسرعين ﴿ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ حلقة حلقة أي يسرعون إليك غضبًا عليك حين يسمعون القرآن لقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴿١٩﴾ ﴾ [الجن: ١٩] ﴿ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴿٣٨﴾ ﴾ على ما كان من العمل لقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الكهف: ٣٦] ﴿ كَلَّآۖ ﴾ ردع وإنكار لما ادعوا لقوله تعالى: ﴿ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [ص: ٢٨] ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ أي ﴿ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [النجم: ٤٦] أي هو سبحانه أعلم بهم حال كونهم في بطون أمهاتهم وفي أصلاب آبائهم لقوله تعالى: ﴿ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النجم: ٣٢] ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ ﴾ أي القبور ﴿ سِرَاعٗا ﴾ مسرعين مهطعين ﴿ كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ ﴾ أوثانهم المنصوبة ﴿ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ يسرعون ﴿ خَٰشِعَةً ﴾ ذليلة ﴿ أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ﴾ تغشاهم ﴿ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ في القرآن.

سورة نوح مكية وهي ثمان وعشرون آية

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾ رسولاً ﴿ أَنْ ﴾ أي بأن ﴿ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ ﴾ نوح ﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ التبعيض بالنسبة إلى حقوق العباد وإلا فهو سبحانه يغفر الذنوب جميعًا لقوله تعالى: ﴿ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ﴾ [الزمر: ٥٣] ﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾ أي يعافيكم بعافية عاجلة لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠ ﴾ [الشورى: ٣٠] ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ ﴾ الموت ﴿ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١ ﴾ فاعتبروا فدعا قومه مدة طويلة ثم ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ ﴾ يفرون مني وينفرون ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ أي ليعملوا عملًا مستلزمًا للغفران ﴿ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ ﴾ أي صاروا صمًّا وعميانًا ﴿ وَأَصَرُّوا۟ ﴾ على كفرهم ﴿ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ تكبروا في أنفسهم ﴿ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾ بإصلاح الأعمال ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ ﴾ على عباده ﴿ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ ﴾ أي الماء ﴿ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ ﴾ كانوا قحطوا بإمساك المطر ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ ﴾ أي لا تعظمونه حق تعظيمه ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ ﴾ أي في أطوار كثيرة من نطفة ثم من مضغة لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤ ﴾ [المؤمنون: ١٣، ١٤] ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ ﴾ بعضها فوق بعض ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ ﴾ أي خلقهما لفائدتكم لقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ [النحل: ١٢] ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ﴾ أي خلق أباكم من الطين ثم إياكم من النطفة لقوله

تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٢، ١٣] ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا ﴾ بالموت ﴿ وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ بعد الموت لقوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [طه: ٥٥] ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ ﴾ فرشًا ﴿ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ طرقًا واسعة في البيد والجبال. ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ ﴾ لما أنهم اغتروا بكثرة المال والأولاد وهم رؤساؤهم لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٧] ﴿ وَمَكَرُوا۟ ﴾ في تكذيب الحق ﴿ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ ﴾ يزول منه الجبال ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ أي رؤساء قوم نوح ﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ أي لا توفقهم للهداية لقوله تعالى: ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [يونس: ٨٨] ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ ﴾ بالماء من السماء والأرض لقوله تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ ﴾ [القمر: ١١، ١٢] ﴿ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا ﴾ بعد الموت ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ أحدًا من الكافرين يدور على الأرض ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ ﴾ بصحبتهم وإلقائهم الشبهات ﴿ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾ حيثما كانوا ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾ هلاكًا على عنادهم للحق. اللهم قاتل المفسدين.

سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية

﴿ قُلْ أُوحِىَ (١) إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ

(١) عن ابن عباس قال: انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السمآء فقالوا: فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها لتعرفوا ما هذا الأمر الذي حال بينكم وبين خبر السمآء فانصرفوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة عامدًا إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له قالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السمآء فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا: ياقومنا=

﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ الضمير للشأن والجد العظمة أي تعالى شأنه عن الشرك والشريك ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ وكون أن مفتوحة على تأويل الجملة مفرداً والمفرد بعد القول منصوب لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٧٤] فاندفع ما تكلف ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ الجاهل منا الراغب عن الملة الحنيفية لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠] ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤﴾ كذبًا وافتراءً ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾ لهيبته وجلاله سبحانه لأجل ذلك سلمنا بما قالوا وما افتروا عليه تعالى شأنه ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ في البيداء والميادين وقت النزول، كان عادة العرب إذا نزلوا منزلاً يقولون: نعوذ بسيد هذا الوادي من الجن ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ طغيانًا وكفرًا ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي العائذون من الكفار ﴿ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾ بعد الموت فتشابهت قلوبهم ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ بالرياضة والمكاشفة اليوم ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨﴾ من النجوم ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ قبل اليوم ﴿مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ متهيأ للرمي فلا يفوز بمرامه ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من هذا الصد والرصد ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ يرشدهم بهذا إلى سبيل الرشاد ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ﴾ من الفساق والفجار ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١﴾ جماعات مختلفة فالحمد لله الذي هيأ لنا أن نكون ملة واحدة ملة إسلامية لقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إن أراد أن يأخذنا ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ۝١٢﴾ لعدم الاستطاعة للهرب لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦١] ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أي القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝١٣﴾ ظلمًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ

= ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ الآية (متفق عليه) (*).

(*) رواه البخاري في التفسير باب: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ رقم (٤٩٢١) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومسلم رقم (٤٤٩).

﴿أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف: ١٧٠] ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ الجائرون المائلون إلى غير الله ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾ أي قصدوا طريق الصدق والصواب لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢] ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ وقودًا لقوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤] ﴿وَ﴾ أوحي إلي ﴿أَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ أهل مكة ﴿عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ أي الملة التوحيدية ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ أي لو تابوا عن الكفر وأسلموا لأنزلنا عليهم من السماء ماءً مدرارًا لقوله تعالى حاكيًا عن نوح عليه السلام: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢] ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي لكن لم نسقهم لنعذبهم بالقحط وإمساك المطر لقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢] ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ شاقًا شديدًا ﴿وَ﴾ أوحي إلي ﴿أَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ كائنًا من كان مسيحًا كان أو غيره ﴿وَ﴾ أيضا قالت الجن لقومهم: ﴿أَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ محمد ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ وحده يقول: لا إله إلا الله ﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ يركب بعضهم بعضا ليأخذوه ويضربوه لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٠].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ﴾ اعرفوا شأني واسمعوا كلامي ﴿إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ فلاحًا بل هو الله يملك لقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يس: ٨٣] ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ إن أرادني بسوء ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ ملجأ ألجأ إليه لقوله تعالى: ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠] ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ أي لا أملك من الله شيئا إلا أن أبلغكم ما أرسلت به لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤] ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية

﴿إِذَا رَأَوْا﴾ أي الكفار ﴿مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾ رد لما اغتروا به لكثرتهم لقوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾ [مريم: ٧٣] ﴿قُلْ﴾ يا أيها الرسول ﴿إِنْ أَدْرِى﴾ أي لا أعلم ﴿أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾ مدة طويلة هو ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ بيان لمن ارتضى لقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ﴾ [آل عمران: ١٧٩] أي هو سبحانه يظهر على الغيب رسله إن شاء وعلى أي قدر شاء لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ الآية مرت آنفًا ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ محافظًا على ما ينزل هذا هو المخصوص بالأنبياء عليهم السلام وإلا فقد يلهم الأولياء أيضًا لقوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾﴾ [طه: ٣٨] ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ الله تعالى[1] ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟﴾ أي الملائكة ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ﴾ الله ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾ لا يفوته شيء لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: ٦١].

سورة المزمل مكية وهي عشرون آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾﴾[2] أي النبي المتلفف بثوبه ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ مصليًا ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ شيئًا أي الخيار إليك بقيام نصف الليل أو أقل منه بشيء لقوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨] ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ واضحًا متصلًا ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ هو الدعاء للناس إلى رب العباد لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ﴾ [النحل: ١٢٥] ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ أي ساعات الليل ﴿هِىَ أَشَدُّ

---

(١) علم ظهور (منه).

(٢) هذه السورة نزلت بعد اقرأ حين كان عليه السلام مزملًا (منه).

﴿وَطْئًا﴾ موافقة للقلب ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ أي أنسب بالقول لهداة الناس - اللهم اجعلني منهم - لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت: ٣٣] ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧﴾ شغلًا كثيرًا بدعوة الناس إلى الله ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾ أخلص إليه بشراشرك وانقطع إليه عما سواه لقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢﴾ [الإسراء: ٢] هو ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ يصلح لك الأمر ويقضي حاجاتك لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩٦﴾ [الأعراف: ١٩٦].

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ لك من شاعر، ساحر، مجنون وغير ذلك ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾ لا جزع فيه ولا فزع ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾ أي المتنعمين من صناديد قريش ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝١١﴾ إلى زمان قليل أخذهم ببدر ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ غير سائغة ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧] ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣﴾ سوى ذلك ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ تتزلزل لقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة: ١] ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝١٤﴾ رملًا مائلًا هباء منثورًا لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝١٠٧﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ ياقريش ﴿رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ يشهد بإيمانكم وكفركم يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ۝٣٠﴾ [الفرقان: ٣٠] ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥﴾ أي موسى عليه السلام صاحب الكمالات والمعجزات ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝١٦﴾ شديدًا يعتبر به غيره لقوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يونس: ٩٢] ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾ أيها الكفار ﴿إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا﴾ أي عذاب يوم ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ﴾ متشقق ﴿بِهِۦ﴾ أي فيه لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝٢٥﴾ [الفرقان: ٢٥] أي كما أنهم أهلكوا كذا أنتم تهلكون لوحدة العلة وهي الكفر لقوله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ۝٤٣﴾

[القمر: ٤٣] ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿٤٣﴾﴾ أي كأنه قد فعل ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ آيات القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ[1] تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾ أي قريبًا ﴿مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ مرة كذا ومرة كذا ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ يعني أن المؤمنين أيضًا يقومون معك ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ أي يعلم قدر الزمان الذي أمرك بقيامه في أول السورة وقد زدت عليه ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ أي لن تقدروا أن تعملوا بهذا الطريق ﴿فَتَابَ﴾ توجه ﴿عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ أي قوموا الليل ما استطعتم بلا تعب ومشقة ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ لا يستطيعون ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ يعني المسافرين للتجارة ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لا يجدون فرصة لأداء النوافل ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ كثيرًا أو قليلًا ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي أقرضوا المساكين لوجه الله بلا بدل لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم: ٣٩] ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ أي ما تعملوا من خير قول أو فعل لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: ١١٥] ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ[2] خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ مما آتيتم وفعلتم في الدنيا لقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١] ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ يغفر لمن يستغفر ويرحم لمن يسترحم اللهم اغفر لي وارحمني وتب علي برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(١) أمر النبي ﷺ بأول السورة بالقيام (منه).

(٢) «هو» صلة.

سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ ﴾ النبي المتلفف بثوبه ﴿ قُمْ ﴾ أي تهيأ ﴿ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ ﴾ الناس ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ ﴾ الفاء للعطف أي كبر ربك فعظم إياه ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ ﴾ الثياب كناية عن القلب لقول امرىء القيس:

وإن تك قد ساءتك مني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي

أي زك نفسك عن دنس الشرك لقوله تعالى حاكيًا عن خليله عليه السلام: ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ أي اترك المآثم كلها ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ ﴾ أي لا تحسن إلى أحد مريدًا للكثرة بل أحسن لوجه الله لقوله تعالى: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [الليل: ١٩-٢١] ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ أي ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ [الطور: ٤٨] الخطاب للنبي عليه السلام والمراد الأمة كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [الطلاق: ١] ولقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١] هذه هي الأخلاق الفاضلة التي أرسل بها الأنبياء كما قال عليه السلام: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[1] (الحديث) ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ ﴾ إذا قامت القيامة ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ﴾ لذلتهم وخسرانهم لقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [النحل: ٢٧] ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٠٤) في حسن الخلق وإسناده منقطع لكن للحديث شواهد بمعناه يرتقي إلى درجة الصحيح منها ما رواه الحاكم (٢/ ٦١٣) وصححه ووافقه الذهبي. قال الزرقاني: رواه أحمد وقاسم بن أصبغ والحاكم والخرائطي برجال الصحيح عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة وقال ابن عبد البر: هو حديث مدني صحيح متصل وجوهه صحاح عن أبي هريرة وغيره وللطبراني من حديث جابر: «إنما بعثني الله لتمام مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال».

وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾[1] حال من الضمير المنصوب أي أنا أكفيكه وحدي لقوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦] ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ ﴾ كثيراً ﴿ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ﴾ أي بسطت له في العيش ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ ﴾ أي أعذبه عذاباً شديداً ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ ﴾ أي نظر في القرآن ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ﴾ نظر بالكراهة ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ ﴾ عن الإيمان ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ ﴾ القرآن ﴿ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ ﴾ ينقل عن السلف حكاية يؤثر في النفوس بحسن البيان ليس بإلهام ولا وحي ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ قال تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ ﴾ هي جهنم ﴿ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ من الأجسام إلا أكلتها لقوله تعالى: ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [المعارج: ١٦، ١٧] ﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ ﴾ أي مغيرة للجلد ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾ ملكاً ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ ﴾ أي خزنتها ﴿ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أي أظهرنا عددهم لكي يقول الكافرون ما هم أهلها من الاستهزاء والتمسخر ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أن العدد وإن كان قليلاً إلا أن ملكاً واحداً يكفي لتعذيب الكفار طرًّا لما أن قوة الملك مرقومة في كتبهم ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۖ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ ﴾ من هذه الأمة ﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ شك ﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ ﴾ أي ما أراد الله بهذا الكلام يقولون هذا استهزاء ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦، ٢٧] ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ كل من الناس والملائكة بل أنتم أنفسكم جنوده لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ٦١] ﴿ وَمَا

---

(١) نزلت في الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القران فكأنه رق فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال له: قل فيه شيئا يبلغ قومك أنك منكر له قال: وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني والله إن لقوله لحلاوة وإنه ليعلو وما يعلى قال أبو جهل: والله لا نرضى حتى تقول فيه قال: دعني حتى أفكر فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر (أخرجه الحاكم ٢ / ٥٠٧ والبيهقي ٢/ ١٩٨، ١٩٩).

﴿هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ تذكر الناس.

﴿كَلَّا﴾ حقًّا ﴿وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾ تنور ﴿إِنَّهَا﴾ أي جهنم ﴿لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾﴾ أي من النذر الكبار التي تزجر الناس عن الكبائر لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ﴾ إلى الخير ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ عنه أي ذكر النار ينذر الناس كلهم وإن كان المستفيدون منها المؤمنين لقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ مأخوذون بأعمالهم في النار ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾ من الصلحاء الذين يؤتون كتاب أعمالهم في أيمانهم لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحاقة: ١٩-٢١] ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ﴾ أيها المجرمون ﴿فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ وإن كانوا يعلمون بالإجمال أنه لا يدخلنها إلا من كان أهلها فهم يسألون عن تفصيل جرائمهم ﴿قَالُوا﴾ أي أصحاب النار ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ أي لم نك نؤدي الصلاة المفروضة علينا ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾[1] في الأباطيل ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ بالقال أو بالحال بالتساهل عن الأعمال الصالحة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ[2] آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٨] ﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ أي الموت ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ حال أي ما يفعلون معرضين عن القرآن ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ أي حبال الصيادين ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾﴾ أي بجزاء أعمالهم لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ [ص: ١٦] ﴿كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾ لهذا يجترؤون على طلب العذاب

---

(١) أقول: أخاف أن تكون الآية واردة على الإخباريين الذين يقرؤون الجرائد الملكية ويخوضون فيها ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى فإنا لله وإنا إليه راجعون (منه).

(٢) استدلال بالضد (منه).

﴿كَلَّآ﴾ حقًّا ﴿إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ٥٤﴾ أي القرآن مذكر ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ٥٥ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٠] ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ أي أهل أن يتقى ﴿وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ٥٦﴾ أن يغفر لمن أطاعه.

سورة القيامة مكية وهي أربعون آية

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢﴾ التي تلوم صاحبها على ارتكاب المعاصي لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١] ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ٣﴾ أي لن نبعثه لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾ [النحل: ٣٨] ﴿بَلَىٰ﴾ نبعثه ونجمعه ﴿قَٰدِرِينَ﴾ حال من الفاعل ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤﴾ أنامله ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ٥﴾ لا يريد أن يترك الفجور ﴿يَسۡـَٔلُ﴾ مستهزءًا ﴿أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ٦﴾ أي لا يأتي ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ٨﴾ أي أظلم ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ٩﴾ في موضع واحد لا يجريان لانتهاء الحركة لقوله تعالى: ﴿كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ﴾ [الزمر: ٥] هو يوم القيامة ﴿يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ١٠﴾ أي أين أهرب وأكتم لقوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ٤٢﴾ [النساء: ٤٢] ﴿كَلَّا﴾ لا يجد المفر لأنه ﴿لَا وَزَرَ ١١﴾ حصن ولا ملجأ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ١٢﴾ لما أن الحكومة كلها لله ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣﴾ أي بما كسب في الحياة الدنيا من الأعمال لقوله تعالى: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ﴾ [الكهف: ٤٩] ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ يوم القيامة ﴿عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤﴾ يبصر كل ما عمل لقوله تعالى: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢﴾ [ق: ٢٢] ﴿وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ١٥﴾ أي لو اعتذر كل اعتذار لا يمهل ﴿لَا تُحَرِّكۡ[1] بِهِۦ

---

(١) كان رسول الله ﷺ إذا نزل [عليه] جبريل بالوحي يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه =

لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ ﴿١٧﴾ في صدرك ﴿وَقُرۡءَانَهُۥ﴾ أي علينا أن نقرئك لقوله تعالى: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ [الأعلى: ٦] ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ أي قرأناه بلسان الملك ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ أي نلهمك توضيح ما أجمل لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤] ﴿كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ﴾ أيها الكفار ﴿ٱلۡعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾﴾ أي الدنيا لقوله تعالى: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿١٦﴾ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى: ١٦ـ١٧] ﴿وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ لا تلتفتون إليها ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ مسرورة بنضارة النعماء لقوله تعالى: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [المطففين: ٢٤] ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ﴿٢٤﴾﴾ كالحة مسودة لقوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾ [عبس: ٤٠، ٤١] ﴿تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ﴿٢٥﴾﴾ أي تستيقن العذاب لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡ ﴿٢٨﴾﴾ [الحاقة: ٢٥ـ٢٨] ﴿كَلَّآ﴾ ردع عما هم عليه من حب الآجلة وترك الآخرة ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الروح ﴿ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾ الحلقوم ﴿وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾﴾ يرقىٰ أو معالج يعالج المحتضر ﴿وَظَنَّ﴾ المحتضر ﴿أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ لشدة الموت ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ أي يساق العباد إلى ربهم جزاءً لإذا والمعنى أن حبكم العاجلة لا ينبغي بكم فإن الموتة لا محالة آتية لا تدفع فيجب عليكم أن تسعوا فيما يفيدكم بعد الموت لقوله تعالى:

= فأنزل الله هذه الآية (البخاري) (*).

أقول: ورد هذا الكلام أي النهي عن تحريك اللسان إلى بيانه معترضاً في أثناء الكلام كما أن المدرس ينبه المتعلم المشتغل إلى غير مطالب الدرس في أثناء التدريس ليشتغل بسماع تقرير المعلم لئلا يفوته شيء منه (منه).

(*) رواه البخاري (٤٩٢٧، ٤٩٢٨، ٤٩٢٩) في تفسير سورة القيامة وفي التوحيد (٧٥٢٤) باب قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾ ومسلم رقم (٤٤٨) في الصلاة باب الاستماع للقراءة والترمذي رقم (٣٣٢٩) في التفسير باب ومن سورة القيامة والنسائي (٢/ ١٤٩ و١٥٠) في الافتتاح باب جامع ما جاء في القرآن من رواية ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ بآيات الله ﴿وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١﴾ كما أمره الله ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢﴾ أعرض عن الإيمان ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ۝٣٣﴾ يتبختر ويختال أي لم يعمل ما يفيده بل عمل ما يضره ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ۝٣٥﴾ أي هلاكة لك أيها الإنسان ثم هلاكة ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦﴾ هملاً بلا أمر ولا نهي ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧﴾ يلقى في الرحم ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ﴾ أي من المني مطلقاً ﴿ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩﴾ أي لم يهمل منذ أن كان في صورة المني فكيف يهمل بعد أن صار إنساناً كاملاً لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ۝٢٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٤﴾ [المرسلات: ٢٠ـ٢٤] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩﴾ [الانفطار: ٦ـ٩] ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾ بلى إنه على كل شيء قدير.

سورة الدهر مدنية وهي إحدى وثلاثون آية

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ هل بمعنى قد لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾ [مريم: ٩] ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ مخلوط من ماء الرجل وماء المرأة ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ أي ننقله[1] من حال إلى حال لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾ [المؤمنون: ١٣، ١٤] ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ بينا له طريق الرشد والهدى ﴿إِمَّا﴾ صار ﴿شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ أي بعضهم شاكر

(١) معنى الابتلاء ههنا الاختبار بالأوامر والنواهي ليس بصحيح لأن الفاء في فجعلناه للتعقيب والاختبار بعد الجعل فافهم.

وبعضهم كفور ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا﴾ في أرجلهم ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ في أعناقهم ﴿وَسَعِيرًا ۝٤﴾ لقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢﴾ [الحاقة: ٣٠ـ٣٢] ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا﴾ أي خلطها ﴿كَافُورًا ۝٥﴾ أعني ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ أي يجرونها إلى حيث يشاؤون ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ بيان لأعمال أهل الجنة أي أصحاب الجنة هم الذين يؤدون ما أوجب الله عليهم[1] من الصلاة والزكاة وأداء النذور وغيرها لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ إلى ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١ـ١١] ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ﴾ أثر خوفه ﴿مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ فاشيًا يشمل كل إنسان لقوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۝١٠٨﴾ [طه: ١٠٨] ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي اشتهاء النفس للطعام لقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ يقولون لهم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ بل فعلنا بكم ما فعلنا لابتغاء وجه الله لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤] ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠﴾ يقبض الوجوه لقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾ [المدثر: ١٠] ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ أي يقيهم ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾ في وجوههم ﴿وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢﴾ أي لباس الحرير لقوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝٢٣﴾ [الحج: ٢٣] ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ لعدمها ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣﴾ أي ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝٤٨﴾ [الحجر: ٤٨] ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾ أي قريبة منهم ونصب دانية على الحال عطف على متكئين ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا﴾ أي ثمارها ﴿تَذْلِيلًا﴾ بحيث تصل إليها أيديهم ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ۝١٥﴾ أي ﴿قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ﴾ في الصفاء ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦﴾ أي هي مصاغة على قدر ريّ الشاربين

(١) فيشمل النذور (منه).

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا﴾ أي خلطها ﴿زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾ أعني ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي أولادهم الصغار الدائمو الصغر لقوله تعالى: ﴿﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الطور: ٢٤] ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ في الحسن والصفاء ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ أي هناك في الجنة ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ واسعًا لا ينتهي لقوله تعالى: ﴿﴿وَسَارِعُوٓا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ﴿عَالِيَهُمْ﴾ أي عليهم ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ ما رق وما غلظ أي من كل صنف من الديباج ﴿وَحُلُّوٓا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ أي غير مسكر لقوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات: ٤٧] ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ على أعمالكم ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: ١١٥].

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ في ترك التبليغ لقوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧] ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ أي صباحًا ومساء ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ يعني صلِّ صلاة التهجد لقوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل: ٢-٤] ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ ذا عذاب شديد هو يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٧] ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ أي أوصالهم بعضها إلى بعض ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ الآيات ﴿تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي لستم تشاؤون إلا بإرادة الله ولكن مشيئته لا تتعلق إلا بمحلها لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس: ١٠٠] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ أي من سلك طريقه وجهد في لقائه لقوله تعالى: ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣] ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ على ظلمهم وعنادهم للحق لا بلا ذنب منهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٤٤].

سورة المرسلات مكية وهي خمسون آية

﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ ﴾ أي أقسم بالرياح المرسلة بقانون طبعي لها ﴿ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ ﴾ أي شديدة الهبوب ﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ ﴾ أي الرياح التي تنشر السحابة ههنا وههنا تفرقها، كل هذه صفات الرياح فالمغايرة بتغاير الصفات ﴿ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ ﴾ أي الملائكة الذين يلقون أمر الله إلى الأنبياء عليهم السلام لقوله تعالى: ﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [غافر: ١٥] ﴿ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ ﴾ للناس ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ ﴾ من جزاء الأعمال ﴿ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ ﴾ لا محالة ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ ﴾ محيت أنوارها ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ ﴾ انشقت لقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ ﴾ [الفرقان: ٢٥] ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ ﴾ قلعت عن أماكنها لقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [طه: ١٠٥] ﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ ﴾ جمعت ليشهدوا على ما شاهدوا لقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ ﴾ [النحل: ٨٩] ﴿ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ ﴾ أخرت عن الجمع ثم أجاب سبحانه ﴿ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ ﴾ يوم عظيم ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ جزاء إذا مقدر أي وقع ما كنتم توعدون ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ بعدهم ﴿ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ من النطفة ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ أي الرحم ﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ أي إلى تسعة أشهر أو أقل ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ ﴾ وعاء مسكنًا لهم لقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة: ٣٦] ﴿ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ ﴾ حالان أي الأرض مسكنكم حال كونكم أحياء وأمواتاً لقوله تعالى: ﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [طه: ٥٥] ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾ جبالاً ثابتات ﴿ شَٰمِخَٰتٍ ﴾ عاليات ﴿ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ ﴾ عذبًا سائغًا لقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

[الواقعة: ٦٨-٧٠] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ يقال لهم: ﴿انطَلِقُوا﴾ أيها الكفار ﴿إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾ في الدنيا أي النار ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾ أي شعلة النار. لا الظل يظلهم ولا يدفع عنهم حر النار لكونه دخانًا لقوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: ٤١-٤٤] ﴿إِنَّهَا﴾ أي جهنم ﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾ جمع شررة ما تطاير من النار ﴿كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ﴾ جمل ﴿صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾ أي تكون شررها كمجموعة الجمال المصفرة عظمًا ولونًا ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ لما ﴿نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥] ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص: ٧٨] وإن كانوا يأتون بأعذار باردة في مواقع لم تقبل لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾﴾ [الأحزاب: ٦٧] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ﴾ أي كفار العرب ﴿وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ والآخرين منكم لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠] ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ تدبير في تخليصكم أنفسكم ﴿فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾﴾ -لا- لقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ﴾ من أشجار الجنة ﴿وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾﴾ يقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا﴾ أيها المجرمون في الدنيا ﴿وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ فعاقبتكم معلومة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾﴾ [القمر: ٤٧] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾ انقادوا لله سبحانه ﴿لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾ لا ينقادون لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٠] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ أي بعد القرآن لقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الجاثية: ٦].

سورة النبأ مكية وهي أربعون آية

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ عن أي شيء يتساءلون فيما بينهم على وجه الاستهزاء على تعليم الإسلام ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾ أي يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾ [صّ: ٦٧، ٦٨] ﴿ٱلَّذِى هُمْ﴾ أي مخالفو الإسلام ﴿فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ بعضهم أهل الكتاب مقرون والمشركون منكرون ﴿كَلَّا﴾ حقًّا ﴿سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦﴾ فراشًا لسكونكم وقراركم لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٣٦﴾ [البقرة: ٣٦] ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ أي مثل أوتاد على الأرض ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨﴾ أصنافًا شتى خَلقًا وخُلقًا لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢] ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩﴾ راحة لأبدانكم ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ أي ساترًا عن أعين الناس كي تسكنوا لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٧٢﴾[القصص: ٧٢] ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ مضيئًا لتبتغوا فضلًا من ربكم أسباب المعاش لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الإسراء: ١٢] ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢﴾ أي سبع سموات لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [تبارك: ٣] ﴿وَجَعَلْنَا﴾ فيها ﴿سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣﴾ الشمس ذات ضياء لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾ الآية [يونس: ٥] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ أي السحابة ﴿مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤﴾ نازلاً ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥﴾ مما تأكل الأنام ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾ ملتفة ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۝١٧﴾ للناس ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨﴾ أصنافًا أصنافًا من مؤمن وكافر ومنافق وغيرهم لقوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧﴾ [الواقعة: ٧] ﴿وَفُتِحَتِ﴾ أي تفتح ﴿ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ۝١٩﴾ ذات أبواب ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ

سَرَابًا ﴿٢٠﴾ هباء منثورًا لقوله تعالى: ﴿يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧] ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾ للمجرمين كأنها ترصدهم ﴿لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾﴾ يرجعون إليها ﴿لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ مدة مديدة ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ أي لا يستريحون فيها أنا لقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ الآية تأتي ﴿وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾﴾ ماء باردًا ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ حارًّا شديد الحرارة لقوله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد: ١٥] ﴿وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ يسيل من جروح أهل النار كان هذا ﴿جَزَاءً﴾ لهم ﴿وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ تامًّا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ من أعمالكم ﴿أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر: ٥٣] ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ جواري نواهد مستوية السن لأهل الجنة لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٨] ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ مملوءً شرابا طهورًا لقوله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ [الإنسان: ٢١] ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾﴾ ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة: ٢٦] ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي كان هذا جزاء من الله لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان: ٢٢] يعطون ﴿عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ بدل من ربك ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ عطف بيان ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾ لهيبته وجلاله وعظمته لقوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه: ١٠٨] ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ أي كل ذي حياة من الإنس والجن لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠] ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ أي لا يشفع للمشرك استثناء من المتكلمين لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ الكائن لا محالة ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾﴾ رجوعًا أي يطيعه ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ كائنًا ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من الخير والشر ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾﴾ لا أحيى مرة ثانية حتى لا أرى ما أرى لقوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحاقة: ٢٧].

سورة النازعات مكية وهي ست وأربعون آية

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ ﴾ أي الملائكة الذين ينزعون أرواح المجرمين بالتشديد والتذليل لقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٥٠ ﴾ [الأنفال: ٥٠] ﴿ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ ﴾ أي الملائكة الذين يخرجون أرواح المؤمنين بالإعزاز لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۖ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٣٢ ﴾ [النحل: ٣٢] ﴿ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ ﴾ أي خيل المجاهدين التي تعدو كأنها تسبح في الماء لقول امرىء القيس:

مسح إذا ما السابحات على الونى أثرن الغبار بالكديد المركل

﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ ﴾ أي جماعة الصلحاء الذين يسبقون إلى الخيرات لقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١١ ﴾ [الواقعة: ١٠، ١١] ﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥ ﴾ أي العاملون على تدبير الله سبحانه لقوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [السجدة: ٥] وقوله تعالى: ﴿ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ ﴾ [التحريم: ٦] جواب القسم مقدر أي الجزاء على أعمالكم حق كائن لا محالة لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ۝٦ ﴾ [الذاريات: ٥، ٦] ﴿ يَوۡمَ ﴾ متعلق بالجواب المقدر ﴿ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ ﴾ أي النفخة الأولى تزلزل الأرض وما عليها لقوله تعالى: ﴿ إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ ﴾ [الزلزلة: ١] ﴿ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ ﴾ أي تنفخ النفخة اللاحقة إحياءً لقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ۝٦٨ ﴾ [الزمر: ٦٨] ﴿ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ ﴾ خائفة ﴿ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠ ﴾ أي في أول الحالة ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ۝١١ ﴾ بالية ﴿ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ۝١٢ ﴾ أي بعيدة لقوله تعالى: ﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣ ﴾ [ق: ٣] ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤ ﴾ أي على وجه الأرض لقوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ۝٤٣ ﴾ [المعارج: ٤٣] ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ

﴿ٱلْمُقَدَّسِ﴾ الذي اسمه ﴿طُوًى ﴿١٦﴾﴾ فقال: يا موسىٰ ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ﴾ له ﴿هَل لَّكَ﴾ رغبة ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ من الذنوب الماضية ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ بالعظة والتذكير ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ العصا واليد البيضاء لقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [الشعراء: ٣٢، ٣٣] ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ في الفساد ﴿فَحَشَرَ﴾ أي جمع قومه ﴿فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ أي المعبود الحقيقي المتصرف لقوله تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء: ٢٩] ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾ أي ليعتبر الموجودون في زمانه والآتون بعده لقوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يونس: ٩٢] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الأخذ ﴿لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ عذاب الله ﴿ءَأَنتُمْ﴾ أيها الكفار ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ سقفها ﴿فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾ بلا شقوق ولا فطور لقوله تعالى: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ [تبارك: ٣] ﴿وَأَغْطَشَ﴾ أظلم ﴿لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ﴾ نور ﴿ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾﴾ إضافة الليل والضحى إلى السماء الأدنى ملابسة لما أن كلًّا منهما متعلق بها لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾[1] [يونس: ٥] ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ بسطها وإن كان خلقها قبل خلق السمآء لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٩] ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا﴾ من العيون والآبار ﴿وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾ أي أقامها على وجه الأرض ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ متاعًا مفعول له أي ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ [ق: ١١] ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ أي الساعة الداهية العظيمة لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ٢] ﴿يَوْمَ﴾ منصوب على البدلية من إذا للظرف ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ في الأعمال ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ أي لكل من يتأتى ويمكن منه أن يرى لقوله تعالى: ﴿وَجِا۟ىٓءَ

---

(١) والشمس والقمر كلاهما في السمآء.

﴿يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [الفجر: ٢٣] ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ أي تكبر عن قبول الحق ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾ أي سعى ما سعى لأجل المنافع الدنيوية ولم يلو على الآخرة لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤] ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ أي لم يتبع نفسه فيما يخالف الشرع لقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ أي له جنة الخلود ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾﴾ متى تأتي وتظهر ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾﴾ أي ليس مفوضًا إليك علمها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾﴾ ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾﴾ لأنه هو المنتفع وإلا فالإنذار في حق كل واحد لقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ: ٤٦] ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾﴾ أي مدة قليلة لهول يوم القيامة.

سورة عبس مكية وهي اثنتان وأربعون آية

﴿عَبَسَ﴾[1] الرسول ﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾﴾ ابن أم مكتوم رضي الله عنه ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ حقيقة الأمر ﴿لَعَلَّهُ﴾ أي الأعمى ﴿يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾﴾ أي يعمل بكل ما أُمر به ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾﴾ أي يعمل بقليل مما ذكر ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾﴾ عن الإيمان كصناديد قريش ﴿فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾﴾ تتعرض ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾﴾ أي ليس عليك سؤال إن لم يهتد أحد بهديك لقوله تعالى: ﴿لا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة: ١١٩] ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾﴾ في طلب الخير ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾ تتساهل ﴿كَلَّا إِنَّهَا﴾ أي آيات القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ

---

(١) كان رسول الله ﷺ مشغولاً بصناديد قريش فجاء ابن أم مكتوم أعمى رضي الله عنه سائلاً عن شيء فلم يلتفت إليه رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية (معالم ٨/ ٣٣٥).

﴿مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ﴾ رتبة ﴿مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ لعله يرد على قلب أحد أن القرآن يعزز بإيمان المعززين من صناديد قريش دفعه الله سبحانه بأن القرآن في نفسه عزيز لا تتوقف عزته على إيمان أحد وإن لم يؤمن به أحد لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢] ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ لا يتفكر أنه ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ الله ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ أي سوى خلقه وعدله لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦ـ٨] ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾﴾ للخروج من بطن الأم ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ الضمير لجنس الإنسان ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾ الله من الإيمان بالله وحده وأداء الفرائض والحقوق لقوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ [البلد: ١١ - ١٨] ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ المتكبر المعرض ﴿إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾ من السماء ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ﴾ بساتين ﴿غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾ ملتفة الشجر ﴿وَ﴾ أنبتنا ﴿فَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ كلأ ومرعى لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾﴾ [الأعلى: ٤] ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾ أي الساعة الداهية أي ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ ﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المعارج: ١٣، ١٤] ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ لا يلتفت إلى غيره لقوله تعالى: ﴿۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ بنعمائه سبحانه ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا﴾ تعلوها ﴿قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾ ظلمة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ عند الله.

سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ ﴾ أي أظلمت بحجاب أو بسلب نورها كان ذلك عند النفخة الأولى ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ ﴾ أظلمت لما أنها تسقط عن محاذاة الشمس لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ ﴾ [الانفطار: ٢] ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ ﴾ أي ذهبت بها عن أماكنها لقوله تعالى: ﴿ فَقُل يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [طه: ١٠٥] ﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ ﴾ العشار مثال والمراد الأموال المحبوبة المرغوبة أي إذا الأشياء المرغوبة المطلوبة تركت لقوله تعالى: ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [يس: ٥٠] ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ ﴾ جمعت ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ ﴾ يبس ماؤها بإلقاء الجبال فيها لقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [طه: ١٠٥ـ١٠٧] ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ ﴾ أي كل صنف يقترن بمثله عملًا لقوله تعالى: ﴿ وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [يس: ٥٩] وقوله تعالى: ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ [الصافات: ٢٢] ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ ﴾ المدفونة حية ﴿ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾ دفنت ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ ﴾ أي كتب الأعمال ﴿ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ ﴾ ظهرت لقوله تعالى: ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤] ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ ﴾ أي غير لونها لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الرحمن: ٣٧] ﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ ﴾ أوقدت ﴿ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ ﴾ قربت إلى المؤمنين هذه الوقائع بعضها عند الفناء وبعضها عند قيام الساعة إلا أنها عدت وعلقت بالجزاء أي بعلمه لأن أول اليوم في حكم آخره ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ ﴾ من خير وشر لقوله تعالى: ﴿ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ﴾ [الكهف: ٤٩] ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ﴾ الظاهرة ﴿ ٱلْجَوَارِ ﴾ في المجاري ﴿ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ ﴾ هي النجوم الظاهرة في الليل الجارية في مجاريها الخفية في النهار ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ ﴾ أقبل بظلامه ﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾ ظهر وبدا ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي

القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ معزز وموقر ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ أي عند الله أمين هو جبريل أي القرآن تلاوة رسول لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧] مر مثله في الحاقة: ٣٨-٤٠ ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ محمد ﷺ ﴿بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ كما تنسبون إليه لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾﴾ [الحجر: ٦] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ أي صاحبكم جبريل ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ حين تنزل عليه أول مرة ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ بخيل لا يظهر ما يرسل إليه بل يبلغه كله لقوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧] ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ بل ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء: ٢١٢] ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ أي تعدلون عن طريق الحق لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [المؤمنون: ٧٤] ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ كلهم عمومًا وخصوصًا ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ على طريق الحق فإن القرآن يهديه لقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ وهو أعلم بمن هو أولى بالهداية أو بالضلالة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ [النجم: ٣٠].

سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ انشقت ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾﴾ الانتشار ضد النظام انتثرت الكواكب لانقطاع النظام الشمسي ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ يجري ماء البعض إلى بعض ثم ييبس لقوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٧] ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ﴾ أي أصحاب القبور ﴿بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾﴾ حشرت لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ [النازعات: ١٤] ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ أي كل نفس ﴿مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾ من خير وشر ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾ أي ما أضلك عن

سبيله سبحانه فإنه لا سبيل إلى هذا الغرور لقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ﴾ من حسن المنظر أو غير ذلك ﴿رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا﴾ أي لا ينبغي هذا ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠﴾ ملائكة ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ فهم يكتبون أعمالكم من خير أو شر لقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق: ١٨] ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣﴾ أي في الجنة ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝١٦﴾ أي لا يغيبون عنها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ﴾ بدل من يوم الدين ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾ لا يكون لغيره الحكم بوجه من الوجوه لقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣﴾ [مريم: ٩٣].

سورة التطفيف مكية وهي ست وثلاثون آية

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ﴾ بيان للمطفف ﴿إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ أي أخذوا منهم ﴿يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾ يأخذونه تامًّا بل وافرًا ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ أي إذا أدوا ما أوجب عليهم ﴿يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ بالكيل أو الوزن هذا عكس الحكم الإلهي لقوله تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۝١٨٢﴾ [الشعراء: ١٨٢] ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥﴾ أعني ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦ كَلَّا﴾ حقًّا ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ﴾ أي كتاب أعمالهم ﴿لَفِي سِجِّينٍ ۝٧ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾ أي السجين ديوان مرقوم فيه أعمال الفساق لقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝٥٣﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢﴾ معاند للحق ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ المتضمنة للقصص ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ قصصهم ليس فيها دخل لإلهام الله ﴿كَلَّا﴾ لا ينبغي له هذا ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾ فلذا يقول ما يقول:

﴿كَلَّآ﴾ حقًّا ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ لا يرونه ولا ينظر إليهم لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران: ٧٧] ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي الملائكة المقربون يأتون مقام الكتاب إكرامًا له لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟[1] وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧] ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾ خمر صافية ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات: ٤٧] ﴿مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾﴾ ممزوج ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ أي ليرغب فيه الراغبون ﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾ أيضًا ﴿مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾ أعني ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾ يسخرون ويستهزؤون ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾﴾ يشيرون إليهم بالتحقير والاستهزاء ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ مسرورين على الاستهزاء بالمؤمنين ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ أي المؤمنين ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ﴾ أي يوم القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ﴾ أي قد جوزي ﴿ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ من الكفر والاستهزاء.

سورة الانشقاق مكية وهي خمس وعشرون آية

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾ عند النفخة الأولى ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أصغت إلى ربها سمعًا لحكمه طوعًا ﴿وَحُقَّتْ ﴿٢﴾﴾ أن تطيع لربها ما أمرها ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾﴾ بحيث لا يبقى جبال ولا بحر لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧] ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من

---

(١) الآية دالة على تكريم الملائكة للمؤمنين فحصل التطبيق فافهم (منه).

الموتى لقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾ [القمر: ٧] ﴿وَخَلَتْ ۝١﴾ منها ﴿وَأَذِنَتْ﴾ أصغت ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾ لذا والجواب محذوف أي ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ الآية مرت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ أي مسرع في حياتك حركة طبيعية إلى أجلك ﴿فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ بعد الموت لقاء لا تكون فيه شبهة لقوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝٢٢﴾ [قّ: ٢٢] فإن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ لا مناقشة فيه ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ لفوزه ونيله مرامه ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١﴾ هلاكة على نفسه لقوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧﴾ [الحاقة: ٢٧] ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ جهنم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣﴾ متنعمًا مستغنيًا عن الله ووعده ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤﴾ يرجع إلى الله ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾ من أول يوم خلق لقوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النجم: ٣٢] ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧﴾ جمع فيه ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨﴾ كمل واستوى كاملًا الليلة الرابعة عشر ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩﴾ حالة من اليسر بعد حالة من العسر لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾ [النور: ٥٥] أو المراد الانتقال من الحياة إلى البرزخ ومن البرزخ إلى المحشر لقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٨﴾ [البقرة: ٢٨] ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۝٢١﴾ أي لا ينقادون له بل يتنفرون لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥] ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣﴾ في صدورهم في المؤمنين لقوله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨] ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢١ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٢٢﴾ لا ينقطع لقوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨﴾ [هود: ١٠٨].

سورة البروج مكية وهي اثنتان وعشرون آية

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾ أي ذات النجوم[1] ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢﴾ أي يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٤٢﴾ [المعارج: ٤٢] ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ الشاهد الرسول عليه السلام لقوله تعالى: ﴿لِّيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] والمشهود يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۝١٠٣﴾ [هود: ١٠٣] ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝١﴾[2] من ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾ يرون أنفسهم ما يفعل بالمؤمنين من العذاب والاستهزاء ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ أي المؤمنين ﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾ يشهد عليهم بنفسه سبحانه لقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ [المجادلة: ٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي يؤذونهم على إيمانهم لقوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ﴾ [التوبة: ١٠] ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠﴾ لكفرهم وعنادهم بالمؤمنين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١﴾ لقوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ﴾[آل عمران: ١٨٥] ﴿إِنَّ بَطْشَ﴾ أخذ ﴿رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣﴾ أي يخلق أول مرة ثم يعيده إلى الفناء لقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: ٥٥] ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥﴾ مالك الملك

---

(١) هذا قول الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك رضي الله عنهم.

(٢) كان ملك في اليمن يدعي الألوهية وكان بملكه راهب قد أسلم بأثره خلق كثير فأمر الملك بالأخدود فخدت وأضرم النيران وقال: من لم يرجع عن الإسلام فأقحموه فيها ففعلوا هذا إجمال القصة والتفصيل في مسلم (٣٠٠٥) ومعالم (٨/ ٣٨٣-٣٨٦) (منه).

ذو الجلال والإكرام ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ لا يمنعه ولا يحجره شيء لقوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٨٤] ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ بدل من الجنود أي قد أتاك من قصصهم ما يعتبر به لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾﴾ [القمر: ٤] وهؤلاء لا يعتبرون ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾﴾ لا يخرجون عن إحاطة قدرته لقوله تعالى حاكيًا عن الجن: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ [الجن: ١٢] ليس في القرآن شيء من الكذب ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ وقبل ذلك في علمه سبحانه لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤].

سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾ المضيء. جواب القسم ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا﴾ إلا ﴿عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ وهو الله لقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣] ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾﴾ منصب ﴿يَخْرُجُ﴾ قبل كونه نطفة[1] ﴿مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾﴾ أي للرجل ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ﴾ أي بعث الإنسان يوم الحشر ﴿لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾﴾ [القيامة: ٤] ﴿يَوْمَ تُبْلَى﴾ تظهر ﴿السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾﴾ أي السحابة ذات المطر ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾ أي الانشقاق بالنبات والأشجار لقوله تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾ [عبس: ٢٥، ٢٦] ﴿إِنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾﴾ حق مبين ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ

---

(١) دفع دخل تقريره: أن المني لا يخرج من بين الصلب والترائب بل يخرج من الأنثيين وتوضيح الدفع: أن هذا الخروج ليس بخروج قريب بل هو خروج بعيد أعني حالة الدم قبل كونه نطفة في الأنثيين كذا في الكبير (١١/ ١١٩، ١٢٠) (منه).

﴿حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢] ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ اللهو واللعب فما أخبر به في القرآن واقع لا محالة لقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنعام: ٥] ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾﴾ يمكرون خفية في تكذيب الحق ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ خفية من نظرهم في نصرة الحق ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ زماناً قليلاً فلينظروا ما يصيرون إليه لقوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

سورة الأعلى مكية وهي تسع عشرة آية

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ أي قل سبحان ربي الأعلى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾﴾ أعضاءه على قدر يناسبه لقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾ [القيامة: ٤] ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ﴾ أجله في الرحم لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المرسلات: ٢٠ـ٢٣] ﴿فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ أي أراه طريق الخير والشر لقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٧، ٨] ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿١﴾﴾ للأنعام ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾﴾ أسود ﴿هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: ٤٥] ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ القرآن ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ شيئًا منه في وقت من الأوقات ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي وقت ما شآء الله أن تذهل عنه فالاستثناء من المفعول فيه من الوقت لا من المفعول به لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ (١) ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٧ـ١٩] ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾﴾ أي نوفقك للعمل الصالح باليسر ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾ أي إن كان النفع محتملاً وإن كان المخاطب معاندًا فلا لقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ [النجم: ٢٩]

---

(١) فإن هذه الآية تدل على أن الرسول ﷺ قد جمع في صدره القرآن من الله فكيف ينساه على أنه إن كان الاستثناء من المفعول به يرتفع الأمان عن كلام الله على احتمال أن يكون المنسي أكثر من الباقي أو يكون ناسخًا له وغير ذلك فالمعنى ما قلنا. (منه).

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ الله ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ أي الذكرى ﴿ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ بقبض الروح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ بالاستراحة ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ تطهر عن الشرك ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ في الخلوة والجلوة لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] وقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ﴿فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ كما أمره الله على لسان رسوله عليه السلام ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ لا تسعون إلا لها ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا﴾ أي ذكر كون الآخرة خيرًا وأبقى ﴿لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الشعراء: ١٩٦].

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ﴾ الساعة ﴿ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴿١﴾﴾ التي تغشى الناس بالهول لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ٢] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴿٢﴾﴾ ذليلة ﴿عَامِلَةٌ﴾ في الدنيا ﴿نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾﴾ عائية [متعبة] بمشقة المساعي لمنافع الدنيا أو على غير الإسلام لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥] ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١٦] ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾﴾ متناهية في الحرارة ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾ نبات ذي شوك ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧] ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾﴾ في نعمة وكرامة ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾﴾ أي عالية المقام ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ﴾ وسائد

﴿مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾﴾ للجلوس ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ أي بسط مبسوطة مرفوعة كما وكيفًا لقوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الواقعة: ٣٢ـ٣٤] ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾ التي هي أعظم الأموال عندهم قدرًا ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ متحملة للحمول الكثيرة الشاقة ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ والمراد التمثيل بها أي انظروا إلى ما خلق الله في السمآء والأرض من شيء لقوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١] ﴿فَذَكِّرْ﴾ بآيات الله وصنائعه ﴿إِنَّمَآ أَنتَ﴾ يا رسول ﴿مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ [القمر: ١٥] ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ مسلط عليهم تسأل عن أعمالهم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة: ١١٩] ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾﴾ الاستثناء منقطع ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ بعد الموت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ فنحاسبهم بما هم أهله.

سورة الفجر مكية وهي ثلاثون آية

﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾﴾ من أول ذي الحجة ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾﴾ الشفع المخلوق الذي خلق زوجين لقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات: ٤٩] والوتر مخلوق لا زوج له كالشمس والقمر وغيرها في أعيننا هذا كقول قيس المجنون:

ألا زعمت ليلى أنني لا أحبها بلى وليال العشر والشفع والوتر

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾﴾ أي الليل كله لما أنه يسري كل حين ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾ أي إن في هذه الأحلاف لاعتبارًا لذي عقل. جواب القسم محذوف ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾﴾ [الذاريات: ٥، ٦] ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ﴾ بدل من عاد ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾﴾ أي ذات القوة والبطش الشديد لقوله تعالى:

﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الشعراء: ١٣٠] ﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا﴾ في القوة الجسمانية ﴿فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ﴾ نحتوا الجبال ﴿بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾﴾ لقوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَـٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الشعراء: ١٤٩] ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾﴾ أي ذي القوة والمملكة لقول الشاعر:

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾﴾ بالمعاصي ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ يرى حيث لا ترونه لقوله تعالى: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧] ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ بالإعزاز والإكرام ﴿فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ آتاه النعمة ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾ أي أنا مستحقه لقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨] ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾ بالفقر وقلة المال ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ يحسب قلة الرزق إهانة له ولكل قليل الزاد لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١] ﴿كَلَّا﴾ أي ليس الأمر على كثرة المال وقلته ﴿بَل﴾ إعراض عن الكلام السابق ﴿لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾ أي لا تطعمونه كما أمرتم لقوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد: ١١-١٦] ﴿وَلَا تَحَـٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ أي لا تطعمون المساكين ولا ترغبون غيركم على الخير ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾ أي الميراث حيث لا تؤتون النساء والصبيان نصيبهم ﴿أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾﴾ بشدة الحرص ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ كثير الحب ﴿كَلَّآ﴾ أي لا ينبغي لكم هكذا ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي أمره ﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ منتظرين لأمر الله لقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ [الحاقة: ٣٠، ٣١] ﴿وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ في البيداء بحيث يراها كل أحد ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ يقول: ﴿يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان: ٢٧] ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ أي أنَّى تنفعه الذكرى لكون اليوم يوم الجزاء لا يوم التذكر لقوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾ [الانفطار: ٥] ﴿يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ عملًا صالحًا ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ

﴿أَحَدٌ ﴿٢٢﴾﴾ أي لا يعذب مثل عذاب الله أحد ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ حيث لا ينجو عن وثاقه أحد لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢] ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ بذكر الله ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ الأمر للاستمرار أي أديمي الإنابة إلى الله سبحانه لقوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ [المزمل: ٨] ﴿رَاضِيَةً﴾ لقضائه ﴿مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ بنعمائه ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾﴾ الصالحين ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ أي إذا دمت على الإنابة والتوكل على الله تدخلي في عباد الله الصالحين لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَٰٓؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١].

سورة البلد مكية وهي عشرون آية

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾﴾ أي مكة المكرمة ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾﴾ إخبار عن الغيب قد صدق يوم الفتح بحمد الله ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾﴾ آدم وأولاده ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ في نصب وتعب في الدنيا تارة من جهة نفسه وتارة من جهة أقاربه وفي الآخرة بالعذاب على أعماله أو بتعذيب أصدقائه ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾﴾ قد غلط ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾ [القيامة: ٤] ﴿يَقُولُ﴾ مفتخرًا ﴿أَهْلَكْتُ﴾ أنفقت ﴿مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾﴾ كثيرًا أي أنا كثير المال فكيف أكون بعد الموت ذليلًا ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾﴾ أي لا يعلم الله حال قلبه وإخلاصه كلا ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٩﴾﴾ [هود: ٥] ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ أي ألهمناه الخير والشر لقوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٨] ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾ أي ﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾ [عبس: ٢٣] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾ العقبة استعارة هي ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾ بينه وبينه قرابة ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ الذي لصقه التراب لأجل قلة

المال وتشتت البال ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾ ثم ههنا ليست للتعقيب بل لمجرد العطف أي الإيمان بالله وحده والتواصي بالحق والمرحمة وإيتاء المال على الخير عقبة للإنسان أي مفروض عليه من الله لقوله تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الموصوفون المتقون ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ ﴾[1] يؤتون كتاب أعمالهم بشمالهم ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ مطبقة كثرة لقوله تعالى: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأعراف: ٤١].

سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية

﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ ﴾ بعد الغروب ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ ﴾ أي أخذ الجلاء من الشمس ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ ﴾ أي ضياء الشمس ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ ﴾ أي من بناها هو الله لقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىٍ۟ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الذاريات: ٤٧] ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ ﴾ أي دحاها ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ ﴾ أي الله لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ ﴾ [الانفطار: ٦، ٧] ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾ أي أعلمها كليهما لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان: ٣] جواب القسم ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾ عن دنس الذنوب والمعاصي كلها ﴿ وَقَدْ خَابَ ﴾ خسر ﴿ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ أفسدها في

---

(١) أصحاب الميمنة: أصحاب اليمين أو أصحاب البركة، وأصحاب المشأمة: أصحاب الشمال أو أصحاب الشقاوة (منه).

المعاصي هذا خلاصة التذكير ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ الرسل ﴿بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝١٢﴾ لقتل الناقة المرسلة من الله الممنوعة عن مسها لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ۝٦٤﴾ [هود: ٦٤] ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ صالح عليه السلام اتركوا ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ۝١٣﴾ لقوله تعالى: ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝١٥٥﴾ [الشعراء: ١٥٥] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ أي دمرهم ﴿بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝١٥﴾ أي لا يخاف الله أحدًا منهم أن يعاقبه بعقاب لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦١].

سورة الليل مكية وهي إحدى وعشرون آية

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١﴾ النهار ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ بان وظهر ﴿وَمَا﴾ أي من ﴿خَلَقَ﴾ الزوجين ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ أي الله لقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩﴾ [القيامة: ٣٩] ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ مختلف ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ أي بالكلمة الحسنىٰ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ أي نوفقه للعمل الصالح حين أناب لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بماله ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨﴾ عن الله بماله وجاهه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩﴾ أي كانت عادته التكذيب لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [البقرة: ٢٠٦] ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ أي لا نوفقه للعمل الصالح لقوله تعالى ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الصف: ٥] ﴿وَمَا يُغْنِى﴾ يدفع ﴿عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝١١﴾ هلك ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢﴾ أن نبينه للناس ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥﴾ [المدثر: ٥٥] ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ۝١٣﴾ أي نحن نملك الدنيا والآخرة والملوك كلهم نواب لنا لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦﴾ [آل عمران: ٢٦] ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤﴾ تلهب كي تنجو منها ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا

﴿ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾ بالحق ﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى﴾ يؤمن بالله وحده و ﴿يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ طالبًا للزكاة في نفسه وماله أي مخلصًا لله غير مراء ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ﴾ أي عند الله ﴿مِن نِّعْمَةٍ﴾ عمل ﴿تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ أي ليس لأحد عمل يجزى عليه إلا عملاً عمله طلبًا لرضاه سبحانه لا لغيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦٤] ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ بما يجزى ـ اللهم اجعلني منهم.

سورة الضحى مكية وهي إحدى عشرة آية

﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾﴾[1] أي أقبل بظلامه ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ تركك ﴿رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ أي لم يبغضك ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ﴾ أي كل ساعة آخرة ﴿خَيْرٌ لَّكَ مِنَ﴾ الساعة ﴿ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ أي أنت يومًا فيومًا ترقى إلى آخر المدة لقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [النصر: ١ـ٣] ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ من الأجر والمراتب ﴿فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾﴾[2] في قومك عزًّا وشرفًا ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ غير عالم بما أنت عليه من الكتاب والنبوة ﴿فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ إلى ما أنت عليه أي بعثك على منصب الرسالة والتبليغ لقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ فقيرًا بلا مال ﴿فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ بغناء النفس وإعطاء الغنائم لقوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية [الأنفال: ٤١] ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾﴾ ناظرًا إلى حالك الأولى من

---

(١) أبطأ جبريل أيامًا فقال المشركون: ودع محمدًا ربه فنزلت (منه).

(٢) قال العبد الضعيف إن الصفات الثلاث (كما قال النواب صديق حسن خان البوفالي الهندي في حقه) صادقة عَلَي كنت يتيمًا ضالاً وعائلاً فآواني الله وهداني وأغناني بفضله وكرمه فالحمد لله على ما وافقت حالي حال رسوله ﷺ. فأقول مفتخرًا:

في الجملة نسبتي بتو كافي بود مرا بليل همين كه قافيه كل شود بس ست (منه)

اليتم ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ﴾ عن المال والمسائل الشرعية ﴿فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ تزجر بأي وجه يسأل ناظرًا إلى حالك الثانية والثالثة ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ إظهارًا للشكر لا للفخر والرياء.

سورة الانشراح مكية وهي ثمان آيات

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ وسعنا صدرك وألنا قلبك لتحمل الرسالة لقوله تعالى حاكيًا عن كليمه عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾ [طه: ٢٥ـ٢٨] وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾﴾ أي ثقل التبليغ ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾ أثقله لثقله أي خففنا عنك الأمر بتكثير أمتك لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنفال: ٦٢] ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ أي صوتك في العالم بحسن الثناء والسورة مكية فهذه أخبار عما يؤول الأمر إليه في المدينة لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣ و الصف: ٩] ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ بشرط الصبر وإلا فلا، دليل على ما ذكر من وضع وزره ورفع ذكره عليه السلام ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من التبليغ ﴿فَٱنصَبْ ﴿٧﴾﴾ فاتعب واجتهد في عبادة الله ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾ أنب إلى الله وتضرع لما أنك أديت ما عليك لقوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ الآية [النصر: ٢].

سورة التين مكية وهي ثمان آيات

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾﴾ الذي كلم الله موسى عليه ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾

مكة المكرمة زادها الله شرفًا وتعظيمًا لقوله تعالى حاكيًا عن خليله عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥] جواب القسم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ من الخَلق والخُلق وأمرناه بما يرفعه فلم يمتثل لقوله تعالى: ﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾ [عبس: ٢٣] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾ من الحيوانات يعذب على قبح أعماله ويؤاخذ ولا تعذب لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة: ٦] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ استثناء متصل ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ لا ينقطع ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ ما يحملك أيها الإنسان على التكذيب ﴿بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾﴾ أي بعد قيام الدلائل على الدين أي على أن يؤتي الله كل إنسان ما سعى من خير أو شر ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ هذا أيضًا دليل من دلائل كون الدين حقًّا إذ كونه سبحانه أحكم الحاكمين يقتضي أن لا يجعل العامل كالالا عامل لقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨].

سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية

﴿ٱقْرَأْ﴾[1] كل كتاب ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ كل شيء لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢] ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي بني آدم ﴿مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ دم منجمد ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾﴾ الكتابة وإظهار ما في الضمير ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ من صنعة الكتابة والحرفة وغيرها من الفنون كلها بإلهام الله سبحانه لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ هذا مرضه ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ يحسب أنه غير محتاج إلى الله هذا علة مرضه ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ رجوع المعلول إلى العلة هذا هو العلاج

---

(١) هذه أول سورة نزلت على النبي ﷺ حين بعث، نزلت إلى ﴿ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ (منه).

للطاغين أن يتفكروا فيما سيأتي عليهم لقوله عليه السلام متمثلًا:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلًا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا﴾[1] مسلماً منيباً ﴿إِذَا صَلَّىٰ ۝١٠﴾ كيف يجترىء على ما يغضب الله لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ [البقرة: ١١٤] ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ﴾ العبد المنهي ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰ ۝١٢﴾ فكيف ما يصير إليه الناهي لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢] ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾ الناهي بالحق ﴿وَتَوَلَّىٰ ۝١٣﴾ عن الحق فكيف ما يصير إليه لقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٣٢﴾ [الزمر: ٣٢] ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾ كل شيء مرئي وغير مرئي ﴿كَلَّا﴾ أي لا ينبغي ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ عما هو عليه الآن ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦﴾[2] بدل من الناصية أي نأخذنه بناصيته ونخزيه كما فعل به يوم بدر ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧﴾ عشيرته ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾ خزنة جهنم ﴿كَلَّا﴾ لا ينبغي له ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ في ترك الصلاة ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾ إلى الله بكثرة السجود.

سورة القدر مكية وهي خمس آيات

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي القرآن ﴿فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ من العشرة الأخيرة من رمضان لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾ [النحل: ٤٤] وقوله عليه السلام: «**التمسوها في العشر الأواخر من رمضان**»[3] (الحديث) أي بدأنا إنزال القرآن في ليلة القدر والقرآن اسم مشترك بين الكل

---

(١) نزلت في أبي جهل حين سمع النبي ﷺ يذكر آلهتهم فنهاه عن الصلاة حول البيت (منه).

(٢) هذا التنوين بدل من الثقيلة (منه).

(٣) رواه البخاري (٢٠٢١) في فضل ليلة القدر باب تحري ليلة القدر في الوتر في العشر الأواخر من رمضان ومسلم في الصيام (١١٦٩) وأبو داود رقم (١٣٨١) في شهر رمضان باب ما جاء في ليلة القدر.

والجزء فلا ينافي نزوله في ثلاث وعشرين سنة لقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦] أو المعنى أنزلناه في مدح ليلة القدر ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ لا يكون فيها الليل ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ أي الروح الأمين جبريل ﴿فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ أي بكل خير وفيض روحاني يستفيد بها من يستفيد ﴿سَلَٰمٌ﴾ خبر مقدم ﴿هِىَ﴾ مبتدأ مؤخر أي هي ذات سلامة لا يكون فيها شر روحاني ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ أي إلى أن يطلع الفجر.

سورة البينة مدنية وهي ثمان آيات

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾ أي منتهين عن الكفر ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾ أي ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ذو عظمة وجلال ﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾﴾ عن شائبة الكذب ﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾ أي مسائل ﴿قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾ بديهية أو مبرهنة أي ما كاد المشركون وأهل الكتاب ينتهون عما هم عليه من الكفر والشرك والبدع حتى يبعث فيهم رسولٌ يدعوهم إلى الله وهو محمد ﷺ لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢] ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ في تصديقه وتكذيبه ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ أي الرسول لقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٩] ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾ على لسان محمد ﷺ ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ غير مائلين إلى جانب ﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ أي طريق الملة القويمة لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ﴾ [البقرة: ٢٥٦] المعنى ليس لهم عذر في مخالفة الحق لأن تعليم القرآن لا يخالف تعليم التوراة

أصولاً ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ﴾ كائنًا من كان ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ ﴾ لخير مآلهم ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ على أحسن أعمالهم ﴿ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ على أحسن جزائه ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الرضاء حاصل ﴿ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ لقوله تعالى حاكيًا عن أهل الجنة: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الطور: ٢٦].

سورة الزلزال مدنية وهي ثمان آيات

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ ﴾ تحركت حركة شديدة عند النفخة الأولى لقوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾ [النمل: ٨٨] وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ [طه: ١٠٥، ١٠٦] ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ ﴾ ما دفن فيها من الأموات لقوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [القمر: ٧] هذا عند النفخة الثانية ﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ ﴾ تتحرك وتحدث ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾ التي أحدثتها بنو آدم عليها من أعمال الخير والشر ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ﴾ أي أنطقها جواب إذا ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ﴾ يخرج ﴿ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا ﴾ متفرقين فمن بيض الوجوه ومن سود الوجوه لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٠٦] ﴿ لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾ أي جزاءه ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ لقوله تعالى حاكيًا عن لقمان عليه السلام: ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [لقمان: ١٦].

سورة العاديات مكية وهي إحدى عشرة آية

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١﴾ أي الخيل العادية في سبيل الله للجهاد ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾ أي الخيل التي توري النار على الحجارة عند المشي ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣﴾ أي الخيل التي تغير على الكفار مصبحين ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤﴾ أي يهجن بالإغارة غبارًا ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ أي في الغبار ﴿جَمْعًا ۝٥﴾ من الكفار أقسم الله سبحانه بخيل المجاهدين جواب القسم ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ جحود كفور لنعمائه كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٤] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي الله ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ على أعماله ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي الإنسان ﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ لنفسه ﴿لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ لقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩] ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾ بعث ﴿مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩﴾ من الموتى ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ أي تظهر الخفايا كلها لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾ [الطارق: ٩، ١٠] ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾ لا يحتاج إلى من يخبره لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣﴾ [تبارك: ١٣].

سورة القارعة مكية وهي إحدى عشرة آية

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢﴾ أي الساعة التي تقرع قلوب الناس لأهوالها ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤﴾ المنتشر ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ كالصوف المندوف هذا عند النفخة الأولى لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝١٠٧ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ [طه: ١٠٥-١٠٨] ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦﴾ الحسنة ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ مرضية ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ

﴿مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾﴾ بأن رجحت سيئاته على حسناته ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ أي مسكنه جهنم لقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة: ٨١] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾﴾ أي جهنم ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ محرقة.

سورة التكاثر مكية وهي ثمان آيات

أيها الناس ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾ أي شغلكم المكاثرة بالمال والأولاد لانهماككم في محبة الدنيا لقوله تعالى: ﴿أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠] ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾ أي دمتم مشغولين بالدنيا حتى أتاكم الموت لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر: ٤٣-٤٧] ﴿كَلَّا﴾ حقًّا ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ ما تصيرون إليه لقوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٧] ﴿كَلَّا﴾ حقًّا ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾﴾ ما سيأتي عليكم بعد الموت لما شغلتكم الدنيا ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ بحيث لا يبقى شك لقوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [النازعات: ٣٦] ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ من أين حصلتم وفيما أنفقتم.

سورة العصر مكية وهي ثلاث آيات

﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾﴾ أقسم سبحانه بالزمان ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ لأنه ما أدى ما حمل لقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾ [عبس: ٢٣] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي يؤدون ما أوجب الله عليهم لقوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ

﴿شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧] ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ أي لقبول الحق من أي جهة يصل إليهم لقوله عليه السلام: «**كلمة الحكمة ضالة الحكيم حيث وجدها فهو أحق بها**»[1] (الحديث) ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ على الأضرار والمصائب لما أنهم مأمورون به لقوله تعالى: ﴿إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٦].

سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات

﴿وَيْلٌ﴾ هلاكة ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾ ولم ينفقه في سبيل الخير ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ أي ما يظن أن حال تنعمه تتحول أبدًا لقوله تعالى حاكيًا عن مثله: ﴿مَّآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ۝٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [الكهف: ٣٥، ٣٦] ﴿كَلَّا﴾ أي لا يخلده المال أبدًا ولنعم ما قال الرجل الصالح:

يظن المرء في الدنيا خلودًا ... خلود المرء في الدنيا محال

﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ ليطرحن ﴿فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥﴾ هي ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾ أي يبلغ ألمها إلى القلوب لكثرتها وشدتها ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ مطبقة ﴿فِى﴾ صورة ﴿عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾ مطولة بيان لكثرتها لقوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٤١﴾ [الأعراف: ٤١].

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٨٧) في العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ورواه ابن ماجه رقم (٤١٦٩) في الزهد باب الحكمة من حديث إبراهيم بن الفضل المخزومي عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإبراهيم بن الفضل المخزومي ضعيف في هذا الحديث.

سورة الفيل مكية وهي خمس آيات

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾[1] الذين أغاروا على الكعبة ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢﴾ خسارة لم يفوزوا بما راموا ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾ متفرقة كثيرة ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤﴾ طين لازب ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ أي كزرع أكل منه. تصوير لخسران عاقبتهم وعدم نيل مرامهم.

سورة قريش مكية وهي أربع آيات

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾ اللام للتعجب أي اعجبوا لإلف قريش ومحبتهم للسفر للتجارة وترك العبادة كيف انهمكوا في الدنيا ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣﴾ أي الكعبة ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾ بإسكانهم في الحرم لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

سورة الماعون مكية وهي سبع آيات

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾[2] أي لا يؤمن بجزاء الأعمال ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ أي يدفعه ويقهره لما أنه لا يرى فيه ثواباً ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ

---

(١) هو محمود وأصحابه. أبرهة ملك اليمن والحبشة بنى بصنعاء كنيسة ليصرف إليها الحاج عن مكة فأحدث رجل من كنانة فيها ولطخ قبلتها بالعذرة احتقارًا بها، فجاء مكة بجيشه على أفيال مقدمها محمود فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصه (جلالين ص ٦٠١).

(٢) قال ابن عباس: نزلت في المنافقين (معالم ٨/ ٥٥١).

﴿ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ أي لا يطعم ولا يرغب غيره لعدم اعتقاده الجزاء لقوله تعالى حاكيًا عنهم: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧] ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ أي غافلون لا يدبرون ولا يخشون فيها وهم المنافقون الجامعون للأوصاف المذكورة لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾﴾ الناس أعمالهم ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ أي لا ينفعون أحدًا بمالهم وجاههم وعلمهم لقوله تعالى: ﴿يَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

سورة الكوثر مكية وهي ثلاث آيات

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾[1] أي الخير الكثير من الأخلاق الكاملة وكثرة الأمة والشفاعة والحوض يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣] ولقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر ١ـ٣] ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾[2] اذبح البدن قرباناً ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ مخالفك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ منقطع الدبر لا يذكر بعد الموت.

سورة الكافرون مكية وهي ست آيات

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾﴾ المنكرون اسمعوا ما أقول: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾ من دون الله ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾﴾ وحده ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾﴾

---

(١) كان المشركون يسمون رسول الله ﷺ الأبتر لما أنه لم يكن له ولد ذكر فأنزل الله هذه السورة (منه).

(٢) عن ابن عباس قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ ضع اليمين على الشمال في الصلاة عند النحر (معالم٨/ ٥٥٩) لعله لمناسبة حكم الصلاة فافهم.

مستقبلاً ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ مستقبلاً حال كونكم مشركين ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ أي لا جدال ولا قتال بيننا حتى تبدؤوا[1] لقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧﴾ [التوبة: ٧].

سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ للمسلمين ﴿وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ أي ابتدأت سلسلة الفتوحات الإسلامية إلى فتح مكة ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ جماعات ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ أي اطلب الغفران في كل حال وإن لم يكن لك ذنب لقوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾

سورة اللهب مكية وهي خمس آيات

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾[2] صاحب نار الغضب ﴿وَتَبَّ ۝١﴾ هلك في علم الله ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾ حال، كانت تحمل الشوك والعضاه فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ، يكون ﴿فِى جِيدِهَا﴾ عنقها ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ ليف.

---

(١) إشارة إلى أن الآية غير منسوخة (منه).

(٢) جمع رسول الله ﷺ قريشًا فصعد على الصفا فقال: «هل جربتم كذبي؟» فقالوا: لا، فقال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تبًّا لك ألهذا جمعتنا؟ فنزلت هذه الآية (معالم ٨/ ٥٨١).

سورة الإخلاص مكية وهي أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ﴾ ضمير الشأن ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ أي الله المقصود لكل ذي حياة لقوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمل: ٨، ٩] ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا﴾ مثلاً في ذاته وصفاته ﴿أَحَدٌ ۝٤﴾ لقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم: ٦٥].

سورة الفلق مكية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ(١) بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ أي الصبح لقوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦] ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ من المؤذيات ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ أي القمر إذا غاب أي مما في ظلمات الليل ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ لإيصال الشر ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ﴾ عدو ﴿إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

سورة الناس مكية وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ(٢) بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ أي ذي الوسواس ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾ يوهم ﴿فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ كائنًا من كان.

تم بالخير

---

(١) و(٢) السورتان نزلتا للتعوذ من الآفات والبليات (منه).

الحمد لله

الذي وفقني لتحرير هذا التفسير بفضله وكرمه وقد وافق تمامه إحدى وعشرين خلون من صفر سنة ١٣٢١هـ فالحمد لله ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

يلوح الخط في القرطاس دهرًا وكاتبه رميم في التراب

اللهم اغفر لمؤلفه وكاتبه ولمن سعى فيه وللمؤمنين أجمعين

ها أنا خادم دين الله أبو الوفاء ثناء الله كفاه الله الأمرتسري الهندي

مؤلف هذا التفسير

* * *

ثبت المصادر والمراجع

- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (٤٥٠ـ٥٠٥هـ).
- أسباب النزول للواحدي النيسابوري تحقيق د./السيد الجميلي ط ٧ دار الكتاب العربي، بيروت.
- الأسماء والصفات لأحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ـ٤٥٨هـ) ط ٢ دار الكتاب العربي، بيروت.
- أصول الكليني.
- إنجيل مرقس.
- إنجيل لوقا.
- إنجيل متى.
- الإيمان لابن منده.
- التاريخ لابن عساكر (٤٩٩ـ٥٧١هـ) ط ٣ دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- التاريخ الكبير للبخاري (١٩٤ـ٢٥٦هـ) ط دار الكتب العلمية، بيروت.
- تاريخ أصبهان لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (٣٣٦ـ٤٣٠هـ).
- تفسير البغوي (معالم التنزيل) ١/ ٨ الحسين بن سعود البغوي (ـ٥١٦هـ) ط ٤ دار طيبة، الرياض
- تفسير البيضاوي لعبدالله بن عمر الشيرازي (ـــ ـ٦٥٨هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.
- تفسير الجلالين لجلال الدين السيوطي والمحلي (٨٤٩ـ٩١١) (٧٩١ـ٨٦٤) طبعة ١٤١٩هـ، بيت الأفكار الدولية، الرياض.
- تفسير الدر المنثور للسيوطي ط ١ دار الكتب العلمية.
- تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري

(٢٢٤ـ٣١٠) ط ١ دار الكتب العلمية.
ـ تفسير عسكري للشيعة الإمامية أبو هلال الحسن العسكري (ـ ـ ٣٩٥).
ـ التفسير الكبير للفخر الرازي ١/ ١١ (٥٤٣ـ٦٠٦) ط ٢ دار إحياء التراث.
ـ تعظيم قدر العبد للمروزي.
ـ التوراة المطبوع بلندن.
ـ جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (٧٣٦ـ٧٩٥هـ).
ـ حمامة البشرى ـ لميرزا غلام أحمد القادياني (١٩٠٨م ـ ١٣٢٦هـ).
ـ دلائل النبوة للبيهقي (٣٨٤ـ٤٥٨هـ) ط ١ ـ دار الكتب العلمية، بيروت.
ـ سنن ابن ماجه (٢٠٩ـ٢٧٣هـ) ط ٢ دار سحنون (موسوعة السنة).
ـ سنن أبي داود (٢٠٢ـ٢٧٥هـ) ط ٢ دار سحنون (موسوعة السنة).
ـ سنن البيهقي (٣٨٤ـ٤٥٨هـ) ط دار الفكر.
ـ سنن الترمذي (٢١٠ـ٢٧٩هـ) ط ٢ دار سحنون (موسوعة السنة).
ـ سنن الدارقطني (٣٠٦ـ٣٨٥هـ) دار إحياء التراث.
ـ سنن النسائي (٢١٥ـ٣٠٣هـ) ط ٢ دار سحنون (موسوعة السنة).
ـ السيرة النبوية لابن هشام (ـ٧٦١هـ) ط ١ دار الحديث.
ـ شرح السنة للبغوي (٤٣٦ـ٥١٦) ط ٢ المكتب الإسلامي.
ـ الشريعة للآجري (ـ٣٦٠هـ) ط ١ دار السلام.
ـ صحيح ابن حبان (٢٧٠ـ٣٥٤هـ) ط ٢ مؤسسة الرسالة.
ـ صحيح البخاري (١٩٤ـ٢٥٦هـ) ط ٢ دار سحنون (موسوعة السنة).
ـ صحيح مسلم (٢٠٤ـ٢٦١هـ) ط ٢ دار سحنون (موسوعة السنة).
ـ فتح البيان في مقاصد القرآن للصديق حسن القنوجي (١٢٤٨ـ١٣٠٧هـ) ط ١٤١٢هـ، المكتبة العصرية، بيروت.
ـ فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني (١١٧٣ـ١٢٥٠هـ) ط ١ دار الخير، بيروت.
ـ الفوز الكبير في أصول التفسير للإمام ولي الله الدهلوي (١١١٤ـ١١٧٦هـ) ط ٢

دار البشائر الإسلامية، بيروت.
- فيض القدير. لأنور شاه كشميري.
- كشف الخفاء لإسماعيل بن محمد العجلوني (١٠٨٧-١١٦٢هـ) ط ٧ مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الكنى للحاكم النيسابوري (٣٢١-٤٠٥هـ).
- لباب التأويل في معالم التنزيل لعلي بن محمد البغدادي المعروف بعلي الخازن (٦٧٨-٧٤١هـ).
- مجمع الزوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي (٧٣٥-٨٠٧هـ) ط دار الفكر، بيروت.
- المستدرك للحاكم النيسابوري (٣٢١-٤٠٥هـ) ط ١ دار الكتب العلمية، بيروت.
- مسند أبي يعلى الموصلي (٢١٠-٣٠٧هـ) ط ١ دار الثقافة العربية، دمشق.
- مسند أحمد للإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ) ط دار سحنون (موسوعة السنة)، تونس.
- المعجم الأوسط لسليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ) ط ١ - المكتب الإسلامي بيروت.
- المعجم الصغير لسليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ) ط دار الحرمين - القاهرة.
- المعجم الكبير لسليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ) ط مكتبة ابن تيمية - القاهرة.
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (- ٥٠٢هـ).
- المقاصد الحسنة للسخاوي محمد بن عبدالرحمن (٨٣١-٩٠٢هـ).
- مكارم الأخلاق لمحمد بن جعفر الخرائطي (٢٤٠-٣٢٧هـ).
- موطأ مالك بن أنس (٩٥-١٧٩هـ) ط دار النفائس، بيروت.
- نوادر الأصول لمحمد بن علي الحكيم الترمذي (- -٢٥٥هـ).

فهرس سور القرآن في هذا التفسير

السورة	رقمها	الصفحة		السورة	رقمها	الصفحة	
الفاتحة	١	٥	مكية	العنكبوت	٢٩	٥١٠	مكية
البقرة	٢	٧	مدنية	الروم	٣٠	٥١٧	مكية
آل عمران	٣	٧٦	مدنية	لقمان	٣١	٥٢٤	مكية
النساء	٤	١١٥	مدنية	السجدة	٣٢	٥٢٨	مكية
المائدة	٥	١٥٥	مدنية	الأحزاب	٣٣	٥٣١	مدنية
الأنعام	٦	١٨٥	مكية	سبأ	٣٤	٥٤٤	مكية
الأعراف	٧	٢١٩	مكية	فاطر	٣٥	٥٥١	مكية
الأنفال	٨	٢٥٤	مدنية	يس	٣٦	٥٥٩	مكية
التوبة	٩	٢٦٨	مدنية	الصافات	٣٧	٥٦٧	مكية
يونس	١٠	٢٩٥	مكية	ص	٣٨	٥٧٦	مكية
هود	١١	٣١٢	مكية	الزمر	٣٩	٥٨٥	مكية
يوسف	١٢	٣٢٨	مكية	المؤمن (غافر)	٤٠	٥٩٦	مكية
الرعد	١٣	٣٤٢	مدنية	حم السجدة (فصلت)	٤١	٦٠٦	مكية
إبراهيم	١٤	٣٥٠	مكية	الشورى	٤٢	٦١٤	مكية
الحجر	١٥	٣٥٨	مكية	الزخرف	٤٣	٦٢٢	مكية
النحل	١٦	٣٦٥	مكية	الدخان	٤٤	٦٣١	مكية
بني إسرائيل (الإسراء)	١٧	٣٨٤	مكية	الجاثية	٤٥	٦٣٦	مكية
الكهف	١٨	٤٠٠	مكية	الأحقاف	٤٦	٦٣٩	مكية
مريم	١٩	٤١٥	مكية	محمد	٤٧	٦٤٤	مدنية
طه	٢٠	٤٢٤	مكية	الفتح	٤٨	٦٥٠	مدنية
الأنبياء	٢١	٤٣٣	مكية	الحجرات	٤٩	٦٥٧	مدنية
الحج	٢٢	٤٤٥	مدنية	ق	٥٠	٦٥٩	مكية
المؤمنون	٢٣	٤٥٦	مكية	الذاريات	٥١	٦٦٣	مكية
النور	٢٤	٤٦٤	مدنية	الطور	٥٢	٦٦٧	مكية
الفرقان	٢٥	٤٧٤	مكية	النجم	٥٣	٦٧٠	مكية
الشعراء	٢٦	٤٨٣	مكية	القمر	٥٤	٦٧٥	مكية
النمل	٢٧	٤٩١	مكية	الرحمن	٥٥	٦٧٨	مدنية
القصص	٢٨	٥٠٠	مكية	الواقعة	٥٦	٦٨٢	مكية

السُّورة	رقمها	الصفحة	
الحديد	٥٧	٦٨٦	مدنية
المجادلة	٥٨	٦٩١	مدنية
الحشر	٥٩	٦٩٥	مدنية
الممتحنة	٦٠	٦٩٩	مدنية
الصف	٦١	٧٠٢	مدنية
الجمعة	٦٢	٧٠٤	مدنية
المنافقون	٦٣	٧٠٦	مدنية
التغابن	٦٤	٧٠٨	مدنية
الطلاق	٦٥	٧١٠	مدنية
التحريم	٦٦	٧١٢	مدنية
الملك	٦٧	٧١٤	مكية
القلم	٦٨	٧١٧	مكية
الحاقة	٦٩	٧٢٠	مكية
المعارج	٧٠	٧٢٢	مكية
نوح	٧١	٧٢٥	مكية
الجن	٧٢	٧٢٦	مكية
المزمل	٧٣	٧٢٩	مكية
المدثر	٧٤	٧٣٢	مكية
القيامة	٧٥	٧٣٥	مكية
الدهر (الإنسان)	٧٦	٧٣٧	مدنية
المرسلات	٧٧	٧٤٠	مكية
النبأ	٧٨	٧٤٢	مكية
النازعات	٧٩	٧٤٤	مكية
عبس	٨٠	٧٤٦	مكية
التكوير	٨١	٧٤٨	مكية
الانفطار	٨٢	٧٤٩	مكية
التطفيف (المطففين)	٨٣	٧٥٠	مكية
الانشقاق	٨٤	٧٥١	مكية
البروج	٨٥	٧٥٣	مكية
الطارق	٨٦	٧٥٤	مكية
الأعلى	٨٧	٧٥٥	مكية
الغاشية	٨٨	٧٥٦	مكية
الفجر	٨٩	٧٥٧	مكية
البلد	٩٠	٧٥٩	مكية
الشمس	٩١	٧٦٠	مكية
الليل	٩٢	٧٦١	مكية
الضحى	٩٣	٧٦٢	مكية
الانشراح (الشرح)	٩٤	٧٦٣	مكية
التين	٩٥	٧٦٣	مكية
العلق	٩٦	٧٦٤	مكية
القدر	٩٧	٧٦٥	مكية
البينة	٩٨	٧٦٦	مدنية
الزلزال (الزلزلة)	٩٩	٧٦٧	مدنية
العاديات	١٠٠	٧٦٨	مكية
القارعة	١٠١	٧٦٨	مكية
التكاثر	١٠٢	٧٦٩	مكية
العصر	١٠٣	٧٦٩	مكية
الهمزة	١٠٤	٧٧٠	مكية
الفيل	١٠٥	٧٧١	مكية
قريش	١٠٦	٧٧١	مكية
الماعون	١٠٧	٧٧١	مكية
الكوثر	١٠٨	٧٧٢	مكية
الكافرون	١٠٩	٧٧٢	مكية
النصر	١١٠	٧٧٣	مدنية
اللهب (المسد)	١١١	٧٧٣	مكية
الإخلاص	١١٢	٧٧٤	مكية
الفلق	١١٣	٧٧٤	مكية
الناس	١١٤	٧٧٤	مكية